يلماز أوزطونـــا

المدخـــل إلى التاريخ التركـــي

ترجمها من التركية

أرشـــــد الهرمزي

تقديـــــــــــم

لهذا الكتاب حكاية.. فقد صدرت الطبعة التركية منه على أجزاء متعددة منذ عام 1963، وكان الجزء الأول والثاني يتناولان التاريخ التركي العام وموطن الأتراك وأقوامهم الرئيسية واعتناقهم الإسلام واتخاذهم الأناضول وطنا قوميا، إضافة إلى سرد مسهب للأقوام التركية في آسيا الوسطى والدول والإمبراطوريات التي أنشأها الأتراك على مر العصور.

أما الأجزاء الأخرى فكانت تتناول العهد العثماني وتسلط الضوء على تاريخ المنطقة برمتها. وقد ارتأينا أن ننقل للقاري ما يخص التاريخ التركي العام والذي يسبق العهد العثماني إذ أن الأخير قد تناولته مئات الكتب والمؤلفات العربية والأجنبية ويمكن للقاري المتتبع أن يحصل على أي كتاب يتناول هذا الشأن بسهولة ويسر.

وفي أواخر الستينات من القرن العشرين حدث وأن بحثت عن وسيلة أجتمع فيها مع مؤلف الكتاب، البحاثة والمؤرخ المعروف يلماز اوز طونا لطرح الموضوع عليه، فقادتني خطواتي إلى المفكر التركي الكبير نهاد آتسز، رحمه ا في مقر عمله باسطنبول حيث استشرته في هذا الأمر مع مجموعة من الشباب التركماني المثقف. وقد تحمس آتسز للأمر فقد كان يدرك أهمية الوعي التاريخي وكان يحز في نفسه أن تبقى هذه الصفحات الناصعة في الخفاء.

سحب آتسز بطاقة زيارة تحمل اسمه وخط عليها مذكرة سريعة تفيد بتوصيته أن يقابل هذا الشاب ويستمع إليه، لعل ذلك يقود إلى نشر صفحات من التاريخ التركي بين أوساط القراء العرب. كنت آنذاك في ربيعي الخامس والعشرين ولم يكن المؤلف الكبير سيصدق أنني سأتصدى لهذا الأمر لولا أن فتح آتسز هذا المجال.

وقد تحقق ما توقعناه، فقد رحب المؤرخ الكبير بالفكرة وزودنا بإذنه لترجمة الكتاب ونشره على أمل أن يخدم ذلك شرائح واسعة من المثقفين والمتتبعين للتاريخ التركي. ورجعت إلى العراق وبدأت أنكب على الترجمة بحيث شغلني ذلك عن أي نشاط اجتماعي أو عائلي. كان علي أن أقارن المسميات التركية بتلك التي في اللغة العربية، واستمرت هذه الجهود لأشهر متواصلة إلى أن اكتملت عندي النسخة الأولى من مسودة الكتاب.

وكان علي أن أتأكد من كل صغيرة وكبيرة إضافة إلى مراجعة اللغة والأسلوب، ولم يكن أقدر على ذلك من البحاثة والأديب الضليع عطا ترزي باشي، مفخرة الأدب التركماني والعربي في كركوك، فقصدته حيث وافق بكل رحابة صدر على مراجعة المسودة من حيث قواعد اللغة والمصطلحات التاريخية، وكان أن زودني بملاحظات قيمة لا تقدر بثمن، ولازلت احتفظ بملاحظاته المكتوبة بخط يده كقيمة أدبية لا تفنى. وأذكر أنه عرض المخطوط على المؤرخ الأديب حسين الداقوقي أيضا، وبذلك قطعنا شوطا كبيرا في التحضير لإصدار النسخة العربية.

في هذه الفترة سيطر حزب البعث العراقي على السلطة في العراق، وأصبحت الكلمة في قفص الاتهام إلا إذا كان لصالح البعث الشوفيني.وحدث بعد ذلك أن طالتني سلسلة الاعتقالات التي كانت تترصد جميع المثقفين وكل من يحترم الكلمة الحرة الهادفة، ولذلك فقد أصبح طبع مثل هذا الكتاب مصدر خطر جسيم لا تقدر عواقبه.

وحدث أن نفذت إلى خارج البلاد في حقبة سوداء عصية من تاريخ العراق، شأني في ذلك شأن الكثيرين من زملائي من مختلف القوميات العراقية، وظل الحلم الكامن في أنفسنا للعودة إلى العراق وتنشق نسيمه كجرح نازف في أعماقنا، وبعد ما يقرب ربع قرن من الاغتراب سقط الصنم في بغداد واتيحت لي العودة إلى مدينتي الوادعة، ولم يكن لي أمل وطيد في أن أعثر على مخطوطاتي ووثائقي التي تركتها في أعقابي عند النزوح الكبير.

وقد كانت المفاجأة الكبرى عندما زف إلي قريبي وصديقي الأستاذ أديب أحمد الجراح، أنه قد احتفظ بعد خروجي بكامل ملفاتي وقام بإعادتها إلي فوجدت مخطوطة الترجمة وكأنها جاهزة للطبع. مرت أكثر من ثلاثة عقود على إنجاز مهمة الترجمة ولم يتسن لها أن ترى النور إلا بعد أن جمع اللقاء بي بأحبتي وبكتبي.

والكتاب من خيرة مؤلفات اوز طونا ويتناول منشأ الأتراك ومناطقهم الجغرافية والدول التركية الكبرى قبل اعتناق الإسلام، ثم يتطرق إلى الدول التركية بعد الإسلام والدول التركية في الهند والصين، كما يسلط الضوء على انفتاح الأتراك نحو القارة الأوربية، ويسهب الحديث عن السلاجقة.

كما يتطرق الكتاب في قسمه الثاني إلى الأناضول وتركيا وفتح الأناضول، كما يزود القاري بأدق المعلومات عن الحروب الصليبية وعن إمارات الأناضول ودولها التركية.

إلا أن القاري الكريم سيدرك صعوبة إخراج كتاب مضى عليه أكثر من أربعين عاما إلى الوجود دون الإشارة إلى الأحداث التاريخية التي تبدل شأنها وتغيرت بشكل جوهري في العقود الأخيرة من الزمن، وقد ارتأينا الحفاظ على الروح الأصلية للكتاب والإشارة عندما يقتضي الأمر إلى التبدلات الجوهرية التي أفرزتها هذه السنين الطويلة. فعندما صدر الكتاب كان الاتحاد السوفيتي قطبا عالميا وخصما عنيدا للغرب في فترة الحرب الباردة، وكانت الجمهوريات الإسلامية المستقلة حاليا منضوية تحت مظلة الاتحاد السوفيتي، وسيدرك القاري اللبيب الإشارات التي وردت إلى الاتحاد السوفيتي السابق كلما تطلب الأمر، في حين حذفت هذه المظلة عندما يتعلق الأمر بالجمهوريات المستقلة حاليا عندما لزم الأمر.

وقد كان اوز طونا دقيقا في طروحاته، وسيجد القاري أننا قد احتفظنا بأرقامه التي أوردها للمجموعات التركية في أنحاء المعمورة وفق أرقام عام 1963، والمعروف أن هذه الأرقام قد تضاعفت أربعة أضعاف تقريبا في يومنا هذا عند بعض المجموعات أو تضاعفت في المجاميع الكبيرة.ونترك للقاري المحترم استنباط الفروق الجوهرية على ضوء معطيات أربعة عقود من الزمن.

إننا على ثقة بأن هذا الكتاب سيسد ثغرة كبيرة في مجال البحث التاريخي في هذا الموضوع وأحمد ا عز وجل على نعمته التي أنعمها علي بإتمام هذا العمل الذي بدأ قبل عقود من الزمن ولم تستطع أيادي الغدر والتنكيل أن تقف حجر عثرة في طريقه رغم المصاعب والأهوال.

وفي هذا الشأن أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني وشد من أزري لإتمام هذا الأثر، ولا زلت اذكر بالفخر والاعتزاز أصدقاء حقبة الشباب الذين كانوا خير سند لي في انكبابي على العمل والترجمة في تلك الفترة مثل صديقي المناضل اسعد رشيد وصديقي العزيز حسين محمد علي، كما أود أن أتقدم بتحية إكبار للأديب الكبير والبحاثة المعروف عطا ترزي باشي، والذي لولا تصديه وإيثاره وتشجيعه لما كان لهذه الترجمة أن ترى النور.

وا الموفق.

أرشـــد الهرمزي



2005

القسم الأول

الأتراك في فجـ ـر التاريخ

المبحث الأول

الأقوام التركية ومناطقها الجغرافية

الأتراك ما قبل التاريخ

منشأ الأتراك

الأتراك من الأقوام البيضاء المسماة البراكيسفال (ذوي الرؤوس الواسعة) ويستدل مما توصل إليه العلم الحديث وما نتج عن الحفريات والدراسات التي قام بها علماء الآثار من الروس أن قوما براكيسيفاليا أطلقوا عليه (إنسان اندرونوف) كان يعيش قبل أربعة آلاف سنة في أواسط آسيا. ويحتمل أن تكون هذه الأقوام هي المعالم الأولى للأتراك . وتختلف هذه الأقوام اختلافا كليا عن الأقوام المسماة بدوليكوسيفال (مستطيلة الرؤوس) وقد سكنت الأقوام البروتو– تركية في البقاع الواقعة بين جبال تانري والطاي في إقليم جونغاريا (شمال تركستان الشرقية) مظهرة علامات التوسع إلى الجهات الأربع وقد اعتادت هذه الأقوام على تربية الثيران والجمال وتطبعت بطابع الصيد والقتال، فكانت تقدس النسر وتزين مقابرها بمخالب النسور. ولم تتوان في بعض البقاع من تربية غزلان الرين وثيران الياق. وعمدت إلى صنع السكاكين وبعض الآلات من النحاس ثم نجحت بعد مئات السنين في الاستفادة من المواشي.

يستنبط البعض معالم الثقافة التركية الراجعة إلى تاريخ يرجع إلى 6000 سنة في أناف وعشق آباد عاصمة تركمنستان. أما الطبقة الخامسة لثقافة أناف فتمتد إلى بداية أعوام الميلاد. ويميل المؤرخون إلى مقارنة حضارة أقوام آسيا الوسطى بطبقات الثقافة والحضارة الراجعة إلى أناف. وتبدأ معالم الحضارة بالتبلور بشكل أوضح وأعمق مدى في الطاى في الألف الثاني قبل الميلاد بين سنوات 2000- 1000 ق.م ، إذ تحتل المعادن الأخرى والذهب محلها جنب النحاس وتخرج عن طور استعمالها للآلات الجارحة إلى الخواتم والأساور وأدوات الزينة وتحتل الأقوام البروتو- تركية هذا المركز الرئيسي في صناعة الذهب في الألف الثاني قبل الميلاد . ويخرج البروتو- أتراك في هذه العصور من مكانهم في الألطاي الشمالي إلى جنوبي سهل سيبيريا. ويرجع المؤرخون الآثار التي تعود إلى سنة 1700 ق.م والتي اكتشفت في جنوبي سهل سيبريا إلى هذه الأقوام. ولا تخرج الأقوام هذه في تلك الأدوار من كونها قبائل رحل فهي لا ترجح الاستقرار في بقعة ما إلا نادرا. وفي نفس هذه العصور نرى أقوام المغول والتونغوز وهي من أقرب أقرباء الأقوام التركية تعيش في سواحل بحيرة بايقال في ظل حضارة مختلفة عن سابقتها. وبتأثير حضارة الصين الفاتحة في الجنوب والحضارة التركية في الغرب نرى تقاربا بين الأقوام التركية والمغولية يعقبه امتزاج بين هذه الأقوام يظهر أثره في تطبع بعض الأتراك بطابع مغولي .

وتحتل الفنون التي يشكل أغلبها رسم أشكال الحيوانات المكانة البارزة في "أسلوب الحيوان" الذي ينتقل بشكله الرائع والجذاب إلى سهل روسيا وشمال البحر الأسود. ويمتاز هذا العصر من الناحية الأنثروبولوجية بامتزاج البروتو- أتراك المتزايد مع المغول. ولتفوق الثقافة التركية على أختها المغولية كان الأطفال الذين يولدون نتيجة لهذا التزاوج يظهرون صفات تركية وقد ينطقون بالتركية مع تمثيلهم لمعالم المغول.

وأنه مما لا يثير أية دهشة أن يبدأ المغوليون بفقدان طابعهم الأصيل متأثرين بالشخصية التركية في العصور السابقة في القدم كما هو الحال في وقتنا الحاضر. ويستدل من الخلاصة التي أوردناها أن الوطن الأم للأتراك

هو الآلطاي مع عدم إغفال نظريات مؤيدة بأدلة تتفاوت في درجة قوتها وثبوتها في كونهم قد نزحوا من بقاع أخرى. إلا أن الثابت هو أن الأتراك ابتداء يختلفون عن المغول وهم من الجنس الأبيض. أما النظرية التي تقول بأن الأتراك والمغول كانوا من جنس واحد أفترق إلى قسمين في عام 1500 ق.م فأمر بعيد الاحتمال ويميل العلماء إلى إهمالها. ولا تعدو القرابة التي تربط الأتراك بالمغول وأقوام تونغوز- مانجو من أثر ارتباطهم بتاريخ وثقافة مشتركتين. والعلماء الذين يزعمون بهذه القرابة والذين يطلقون على جميع هذه الأقوام أسم الطاي هم – ويدمان الألماني (1838)، وكاسترن الفنلندي (1848)، وشوت الألماني (1849) وعالم الدراسات التركية المجري وامبري (1885) والعالم الروسي أرستوف (1896). وذهب العالم النمساوي توما شيك (1888) إلى أن الوطن الأم للأتراك يقع في شرقي بحيرة بايقال. أما العالم الإنكليزي بار كر (1924) والعالم الفنلندي رامستد (1928) فقد ذهبا إلى أن الوطن التركي الأول كان في سفوح جبال كنجان الواقعة في شرق المنطقة التي ذهب إليها توما شيك.

ويستدل عالم الدراسات التركية المجري نيميث (1940) من أدلة لغوية على أن الوطن الأم للأتراك هو في الغرب شمال بحيرة أرال متراميا إلى الألطاي في الشرق وإلى جبال الأورال في الشمال والغرب.

أما بالنسبة للمؤرخ التركي – زكي وليدي طوغان (1927) فإن الوطن الأم للأتراك يقع في المثلث الواقع بين بحيرة أرال وجبال الطاي وتانرى في البقعة التي تحوي بحيرة بالقاش. وتتحدث الوقائع الصينية عن حكام السهول الشمالية التي تسميهم في عام 1766 ق.م تشون- غوي وفي عام 1122 ق.م تا- بي وفي عام 1116 ق.م به- جي وفي عام 627 ق.م كيو- كوي . وبات في حكم المؤكد بأن هؤلاء الحكام هم من الأتراك. ويتعذر علينا معرفة الأسماء التركية لهؤلاء الحكام لانتقالها إلينا من الصينية التي تحوي مقطعا واحدا بالإضافة إلى التحريف الذي يصيب الأسماء عند كتابتها باللغة الصينية. ومن السهولة بمكان أن نستنتج بأن هؤلاء الحكام هم أجداد تيومان الكبير من قبائل الهون. إذ من المستبعد أن يكون تيومان قد أسس الدولة التركية الأولى عام 220 ق.م بدون مقدمات إضافة إلى أن العائلة المالكة للأتراك (أبناء اسينا) تنحدر من أسرة واحدة عريقة في القدم. ويميل المؤرخون مؤخرا إلى أخذ الرأي القائل بأن الحكام الأتراك ينحدرون من سلالة واحدة (يرى زكي وليدي طوغان بأن هذا الرأي قد أكتسب القطعية والتأكيد).

وتعني كلمة (تورك) في التركية (القوي) وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد ولنتساءل عن الزمن الذي أطلق فيه أسم تورك كما جاء في كتابات أورخون أو توروك كما جاء في غابر العصور على الأتراك ؟ فنقول أنه لا توجد معلومات يوثق بها عن تاريخ هذه التسمية . ويجدر بنا أن نشير إلى أن إطلاق أسم معين على القبائل التي تتكلم بلغة مشتركة أمر حديث نسبيا. إذ كانت العصور القديمة تتميز بمفهوم الدولة أو السلطة والقبيلة في القبائل الراحلة أكثر منها من مفهوم الأمة. ونستطيع أن نجزم بأن لفظة تورك كانت تطلق على إحدى هذه القبائل بدلا من إطلاقها على جميع المتكلمين بالتركية والمنتشرين في بقعة واسعة جغرافيا. إلا أن هذه التسمية قد أطلقت على جميع القبائل التي تشترك في اللغة التركية في عصر حكم أقوام (كوك تورك) في العصر السادس. أما في العصور السابقة لذلك فكانت القبائل تسمى بأسمائها الخاصة (هون، أوار، تابغاج، قرغيز، قارلوق، ياغما، جيغيل، أوغوز، توركيش، أويغور، خزر، بلغار، بجنك، قبجاق...الخ) وكان أسم الدولة التركية يطلق على القبيلة التي تظهر تفوقا عسكريا وسياسيا من هذه القبائل .

وتشير الوقائع الصينية التي تتحدث عن أقوام السهول الشمالية إلى قوم (تيك). ويرى اللغويون أن هذه اللفظة محرفة من كلمة تورك. وتبين الوقائع الصينية أن هؤلاء التيك قد بسطوا نفوذهم على إقليم شانسي ما بين (781- 771 ق.م) ثم اجتازوا النهر الأصغر إلى الجنوب مخترقين الأراضي الصينية.

أما في المصادر اليونانية واللاتينية فإن (يوركا) في هيـروديـت (وتوركاي) فـي بيلينـوس سكندوس وبومبينيوس ميلا هو القوم التركي ذاته بصورة ثابتة. ويتحدث هؤلاء الكتاب الكلاسيكيون عن الأتراك في موطنهم بين نهري الفولغا والأورال والذي يقع ضمن الساحة التاريخية التي أنتشر الأتراك فيها. وبهذا فنستطيع القول بأن أسم (تورك) قد جاء لأول مرة على حد ما نعلمه الآن بصورة مشوهة في المصادر الصينية في عام 1328 ق.م أي قبل 3281 سنة من يومنا هذا .

حكم (تشو) التركي في الصين

يتفق المؤرخون هارلتز، جروم كرجيمايلو، دارمشتيتر، مونستيربرغ، كوبرس، هالاون، ليج، وانغ- بـون-سون، في أن التشو الذين يشكلون الإمبراطورية الصينية الثالثة هم من الأتراك وان هـؤلاء الأتـراك الـذين تميزوا بتفوقهم العسكري الفذ وعملهم المنظم تمكنوا من السيطرة على الصين من عام 1050 ق.م إلى عـام 256 ق.م . وبالرغم من إندماجهم مع الصينيين فإنهم عملوا على رفع شأن الحضارة الصينية إلى أبعد شأو . وقد حكم التشو على شكل أباطرة متفرعين من سلالة واحدة في الشمال والجنوب فـي السنسـي والهونـان. ويجب أن لا يغرب عن البال أن حدود الصين آنذاك كانت أصغر مما هي عليها الآن إذ لم يكن الصينيون قد عملوا على صبغ الأقوام الأخرى بطابعهم الصيني بعد. إلا أن الصين كانت بالرغم من ذلك أكبر بقاع العالم وأكثرها نفوسا إذ كان تعداد نفوسها يربو على العشرين مليونا. وقد حكمت سلالة تسو الغربية بين (1000-950 ق. م) في وادي الواي (عاصمته هاو)، وحكمت السلالة الشرقية بين(770- 256 ق.م) في مدينة لويانغ . بينما حكم التشو في شنسي بين (1050-770 ق.م) في مدينة هسي – آن – فـو، وحكمـوا فـي هونان ما بين (770- 256 ق.م) في مدينة لو- يانغ . ويظهر من هذا أن الصين كانت آنذاك بعيدة عـن الاحتفاظ بوحدتها الجغرافية.

وقد أتى الأتراك بسيطرتهم على تلك المناطق بتقاليد لم تكن معروفة فيها من قبل مثل تقديس الأبطال وإسباغ الصفة الدينية عليهم والحكم المركزي للدولة وعناصر أخرى للحكم. وبذلك فقد اكتسبت الحضارة الصينية قبل 3000 سنة علاماتها الأولى. ويرى العالم الفنلندي الكبير ج. جي رامشتيت (1935) أن كلمـات تركيـة عديدة قد دخلت في هذه الآونة في اللغتين الصينية والكورية، وعلى رأسها المصطلحات الخاصة بالتشكيلات الإدارية للدولة والتي لم تكن معروفة في هاتين اللغتين.

العصور المظلمة للفتوحات التركية

إن المعالم الخاصة بالعصور المظلمة للفتوحات التركية تنقلها لنا الملاحم التركية فتروي لنا ملحمة (أركنة-قون) قصة اضطرار الأتراك بفعل الأعداء إلى الالتجاء إلى بقعة ضيقة وتكاثرهم ثم انفتاحهم على العالم بإذابة الحديد الذي كان يعوق خروجهم من هناك. وتهدف هذه الملحمة إلى رغبة الأتراك المتولدة من كثافة السكان إلى الانطلاق إلى آفاق أخرى واجتيازهم في سبيل ذلك كل العقبات التي تعترض سبيلهم. وتشير الروايات المسندة إلى العصر الثامن إلى أن المنطقة التي أذاب الأتراك فيها مادة الصلب للخروج من المأزق الذي وقعوا فيه سنين عديدة وهي المسماة (دمير قابي) أي الباب الحديدي شمال نهر أيلي وبذلك فيكون الوطن الأم للأتراك هو شمال جبال تانري.

وتفسر الأساطير قدرة الأتراك الفذة في فتح البلاد وبسط نفوذهم فيها بأن لديهم دون غيرهم حجرا سحريا يمكنهم من فتح الأقاليم التي يرغبون فيها. كما تعزو تلك الأساطير إلى هذا الحجر أمر هطول الأمطار وترى أن الأتراك منوا بالنكبات في حقبة من الزمان فقدوا فيها سيطرتهم على هذا الحجر السحري.

وقد سلكت المصادر الصينية مسلكا أكثر واقعية في تفسير قدرة الأتراك وسطوتهم في الغزو والفتوحات فذهبت إلى أن تفوقهم في الفروسية هو العامل المؤثر الأكبر على تمكينهم من إخضاع بقية الأقوام إلى حكمهم. وكان من أهداف سياسة الصينيين على مدى القرون الاستيلاء على قطعان الخيل المدربة والعائدة للأتراك إضافة إلى بسط السيطرة على البقاع التي تربى فيها الخيول مثل فرغانه.

الســـــقا

إن مسألة أصل السقا وانتسابهم إلى الترك أو الإيرانيين وبعبارة أخرى معرفة ما إذا كانوا من الأقوام الطورانية أم الآرية كانت مدار بحث العلماء والمؤرخين. ويذهب قسم من العلماء أمثال أرستوف، ماير، زكي وليدي طوغان إلى أن السقا كانوا بادئ ذي بدء من أصل تركي إلا أنهم امتزجوا مع الإيرانيين وتغلب عليهم الدم الإيراني عند نزوحهم إلى الجنوب الغربي.

ويؤيد هذا المنهج إطلاق أتراك الياقوت وهم من الأقوام التركية الأولى، أسم السقا عليهم. ويطلق اليونانيون على هؤلاء أسم السكيت. وإذا كان الجزم بكونهم من الأتراك مما يؤخذ عليه من الناحية العلمية فإنه لا يمكن القول أيضا بأنه لا توجد قبائل تركية بينهم. ومن السهولة إيراد مئات الأمثلة على امتزاج الأتراك بغيرهم من الأقوام. إلا أن الرأي القائل بأن الطبقة الحاكمة من هذه القبيلة هي من الأتراك رأى مؤيد من قبل مؤرخين منهم – مينز، تريدلر، لاوفر، زكي وليدي طوغان . وتتفق العادات والقيم الأخلاقية للسقا والمذكورة من قبل سقراط مع ما ذكر في المصادر الصينية عن قبائل الهون وكوك تورك.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن حاكم السقا الكبير - آلب- أر- تونكا يحتل المكانة البارزة في أســاطير الأتــراك والإيرانيين على حد سواء. ويطلق الإيرانيون(كما في الشاهنامه للفردوسي)أسم أفراسياب على آلب- أر- تونكا الذي بدأت إمبراطورية السقا بالانقراض من بعده . إذ عمد الشاهنشاه الإيراني كيـروس (كيخســرو) إلى مطاردة - آلب- أر- تونكا إلى الالطاي. وألقى القبض عليه أخيرا في أذربيجان وأعدمه سنة 624 ق.م . وخلفته الإمبراطورة توميريس(ويرى بول ويتيك أن هذا الاسم قد جاء محرفا في المصادر اليونانيـة وهـو محرف من أسم تمير التركي) وقد تكون ابنة حفيده التي اشتهرت بقتالها مع الشاهنشاه الإيراني الكبيـر دارا ودفاعها عن وطنها. وتشير المصادر اليونانية إلى أبن توميريس (سبارغابيريس) الذي كان قائدا عاما لقوات والدته قد قتل على أيدي الإيرانيين. ويرى المتتبع حاكما يسمى تشو على رأس السقا في عـام 330 ق.م قـد يكون حفيد سبارغابيريس الخامس. وقد تظافرت جهود الصينيين من جهة والإيرانيين من جهة أخرى علـى إزالة إمبراطورية السقا من الوجود.

انتشار الأتراك في هذه العصور في آسيا

يستدل من ملحمة (اوغوز) أن القبيلة التي كانت تسمى باسم (تورك) كانت في القرون السابقة للميلاد في عصر الهون تحتل موقعا بارزا بين الأقوام التي تتكلم التركية إلا إنها لم تكن هي الحاكمة. وقد كـان تمكـن الأتراك من مادة الحديد ونجاحهم في صنع الآلات منها قد مكنهم من إخضاع الأقوام الأخرى إلـى سـلطتهم وتجاوزت ميزتهم هذه إلى الملاحم الإيرانية. إذ أنه من المعروف أن الأتراك قد استخدموا هذه المـادة قبـل أربعة آلاف سنة وسبقوا الحيثيين في استعمالها. وقد أنتشر في هذا العصر في آسيا الوسـطى مـن القبائـل الإيرانية والخوارزمية وقبائل الصغد الآلانيون إلا أن انتشارهم أقتصر على السهول ولم يتعدوها إلى الجبـال التي كانت من ضمن الأقاليم التركية. وقد أستطاع الإيرانيون الولوج إلى المناطق التركيـة بـداعي التجـارة فحدث بذلك أول تقارب بين الآريين والطورانيين.

وإذا كان بعض المؤرخين يعتبرون تركستان الشرقية والغربية من ضمن الوطن الأول للأتراك فأن الحقـائق التاريخية ودراسات الآثار تنقض هذا الرأي. فإذا كان الأتراك قد عاشوا في الأدوار السحيقة في القـدم فـي شمالي تركستان الشرقية والغربية إلا أن تركستان برمتها لم تكن ضمن الإقليم الذي كان الأتراك يعيشون فيه في أدوارهم الأولى. ويزعم المؤرخون الذين يرون خلاف هذا الرأي بأن الآريين أو الأقـوام الإيرانيـة قـد أخرجت الأتراك من تركستان في العصر السادس ما قبل الميلاد. ولكن الحقيقة أن تركستان قد تم فتحها من قبل مته في أوائل العصر الثاني قبل الميلاد ولم تكن وطنا دائما للأتراك إلا منذ القرنيين العاشـر والحـادي عشر الميلاديين في عهد القاراخانيين إذ أبعد الإيرانيون إلى الجنوب الغربي وتمت سيطرة الأتراك على تلـك المناطق.

ويمكن القول بأن استيلاء الأتراك على تركستان بشكل شامل قد تم في القرن الثالث عشر أي بعد استيلاء المغول عليها إلا أن أقواما تركية متفرقة سكنت تركستان قبل مته واستمرت هذه الحركة بعد حكم مته. ولكن الثابت من علم الآثار بأن تركستان في تلك العصور كانت إقليما إيرانيا.

وقد وصل الاسكندر المقدوني الذي دحر الإمبراطورية الإيرانية بصورة مؤقتة إلى تركستان وأجتاز نهر آمو إلى نهر الأسرار. وكان جنوب تركستان الغربية المسمى بما وراء النهر والواقع بين هذين النهرين قد أستقل عن الحكم الإيراني. وكان قوم السقا هو الحاكم أيضا في هذه البقاع. وقد أحتفظ بجنوب تركستان طوال العصور التي أعقبت الحضارة اليونانية بعد اسكندر. وعمد أنطيوكس الأول ثاني أباطرة السلوفكس الآسيويين إلى اجتياز نهر الأسرار مقتديا بالاسكندر ومؤسسا مدينة أنطيوكيا (أنطا كيا) ثانية في هذه الأقاليم. فلما أحيت سلالة بارت فرعا من فروع سلالة إمبراطور بارس الإيرانية مرة ثانية أنسحب اليونانيون من هذه المنطقة. ومن الثابت أن علاقات ثقافية قد تأسست بين الأتراك واليونانيين في هذه الفترة. ويظهر جليا من ذلك أن الأتراك في فجر تاريخهم في القرن الثالث قبل الميلاد قد انتشروا في بقاع واسعة مهيئين للحاكم الكبير مته فتوحاته العظمى.

الشخصية القومية والسياسية للأتراك في الأدوار
السابقة لبسطهم نفوذهم على قارة آسيا

يغلب على الأتراك طابع الشدة والقتال ويتميزون بكونهم قوما حاكما. ونستدل على ذلك مثلا ما يقوله محمود الكشغري (وهو من أمراء إمبراطورية القاراخانيين) عن آلب- أر- تونكا بأنه (أجون بكي) أي حاكم الدنيا أو أميرها ويرى الباحث أن هذه الصفة التي أطلقت علي هذا الحاكم التركي الذي حكم في القرن السابع قبل الميلاد لا تختلف بكثير عن اللقب الذي أطلق على الحكام العثمانيين وهو (باديشاه جهان) بمعنى إمبراطور العالم.

ولم يقتصر هذا الاعتقاد على الأتراك وحدهم قبل حكم الهون بل تعداهم إلى الأقوام الأخرى التي ارتبطت بالأتراك بروابط شتى وبذلك فقد فتح للأتراك طريق السيطرة على قارة آسيا برمتها. ولا تتوفر لدينا معلومات جازمة عن الدولة أو الدول التركية التي تشكلت قبل الهون أو بعبارة أصح قبل عهد تيومان والد مته ويضطرنا إلى هذا القول موقف علم التاريخ والآثار. إلا أن زكي وليدي طوغان يأخذ بالرأي القائل بأن التاريخ التركي يبدأ من عصر السقا بحكم ألب- أر- تونكا. وقد عمل السقا بحكم اختلاطهم بالإيرانيين إلى تحقيق المد التركي من شمالي آسيا مهيئين للأجيال القادمة حكم المعمورة. كان الأتراك في هذه الأدوار في حالة نزاع حاد وخصومة قومية مستديمة مع بعض الأقوام الأخرى وعل رأسها الصينيين. وقد حدثت منازعات بينهم وبين الإيرانيين حول إدارة الحكم القائم في آسيا. وقد أعتبر الإيرانيون يوم مقتل الأمير الإيراني سياوش من قبل بارسكان شقيق الحاكم آلب- أر- تونكا في بي كنت يوم حداد قومي لمئات السنين .

كما ترنم الأتراك مئات السنين بمقتل آلب- أر- تونكا على يد الإيرانيين . إذ كانت حادثة قتله ذات أثر بعيد أنعكس حتى على التاريخ الصيني كما أسدل الستار على محاولة السقا لانتزاع أذربيجان وقفقاسيا والأناضول من أيدي الإيرانيين. ويرى هيرودیت أن حكم السقا في الأناضول أستمر ثمانية وعشرين عاما. إذ أباد الإيرانيون بخديعة حربية محاربي السقا قرب زيله عام 626 ق.م وأزاحوهم من الأناضول. وقد أحتفل الإيرانيون بهذا اليوم ما بين ستة أو سبعة قرون. وبعكس أعياد إيران الأخرى فقد ظلوا يحتفلون باليوم المصادف للسابع من تموز(يوليو) كعيد قومي حتى بعد اعتناقهم الإسلام .

وقد استطاع نفر من السقا الاحتفاظ بكيانهم بالقرب من كنجة في أذربيجان الشمالية حتى العصر الرابع بعد الميلاد. ونرى مما سبق أن الأتراك كانوا قد لعبوا دورا هاما في آسيا قبل حاكم الدولة التركية الكبرى تيومان وتمكنوا من التأثير على حضارات الأمم المجاورة بثقافتهم الفريدة في نوعها، وتجدر الإشارة إلى أن حضارتهم بدورها قد تأثرت بتلك الحضارات وهذا أمر طبيعي ومألوف فليست هناك لغة أو ثقافة أو حضارة لم تتأثر بغيرها من اللغات أو الحضارات. إذ تمتزج الحضارات مع بعضها وتتبادل مزاياها ولا حياة لأمة أو لغة انعزلت عن باقي الأمم.

قرابة الأتراك للأمم الأخرى

إن صلة الأتراك مع الأمم الأخرى ليست على هيئة وحدة جنس ولغة تماما. إلا أن عوامل شتى وعلى رأسها تأثير الثقافة التركية على الأمم الأخرى أدت إلى حصول تقارب شديد بينهم وبين تلك الأمم. ويأتي المغول في مقدمة الأمم التي حدث تقارب كبير بينها وبين الأتراك. ولكن المغول بالرغم من اعتبارهم أقرب الأقربين إلى الأتراك فأنهم ليسوا من الأقوام التركية. إن قرابة الأمم بعضها للبعض الآخر ودرجة هذه القرابة تشكل مشكلة مستعصية الحل ولما كان التاريخ وحده عاجزا عن تفسير هذه النقطة فلنا أن نلخص الموضوع

بخطوطه العريضة تاركين التفاصيل التي لا علاقة لها بالموضوع ولنلقي نظرة عامة على الأمم التي تعد قريبة للأتراك لتبيان درجة هذه القرابة إلى حد ما.

إن الأقوام تتفرق إلى شعب واسعة مثل الآريين(هند- أوربيين)، العرق الأصفر(المغول)، الساميين والحاميين. وهذا التقسيم يطابق إلى حد كبير تقسيم الفصائل النباتية المعروف في علم النبات والحيوان . والشعب المار ذكرها تنقسم بدورها إلى فروع أصغر، فنرى العرق الآري مثلا ينقسم إلى فروع عديدة كالجرمانيين واللاتينيين والسلاف والأيرانيين. وهذه الفروع تتشعب هي الأخرى إلى أقوام وفصائل.

وقد سميت مجموعة من الأقوام تشبه من حيث السمة الأقوام الآريه والسامية والمنغولية من قبل علماء القرن التاسع عشر بأقوام(أورال - الطاي) أو بعبارة أخرى تدل على نفس المعنى (الأقوام الطورانية). وهذه الأقوام هي من أقوام العرق الأبيض.

وتنقسم مجموعة أقوام أورال - الطاي (طوران) إلى قسمين رئيسيين:

أورال (أو أقوام فين - أوغور) وأقوام الطاي . أما القسم الأول (الأقوام الأورالية) فهو على قسمين: أقوام الفين وأقوام أوغور. وتتألف أقوام فين من ثمانية أقوام هي اللابون ، الفين (وبضمنها الكاريل) ، الأستون ، الموردفين ، الجرميس (الماريون) ، الفوتياك (الأدموريتون)، الزورين (الكوميون) والساموید.

إن أقوام الموردفين والجرميس والفوتياك والزورين تتشابه فيما بينها وتشكل مجموعة يطلق عليها أسم أقوام فين الفولجا. أما الساموید فيشكلون حلقة الوصل بين أقوام فين وأوغور ضمن الأقوام الأورالية.

أما أقوام أوغور فتضم المجريين إضافة إلى أقوام الفوكول والأوستياك القليلة العدد. أما الغالبية العظمى لأقوام أورال - الطاي (الأقوام الطورانية) فتشكلها أقوام الألطاي والأتراك من هذه الزمرة. ويتشكل أقوام الطاي من ثلاثة أقوام هم الأتراك والمغول والمانجو - تونكوز . إن المانجو قريبون لقوم التونكوز الذين يعيشون عيشة بدائية في شمال مناطقهم . ولنا أن نتساءل هنا ما هي درجة قرابة الأتراك مع باقي أقوام الطاي والأقوام الطورانية وما هو نوع العلاقة الناشئة بينهم ؟

يعتبر البعض المغول من أقرب الأقربين إلى الأتراك ويرجعون هذا إلى أن المغول والأتراك كانوا يشكلون قوما واحدا في فجر التاريخ أنقسم على مر القرون إلى قومين مختلفين وهذا رأى لا يعتد به علميا. ولا يوجد تشابه بين لغة الترك والمغول أصلا ويرجع هذا التشابه إلى اختلاط القومين وامتزاجهما ولا يدل هذا على كون القومين من أصل واحد. فالتركية والفارسية أخذت عن اللغة العربية كلمات وقواعد نحوية عديدة. وتشكل الكلمات التركية 30% من اللغة الألبانية والبوشناقية، ولكن هذه اللغات ليست ذات أصل واحد. إذن كيف أصبح الأتراك والمغول أقرباء مقربين ؟

اختلاط الأتراك مع المغول في الشمال الشرقي من قارة آسيا طيلة ألوف من السنين. ويرجع الطابع المنغولي المعتدل لأتراك أواسط آسيا على الأرجح إلى هذا الاختلاط الشامل. في حين نرى أن أقواما مثل الأوغوز لم تختلط بالمغول أو كان اختلاطها بهم قليلا لم يكتسبوا شيئا من هذا الطابع الذي يتمثل ببروز عظام الوجنة والعيون الغائرة. وتنضم الأقوام الصينية واليابانية وغيرهم تحت مفهوم الجنس المغولي في اللغات الأوربية ولا يدخل المغول ضمن هذا الجنس إذ أنهم من الأقوام الطورانية . وتجدر الإشارة لهذا التشابه في المصطلحات التي تثير ارتباكا لدى الكثيرين من غير المضطلعين في هذا الموضوع.

وقد أدى هذا الاختلاط الواسع إلى التردد في تعيين نسب بعض القبائل ولغتها بين التركية والمغولية. إذ نرى قبيلة ما تتكلم بالتركية على مر القرون إلا إنها تنصهر في بوتقة المغول عند انتشارها في المناطق العائدة لهؤلاء. وكذلك الأمر بالنسبة لقبيلة قيات التي ينتسب إليها جنكيز خان إذ يرجح الكثير من المؤرخين بأنها

قبيلة تركية اكتسبت الطابع المغولي على مر العصور. ولقد أشترك الأتراك والمغول في تأسيس الدول وفي صيانتها وقد أدى هذا العمل المشترك إلى إيجاد أسس مشتركة بينهم.

أما بالنسبة لقرابة مانجو- تونكوز للمغول فهي مؤكدة. إلا أن صلتهم بالأتراك كانت محدودة بالنسبة لصلة المغول بهم. أما قرابة أقوام الأورال للأتراك فهي متوالدة أيضا عن الثقافة المشتركة التي تجمع بينهم وحياتهم المشتركة لألوف السنين تحت حكم الأتراك كأخوة متساندين. إلا إن الأمر يختلف بالنسبة للمجر الذي تتخطى قرابتهم للأتراك قرابة اللغة إلى قرابة الجنس. فقد كان المجر أيام معيشتهم في وطنهم الأصلي على سفوح جبال الأورال من أقوام الفين لا تربطهم بالأتراك أية رابطة. إلا أن قبائل تركية عديدة اختلطت بهم لدى هجرتهم إلى سهل المجر وكانت عائلة أرباد الحاكمة لقوم المجر آنذاك عائلة تركية تنتمي إلى متة حسب بعض الروايات (وسنتطرق إلى هذا الأمر عند بحثنا لموضوع القبائل المجرية). ويتبين من هذا أن الأتراك كانوا عنصرا أهم من عنصر المجريين عند تأسيس المجريين وطنا لهم في المجر الحالي . وهكذا فقد نشأ عنصر متولد من الأتراك والمجريين ونرى اللغة المجرية حاليا مليئة بالكلمات التركية.

وقد يكون من المفيد أن نكرر هنا بأنه لا يوجد قوم على الإطلاق ولا لغة كيف ما كانت تكون خالصة صافية وإن أي قوم كان محكوما عليه بالانقراض إذا ماعاش في عزلة عن باقي الأقوام. أما آخر الأقوام التي كانت تعد خالصة صافية فقد كانت في أستراليا وتسمانيا لكنها انقرضت الآن. وليست أقوام البوشيمان والهوتانت التي تعتبر أكثر الأقوام بدائية خالصة في جنسها ولغتها. وكذلك الأمر بالنسبة لكثير من اللغات، فإن لغات متكاملة حية مثل الإنجليزية والفرنسية قد بنيت على كلمات أجنبية بنسبة تسعين بالمائة.

ويذهب الكثير من المؤلفين إلى أن العرق يستند على اللغة أولا والثقافة ثانيا. وبهذا فإن انتساب الفرد إلى عرق معين وتسميتنا لشخص ما بالتركي أو الألماني أو الصيني إنما يبني على نطق الزمرة التي ينتسب إليها ذلك الشخص بالتركية أو الألمانية أو الصينية دون الالتفات إلى أصل تلك الزمرة واختلاطها مع باقي الأمم. وتعمل اللغة على تأسيس الوحدة الثقافية وإلى مفهوم الأمة بالتالي فنرى في هذا الصدد أن الشخص الذي يتكلم بلغة جديدة ناسيا اللغة التي كان والده يتحدث بها يكون قد أنتسب إلى لغة جديدة وأمة جديدة. فإذا تبني ثقافة تلك الأمة التي ينطق بلغتها يكون قد فقد صلته باللغة التي كان آباؤه يتحدثون بها قطعا. وقد تكون هذه القاعدة ذات استثناءات. إلا أننا نرى صحة هذا الأمر بالنسبة للتاريخ التركي . فكون الغازي كيراى ومحمد عاكف أتراكا لا يحتمل اية شبهة فهما تركيان بقدر ما كان نابليون فرنسيا أو كانت كاثرين روسية.

انتشار الأتراك والأقوام الطورانية

إن الغالبية العظمى للأتراك المدرجين في قائمتنا يعيشون خارج تركيا. ولا توجد معلومات إحصائية صريحة عن عدد هؤلاء الأتراك لأن الدول المعنية وعلى الأخص الاتحاد السوفيتي الذي يضم الملايين من الأتراك تصر على عدم نشر هذه المعلومات وبذلك فقد عمدنا لحساب نفوس الأتراك في أواخر سنة 1963 على المصادر المخولة والمعتمد عليها. وقد عملنا على اتخاذ كافة وسائل الحيطة وعدم المبالغة إطلاقا بشأن مسألة النفوس. فلا شأن بعدد النفوس في قياس القوة أو العظمة ولا موجب للمبالغة في الدراسات العلمية. وبالرغم من أن بعض الدول تشير إلى نفوس الأتراك من رعاياها بشكل مشوه مفضوح فقد ابتعدنا عن الأخذ بمبدأ التقدير وأخذنا أوطأ الأرقام . ولنضرب مثلا على ذلك فإن العالم الأخصائي والخبير الواسع الإطلاع والخبرة (سفن هدن) يشير إلى عدد نفوس أتراك تركستان الشرقية الواقعة تحت الحكم الصيني في عام 1930

معتبرا إياهم 6.400.000 نسمة . وبالرغم من الزيادة الأكيدة الحاصلة في السنين العديدة فقد أخذنا ليومنا هذا برقم يقل عن هذا العدد لكونه قد نشر من قبل السلطات الرسمية في الصين الشعبية. وأتبعنا نفس الخطة للاتحاد السوفيتي ودول أخرى. ونظرة واحدة إلى دراسات البروفيسور الدكتور إبراهيم قفص أوغلو أستاذ التاريخ التركي العام في جامعة إستا نبول وتعداده لمجموع نفوس الأتراك في عام 1963 بخمسة وتسعين مليونا تدل القارئ على مدى الحيطة التي التزمنا بها. وقد أخذنا ضمن القائمة عند حسابنا للأتراك من يتكلمون التركية وينتسبون إلى الثقافة التركية. ويجب أن لا يغرب عن البال الوضع الحالي من كافة الوجوه. فإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن نفوس الأتراك قد تعرض إلى بعض الضمور في مناطق معينة فيجب أن نذكر أيضا أنه لا مجال للتخمين في مناطق أخرى، وقد فضلنا السكوت بالنسبة لهؤلاء زيادة في الحيطة. فمثلا لم نأخذ بنظر الاعتبار زمر دونكن (والتي تعني العائدين للدين الإسلامي) والذي يبلغ تعدادهم 30مليون والذي يعتبر القسم الأعظم منهم أنفسهم أتراكا وأحفادا للفاتحين الأتراك لأنهم بالرغم من كونهم مسلمين فهم يتكلمون الصينية فلم نحسب لهم حسابا في قائمة الأتراك.

ومن الزمر التركية التي انصهرت تماما ضمن الأقوام الأخرى الطبقة الأخيرة التي احتفظت بلغة الأتراك الفاتحين في الهند وبقوميتهم فقد أثبتت الإحصائية الإنجليزية لعام 1881 في الهند بأن في ولاية دلهي 23.953 من الجغتاي، وفي ولاية راولبندي 12.137 من أتراك البارلاس. إلا أن هؤلاء قد فقدوا لغتهم الأصلية.

وقد أنتشر قسم قبائل الفين من زمرة قبائل الأورال في فنلندا والفولجا والأراضي الواقعة شمالي هذه البقاع. ويسكن اللابونيون الذين يسمون أنفسهم سامبا إلى الشمال من جميع قبائل الفين. ويشكل الفين الحقيقيون والكاريل الغالبية العظمى لقبائل هذه الزمرة ويعيشون في فنلندا وجمهورية كاريليا التابعة للاتحاد السوفيتي. أما الأستون فيعيشون في جمهورية استونيا التابعة للاتحاد السوفيتي الواقعة جنوب خليج فنلندا ولا تربط الأستون أية رابطة بأقوام البلطيق مثل اللتونيين والليتوانيين في حين أن أقوام الفين الأخرى أي الموردفين والجرميس(الماريين) والفوتياك (الأدموريتون) والزورين (الكوميين) يشكلون فين الفولجا وهم متأثرون بالثقافة التركية وقد اقتبسوا آلاف الكلمات من التركية. وقد أجبر الروس هذه الأقوام التي يشكل المسلمون قسما ضئيلا منها على اعتناق المذهب الأرثوذكسي في أواخر القرن السادس عشر. إلا أن ديانتهم الشامانية القديمة لازالت تحتفظ بآثارها على حياتهم ومعتقداتهم. أما الساموييد فهم أقرب إلى زمرة الألطاي ويعيشون في الشمال الشرقي إلا أن وطنهم الأصلي كان في جبال سايان. أما الفوكول والأرستياك فهم من غير المجريين يشكلون أقوام الأوغور وحدهم. ويعيش هؤلاء في مقاطعة توبولسك. ويكمن الأوستيك في شرق مناطق الفوكول. وقال الكثيرون من السياح أنه يمكن التجوال في آسيا بواسطة التكلم باللغة التركية. ويمكن تطبيق هذا الوصف على النصف الشمالي من آسيا إذا زالت حدة الحدود السياسية فيمكن التكلم بالتركية على خط طول 140 الجغرافي من الأدرياتيك إلى كامجاتكا وخط عرض 50 من البحر المتجمد الشمالي إلى سهول إيران.

اليافوتيـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـون

يعيش الياقوتيون في جمهورية ياقوتستان التابعة للاتحاد السوفيتي. وقد انقطعت علاقاتهم بباقي الأتراك منذ 1500 عاما تقريبا ويعيشون في الشمال الشرقي من مناطق الأتراك. وقد علم الروس بوجودهم في عام 1620 وأستولوا على أراضيهم في عام 1632 وكان يتزعمهم آنذاك رئيس قبيلة يدعى تيكين. وقد عمل أحد رؤساء القبائل الخمس التي تشكل قبائل الياقوت المدعو ميماك على سحب قبيلته إلى شمال الأراضي التي أستولي الروس عليها. يبدأ التجمد في ياقوتستان في شهر تشرين الثاني(نوفمبر) إذ تغرب الشمس في اليوم الثاني والعشرين من ذلك الشهر ويستمر الليل مخيما لمدة 38 يوما. وقد نظم العالم الروسي بيكارسكي قاموسا للهجة الياقوتيين التي هي أبعد اللهجات عن لهجة تركيا. وقد ترجم هذا المؤلف الضخم الذي أستنفذ عمرا كاملا من قبل مجمع اللغة التركية.

الجواشيـ ـ ـ ـ ـون

يعد الجواشيون من أبعد الأقوام التي تسكن إلى الشمال من المناطق التركية مع الياقوتيين، وإذا كان الياقوتيون قد قاوموا الدعاية الأرثوذكسية واحتفظوا بديانتهم الشامانية إلا نفرا قليلا منهم اعتنقوا الدين الإسلامي ، وقد قبل الجواشيون المذهب الأرثوذكسي ماعدا قسم قليل منهم بقوا على دينهم الإسلامي. إلا أن الدين الشاماني والدين الإسلامي مازالا محتفظين بتأثيرهما عليهم. ويعيش الجواشيون في جمهورية جواشستان التابعة للاتحاد السوفيتي والمناطق المحيطة بها. وقد نظم العالم الروسي أشمارين والعالم الفنلندي باسونين قاموسا خاصا باللهجة الجواشية كما ألف العالم المجري ميزاروس كيولا مؤلفا ضخما في جزئين يضم مقتطفات من هذه اللهجة. وقد ترجم هذا الكتاب من قبل مجمع اللغة التركية.
ويعتبر الجواشيون من بلغار الفولجا الذين لم يختلطوا بزمرة القبجاق التركية. وبذلك تكون لهجتهم هي اللهجة البلغارية التي يعود تاريخ انتشارها إلى خمسة عشر قرنا. ويعتقد البعض من العلماء أن لهجة الياقوتيون والجواشيين شبيهة كل الشبه بلهجة قبائل الهون القديمة.

الأقوام التركية الأخرى

ينقسم الأتراك (عدا الجواشيون والياقوتيون) إلى أتراك الشرق وأتراك الغرب ويضم أترك الغرب الأوغوز الذين سموا في العصور الأخيرة بالتركمان وينقسم الأتراك الغربيون إلى ثلاثة فروع : العثمانيون (أتراك تركيا)، الآذريون (أتراك أذربيجان) والتركمان (أتراك تركمتستان). وأتراك تركيا (العثمانيون كما كانوا يسمون قديما) ينتشرون اليوم في تركيا والعراق وسوريا وقبرص واليونان وبلغاريا ويوغسلافيا ورومانيا، ولا تختلف لهجات الآذريين والتركمان والعثمانيين عن بعضها. إذ يستطيع المتكلمون باللهجات الثلاث التفاهم فيما بينهم بكل يسر. وخير دليل على ذلك إن شعراء أتراك عديدين أمثال فضولي، حبيبي، نسيمي، خطائي (الشاه إسماعيل)، القاضي برهان الدين قد استعملوا اللهجة الآذرية في شعرهم. أما الأتراك الشرقيون فيمكن جمعهم في مجموعات ثلاث هي أتراك تركستان وأتراك فولجا- أورال (أيتيل- يايق بالاسم التركي) وأتراك سيبريا. ويضم أتراك سيبريا أتراك الألطاي والتلاوتيين والشوريين وبعض القبائل الأخرى وقد أحتفظ الكثيرون منهم بالدين الشاماني وأعتنق القليل منهم الإسلام . أما أتراك فولجا- أورال فهم التتار (أتراك القرم والقازان) والباشقورد وأتراك قفقاسيا الشمالية. ويتشكل كل فرع من هذه الفروع من قبائل عدة. وقد قام

الروس بتهجير أتراك القرم إلى سيبريا عن بكرة أبيهم بعد الحرب العالمية الثانية. وبذلك فقد القرم طابعه التركي الذي ظل محتفظا به طوال 1500 عاما.

أما أهم فروع الأتراك الشرقيين منهم أتراك تركستان.وهم يعيشون في تركستان الغربية الخاضعة للحكم السوفيتي وتركستان الشرقية الخاضعة للحكم الصيني وفي جنوب تركستان الغربية في أفغانستان. وينقسم أتراك تركستان إلى ست قبائل رئيسية هي الأوزبك والقاراقالباق والقرغيز والقازاق والأويغور وأتراك قان صو. ويعد الأوزبك أكثرهم عددا ويعيشون في جمهورية أوزبكستان الخاضعة للحكم السوفيتي والمناطق المحيطة بها وفي تركستان الأفغانية وتعتبر لهجتهم الجغتائية ثاني اللهجات التركية بعد العثمانية من حيث وفرة ثروتها الأدبية. أما القاراقالباق فيعيشون في قاراقالباقستان التابعة لجمهورية أوزبكستان ويعدون أقل القبائل التركستانية نفوسا.

أما القازاق فيعيشون في جمهورية قازاخستان ضمن الاتحاد السوفيتي وفي تركستان الشرقية وبعض مناطق سيبريا. وقد شكل الروس الآن الأغلبية في شمال كازاخستان. أما القيرغيز فيتحدثون بلهجة قريبة من لهجة القازاق ويعيشون في جمهورية قرغزستان التابعة للاتحاد السوفيتي والمناطق المحيطة بها. أما الأويغور فهم بقايا القوم والدولة القديمة المسماة بنفس الاسم ويشكلون الأكثرية في تركستان الشرقية. في حين ينحدر أتراك قان صو من أتراك كوك تورك ويعيشون في مقاطعة قان صو الصينية الواقعة شرق تركستان الشرقية والأغلبية منهم بوذيون وهناك أقلية مسلمة. ويستطيع القارئ الإلمام بالمعلومات الأخرى حول الأقوام التركية لدى بحثنا للمواضيع الأخرى. لقد أنحصر الأتراك اليوم في بقعة ضيقة بالنسبة للمناطق التي كانوا ينتشرون فيها سابقا وسنلقى نظرة فاحصة على الوضع الجغرافي للأتراك على مر العصور .

نظرة في جغرافية المناطق التركية

لعل من المفيد أن نلقي نظرة فاحصة على جغرافية المناطق التي تطرقنا إليها في المباحث السابقة باعتبارها الوطن الأصلي للأتراك. وسنتطرق إلى جغرافية تركستان الشرقية والغربية عند بحثنا استيطان الأتراك في هذه المناطق. أما البقعة التي سيتناولها بحثنا هذا فتنحصر بين جبال كنجان وجبال الأورال وبين جبال تانري وسيبريا.

لقد أجتاز الياقوتيون الأتراك في يومنا هذا خط 70 درجة شمالا متجاوزين دائرة القطب الشمالي إلا أن الأتراك الأقدمين لم يتجاوزوا خط 60 بل 55 درجة شمالا. إذ تلعب جبال الألطاي دورا مهما في سلسلة الجبال التي حددت مصير آسيا الوسطى والشمالية وتبدأ الألطاي الكبرى من خط عرض 50 وخط طول 86 من منبع نهر أوبي (أسمه التركي أوب) وتنحدر من السلاسل إلى الجنوب الشرقي منتهية في خط طول 105 درجة الذي يصادف في الجنوب مغولستان الحالية. وارتفاع الألطاي في مقدمتها يبلغ 4540 مترا. وتقع إلى الشمال الغربي منها جبال الألطاي الصغرى. وتسمى منابع نهر أوبي بالالطاي.

أما السلسلة الجبلية التي تقع إلى الجنوب من الألطاي فهي جبال تانري. وتنحصر بين هاتين السلسلتين جبال تارباكاتاي. كما تسمى المساحة المنحصرة بينهما بإقليم جونغاريا الذي يشكل شمال تركستان الشرقية. وتوجد إلى الشمال من الألطاي سلسلة جبال موازية لها تسمى هان هوكي. وتقع مدينة أوتوكن التي كانت عاصمة الكوك تورك في منطقة الغابات الواقعة في السفوح الشمالية الشرقية لهذه الجبال. كما تقع إلى الجنوب منها مدينة قاره قوروم عاصمة جنكيز خان. وتوازي جبال سايان جبال الهان هوكي في الشمال والتي تبلغ قممها

الشرقية ارتفاعا يبلغ 3490 مترا وتشكل جبال يابلونوي الواقعة شرق بحيرة بايقال امتدادا لجبال سايان. وتقع إلى الجنوب من يابلونوي جبال كنجان الكبرى التي تمتد من الشمال إلى الصين في الجنوب وتفصل جبال الكنجان ما بين إقليم منشوريا ومغولستان. أما في الشمال الشرقي فتقع جبال أورولكان التي تمتد من شمال ياقوتستان إلى شرقها وتعتبر جبال فركويان امتدادا لها. وتبدأ أورولكان من بحر نوردينسكجولد إحدى خلجان البحر المتجمد الشمالي. أما جبال الفركويان فيبلغ ارتفاعها 2500 مترا في الشرق و3300 مترا في الشمال بالقرب من نهر أنديكيركا.

وتفصل جبال ستانوفوي بين ياقوتستان عن سواحل بحر أوهوتسك في سيبيريا الشرقية. ويعيش في هذه المناطق التونكوز والبقعة الشاسعة المنحصرة بين جبال الفركويان في الشمال والستانوفوي في الشرق واليابلونوي في الجنوب هي القسم الشرقي من سهل سيبريا أكبر السهول في العالم. وتمتد إلى جبال الأورال في الغرب.

وتتفرع سلسلة جبال الأورال إلى ثلاث شعب وهي الأورال الشمالي والأورال الأوسط والأورال الجنوبي وتمتد على خط 18 درجة من خط عرض 69 درجة إلى خط 51 درجة جنوبا. وهي جبال قديمة لا يتجاوز ارتفاعها 1885 مترا بأي حال من الأحوال. وتفصل جبال الأورال قارتي آسيا وأوربا المشكلتين لقارة أوراسيا الواحدة. ويصب نهر الأورال (أسمه التركي يايق) النابع من جبال يامان (ارتفاعها 1645 مترا) والمنحصرة بين الأورال الأوسط والجنوبي في بحر الخزر. ويشكل هذا النهر والخزر حدا فاصلا بين القارتين بدورهما. ويمتد إلى الغرب من الأورال في قارة أوربا سهل سيبريا الأكبر والذي يسمى بسهل روسيا. إن هذا السهل الشاسع كان موطنا لأقدام خيل الأتراك على مر العصور من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب كما تخترق هذا الإقليم من الجنوب إلى الشمال أنهار متوازية عديدة منها أوبي الذي ينبع من شرق الأورال ويصب مثل جميع الأنهار الموازية له في البحر المتجمد الشمالي . ويصب في نهر أوبي في خط عرض 62 درجة نهر الأرتيش الذي يلتقي بدوره في الجنوب بنهر توبول. وينبع هذا النهر على شكل فرعين من الأورال الجنوبي والأورال الأوسط. أما نهر تاودا فينبع من جبال نايرودنايا (ارتفاعها 1885 مترا) ويصب في توبول نهير إيجيم الذي يلي إيرتيش في الكبر، وينبع من صحراء القرغيز في الجنوب. ويحتضن أيرتيش في الشرق فرع أوم ويستمر في سيره إلى الجنوب حيث يخترق بحيرة سايسان ثم يستمر في الانحدار من شرق البحيرة ويسمى آنذاك بنهر أرتيش الأسود.

كما يصب في خليج أوبي (أوب) عدا نهر أوب نهرا بور وطاس ويوجد في قربها نهر ينيسا (كام بالتركية)، وينبع هذا النهر من جبال سايان الواقعة إلى الغرب من بحيرة كوسو في مغولستان وتلتقي به من الجنوب إلى الشمال فروع تونكوسكا الأعلى وتونكوسكا الصخري وتونكوسكا الأسفل المتوازية والمنحدرة من الشرق إلى الغرب. وينبع تونكوسكا الأعلى من شمال جبال سايان ويصب فيه نهران هما أوكا وأنكارا. ويصب الأخير في بحيرة بايقال من جهتها الجنوبية الغربية. ويصب في البحر المتجمد الشمالي إضافة إلى ينيساي في الشرق نهر بياسينا وتايمير وكيتا وكاتانكا وأنابار وأولينيك وهي متوازية في سيرها. ويبقى النهران الأخيران في أراضي ياقوتستان. ويقع إلى الشرق من هذه الأنهر النهر الذي يلي أوبي وينيساي في الكبر في منطقة آسيا الشمالية وهو نهر لينا الذي ينبع من جبال بايقال الواقعة غرب البحيرة المسماة بنفس الاسم. ويصب فيه من الشرق نهرا ويتيم والدان ومن الغرب فيلجوي. ويصب في نهر الدان النابع من جبال يابلونوي من ساحله الشرقي نهرا كونال ومايا. ونهر لينا مع القسم الأكبر من روافده في أراضي ياقوتستان . ويصب لينا في بحر نوردينسكجولد محدثا دلتا خصبة. ويقع إلى الشرق من نهر لينا انهر يانا وايندىكيركا وكوليما مع رافد

أومولون الذي يصب في النهر الأخير. وكل هذه الأنهر تصب في البحر المتجمد الشمالي. وتسير باستثناء رافد أومولون في الأراضي الشمالية الشرقية من ياقوتستان.

أما نهر آمو الذي يصب في المحيط الكبير عند المضيق التتري ما بين جزيرة سهالين وسيبيريا فيفصل بين المانجو والتونكوز ويشكل حدودا طبيعية بين الصين والاتحاد السوفيتي . ويصب فيه من الجنوب أوسوري وسونكاري ومن الشمال سلنكا ورافده زيا. ويتفرع هذا النهر في السفوح الشمالية لجبال كنكان الكبرى إلى فرعين شيلكا وازكون. ويتفرع شيلكا بدوره إلى رافدين متوازيين هما أنكودا وأونوف اللذان ينبعان من جبال سوهوندو (2450 مترا) أما نهر أركون فينحدر إلى الجنوب الغربي ويصب في بحيرة كولون. ويسمى النهر الذي يستمر في الانحدار من الجانب الآخر من البحيرة باسم كيرولان الذي ينبع مثل أونون من الشمال الشرقي لمدينة أوركا.

ولنهر سلنكا الذي يصب في جنوب بحيرة بايقال دور بارز في التاريخ التركي. إذ يصب فيه من الجنوب الشرقي نهر أورخون. وينبع النهران من جبال هان هوكي، ويتفرع من سلنكا رافد يصب في بحيرة كوسو في الشمال. وقد اتخذت هذه المناطق طابعا هاما لكونها مركزا لقوم كوك تورك الحاكم في هذه البقعة. وكانت مدينة أوتوكن عاصمة كوك تورك تقع بالقرب من الساحل الشرقي لنهر أورخون وتقع إلى الجنوب منها مدينة قارة قوروم.

وأهم بحيرة في المنطقة التي حددناها هي بحيرة بايقال. وهي على ارتفاع 477 مترا عن مستوى سطح البحر. وهناك في وسطها جزيرة. وهذه البحيرة ضيقة ممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. وكان الأتراك يجدون فيها ضالتهم المنشودة وهم قوم يحلمون بالانفتاح على البحار المفتوحة ولذلك فقد كانت محبوبة بصورة خاصة من قبلهم. ويقع إلى الشمال الشرقي من بحيرة بايقال سهل (ويتيم) وفيه مرتفعات يبلغ ارتفاعها 2040 مترا في بعض المناطق . كما يقع إلى الشمال الغربي من البحيرة جبال بايقال المنخفضة وإلى غربها جبال سايان. وتبلغ مساحة بحيرة بايقال (بحر بايقال على ما يسميها الأتراك) 31.500 كم مربع وهي ثامن بحيرة في العالم من حيث السعة.

لا تتجاوز مقدار سقوط الأمطار في آسيا الشمالية 75 سنتيمترا وبصورة عامة فإن معدله يبلغ 60 سنتيمترا. وتتساقط الثلوج فيها بصورة عامة. أما الأنهار فتتجمد شتاء ويبلغ معدل درجات الحرارة في أوتوكن عاصمة كوك تورك القديمة لدى المناطق الواقعة في الوسط والشمال من مغولستان الحالية 20 درجة صيفا و20 درجة تحت الصفر شتاء. وتعتبر ياقوتستان في الشمال الشرقي من أبرد مناطق العالم. ويبلغ معدل درجة الحرارة في ياقوت العاصمة 40 درجة تحت الصفر شتاء و15 درجة صيفا. ويقع أكبر مناطق الغابات في العالم في سيبريا إذ تمتد الغابات من فنلندا إلى المحيط. ولغابات هذه المنطقة طابع مميز إذ توجد في الجبال نباتات الألب. وعند انتهاء الغابات جنوبا تبدأ منطقة السهول الكبرى. وتشاهد الصحاري في شرق مغولستان وجنوبها والمناخ ملائم لتربية الحيوانات أكثر منها للزراعة وقد أثر هذا الأمر على حياة الأقوام التركية وكانت السيطرة على كل هذه المناطق الشاسعة تتطلب التفوق في الفروسية. وبذلك فقد كانت الأقوام الساكنة في الجنوب والعاملة في الزراعة مثل الصينيين والإيرانيين أقل استعدادا لمواجهة الأتراك والمغول والمانجو الفرسان والمعتادين على تربية الحيوان والتعدين. وقد أعتاد الأتراك الذين ضربوا مثلا رائعا في الأقدام والشجاعة وبما كانوا يملكون من معادن الصلب والذهب والنحاس والخيول القوية المدربة على بسط نفوذهم على أقوام آسيا الجنوبية وإخضاع سواهم من الأقوام لحكمهم وقد انبثق التاريخ التركي متأثرا بهذه الأوضاع.

ولعل هذه الظروف الطبيعية والجغرافية هي التي خلقت من الأتراك قوما قويا استطاع أن يلعب دورا هاما في تاريخ الأمم.

الجدول الأول

الأتراك والأقوام الطورانية الأخرى (1963)
الأقوام الطورانية (أقوام أورال – الطاي)

1- أقوام أورال (فين – أوغور)

أ - أقوام الفين

اللابون
الفين
الكاريل
الأستون
الموردفين
الجرمسين (الماريون)
الفوتياك (الأدموريتيون)
الزورين (الكوميون)
السامويد

ب - أقوام الأوغور

الفوكول
الأوستياك
المجر

2 - أقوام الطاي
أ - الأتراك
ب - المغول

1- مغول الوسط
2- مغول البوريات – الشماليون
3- المغول الجنوبيين
4- القالموق- مغول الآسترخان

3 – تونكوز - مانجو

1- التونكوز
2- المانجو

تصنيف الأقوام التركية

1- الأتراك

أ- الأوغوز (التركمان أو أتراك الغرب)

1- العثمانيون أتراك تركيا

2- الأذريون أتراك أذربيجان

3- التركمان أتراك تركمنستان

ب- أتراك الشرق

1- أتراك تركستان

الأوزبك القاراقالباق

القرغيز القازاق

الأويغوز أتراك قان صو – كوك تورك

ب- أتراك فولجا- اورال (أيتيل- يايق)

التتار أتراك القازان والقرم

الباشقورد أتراك قفقاسيا الشمالية

ت- أتراك سيبريا

الألطاي التله أوتيون وغيرهم

2- الياقوتيون

3- الجواشيون

عدد سكان الأقوام ومناطقها وديانتها ومذهبها
حسب إحصائيات عام 1963

1- أقوام الأورال (فين- أوغور) 24.346.000

أ- أقوام الفين 9.715.000

40.000 اللابون(بروتستانت)(النرويج 24.000 سويسرا 9.000 فنلندا 4.000 روسيا 3.000)

5.094.000 الفين والكاريل (البروتستانت 4.819.000 الأرثوذكس 175.000 الكاثوليك 100.000

الكاريل وحدهم البروتستانت 300.000 الأرثوذكس 175.000)

(فنلندا 4.156.000 الولايات المتحدة الأمريكية 318.000 كندا 64.000 سويسرا 54.000 النرويج 13.000البرازيل 12.000 الأرجنتين 1.000 شيلي 1.000الكاريل : 475.000)

1.116.000 الأستون (البروتستانت 1.026.000 الأرثودكس 60.000 الكاثوليك 30.000) (أستونيا 1.100.000 الولايات المتحدة 11.000 سويسرا 4.000 البرازيل 1.000)
1.640.000 الموردفين(أرثوذكس)
580.000 الجرميس (الماريون) (الأرثوذكس 430.000 المسلمون 150.000)
730.000 الفوتياك (الأدموريتون) (الأرثوذكس 655.000 المسلمون 75.000)490.000 الزورين(الكوميون - أرثوذكس)
25.000 السامويد (أرثوذكس)

ب- الأوغور =14.631.000
8.000 الفوكول(أرثوذكس) (توبولسك ، الاتحاد السوفيتي)
30.000 الأوستياك (أرثوذكس) (أوبي- أيرتيش – الاتحاد السوفيتي)
14.593.000 المجريون (الكاثوليك 10.393.000 البروتستانت 4.200.000)
(المجر 10.650.000 رومانيا 2.140.000 أردل وتمشوار) الولايات المتحدة 725.000 يوغسلافيا 584.000 (فويفودينا) جيكوسلوفاكيا 350.000 (شرق سلوفاكيا) كندا 95.000 النمسا 30.000 فرنسا 10.000 البرازيل 6.000 تركيا 1.000 الأرجنتين 1.000 شيلي 1.000)

2- أقوام الألطاي=111.172.000

أ- الأتراك =76.292.000

ب- المغول=10.630.000 (المسلمون 1.780.000 البوذيون 6.800.000 الشامان 1.950.000)
(المغولستان الداخلية – الصين 5.500.000 البوذيون 4.800.000 المسلمون 700.000)
مغولستان 2.000.000 البوذيون 1.600.000 المسلمون 400.000) حسب إحصائيات عام 1963
(سيبريا – الاتحاد السوفيتي 2.000.000 (شامان) (50.000 منهم المسلمون المغول في قالموقستان)
مقاطعة جونغاريا في تركستان الشرقية في الصين 650.000 (بوذيون 400.000 مسلمون 250.000)
أفغانستان 480.000 (مسلمون)

ج- التونكوز– مانجو =24.250.000
1- التونكوز 250.000 (أرثوذكس) (سيبريا الشرقية)
2- المانجو 24.000.000 (منشوريا الشمالية – الصين) (1.000.000 مسلمون والبقية بوذيون)

مجموع المغول والمانجو (34.880.000)
مجموع الأقوام الطورانية عدا الأتراك (56.226.000)

الأقوام التركية

450.000 الياقوتيون (الشامان 400.000 الأرثوذكس 50.000) (ياقوتستان)
1.650.000 الجواشيون (أرثودكس 1.450.000 مسلمون 200.000) (جواشستان 1.050.000)
تاتارستان 240.000 مقاطعة سمارا 200.000 باشقورد ستان 160.000 كلها في الاتحاد السوفيتي .

أ – الأغوز - التركمان - أتراك الغرب 43.229.000 مسلمون جميعاً
1- العثمانيون (أتراك تركيا) 30.787.000 مسلمون

تركيا	28.000.000	سوريا	60.000
بلغاريا	900.000	الولايات المتحدة الأمريكية	40.000
العراق – شمال العراق	540.000	الأردن	40.000
يوغسلافيا - مقدونيا	300.000	ألبانيا	30.000
البرازيل	250.000	مصر	25.000
اليونان – تراقيا الغربية – الجزر الأسيوية	240.000	إنجلترا	15.000
رومانيا – دوبروجه	200.000	ألمانيا	7.000
(كاكاوز 100.000)		الأرجنتين	6.000
قبرص	110.000	ليبيا	6.000
لبنان	6.000	اليمن	3.000
فرنسا	2.000	النمسا	1.000
سويسرا	1.000	دول أخرى	5.000

2- الأذريون - أتراك أذربيجان 8.907.000
4.750.000 إيران (أذربيجان 2.900.000 - فارس 400.000 - حمسه 1.450.000) وهمدان على شكل أقليات صغيرة (قزوين- طهران – خوزستان- أصفهان- كرمنشاه)

أذربيجان	2.945.000	جورجيا	700.000
داغستان – قفقاسيا الشمالية	300.000	أرمينيا	200.000
البرازيل	12.000		

3- التركمان (أتراك تركمنستان) 3.535.000

تركمنستان	1.485.000	أوزبكستان	300.000
أفغانستان – خرا سان الشرقية	960.000	قاراقالباقستان (أوزبكستان	40.000
إيران – خرا سان الغربية	750.000		

ب- الأتراك الشرقيون

30.313.000 (بوذيون 150.000 – كاثوليك 16.000 – يهود 4.000 – شـامان 100.000 – مسـلمون 30.043.000)

1- أتراك تركستان 24.034.000 (بوذيون 150.000 والبقية مسلمون)

(جمهوريات الاتحاد السوفيتي 17.968.000 الصين 4.646.000 أفغانستان 1.420.000)

أ - ألاوزبك 10.794.000 مسلمون جميعا

أوزبكستان	8.100.000	تركمنستان	50.000
أفغانستان – أتراك أفغانستان	1.280.000	تركستان الشرقية - الصين	26.000
قازاخستان	505.000	البرازيل	12.000
قرغزستان	450.000	اليابان	4.000
تاجيكستان	215.000	ألمانيا	2.000
قاراقالباقستان – اوزبكستان	150.000		

ب- القاراقالباق 410.000 (مسلمون جميعا)

قاراقالباقستان – أوزبكستان	360.000	تركمنستان	50.000

ج – القرغيز 2.090.000 (مسلمون جميعا)

قرغيزستان	1.500.000	تاجيكيستان	300.000
أفغانستان – أتراك أفغانستان	160.000	تركستان الشرقية - الصين	130.000

د – القازاق 6.965.000 (مسلمون جميعا)

قازاخستان	6.060.000	تركستان الشرقية - الصين	715.000
مقاطعة تومسيك – سيبريا	130.000	مقاطعة توبولسك – سيبريا	60.000

مجموع القرغيز والقازاق 9.055.000

هـ - الاويغور 3.575.000 (مسلمون جميعا) (تركستان الشرقية – الصين)

و - أتراك قان صو (كوك تورك) 200.000 (بوذيون 150.000 مسلمون 50.000)

(مقاطعة قان صو في الصين)

2 - أتراك فولجا – اورال (ايتيل – يـايق) 6.129.000 (الكاثوليـك 16.000 اليهـود 4.000 والبقيـة مسلمون)

(خارج الاتحاد السوفيتي 139.000)

أ - التتار (أتراك قازان – القرم) 3.979.000

(الكاثوليك 16.000 اليهود 4000 والبقية مسلمون) (منهم خارج الاتحاد السوفيتي 139.000 فقط)

جمهورية تترستان المستقلة	1.600.000	مقاطعة جليا بينسك - روسيا	145.000
مقاطعة ساراتوف - روسيا	280.000	مقاطعة غوركي - روسيا	110.000
مقاطعة سامارا - روسيا	240.000	رومانيا - دوبروجه	100.000
مقاطعات جمهورية روسيا الأخرى	220.000	مقاطعة أوليانوف - روسيا	85.000
مقاطعة أورينبورغ - روسيا	200.000	مقاطعة سارتسن – ستالينجراد – روسيا	80.000
جمهورية باشقوردستان المستقلة	200.000	جمهورية أودمورتستان المستقلة	40.000
مقاطعة بنزا - روسيا	160.000	مقاطعة تامبوف - روسيا	40.000
مقاطعة أستراخان - روسيا	150.000	جمهورية ماريستان المستقلة	35.000
مقاطعة برم - روسيا	35.000	مقاطعة بودوليا – أوكرانيا –- كاثوليك	10.000
جمهورية جواشستان المستقلة	30.000	القرم – أوكرانيا منهم 4000 قارايم وهم يدينون باليهودية	1.000
مقاطعة شفيردلوفسك - روسيا	30.000	فنلندا	5.000
البرازيل	24.000	اليابان	4.000
مقاطعة ريازان - روسيا	20.000	جمهورية روسيا البيضاء	3.000
مقاطعة لينينجراد - روسيا	10.000	جمهورية ليتوانيا– كاثوليك	3.000
بولونيا - كاثوليك	3.000	جمهورية مولدافيا	2.000
جمهورية أوكرانيا	2.000		

ب - الباشقورد 1.500.000 (مسلمون) (جمهورية باشقوردستان المستقلة – روسيا)

ج - أتراك قفقاسيا الشمالية 650.000 (مسلمون) (مقاطعة ستافروبول – جمهورية داغستان ومقاطعـات قفقاسيا الشمالية في جمهورية روسيا)

3 - أتراك سيبريا 150.000 (شامان 100.000 مسلمون 50.000)

(مقاطعات توبولسك ، ينيساي ، ابا كان ، تومسك ، ايركوتسك ، بارناول ، بيسـك ، اويـردت ، تـورا ، المقاطعات الأخرى في جمهورية روسيا) (الأكثرية منهم الطائيون وتله اوت)

تصنيف الأتراك من حيث الدين والمذهب

سنيون + حنفيون	68.104.000	مسيحيون	1.516.000
شيعيون + جعفريون "1"	5.398.000	يهود	"4" 4.000
مسلمون	74.122.000	بوذيون	"5" 150.000
أرثوذكس "2"	1.500.000	شامان	"6" 500.000
كاثوليك "3"	16.000		

1- اذريون 5.298.000 تركمان 100.000
2- جواش 1.540.000 ياقوت 50.000
3- بودوليا- ليتوانيا- تتار- بولونيا
4- قارا يم
5- أتراك قان صو
6- ياقوت 40.000 أتراك سيبريا 100.000

مجموع الأقوام التي تتكلم التركية :- 75.672.000
مجموع أقوام اورال- الطاى (الأقوام الطورانية) 134.898.000

المدن التي تعيش فيها أغلبية من الأتراك والأقوام الطورانية

اباكان	ت	53.000	جهنفغ	×	813.000
ادنه	ت	279.000	جيم كنت	ت	168.000
ادابازارى	ت	103.000	جيتا	×	188.000
آق صو	ت	283.000	دبرجان	×	132.000
آق تبه	ت	107.000	دميرهان – شورا	ت	50.000
آلماتى	ت	502.000	دنيزلي	ت	64.000
آنديجان	ت	142.000	دربند	ت	80.000
انقرا	ت	740.000	ديار بكر	ت	72.000
إنطاكية	ت	57.000	الازغ	ت	74.000
انطاليا	ت	65.000	اردبيل	ت	100.000
آراد	×	121.000	ارضروم	ت	107.000
عشق آباد (ايشق آباد)	ت	188.000	اسكي شهر	ت	175.000
باكو	ت	1.070.000	اسكي زاغرا	ت	67.000
بالي كسير	ت	72.000	اوليا آتا	ت	74.000
بيكسكيمبا	×	53.000	فرغانة	ت	88.000
بودا بست	×	2.045.000	غازي عنتاب	ت	146.000

بخاري	ت	76.000	كنجة	ت	128.000
بورصه	ت	176.000	هامي	ت	50.000
جلال آباد	ت	50.000	هاربين	×	1.398.000
جار جوى	ت	73.000	هلسنكي	×	254.000
جبوكسارى	ت	91.000	همدان	ت	120.000
هو جند	ت	50.000	مارا ش	ت	63.000
هودرزوفاسارهلي	×	56.000	مراغه	ت	60.000
هوكانت	ت	116.000	مرسين	ت	87.000
هوي	ت	55.000	مرو	ت	53.000
هوهاهوت		220.000	ميمنه	ت	50.000
هوتن	ت	281.000	مزارى شريف	ت	100.000
ايجفسك	×	311.000	ميسكولك	×	182.000
اسكندرون	ت	81.000	موصل	×	400.000
أستا نبول	ت	1.600.000	موتانكيانك	×	258.000
استولني- بلغراد	×	55.000	نمنكان	ت	134.000
ازمير	ت	486.000	نوفى ساد	×	108.000
ازميت	ت	92.000	نوها	ت	52.000
قاراغاندا	ت	428.000	نيريكيهازا	×	58.000
قاراقول	ت	50.000	اوراديه ماري	×	109.000
كاشغر	ت	406.000	اوش	ت	72.000
قيصري	ت	120.000	اواولو	×	59.000
قازان	ت	707.000	باولودار	ت	100.000
كشكميت	×	70.000	بج	×	121.000
كركوك	ت	150.000	بتروزاوادسك	×	149.000
قريق قلعة	ت	54.000	بيشيك	ت	240.000
قزل اوردا	ت	73.000	بلونه	ت	70.000
كولوزفار	×	171.000	بوري	×	54.000
قونيه	ت	145.000	ريفال (تاللين)	×	308.000
كوسيكه	×	90.000	روسجوك	ت	100.000
كوستنجه	ت	136.000	سامون	ت	106.000
كراسناود	ت	50.000	سارانسك	×	100.000
كولجا	ت	300.000	ساتو ماري	×	60.000
لاهني	×	78.000	سيكيدين	×	111.000
ماهاج قلعة	ت	131.000	سمر قند	ت	215.000
مالا طيه	ت	100.000	سمي بالات	ت	271.000

المدينة		النفوس	المدينة		النفوس
مانيسا	ت	69.000	سيواس	ت	105.000
ستيرليتاماك	ت	122.000	ياركنت	ت	301.000
سوبوتيكا	×	93.000	يوشكار- اولا	×	97.000
سلطان آباد	ت	96.000	زنجان	ت	57.000
سيكتيفكار	×	70.000	زونكولداغ	ت	59.000
سومباثيلي	×	56.000	شومنو	ت	50.000
شوشه	ت	50.000	تامبيرى	×	121.000
طاروس	ت	63.000	طارتو	×	81.000
طاش كتت	ت	1.010.000	طاش كوركان	ت	96.000
تاتابانيا	×	52.000	تبريز	ت	348.000
مشوار	×	156.000	تيركو موريش	×	72.000
طرابزون	ت	61.000	تسيتسيهار	×	250.000
توركو	×	119.000	اوفا	ت	602.000
اولان- اوده	×	191.000	اورفه	ت	69.000
اوركا	×	176.000	اورميه	ت	82.000
اورومجي	ت	200.000	اوركنج	ت	50.000
اوسكوب	ت	180.000	اوست- كامينوكور	ت	129.000
ياقوت	ت	81.000	يان بولو	ت	51.000
يانق قلعه (كيور)	×	73.000	ياركنت	ت	301.000
يوشكار- اولا	×	97.000	زنجان	ت	57.000
زونكولداغ	ت	59.000		×	

وقد أدرجنا المدن التي يتجاوزعدد سكانها 50.000 نسمه في أواخر عام 1963.وقد أشير إلى المدن التركية بحرف(ت) ولم ندرج المدن التي يتراوح عدد نفوسها بين 50.000 - 100.000 نسمه في منشوريا لعدم وجود معلومات إحصائية بشأنها . ولمعرفة نفوس المدن الموجودة على الخارطة يكفي البحث عن المدينة ضمن المدن المسجلة بترتيب الحروف.

المدن التي يتجاوز نفوسها 50.000 نسمه وتتكلم الأكثرية فيها باللغة التركية

أدنه (تركيا)
279.000

مالا طيه (تركيا)
100.000

الازغ(تركيا)
74.000

كراسنوفود (تركمنستان)
50.000

ازمير(تركيا)
486.000

همدان(ايران)
120.000

أستا نبول (تركيا)
1.600.000
اسكوبيا(مقدونيا-يوغسلافيا)
180.000
اسكي شهر (تركيا)
175.000
آق صو (تركستان الشرقية- الصين)
283.000
انطاليا(تركيا)
65.000
انقرة(تركيا)
740.000
اورفه(تركيا)
69.000
اورومجي (تركستان الشرقية- الصين)
200.000
اوفا (روسيا)
602.000
اوليا آتا (قازاخستان)
74.000
باكو (أذربيجان)
1.070.000
بالى كسير(تركيا)
72.000
بخارى (اوزبكستان)
76.000
بلونه(بلغاريا)
70.000
بورصه(تركيا)
176.000
بيشبك (قرغيزستان)
240.000
تبريز(أذربيجان-إيران)
348.000
جارجوي (تركمنستان)
73.000
جيم كنت (قازاخستان)
168.000
دربند (روسيا)
80.000
دميرهان- شورا (روسيا)

انديجان (اوزبكستان)
142.000
طاش كوركان(افغانستان)
96.000
جبوكسارى(روسيا)
91.000
ادابازارى(تركيا)
103.000
دنيزلي(تركيا)
64.000
ماهاج قلعه (روسيا)
131.000
اسكيزاغرا(بلغاريا)
67.000
روسجوك(بلغاريا)
100.000
كنجة (أذربيجان)
128.000
ميمنه(أفغانستان)
50.000
كوستنجه(دوبروجه-رومانيا)
136.000
اوركنج (اوزبكستان)
50.000
قارا قول (قرغيزستان)
50.000
مانيسا(تركيا)
69.000
ازميت(تركيا)
92.000
مزاري شريف(أفغانستان)
100.000
ارضروم(تركيا)
107.000
شومنو(بلغاريا)
50.000
مرسين(تركيا)
87.000
هوجذ(تاجيكستان)
50.000
هامي(تركستان الشرقية-الصين)

50.000	50.000
ديار بكر(تركيا)	اوش(قرغيزستان)
72.000	72.000
زنجان(خمسه-إيران)	هري(أذربيجان-إيران)
57.000	55.000
زونكولداغ(تركيا)	انطاكيه(تركيا)
59.000	57.000
سمرقند (اوزبكستان)	باولودار(قازاخستان)
215.000	100.000
سمي بالات (قازاخستان)	فرغانه(اوزبكستان)
171.000	88.000
طاش كنت (اوزبكستان)	نمنكان(اوزبكستان)
1.010.000	134.000
طرابزون(تركيا)	مراغه(أذربيجان-إيران)
61.000	60.000
عشق آباد (تركمنستان)	سلطانآباد(همدان-إيران)
188.000	96.000
غازي عنتاب(تركيا)	اسكندرون(تركيا)
146.000	81.000
قارا كاندا(قازاخستان)	قيصرى(تركيا)
428.000	120.000
قازان(روسيا)	اوست-كامينوكور(قازاخستان)
707.000	129.000
قريق قلعه(تركيا)	اباكان(روسيا)
54.000	53.000
قزل اوردو(قازاخستان)	شوشه(أذربيجان)
73.000	50.000
قونيا(تركيا)	ياقوت(روسيا)
145.000	81.000
كاشغر(تركستان الشرقية- الصين)	هوكنت(اوزبكستان)
406.000	116.000
كركوك(العراق)	اورميه(أذربيجان-إيران)
150.000	82.000
كولجا(تركستان الشرقية- الصين)	سيواس(تركيا)
300.000	105.000
ماراش(تركيا)	طرسوس(تركيا)
63.000	63.000
الماته(قازاخستان)	ستيرليتاماك(روسيا)
502.000	122.000
مرو(تركمنستان)	موها(أذربيجان)
53.000	52.000

موصل(العراق)	آق تبه(قازاخستان)
400.000	107.000
هوتن(تركستان الشرقية- الصين)	اردبيل(أذربيجان-إيران)
281.000	100.000
يا ركنت (تركستان الشرقية- الصين)	سامسون(تركيا)
301.000	106.000
يان بولو(بلغاريا)	جلال آباد(قرغيزستان)
51.000	50.000

المبحث الثاني

الدولة التركية الكبرى قبل اعتناق الإسلام
220 ق . م – 940 ب . م

1- الكون - الهون 220 ق.م ــ 216 ب. م
سلالة الهون

لا تتوفر لدينا معلومات كافية عن الدولة التركية والحكام الأتراك قبل تيومان يابكو الذي حكم في سنة 220 ق.م كما أسلفنا سابقا أو ليس من الممكن أن نتناول بالبحث تاريخ الدولة التركية في تلك الحقبة مستندين على تلك النتف المستخرجة من المصادر الصينية ليس إلا . وقد يتحقق هذا الأمر بتمحيص المصادر الصينية المتوفرة جميعا وبظهور وثائق لم تكتشف لحد الآن . ويجب أن لا يغرب عن البال أن ركنين أساسيين للتاريخ والأدب التركي وهما كتابات كوك تورك وديوان لغات الترك لم يكونا معروفين قبل مائة عام من يومنا هذا وقد أسديا للتاريخ التركي خدمات جلى بعد اكتشافهما.

وقد بات في حكم المؤكد أن تيومان يابكو لم يكن أول من حكم في السلالة الهونية. إذ أن التقاليد التركية كانت تقضي بتولي الأبناء الحكم بعد آبائهم. إلا أنه من العسير في يومنا هذا أن نتحدث عن آباء تيومان الذين حكموا الدولة قبله . والتسمية التركية للقوم التركي الذي يسميه الغربيون(الهون)هو الكون. وقد حرفت التسمية في المصادر الصينية إلى هيونغ نو. ويعتقد أن الاسم التركي لتيومان هو تومان. إذ أن الأسماء قد أصابها الكثير من التحريف عند كتابتها باللغة الصينية كما بينا في المبحث السابق . ولا يسعنا معرفة الأسماء الأصلية على وجه التحقيق إلا منذ عهد كوك تورك الذين أدرجوا هذه الأسماء في كتاباتهم. ولا يقتصر دور تيومان (تومان) يابكو على كونه فاتحة للتاريخ التركي بل أن عام 220 ق.م هو المنطلق الأول للدولة التركية الخالدة . وإذا كان الأتراك قد أسسوا إمبراطوريات متعددة في آن واحد فان الدولة التركية التي كانت متميزة عن هذه الدول التي أسست في الأراضي الأجنبية قد استمرت في سيرها التاريخي ناقلة مركز ثقلها على مر السنين إلى الجنوب الغربي حتى عصرنا الحاضر. وسلالة الهون تتميز بكونها السلالة التي حكمت الدولة لأطول مدة بعد العثمانيين. إذ حكمت 436 عاما ابتداء من تيومان حتى فقدها للسلطة عام 216 ب.م . كما أن الهون هم المؤسسون للدولة التركية الكبرى. فقد ضموا القبائل التركية كلها تحت لواء واحد. وقد سمي أول الحكام الذين حكموا هذه الدولة باسم قبيلتهم. وكذلك الأمر بالنسبة للآبار والكوك تورك فهذه الأسماء تطلق على القبائل المسماة بها كما تطلق على الحكام أو السلالة الحاكمة نفسها. فإذا ما سقطت السلالة الحاكمة عن الحكم تخلت القبيلة بدورها عن إدارة مقاليد الأمور مخلفه مكانها لقبيلة أخرى تسلم زمام الحكم إلى سلالتها الحاكمة. وقد تطور التاريخ التركي قبل الإسلام على هذه الصورة. وقد سمى الأباطرة الأتراك بلقب يابكو أولا ثم أطلق عليهم لقب القاغان أو الخاقان إلا أن جميع أباطرة الهون عرفوا بلقب يابكو.

تيومان (تيومان) يابكو 220 ــ 209 ق.م

دام حكم تيومان (تومان) يابكو أحد عشر عاما بين سنتي 220 ق.م و 209 ق.م . وقد هيئ للدولة التركية طريق عظمتها على عهد أبنه مته. ومن المعتقد أن تيومان قد وحد الإمارات والدويلات التركية التي كانت تعيش حتى تلك العهود مستقلة عن بعضها البعض. وساعدت الاضطرابات الحاصلة في الصين على أن يلم الأتراك شعثهم ويستولوا على مناطق هامة من الأراضي الصينية. وقد تبعثرت آمال الصينيين الذين كانوا ينظرون إلى النزاع الذي دب بين الخاقان الكبير وبين ابنه الأكبر مته بعين الأمل بسيطرة الأخير على الحكم وبسط نفوذه على الدولة. أراد تيومان بتحريض من إحدى زوجاته أن يبعد مته عن ولاية العهد ويسند هذا المنصب إلى ابنه من زوجته هذه. إلا إن مته الذي لم يقبل بهذا الأمر جمع جيشا قوامه عشرة آلاف رجل ودرب هذا الجيش تدريبا لم يسبق له مثيل وسار بهذا الجيش على أبيه. وقد قتل في هذا الصدام تيومان وزوجته المحبة وابنه من هذه الزوجة وتشبه هذه الحادثة إلى حد كبير حادثة أخرى جرت قبل ثلاثة وثلاثين ومائة عام من هذا التاريخ بين الاسكندر الكبير وأبيه فيليب الثاني.

مته‍‍‍‍‍‍‍ـــــه (اوغوز خان) 209 ـــ 174 ق. م

يطلق الصينيون على مته أسم (ماو- تون) ويعتقد أن هذا الاسم محرف عن موتون التركية. وقد سماه الأتراك فيما بعد مته(إذ نصادف في بعض المصادر الصينية الإشارة إليه باسم مي- تي) وقد خلد الأتراك مته باسم اوغوز خان.

ويدل إكمال سور الصين في عام 210 ق.م على مدى تخوف الإمبراطورية السماوية (أي الصين) من الأتراك في هذه الفترة إلا أن هذا السور العظيم لم يمنع مته من دخول الصين. وقد عمل مته طوال خمسة وثلاثين عاما من حكمه على جعل الدولة التركية أعظم إمبراطورية في العالم من حيث المساحة والقوة. وكان عهده فاتحة عهد جديد للأتراك في تاريخ العالم حيث ظهرت أهميتهم بشكل واضح وصريح كعنصر قوي في ميزان القوى في العالم القديم. وكان الهون يعيشون بالقرب من بحيرة بايقال. وقد استطاع مته أن يجمع جميع من تعارفنا على تسميتهم اليوم بأقوام الطاي أي الأتراك والمغول والتونكوز في دولة واحدة. ثم قام بفتح مناطق عديدة من قارة آسيا حتى الهند وبحر الخزر. ولم يكن ينافس الأتراك كقوة عظمى في هذه الآونة غير الصينيون. وقد تصادم القومان الكبيران لتناقض أسلوب معيشتهم وتنظيمهم وثقافتهم وحضارتهم ودينهم.

كان الأتراك يغيرون على الأراضي الصينية من اضعف مناطق سور الصين وبصورة خاصة من سهل اوردوس. وقد حدث أن حاصروا الجيش الصيني الذي كان يبلغ 320.000 رجلا وعلى رأسه الإمبراطور كاو - تي في قلعة بتنغ. وقد طلب الإمبراطور الصيني إزاء شدة الخطر عقد الصلح مع مته على أساس دفع الصينيين لضريبة معينة وتسليم المقاطعات الشمالية في الصين إلى الأتراك ولم ينس الصينيون هذه الأيام العصيبة وقد ظلوا يترنمون بأغنية شعبية مطلعها (شح الخبز في قلعة بتنغ سبعة أيام لم يستطيع الجنود أن يرموا سهامهم) طوال قرون عديدة، وقد رحل مته عن إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من المحيط الكبير إلى بحر الخزر ومن التبت وكشمير إلى شمال سيبريا وتحوي على مناطق لا تقل مساحتها عن 18 مليون كم مربع. وبذلك فقد سيطر الأتراك على قارة آسيا برمتها باستثناء مناطق الصين والهند وإيران.

الطابع العام للدولة التركية الكبرى

كان اليابكو أي الإمبراطور التركي والذي كان الصينيون يسمونه (شن يو) مقدسا يبجل بعنوان تانرى قوت(تانزو بالصينية) إذ كان مطاق الصلاحيات لاتحد سلطاته أية قيود. وكان الابن الأكبر له أو شقيقه الأكبر في حالة عدم وجود الابن يسمى بولي العهد. ويكلف بحكم المناطق الشرقية عامة. أما حكم المناطق الغربية فكان يودع إلى أحد أمراء السلالة الحاكمة. أما التوجيه والأشراف والأوامر فكانت تصدر مباشرة من اليابكو. ولم تكن الإمبراطورية التركية تحوى على كثافة من السكان مثل الصين وآسيا القريبة إذ كان عدد السكان وهم من الرحل قليلا. وكانت المدن تؤسس على شكل خيام يمكن نقلها بسهولة. وكان السكان يعملون في تربية الحيوانات والاستفادة من مواردها. أما من الناحية الصناعية فكانت صناعة الأسلحة والجلود تحتل المكان البارز لكونها تتعلق بالأمن القومي. أما الكماليات فكانت تستورد من الصين ومن الأقاليم الأخرى. كما كانت تدخل إلى البلاد في أغلب الأحوال على شكل غنائم حربية أو بالمقايضة في زمن السلم. وكانت ظروف المعيشة قاسية لا ترحم. كما كانت النساء يعملن جنبا إلى جنب مع الرجال. وكان المجتمع التركي مجتمعا أرستقراطيا تحتفظ العوائل العريقة فيه بالمراكز العسكرية الحساسة كما كانت هذه المناصب تتوارث في كثير من الأحوال من الأب إلى الابن. وكانت هذه العوائل معفاة من دفع الضرائب. وكانت الرتب العسكرية موزعة بين أمير يرأس الفرقة ورئيس مسؤول عن ألف جندي فرئيس لمئة جندي ثم رئيس لخمسين جنديا وأخيرا رئيس لعشرة جنود وكان هؤلاء الضباط يقودون فرسانا بالعدد المبين في رتبهم العسكرية أما الجيش فكان مكونا من الفرسان وكثيرا ما كان الفارس يستصحب معه فرسا احتياطيا آخر. وكانت الفرق مؤلفة من عشرة آلاف شخص. والجيش مؤلفا من أربعة وعشرين فرقة. وكانت رئاسة الفرق تنتقل بالوراثة بين أفراد العوائل النبيلة. ويجدر بالإشارة أن مقدرة المناورة للجيش التركي كانت متفوقة جدا. كما كان الجيش التركي اكبر جيش محارب إذ لم يكن يحوى صفوفا غير محاربة. فقد كان كل رجل تركي يعد جنديا. كما كان كل من يستطيع حمل السلاح خاضعا للتدريب. أما التسليح فكان بالنبال والسيوف والمدايا. وكانت الأسلحة التي يصنعونها من الحديد مشهورة ومتفوقة على أسلحة من جاورهم من الأمم. كما كان رمي السهام لدى الأتراك شيئا لا يستطيع الآخرون منافسته. وكان الأتراك طبيعيين يعبدون قوى الطبيعة. وكانت أكبر الآلهة عندهم آلهة السماء. وقد عرفوا بكونهم قانعين متشبعين بالشعور القومي كما كانوا مؤمنين بأحقيتهم في التحكم بالعالم والسيطرة عليه. كان الأتراك يطيعون زعماءهم الذين يتوسمون فيهم المقدرة طاعة عمياء. ولئن كان هناك مجلس استشاري مكون من النبلاء فإن الكلمة الأخيرة في المجلس كانت لليابكو وأرادته لا تقبل المناقشة. وقد كان لهذا النظام في الإدارة مساوئ عدة إلى جانب محاسنها وذلك إن الزعماء كانوا يتسببون في تفرق الأمة وتشتتها إذا كانوا ضعيفي الشخصية والقدرة لحين ظهور زعيم قوي يلم شعثهم مرة أخرى. ولعل من المفيد أن نذكر بأن الدهاء القومي لديهم كان يتمثل في قدرتهم الخارقة على تنظيم صفوفهم والعمل بشكل منظم. وتظهر آثار هذا التنظيم مرارا في استطاعة نفر من الأتراك اختراق الصين وتأسيس دولة كبرى في أراضيها. لم يكن الأتراك يتوجسون من المسافات الجغرافية. إذ كانوا يتكيفون حسب الإقليم الذي تطأه أقدامهم وكأنهم عاشوا فيها مئات السنين فيثبتون دعائم دولتهم على أسس قوية وبسرعة فائقة. أما التسامح الديني لديهم فكان مشهودا ومعروفا في آسيا. إذ كانوا يحترمون ديانة الأقوام الخاضعة لحكمهم ولا يتدخلون في عاداتهم وطريقة معيشتهم ويمنحونهم حقوقا واسعة لإدارة شؤونهم الداخلية. إلا أنهم كانوا إلى جانب هذا يعمدون إلى فرض الضرائب وجبايتها بانتظام ويقمعون أي تمرد دون هوادة. ولم يكن الأتراك يجندون في جيشهم أبناء

الشعوب الأخرى كما كانوا خلافا لما اعتادت عليه الأقوام الأخرى جميعا آنذاك لا يستخدمون مرتزقة. وبذلك فقد كان الجيش التركي جيشا قوميا خالصا وقد استمد هذا الجيش عظمته وقوته من هذا الأساس.

ملحمة اوغوز قاغان - خان

خلد الأتراك ذكر مته الذي جعل من الدولة التركية إمبراطورية عظمى فظهرت إلى الوجود ملحمة اوغوز قاغان (خان) والتي شارك في ترديدها الشعب التركي بأجمعه. وتتحدث هذه الملحمة عن فتوحات مته في الصين والهند وفي مسالك أوربا والأقاليم المتجمدة في آسيا الشمالية. وقد جعل الأتراك من شخص مته أسطورة مقدسة ولقبوه باسم اوغوز قاغان فخلده بذلك. ولعـل ملحمة اوغوز قاغان تعـد من اشهر الملاحم التركية وأبرزها. وهي كملحمة اركنة قون تتحدث عن مقدرات الأتراك التاريخية ونفسيتهم. وفيما يلي ملخص لهذه الملحمة التاريخية:
ولد آي قاغان طفلا فاحم الشعر والحاجبين علي العينين احمر الشفتين. وكان هذا المولود أجمل من الملائكة . رضع من أمه مرة واحدة ثم انقطع عن الرضاعة. أخذ ينطق وطلب لحما نيئا وخمرا. وكبر بعد مضى أربعين يوما على ولادته واخذ يمشي ويلعب. ثم امتطى صهوة الحصان. وأنطلق في صيد الغزلان. وأصبح شابا يشار إليه بالبنان. كان هذا المغوار المسمى باوغوز قاغان يناجى الرب. وفجأة أظلمت الدنيا، ونزلت من السماء حزمة من النور أنصع من ضياء الشمس والقمر. ولمح اوغوز قاغان وسط النور فتاة حسناء على خدها خال يتوهج ضياء كنجمة القطب. كانت فتاة إذا ضحكت، ضحكت السماء الزرقاء معها وإذا بكت أجهشت السماء الزرقاء بالبكاء. أحب أوغوز قاغان هذه الغادة الحسناء وتزوجها فأنجبت منه ثلاثة أبناء سموا كون (الشمس)، آي (القمر) ويلدز (النجم). وذات مرة كان أوغوز قاغان خارجا للصيد عندما لمح بالقرب من البحيرة شجرة معمرة وكانت فتاة حسناء تقتعد فسحة في بدنها. كانت الفتاة جميلة يشبه شعرها النهر في مسيره وأسنانها الدر والصدف. أما عيناها فكانتا زرقاوين كالسماء. أحبها أوغوز قاغان وتزوجها فأنجبت للقاغان ثلاثة أبناء أطلق عليهم أسم كوك (السماء)، داغ (الجبل) ودنيز (البحر). وكان في هذه الآونة حاكم يسمى التون قاغان يحكم المناطق الشرقية وقد أرسل إلى قاغان رسولا محملا بالكثير من الذهب والفضة والدرر والجواري مبلغا إياه طاعته واحترامه. فقبل منه اوغوز قاغان الطاعة ثم هم بالمسير فقطع مسيرة أربعين يوما. حتى وصل إلى جبال الجليد. وفي هذه البقعة الباردة خيم اوغوز قاغان. وعند مطلع الفجر تسلل إلى خيمة اوغوز قاغان شعاع من النور وخرج من حزمة النور ذئب أغبر وخاطب اوغوز قاغان قائلا:

- ايه اوغوز سأسير أمامك من الآن.

أمر اوغوز قاغان بجمع الخيام وبدأ بالمسير. وكان الذئب يسير أمام طلائع الجيش. وبعد أيام وقف الذئب فأمر اوغوز قاغان جيشه بالوقوف على ساحل نهر ايتيل. وأشتبك اوغوز قاغان بجيش العدو في معركة دامية فصبغت مياه أيتيل بدماء الأعداء. وتم لاوغوز قاغان النصر. ثم سار الذئب وهو يقود اوغوز قاغان إلى إقليم السند. وهنا حارب اوغوز الكثير من الأعداء. وضم هذه الأراضي إلى دولته وطفق عائدا. وكان يرافق اوغوز قاغان وزير صائب الرأي، اغبر الشعر، ناصع اللحية يسمى اولوغ تورك. وقد رأى اولوغ تورك في منامه ذات ليلة قوسا ذهبيا وثلاثة سهام فضية. كان القوس يمتد من الشرق إلى الغرب والسهام من الجنوب

إلى الشمال فأفضى بحلمه إلى اوغوزقاغان وقال: أيها القاغان ملأت حياتك بالخيرات وأسبغ عليك الرب الأزرق نعمه فحقق لك ما رأيته في الحلم.

فأستمع اوغوزقاغان إلى نصائح اولوغ تورك وسرته كلمات وزيره ثم جمع أولاده وخاطبهم قائلا:

- أنني أبغي الصيد ولكن الوهن أدركني فخارت قواي. يا كون، و آي، ويلدز انطلقوا إلى الشرق وأنتم يا كوك، وداغ، ودنيز أذهبوا إلى الغرب. ونفذ الأبناء أوامر والدهم فذهب ثلاثة منهم إلى الشرق وأنطلق الآخرون إلى الغرب . فأصطاد كون و آي ويلدز الكثير من الغزلان والطيور ثم لمحوا في الطريق قوسا ذهبية فآخذوها إلى والدهم فسر اوغوز قاغان بذلك وقال: أيها الأخوة الكبار لتكن هذه القوس لكم.

أما كوك وداغ ودنيز فاصطادوا بدورهم الكثير من الغزلان والطيور ثم لقوا في الدرب ثلاثة سهام فضية فأخذوها إلى والدهم الذي سر بذلك وقال: أيها الأخوة الصغار لتكن هذه السهام لكم.

ثم جمع اوغوز قاغان مجلس الشورى الكبير ودعا الرعية إلى اجتماع كبير وتبودلت الآراء، فقسم اوغوز قاغان وطنه بين أبنائه وقال:

- يا أبنائي لقد عشت طويلا وخضت غمار معارك عديدة، رميت السهام بكثرة وأمتطيت صهوة الخيول، وأبكيت أعدائي وأضحكت أصدقائي. فوفيت للرب الأزرق ما علي وهذه مملكتي أودعتها بيدكم.

مـا بعـــــــــــد متـــــــــــــه

أعتلي لاو – شانغ العرش بعد والده مته في عام 174 ق.م وتزوج من أميرة صينية. وتشير إليه المصادر الصينية أحيانا باسم كي- يو. وقد أستمر حكمه ثلاثة عشر عاما وخلفه من بعده أبنه جون- جن في عام 161 ق.م وتزوج في عام 152 ق.م بدوره من أميرة. ويطلق الصينيون عليه أحيانا اسم كون والغالب أن أسمه التركي كونه جين أو ما أشبه . وأستمر حكم هذا اليابكو خمسة وثلاثين عاما وخلفه من بعده إيجي هيسه الذي أعتلي العرش لوفاة أخيه الأكبر يوشان (يوتان) في نفس السنة. وأستمر في الحكم الإمبراطور الخامس أثنى عشر عاما لغاية عام 114 ق.م وأعقبه في الحكم بعد وفاته وو- وي(اوواي) الذي حكم تسعة أعوام إلى عام 105 ق.م حيث خلفه أبنه وو- شيه- لو- أره (اوشيلو) فحكم مدة ثلاثة أعوام وتوفى وهو في الثامنة عشرة من عمره فأعتلي العرش عمه جولي هو (كويليهو) الابن الأوسط للإمبراطور ايجي هيسه ولكنه لم يبق على العرش إلا عاما واحدا (102 ــ 101 ق.م) إذ خلفه أخوه جوتي هو (تي تي هو) فحكم خمسة أعوام إلى عام 96 ق.م . ثم أعتلي هولو- كو (هولوكو) العرش وحكم أحد عشر عاما إلى عام 85 ق.م والإمبراطور العاشر للأتراك هو الابن الثاني للإمبراطور اوشيلو يابكو (إذ كان أبنه الأكبر متوفيا) وقد تزوجت عمته الأميرة من أمير أتراك أوسون عام 105 ق.م . ويترامى إلى علمنا أيضا أبناء هولوكو الثلاثة وبنتاه. وقد أرتقي أحد هؤلاء الأمراء وهو حاكم جز وكي الشرقية إلى نيابة الإمبراطورية. وكان له أبن يسمى سيان- هيان- تام (سراهنشان) وأخ كان يحكم إقليم دويوى(تو- كوى) وقد قتل عام 85 ق.م . أما الابن الثالث فكان أمير كولي(لولي) الغربية . أما البنتان فقد تزوجت إحداهما من اوشن نو أمير اوسون وهم من الأتراك. أما الثانية فتزوجت من صيني يدعى لينغ (لين) وهو جنرال صيني التحق بخدمة الأتراك فعين من قبل اليابكو أميرا على القوغيز وتوفى سنة 50 ق.م . وقد نشأت من هذا الزواج سلالة أمارة لين الذي حكم قبيلة القرغيز التركية إلى عام 1200. وتزوجت أبنة هولوكو يابكو عام 89 ق.م من جنرال صيني

يدعي لي- كاونغ لي إلا أن هذا الأخير قتل بعد سنة واحدة. وهكذا فقد بدأت العلاقات تنمو بين الأتراك والصينيين إلا أن هذه العلاقات لم تكن تحمل الخير في طياتها للأتراك. ارتقى هواندي العرش عام 85 ق.م بعد وفاة أبيه الإمبراطور هولوكو وحكم سبعة عشر عاما إلى 68 ق.م وتشير إليه المصادر الصينية باسم هو- ين- تي أو هون- ين- تي وزوجته جزون- كوى- يانجس (إحدى أميرات تو- كوى- تسي الشرقية) ولم يستطع ولي عهده أن يرتقى العرش بعده. وكانت إحدى بناته قد تزوجت من أمير الاويغور الأتراك الكبير أو- كوى والذي كان قد أعتلي العرش في تلك السنة، وتزوجت الأخرى من ملك الاوسون الأتراك اونغ- كوين- لي (فين- نانغ) والذي حكم خمسة وأربعين عاما من 105- 60 ق.م . ويستطيع المدقق أن يرى من هذا كله نمو الروابط بين أركان الاتحاد التركي الكبير.

وقد تسلم زمام الأمور عام 68 ق.م هو- لو- جوان- جو(هويلوى- تسوان- كوي) فحكم ثمانية أعوام إلى عام 60 ق.م. وهو أبن الإمبراطور التاسع تسويد يهوي. وقد تزوجت شقيقته من ولي عهد الأويغور. أما الإمبراطور الثالث عشر فهو و- جو- تي (اوين- كويدي) وأستمر حكمه عامين من 60- 58 ق.م . حيث مات قتيلا وقد كان أبن الإمبراطور السادس اوواى وكان أحد أشقائه أمير يوكن. أما شقيقه الآخر اي يوى جو (اين يوجو) فقد أدعى بأحقيته في العرش ملقبا نفسه بعنوان ايي- لي- مو يابكو عام 49 ق.م إلا انه قتل . ويعتقد أن الأمير توين هو شقيق هذا اليابكو. وقد ادعى هذا أيضا حقه في العرش عامي 57- 56 ق.م إلا انه قتل هو الآخر. وأسرت زوجته الأميرة كويستي عام 72 ق.م على يد الصينيين . ونعلم عن توين أيضا ابنيه دوتو سو وكومه اولوتو. وقد تسبب الكثير من الأمراء في إثارة النزاع حول العرش في هذه الفترة مما أدى إلى نشوب حروب داخلية. وهؤلاء الأمراء هم أمير هوكي هوجي (في 57 ق.م) أمير يويدي الغربية جلي (في 57- 56 ق.م) أو- تسيه (في 57- 56 ق.م) ويونه جين (ما بين 56- 54 ق.م) وقد قتلوا جميعا.

وبعد هذا ارتقى العرش الابن الأوسط للإمبراطور الثاني عشر هوي لوي- تسوان- كوي وهو هدهان – يه (هوهان- سي- هوهانيه- هوهانشه) وقد بدأ بالمطالبة بالعرش عام 58 ق.م. قبض على زمام الأمور في نفس السنة ودام 27 عاما إلى سنة 31 ق.م. وتشير المصادر الصينية أيام إمارته كي هوي شان. وقد زار إمبراطور الصين ثلاث مرات في عام 51- 49- 33 ق.م ونزل في ضيافته. وكانت له أربع زوجات معروفات هن ابنة أمير اوسون التركي اوشن نو والأميرة تو- يو- شي وأبنه أمير هوين (هوان) جوئن كيو وأختها تايوشي. والأخ الأصغر لهذا اليابكو هو حاكم إقليم لولي الغربي (كالي) أما أخوه الأكبر جيجي(جيه- حيه- كو- تو أو هو- تو- كو- سوي أو هوتوسو) فقد ظل يدعي بالعرش التركي طوال عشرين عاما (56- 36 ق.م) وتزوج من ابنة ملك كانجلى التركي التي قتلت عام 38 ب.م . أما ابنه الأمير كيوي- ليشو فكان الأمير الغربي الأكبر. وقد ارتقى العرش من بعده ابنه الأكبر جو- تي.

لم تتوسع الإمبراطورية التركية بعد مته بل فقدت قسما من أراضيها خلال قرن واحد بعد وفاته. واستمرت الحروب بين الإمبراطوريتين التركية والصينية بالرغم من مظاهر الصداقة غير الحقيقية والمعاهدات العديدة المعقودة بينهما. وكانت نتيجة الحرب لصالح الأتراك في القرن الأول إلا أن هذا الصراع المستمر خلف تصدعا في صفوف الترك. فقد تكبد الصينيون خسائر تقدر بمليون من الثيران وآلاف الأسرى في الحروب التي دارت رحاها عام 127 ق.م. واشتبك جيش صيني قوامه 240.000 رجل عام 94 ق.م بالجيش التركي في حرب ضروس دامت عشرة أيام تمخضت عن هزيمة الصينيين وانسحابهم إلى أراضيهم. وانقسمت الحروب بعد ذلك بطابع حرب العصابات ورجحت كفة هؤلاء تارة وأولئك تارة أخرى. إلا أن الإمبراطورية

التركية أصابها الوهن والضعف نتيجة تطاحن الأمراء فيما بينهم. واستطاع الصينيون الاستفادة من التصدع الحاصل في صفوف الأتراك. وقد برز في هذه الفترة أي في القرن الأول قبل الميلاد جيجي يابكو الذي بسط سيطرته على الإمبراطورية طوال عشرين عاما كأقوى إمبراطور بعد تيومان ومته. إلا أن الدولة لم تبلغ سطوتها التي بلغتها إبان حكم مته.

وأخذت المركزية التي اتبعتها القبائل المختلفة وخضعت لها في أرجاء الإمبراطورية التركية الشاسعة بالضعف وبدأت بعضها بإظهار علائم الفرقة. ولم يقتصر التمرد ضد الحاكم على الأقوام الخاضعة المحكومة بل تعداه إلى الأتراك والمغول الذين كانوا من الجنس الحاكم. وقد أغتنم الصينيون فرصة تمرد بعض القواد والنزاع الناشب بين الأمراء على العرش إلا أن الوضع الجغرافي كان حائلا دون استطاعة الصينيين بسط نفوذهم على الأراضي التركية واقتصرت نتائج هذه المناوشات على استعادة الصينيين لقسم من أراضيهم التي استولى الأتراك عليها.

استمر حكم اليابكو الخامس عشر فو- جو- لي- جو- تي (فوجو- لي جودى) وأشقاؤه الخمسة أبناء اليابكو الرابع عشر الستة، ستة وسبعين عاما من عام 30 ق.م إلى عام 46 ب.م .م. ظل جو- تي الذي كان يسمى تاو- تاو- مو- كاو أثناء إمارته يحكم عشرة أعوام حتى عام 20 ق.م . وقد قام بزيارة الصين عام 25 ق.م حيث استقبل بحفاوة بالغة . ومن زوجاته ديو- مو- كاو والصينية جاو- كيون (جياو- كون) والتي تزوجها عام 33 ق.م . وقد أنجبت له زوجته الأولى ابنه هايتون ، أما الثانية فقد أنجبت له الأميرتين سويبو- كويسو- يون و دانيوي- كويسه- يون والأمير تو- يا- سو(ولد الأخير عام 32 ق.م).

أما بعد، فقد حكم أخوه سو- هسيه- جو- تي (سوي- هياى- جو- تي- سيو- سي- جودي) واسمه أثناء إمارته تسي- لي- سيو- تزوميسوي ثمانية أعوام من 20- 12 ق.م. ولم يخلفه ولي عهده الشرعي ابنه كهيلو سكيو بل ارتقى أخوه جو- يا- جو- تي (جه- يا- تي- كويه- جودى) العرش فحكم أربع سنوات إلى عام 8 ق.م . م.

وثم أخوه وو- جو- ليو- جو- تي (او- جو- ليو- جو- تي- اوججولوجودى) واسمه أثناء إمارته نانغ- جي- يا- سو- ناجيزياس فحكم واحدا وعشرين عاما من 8 ق.م. والى 13 ب.م . وقام قبل عام واحد قبل الميلاد بزيارة للصين وتزوج من شقيقة رئيس مجلس الأعيان الصيني وان- كين فأعقبه من بعده أخوه دو- لي- جو- تي (اولوى- جوتي) واسمه أثناء إمارته هي- أن- كيهن فحكم خمسة أعوام من 13- 18 ب.م فأعلن نفسه عام 10 ب.م إمبراطورا باسم هاو- كهيويابكو ومن أبنائه الأمير تو (جيو) والأمير تيم (دي) توفى عام 12 والأمير كيو أما الأخ السادس هو- تو- اره- شبه- تاو- كاو- جو- تي (يو- هو- تو- اوله- شي- كاو- جو- تي) فقد حكم مدة ثمان وعشرين عاما من 18- 46 ب.م وله أخوة ثلاثة آخرون هم الأمير سن والأمير لو والأمير يوي ويحتمل أن يكون الأمير جياسو أحد أشقائه. ولهذا اليابكو والأمراء ستة أخوة آخرون وسبعة أبناء لم نتوصل إلى معرفة أسمائهم (عدا واحدا اسمه تانغ) أما الإمبراطور الحادي والعشرين فهو الابن الأكبر للإمبراطور وو- تا- تي هو وكان وليا للعهد منذ ثمانية وعشرين عاما إلا أنه ارتقى العرش لمدة اشهر معدودة عام 46 ، إذ خلفه أخوه بو- نو الذي حكم مدة سبعة وثلاثين عاما من 46- 83 . وإذا كان أخوه الأصغر يوي- كين قد أعلن التمرد عام 50 مطالبا بالعرش فقد اسر من قبل يابكو الجنوب وعدل عن مطالبته هذه.

وبعد حكم بونو الطويل تتابع أبناؤه الثلاثة سان- فو- لاو- تزو الذي حكم عاما واحدا (83- 84 = 1)ويو- ليو (يوى- ليو) (84- 89 = 5) ثم جو- جيان (يو- جو- كين) يابكو (89- 93 = 4) وقد

قتل الأخيران ثم تتابعت النكبات وضعفت الدولة حتى إن والدة يو- ليو يابكو قد وقعت أسيرة في أيدي الصينيين عام 91. وفي عام 93 أنتقل حكم الدولة التركية الكبرى إلى الفرع الجنوبي أو الشرقي لمملكة الهون.

انقسام الإمبراطورية التركية

انقسمت الإمبراطورية التركية الكبرى عام 48 إلى إمبراطوريتين هما الإمبراطورية الشمالية أو الغربية والإمبراطورية الجنوبية أو الشرقية. وكان على عرش الإمبراطوريتين أمراء ينتسبون إلى سلالة واحدة. وقد وقعت الإمبراطورية الجنوبية تحت النفوذ الصيني. وأخذت بمساعدة السيانبيين والصينيين بمحاربة الإمبراطورية الشمالية. ولما كان الإمبراطور الشمالي أو الغربي أكبر موقعا من الإمبراطور الجنوبي أو الشرقي فقد كان الشمالي هو المرجع الأعلى للأتراك، واليابكو الكبير للإمبراطورية. وقد نتج عن تأثير السيانبيين على الهون الجنوبيين تصدع الوحدة التركية وظهور علائم الفرقة على الإمبراطورية وكان السيانبييون كسائر أقوام الترك والمغول يرومون زحزحة الأتراك الهون إلى الجنوب ليخلو لهم الجو في آسيا الوسطى. والإمبراطور السادس والعشرون للأتراك هو اليابكو التاسع للهون الجنوبيين (الشرقيين) إذ انقرضت الإمبراطورية الشمالية عام 93 وخضع قسم من أراضيها لحكم يابكو الجنوب. واليابكو الأول لإمبراطورية الجنوب (الشرق) هي- لو- شبه- جو- تي (هو- هان- يه- هو- هان- سيه الثاني) (48- 56= 8) هو الابن الثاني للإمبراطور الأكبر الثامن عشر . وقد توفي شقيقه الأكبر الأمير اولياس عام 7 ق.م . وقد خلفه في الحكم شقيقاه جيو- فو- يو- تي (كيو- فيو- يو- تي) (56- 57 = 1) (وأسمه أثناء إمارته مو) و أي- فا- يو- لو- تي (أي- فا- يو- ليو- تي) (57-59 = 2) (واسمه أثناء إمارته هان) أما اليابكو الرابع فقد كان ابن اليابكو الأول الكبير هسين- تونغ- شيه- جو- تي (هي- تونغ- شي- شوى- هيو- تي) (59-63 = 4) (واسمه أثناء الأمارة تيه- شيه) وجاء من بعده ابن اليابكو الثاني جيو- جو- حو- لين-تي (كيو- جو- جه- لين- تي) (حكم اشه معدودة في عام 63) (واسمه في الأمارة سو) أما اليابكو السادس فهو شقيق الرابع هو يه- شيه- جو- هو- تي (هو- سي- شي- سوى- هيو-تي) (63- 85 = 22)(واسمه أثناء إمارته جانغ).

أما اليابكو السابع والثامن لإمبراطورية الجنوب فهما أبنا اليابكو الثالث إ- تو- يو- لو (اي- تو- يو- ليو- تي) (86- 88 = 3) واسمه في الأمارة هسوان- سيون) والأخر هسو- لان- شيه- جو- هو- تي (هيو- لان- شي- سو- هيو- تي) (88- 93 = 5) (واسمه في الأمارة تون- تو- هو) وارتقى من بعده العرش ابن يابكو الجنوب الثامن وهو الإمبراطور السادس والعشرين للدولة الكبرى في نفس الوقت. وهكذا فقد أنتقل الحكم من الفرع الشمالي إلى الجنوبي في نفس السلالة.

وقد طالب أبن اليابكو الثامن الأمير فونغ- ليو بالعرش عام 94 إلا أنه لم يستطع أن ينال ما أراده وتوفى عام 120. أما أخوه الأكبر ان- كاو (كان- كوي- فنغ- كو) الإمبراطور السادس والعشرون للدولة الكبرى فقد حكم مدة سنة واحدة من عام 93- 94 ثم قتل. وأعقبه الخاقان السابع والعشرون الذي هو اليابكو العاشر لإمبراطورية الجنوب وهو أبن اليابكو الرابع يتنغ- تو- شيه- جو- هو- تي (يتنغ- تو- شي- سوى- هيو- تي) (94- 98 = 4) (واسمه في إمارته سو- تسو) ثم تلاه ابن يابكو الجنوب السادس وان- شيه- جو- تي (وان- شي- شي- سوي- تي) (98- 124 = 26) (واسمه في إمارته تان) فأعقب هذا

شقيقاه وو- جي- هو- شيه- جو (124- 127 = 3) (واسمه في إمارته با) جو- جيه- جو- شيه- جو- جيو (تي- جو- شي- سوي- تيسو) (127- 140 = 13) واسمه في إمارته هسيو- لي- هيو- لي) وقد قتل الأخير وكانت والدته قد وقعت أسيرة بيد الاويغور عام 134. وكان الشقيق الرابع للأباطرة الثلاثة الآخرين أميرا لإقليم الشرق وقد قتل سنة 140.

أما جو- هيو (جه- هيو) (140- 143 = 3) والذي أعتلي العرش بعد ذلك فلم نتوصل إلى معرفة نسبه وكذلك بالنسبة للشقيقين اليابكو الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين . هو- لان- جو- شيه- جو- جيو (هو- لان- جو- شي- سوي- تسيو) (143- 147 = 4) (واسمه في الأمارة تاو- ليو- جو- تيو- ليو- جو) و اي- لينغ- شيه- جو- جيو (اي- لينغ- شي- سوى- تسيو) (147- 172 = 25) (اسمه في إمارته جو- أره- كيو- جه – اوله) وقد خلفة ابنه تو- تي- جو- شيه- جو- جيو (تو- جو- شي- سوي- تسيو) (172- 177 = 5)(اسمه في الأمارة ماو = ميو) فأعقب هذا أبناه هورجنغ (هو- جينغ) (177- 179 = 2) (قتل) وشقيقه جيانغ- جو(كيانغ – كيو) (179- 188 = 9) (قتل هو الآخر) وأعقبهما أبنا الأخير تي- جيه- شيه- جو- هو (تي- جي- شي- سوى- هيو) (188- 195 = 7) (واسمه في إمارته يو-فو- لو) وأخوه هو- جو- جوان (هو- جو- تسيوين) (195- 216 = 21) وقد قتل هذا الإمبراطور الذي يأتي تسلسله الثامن والثلاثين بالنسبة لأباطرة الدولة الكبرى والحادي والعشرين بالنسبة لأباطرة الجنوب عام 220 بعد أربعة أعوام من الإطاحة به . وبتخليه عن العرش ينتقل الحكم إلى السيانبيين ويهجر الهون الأتراك إلى أوربا ومن المعتقد ان سيو- بو والذي طالب بالعرش عامي 188 و 189 هو أخ الإمبراطور الأخير.

نظرة عامة إلى التاريخ التركي في عصر الهون

يعتبر عصر الهون فجر التاريخ التركي. وتعتبر المصادر الصينية الهون أجدادا لقوم الكوك تورك الذين حكموا في القرن السادس الميلادي. ولبروز الدهاء العسكري وأسس تنظيم الدولة متمثلا بشخص الإمبراطور الكبير مته فقد تميز عصر الهون بأهمية خاصة في التاريخ التركي. وكان حفيد مته وخليفته الثاني كون يابكو والذي حكم مدة خمسة وثلاثين عاما هو الآخر عسكريا فذا ومنظما ناجحا. وقد كان لوصول مته في عام 177 ق.م إلى بحر الخزر ووصوله لمداخل أوربا اثر في جعله شخصية يهتم بها الشرق الأدنى أيضا. وقد حكم في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد هوهانية يابكو وشقيقه الأكبر جيجي وهما يمثلان ردحا أخرا من عظمة الإمبراطورية. وقد تخطت الإمبراطورية التركية من حيث كبر مساحتها إيران وإمبراطورية روما والاسكندر. وللإمبراطور مته شأن في التاريخ مثل كيروس والاسكندر وقيصر. إذ أن الأبطال المذكورين لم يتوصلوا إلى تحقيق حركات واسعة على سطح العالم مثل مته . في حين لم يقف قبالة مته إلا البحر المتجمد شمالا وقمم همالايا جنوبا والمحيط الكبير شرقا والخزر والاورال غربا.

وقد خدم الهون الأقوام التركية بتوحيدهم لهذه الأقوام وإظهار حضارة وثقافة واحدة إلى حيز الوجود وإبراز الأتراك كأمة واحدة. وتدل الحفريات ودراسات الآثار استنادا إلى اكتشاف مواد إيرانية وصينية كثيرة في آسيا الوسطى على تضخم تجارة الأتراك ونمو علاقتهم مع الأمم الأخرى. كما لعب الأتراك الهون دورا هاما في تاريخ العالم بتشكيلهم حلقة وصل بين ثقافة الشرق الأدنى والشرق الأقصى. كما تطورت تجارة الترانسيت نظرا لمرور قوافل الحرير من آسيا الوسطى .

وكانت هناك طبقة الأسرى في المجتمع التركي في تلك الفترة شأنه في ذلك شأن جميع المجتمعات الأخرى. وهم أسرى الحرب والغزوات. وكان لمجتمع الهون مجتمعا عسكريا أرستقراطيا يعتقد بكونه وكيلا للإله الأزرق على الأرض. وكما كانت الفروسية والبطولة نموذجا يقتدي به فقد كانت التشكيلات العسكرية والإدارية في غاية الروعة من حيث حسن التنظيم. وكان الأتراك يسمون الفارس البطل (آلب) وقد وصف المؤرخ الكبير اوتو فرانك الحياة الاجتماعية للهون بعبارة وجيزة إذ قال (لا يمكن مقارنة الهون إلا بالأتراك العثمانيين).

وقد زاد عدد الأتراك في عهد الهون وأضحت الالطاي وجبال تانرى ثم سيبريا وبحيرة بايقال مناطق تركية صرفة. ونتيجة اختلاطهم بالمغول في هذه الفترة فقد ظهرت فيهم علامات العيون الغائرة لأول مرة وتؤيد ذلك الدراسات الأنثروبولوجية للهياكل التي تعود لهذا العصر. وقد حدث هذا الامتزاج في حوض بحيرة بايقال ووادي ينيساى. كما تدل الدراسات الأنثروبولوجية على تميز أتراك الالطاي بالطابع التركي القديم وعدم ظهور العلامات المنغولية وكان التونكوز يشكلون أكثرية في شرق الإمبراطورية وقد قام مته الذي وصل إلى سواحل اورخون بدفعهم بعيدا إلى الشرق كما أسرهم واستعبدهم.

وسيطرت الصناعة التركية في هذا العهد على المناطق المحصورة بين شمال البحر الأسود والمحيط الشرقي الكبير. ويشاهد الأسلوب الموحد لدى جميع الأقوام التركية وهو اثر خلفته الوحدة التركية في إمبراطورية واحدة. والأسلحة النحاسية المستعملة للقنص والصيد هي أدوات تركية برمتها في هذا العهد. كما تنحصر صور مصارعة الخيل بالأتراك وحدهم ويمكن مشاهدة صور مصارعة الجمال والنمور أيضا في هذه الفترة بكثرة. ويبرز اثر الصناعة الصينية في القرن الأول قبل الميلاد في القسم الشرقي من الإمبراطورية التركية.

وقد اكتشفت آثار تدل على صناعة فريدة في مقابر الهون الكائنة قرب نهر سلنكة وجبال نويون- أولا. وتعود خمسة من هذه المقابر إلى أمراء إمبراطورية الهون. كما وجدت في الالطاي سيوف ومقابر للأمراء وهياكل عظيمة تعود لأتراك هذا العهد. ومعدل طول الهياكل العظيمة هو 180 سنتمتر ويدل هذا على طول قامة الأتراك في تلك الفترة. والى جانب كثرة الطابع التركي نصادف آثارا تدل على الطابع المغولي مما يدل على امتزاج القومين. وكان المغول يشكلون الموقع الثاني بعد الأتراك في إمبراطورية الهون وكانت قبائل عديدة من بينهم تعتبر عريقة ولها امتيازات معترف بها.

وقد نشر الهون السلام والرفاه من كوريا حتى سهل المجر. وقد كتب مته في رسالة له إلى إمبراطور الصين بأن الأقوام التي خضعت لحكمه كانت تستفيد من قدرات إمبراطورية كبرى (دي كروت- الهونين- 74) وقد تغير الحال بعد انقراض الإمبراطورية. ونشاهد أن الدراسات الأنثروبولوجية تفيد حدوث امتزاج بين الأتراك والصينيين في القسم الشرقي من الإمبراطورية ومصادفة عناصر هجينه. ومقابل هذا انتشر الأتراك في مساحات شاسعة وفي كل الاتجاهات. وسكن الأتراك تركستان الحالية وفرغانة. ودمغوا الأقوام الإيرانية إلى الجنوب والغرب. وكانت عاصمة الهون نوين- أولا على مسافة 100 كم غرب اوركا.

2- السيانبيون (التابغاج) 216- 394
سلالة سيانبي- تويا

استلم السيانبيون مقاليد الأمور في الدولة التركية الكبرى عوضا عن الهون في عام 216 وقد حكمت هذه السلالة 178 عاما حتى عام 394 وتتالى على الحكم 16 إمبراطورا (يابكو) وقد حكم اثنان من سلالة سيانبي الأصلية في التسعة عشر عاما الأولى بين 216- 235 بينما كان الأربعة عشر الذين تلوا هؤلاء من سلالة سيانبي- تويا.

وقد كانت قبيلة السيانبيين وسلالتها الحاكمة ضمن الكتل الكبيرة التي ضمتها الإمبراطورية التركية الكبرى في عهد الهون. ومن أمرائهم المعروفين بين- هو الذي توفى عام 60 ب.م. كما توفى كيو- لون والذي يعتقد بأنه حفيد الأول عام 120. أما تان- شي- هواى (تانشيكهاى) حفيد الأخير فقد ولد عام 135 وتوفى في عام 180 عن 45 عاما. وابن هذا كياو- مان فقد كان يتنازع في عرش السيانبيين تابعا للهون. وقد أصبح أخوه تان- شي- هواى وأبناؤهم ملوكا للسيانبيين بعد هو- لين. كما توصل أحد أبناء هؤلاء وهو كيوي- تيو إلى تسلم العرش في حين أطاح بو- تو كين في النهاية بحكم الهون واعتلى عرش الإمبراطورة الكبرى. وقد قتل بو- تو- كين عام 233 بعد مضى سبعة عشر عاما على حكمه فأعقبه ابنه هو- بو- نم الذي قتل هو الآخر بعد عامين في سنة 235.

وبذلك فقد استلمت سلالة سيابني- تويا (بالتركية تابغاج) مقاليد الحكم للدولة الكبرى وهذه السلالة هي من أقرباء سلالة السيانبيين الأوائل. إلا أننا لا نعلم حاليا مدى درجة هذه القرابة. وقد كانت هذه السلالة التي حكمت الدولة الكبرى مائة وتسعة وخمسين عاما تعيش في سيبريا. وأميرهم الأول هو ماو الذي توفى عن أربعين عاما. وفيما يلي قائمة بملوك هذه السلالة:- (ماو- تاي- كون- ليو- يوه- توي إن- لي- هيو- جو- كي- تاي- هوي- لين خان) واليابكو الأول لسلالة سيانبي – تويا (كي- فوين) (235- 261 = 26) هو ابن لين- خان.

أباطرة سيابني- تويا 235- 394

بعد وفاة كي- فوين اعتلى لي- في العرش (261- 277 = 16) وكان عند جلوسه على العرش في الثامن والثمانين من عمره وقد توفى عن أربعة ومائة عام (وقد عمر والده ولاشك بدوره مثل هذا العمر) ولما كان ابنه الأكبر شا- مو- هان قد قتل عام 276 فقد تسلم ابنه لي- هو العرش وتلاه ابنه جو فأعقب هذا ابنه (فو) وقد توفي فو حوالي عام 297 وبذلك فقد حكم الثلاثة ما يقارب العشرين عاما.

وقد خلف (فو) ولداه: اوتا (بي- تو) (297؟- 310؟ = 13؟) ويلو (او- ليو) (310؟ - 316= 6؟) وقد قتل الأخير الذي كان قد أشترك في الحكم الحكم منذ ولاية أخيه الكبير. وقد اتخذ هذا مدينة تينغ- سيانغ في إقليم شنسي الصيني عاصمة له. وقد اشترك معه في الحكم أخوه لوكوان الذي اتخذ مدينة شانغ- فو عاصمة له. وأعقب يلو ابنه يو- ليو (316- 325 = 9) وخلفه أخوه هونو (325- 330 = 5) ثم اعتلى العرش أخوه كي- نا (330- 335 = 5) فأعقب هذا أخوه إى- هواي (335- 337 = 2) ثم كي- ئه- نا (337- 338 =1) مرة أخرى ثم إي- هواي (338-376 = 38) مرة أخرى ثم أخوهما كاو-تو-شي-إى- كين (376- 380؟ = 4؟) وقد قتل الأخير . وقد حكم أبناء يلو الخمسة مدة أربعة وستين عاما.

وأعقب الأخير ابنه فوكين (280؟- 386 = 6؟) واشترك معه في الحكم الأمير ليو-كوي. ثم اعتلى العرش ابن فوكين كو أي وقد حكم ستة أعوام لغاية عام 394 حيث ابعد وهو في الثالث والعشرين من عمره من العرش. وتسلم الإمبراطورية التركية السلالة التركية الثالثة وهي سلالة آبار (اوار).

الإمبراطورية التركية على عهد سلالة التابغاج

لم تستطع الإمبراطورية التركية على عهد السيابنيين أن تتوصل إلى ما وصلته على عهد الهون كما لم تستطع بسط نفوذها على الأقاليم الغربية. ونتيجة لذلك فقد اشترك المغول في إدارة الإمبراطورية على نطاق أوسع مما كان عليه في عهد الهون. ومع ذلك فلا مبرر للأخذ بالرأي القائل بان السيانبيين كانوا يتكلمون المغولية. فقد اثبت العالم الفرنسي والأخصائي بلغات شعوب الشرق الأقصى وتاريخها بول بليون، إن السيانبيين كانوا يتكلمون التركية. أما زكي وليدي توغان فيرى إن الهون ينتسبون إلى فخذ الاوغوز من الأتراك (وتظهر هذا ملحمة اوغوزخان = مته) إما السيانبيين فينتسبون إلى فخذ شو والذي كان يسمى بالترك أصلا. وقد ترك الاوغوز في عصر الهون الإمبراطورية إلى ذرة سو- تورك واستمر الوضع على هذا المنوال حتى عهد دوقوز اوغوز- اون اويغور أو بصورة أوضح حتى عهد السلاجقة. إلا أن الرأي القائل بأن سلالة الهون هي من فخذ الاوغوز وسلالة السيانبيين ومن بعدها الاوار وسلالة كوك تورك تنتسب إلى أتراك شو وترتبط ببعضها بنوع من القرابة هو نظرية لا ترقي إلى درجة القوة والتأكيد.

الهون في عهد التابغاج

وكما كانت أمارة سيابني – توبا من ضمن الدولة الكبرى في عهد حكم الهون، فقد بقى الهون أيضا على شكل أمارة تابعة للدولة التي تديرها سلالة سيانبي- توبا. وبالرغم من أن كتلا كبيرة من الهون قد هاجرت إلى الفولجا وسهل المجر والهند واستمرت فروع السلالة الحاكمة للهون في حكمها في هذه الأقاليم طوال قرون عديدة إلا أن آسيا الوسطى لم تفرغ نهائيا من قبائل الهون. ومن الحكام الهون المهمين للهون على عهد السيانبيين في آسيا الوسطى.ليو- يوان (304- 310 = 6) وابنه ليو- تسونغ (310- 318 = 8) والحاكم الأول على اغلب الوجوه هو حفيد إمبراطور الهون الأخير هو- جو- جوان . وقد جربت قبيلة الهون حظها على طول الحدود الصينية. وتجدر الإشارة في هذه الفترة إلى شخصية فذة في التاريخ التركي وهو ليو- تسونغ والذي وصفه كروست بأنه (اتيلا الصين) فقد فتح في عام 311 عاصمة إمبراطورية الصين لويانغ واسر الإمبراطور الصيني تيسين- هوي- تي واحرق القصر الإمبراطوري وأصبح لفترة حاكما لشمال الصين. ثم اسر الإمبراطور الصيني الثاني تسين- مين- تي وفتح عاصمته جانغ- نغان. إلا أن حكم الهون في الصين لم يستمر طويلا فبوفاة اليابكو فجأة وامتداد نفوذ قبيلة وسلالة توبا (تابغاج) الحاكمة إلى الصين زال هذا الحكم. وقد نتجت عن فتوحات الملك ليو- تسونغ نقل عاصمة الصين من عام 317 إلى عام 589 إلى نانكين في الصين الجنوبية. ويقارن كروسيت هذه الحادثة بنقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما وميلانو إلى اسطنبول في هذه الفترة.

3- الاوار (الابار) 394- 552

سلالة اوار – ابار

حلت سلالة اوار (ابار) محل سلالة سيانبي- توبا (تابغاج) في إدارة الدولة التركية الكبرى عام 394. وقد حكمت مائة وستة وخمسين عاما حتى عام 552 فحكم ثلاثة عشر عاما قاغان (إمبراطور) وإذا كان الهون والسيانبيون والتوبا (التابغاج) يسمون ملوكهم يابكو فقد سمى الاوار الإمبراطور قاغانا. وقد عرفت هذه الكلمة فيما بعد على شكل خاقان. وكان الاوار(بالتركية آبار) يعيشون ضمن الاتحاد التركي في عهد الهون والتابغاج. وقد سماهم اللاتينيون اوار كما سماهم الصينيون جوان- جوان والأمير الأول لقبيلة الآبار والذي حكم في عام 280 هو مو- كو- ليو. أما ابنه فهو شي- لو- هوى وابن الأخير هو (تي- سو- يون) وقد أعقب هذا ابناه (بي-هيو-بو و يون- تي-كي) أما ابن الأخير (ويحتمل أن يكون اسمه بتلفظه التركي يون تكين)، طولون قاغان (349-410 = 16) فهو الذي أطاح بحكم سلالة التابغاج واعتلى عرش الدولة التركية الكبرى . وبذلك أصبح إمبراطورا للأتراك والمغول. وبموت طولون قاغان مقتولا فقد خلفه شقيقه كناي- تيو- كاى (هو- ليو) قاغان (410- 414 = 4) وليس ابنه تو- جي البالغ العاشرة من عمره . وقد قتل هذا أيضا فخلفه ابنه بو- لو- جين قاغان الذي حكم اشهرا معدودة عام 414 وقتل هو الآخر ليخلفه طالان (مه- او- خان- كه- جيم- كاي) قاغان والذي يعتقد بأنه شقيق سلفه وقد حكم 17 عاما من عام 414 إلى عام 431.

أما ابن طالان قاغان سو- لين (او- تي) قاغان فقد ظل من عام 431 إلى عام 444 يحكم ثلاثة عشر عاما وتزوج عام 434 من أميرة تنتسب إلى سلالة وي في الإمبراطورية الصينية كما زوج شقيقته في نفس العام من إمبراطور الصين تاي- وو- تي (423- 452) وقد حل محل سو- لين ابنه جولوق قاغان (تو- هو- جين) (444-464 = 20) فأعقب هذا ابنه فو- مينغ- تون قاغان (طولون الثاني) (485- 492 = 7) وقد قتل طولون الثاني فخلفه نوكاي قاغان (هيو- كي- فو- تاى- كو- جه) (492- 506 = 14) والذي يعتقد بأنه شقيق طولون الثاني. فأعقب هذا طوق خان قاغان (فو- تو) (506- 511 = 5) والذي تزوج من زوجة عمه طولون الثاني الثانية الإمبراطورة (هاتون) هيو- ليو- لينغ وقد قتلت الهاتون (قاتون) عام 520عن 50 عاما . وجولوق قاغان معاصر لإمبراطور الهون في أوربا اتيلا.

كما انقرضت الإمبراطورية الرومانية الغربية في وقت كان يحكم فيه على راس سلالة الآبار خليفة جولوق قاغان وهو جيو- لو- جين قاغان. وتجدر الإشارة إلى أن العصور الأولى انتهت بهذه الحادثة . وبذلك تكون سلالة الآبار قد حكمت في نهاية العصور الأولى وبداية العصور الوسطى.

خلف طوق خان قاغان وابنه جونو قاغان (تيو- لو- فو- بو- تيو- فا) (511- 520 = 9) وقد قتل هذا الإمبراطور الذي كان قد تزوج بعد الإمبراطورة هيولولين في عام 511 بديوهون ديوان وقد قتلت هذه أيضا عام 520. لما قتل ابن جونو قاغان وولي عهده تسزوهوي في نفس السنة. وتعرض اكبر أخوته الستة الأمير تسو- هوي إلى نفس العاقبة. فأعتلي العرش من أخوته او- نا- هوي (520- 521 = 1) والذي قام بزيارة رسمية إلى إمبراطورية الصين، وقد تزوجت ابنته بإمبراطور الهون الهنديين (آق هون) ميهيرا كولان (502- 530) في عام 520 وبذلك حدث تقارب بين الإمبراطوريتين التركيتين في الهند واسيا الوسطى .

وقد استلم الحكم بعد هذا مي- كنيو- كو- شي- كيو (بو- لي- ميون) قاغان (521- 522) والذي يعتقد بأنه شقيق او- نا- هوي قاغان. وقد أطيح به وقتل في سنة 525 واعتلى العرش مرة أخرى او- نا- هوي(522- 552 = 30) والذي هو آخر أباطرة الدولة التركية الكبرى من سلالة الآبار. وقد تزوج هذا سنة 533 من أميرة من سلالة وي في الإمبراطورية الصينية وبأميرة أخرى من نفس السلالة سنة 538. وانتقل العرش بعد ذلك إلى سلالة كوك- تورك حيث هجر قسم كبير من الآبار إلى أوربا واستمروا يحكمون فيها سنين عديدة. أما ملوك الزمرة الباقية من الآبار والذين استمروا على العيش تحت ظل الدولة الكبرى في عهد سلالة كوك تورك فهم تي- فا (552- 553 = 1) تم- جيو- هيو- لي (533- 554 =1) كو- تي (554) وقد نازع تي- فا سلالة كوك تورك على عرش الإمبراطورية إلا انه قتل. وقتل من أخوته تم- جيو- هيو- لي أيضا فخلفه شقيقه اوان - لو- شين (554- 555) ثم استلم راية النزاع مع سلالة كوك تورك لأشهر معدودة نو- هوان والذي يعتقد بأنه شقيق كان- لو- شين ولكنه قتل أيضا. ومن المعتقد أن الأربعة الآخرين هم أبناء إمبراطور الآبار الأخير او- نا- هوي.

الإمبراطورية التركية في عهد الآبار – الاوار

اشترك المغول مع الأتراك في إدارة الإمبراطورية في عهد الابار (الاوار) ونستطيع أن نقول إن نفوذ المغول قد زاد في هذه الفترة إلى حد كبير. وقد ابعد المغول تماما من الحكم على عهد سلالة كوك تورك وقد كان الابار منذ أقدم العصور قبيلة هامة ضمن الاتحاد التركي. ويعتقد بأنهم نفس القوم الذين ذكروا على لسان اليونانيين على شكل اباريس وابارتياى. ولم يستطع الابار مثل التابغاج أن يصلوا إلى الحدود التي وصلها مته في فتوحاته. وقد بدأ الأتراك في هذه الفترة بالسكن في تركستان الشرقية متجاوزين جبال تانرى. إلا أن القبائل التركية الساكنة جنوب جبال تانرى لم تخضع للابار بل اعترفت بسلطة الهون القاطنين في الهند. وطولون، جولوق، او- نا- هوى والذي يعتقد بان اسمه التركي هو اونا بوي هم من حكام الابار الكبار. وقد عملوا على بسط نفوذهم على البقعة المحصورة بين بحيرة بالقاش والمحيط الشرقي الكبير محققين انتصارات عسكرية ضخمة. وقد أغاروا مثل الهون والتابغاج على الأراضي الصينية وفتحوا قسما كبيرا من أراضيها. وقد عمد الصينيون إلى تقوية سور الصين في عام 423 لمجابهة غاراتهم. وكان مركز الدولة على عهد الابار كعهده في حكم من سبقهم ومن خلفهم بالقرب من نهر اورهون قرب غابات اوتوكن.

4- كوك تورك (كوك- تورك) 552- 745

سلالة كوك تورك

حكمت سلالة الكوك تورك اكبر السلالات الحاكمة في الدولة التركية الكبرى وأعظمها مدة مائة وثلاثة وتسعين عاما من عام 552- 745 وبذلك فتكون مدة حكمهم أطول من حكم التابغاج والابار. وقد اتخذ هؤلاء الذين أضفوا على التاريخ التركي أهمية خاصة مدينة اوتوكن التي تبعد 60 كم عن مدينة قارا قوروم (عاصمة جنكيز) عاصمة لهم. وقد أطلقوا مثل الابار لفظة قاغان على أباطرتهم ولفظة تيكين (بتسميتها في يومنا هذا: تكين) على أمرائهم. وقبل كل شيء لنتعرف على قاغانات الكوك تورك والأعضاء البارزين في سلالتهم الحاكمة.

ومؤسسا السلالة اللذان أطاحا بحكم الابار واستلما مقاليد الأمور في الدولة التركية هما شقيقان عملا يدا واحدة ومن اجل تحقيق غاية واحدة ويدعى أحدهما بومين والآخر ايسته مي قاغان ويشبه هذا الحدث إلى حد بعيد ما عمله السلاجقة في هذا السبيل (كما عمل بيلكه قاغان وكول تيكين بعد ذلك على نفس المنوال) وهما ابن ماك قبيلة كوك تورك اولوغ يابغو (وكانت كلمة يابغو في هذه الفترة تطلق على الملك أو الإمبراطور) وقد انقسمت الدولة في بدء نشوئها إلى قسمين شرقي وغربي. واحتراما للتقاليد المتبعة في التاريخ التركي فقد كان قاغان الغرب يتبع قاغان الشرق ألا أن العكس كان يحدث أحيانا.

عندما أطاح الكوك تورك بحكم الابار في عام 552 أصبح بومين قاغان قاغانا للشرق أو القاغان الكبير وايسته مي قاغان قاغانا للغرب تابعا لأخيه. وبعد وفاة القاغان الأكبر بومين بعد عام واحد من توليته حل محله شقيقه استه مي قاغان لنفوذه وشخصيته المعترف بها بدلا من ابن الأول(553- 576 = 23) وقد أنهى ايسته مي قاغان عام 505 نزاع آخر أمراء الابار على العرش وبعد وفاة ايسته مي قاغان تعاقب أبناؤه على عرش الغرب بينما توالى أبناء بومين قاغان على العرش الكبير في الشرق.

تزوج بومين عند اعتلائه العرش عام 552 بالأميرة جانغ- لو من سلالة وي الإمبراطورية في الصين إلا أن أبناؤه الثلاثة ليسوا من هذه الزوجة. فأبنه الأكبر قار قاغان أصبح قاغانا للشرق سنة واحدة (553- 554) وبعد وفاته خلفه شقيقه باغان قاغان فحكم ثمانية عشر عاما (554- 572) أما الابن الأصغر طابار قاغان فقد حكم تسعة أعوام من عام 572 على عرش الشرق ثم اعتلى عرش الدولة الكبرى بعد وفاة عمه ايسته مي قاغان فحكم خمسة أعوام.

وأصبح ابن باغان قاغان، ابا قاغان ، قاغان الغرب الثالث فحكم سبعة عشر عاما (576- 593) وتعاقب أبناؤه على عرش الغرب . وخلف طابار قاغان على عرش الدول الكبرى ابن عمه قارقاغان، باغا اشباره قاغان فحكم ستة أعوام (581- 587) أما أخوه جور باغا قاغان فقد حكم عاما واحدا على عرش الإمبراطورية (587- 588).

أما القاغان الأكبر السادس تونكا توران قاغان والذي حكم أثني عشر عاما (588- 600) فهو الابن الأكبر لباغا اشباره وأعقبه استثناء بيلكه تاردو قاغان (ابن ايسته مي) من قاغانات الغرب فحكم ثلاثة أعوام (600- 603) وخلف هذا الابن الأصغر) لباغا اشباره وهو كيمين توره قاغان الذي حكم ستة أعوام (603- 609) وبعد وفاة الأخير عدل ملوك الغرب عن الاعتراف بسلطة ملوك الشرق وأعلنوا استقلالهم. إلا أن ملوك الشرق احتفظوا بصفة الإمبراطور بين الأتراك وتجاه الأمم الأخرى.

وقد خلف كيمين توره قاغان أبناؤه الثلاثة شيبي قاغان (609- 619 = 10) جولوق قاغان (619- 621 = 2) وقاره قاغان (621- 630 = 9) وشيبي قاغان وقد اقترن عهده بظهور الإسلام أما جولوق قاغان فقد تزوج بالأميرة اي- جينغ وقتل. والثائر المشهور كورشاد (قتل عام 639 بصورة بطولية) هو الابن الأصغر لجولوق قاغان ولم نتوصل إلى معرفة اسم ابنه الأكبر وأسماء أحفاده. أما الأخوة اجينا جول تيكين فقد التحق بخدمة الصينيين وارتقى إلى منزلة القائد العام للقوات الصينية. وله أخ آخر لا نعلم عنه سوى انه والد ايلتريش قوتلوغ وقابا غان قاغان. أما سيربا قاغان الذي خلف قارة قاغان (630- 646 = 16) فهو من سلالة قاغانات الغرب. وقد اعترف هذا الحاكم الأخير بسلطة الصين وقد حدثت ثورة كورشاد على عهده. وقد خلف سيربا قاغان، جيبي قاغان (646- 647 = 1) وهو ابن شي باي قاغان وحفيد شيبي قاغان ولسقوط دولة الشرق بعد جيبي قاغان فقد أصبح حكام الغرب، ملوكا للدولة الكبرى خمسة وثلاثين عاما حتى مجيء ايلتريش قوتلوغ قاغان إلى الحكم عام 682.

وبهذه الصورة فقد أسدل الستار على الفترة الأولي لتاريخ كوك تورك(552- 647 = 95) وبدأت الفترة الثانية التي استمرت خمسة وثلاثين عاما، أما الفترة الثالثة والمسماة (عهد قوتلوغ) فقد استمرت ثلاثة وستين عاما (682- 745) ودور القوة للفترة الأولى دام سبعة وخمسين عاما (552- 609) إذ وقع حكام الشرق بعد عام 609 تحت النفوذ الصيني ثم أطيح بهم من قبل الصينيين نهائيا عام 647. أصبح بيلكة تاردو قاغان ابن ايسته مي قاغان حاكما للدولة التركية الكبرى في عام 600 وقد كان حاكما للغرب (576- 603 = 27) وقد تزوجت إحدى بنات ايسته مي قاغان بحاكم إيران المشهور الشاهنشاه خسرو انوشيروان، وتزوجت الأخرى بملك بي - جيو في جانغ- نكان عام 565.

واشترك بيلكه تاردو قاغان وابا قاغان (576- 593 = 17) في حكم دولة الغرب. وابا قاغان هو ابن قاغان هو ابن باغان قاغان الابن الأوسط لبومين قاغان. وبذلك فقد أسهم أبناء بومين أيضا إضافة إلى أبناء ايسته مي في حكم دولة الغرب.

وبعد اباقاغان فقد اشترك ابنه الأكبر اينال قاغان (593- 600 = 7) في حكم الغرب مع بيلكه تارود. أما ابنه جور تومان قاغان (600- 611 = 11) فقد ظل حتى عام 603 نائبا لبيلكه تاردو ثم حكم شخصيا في دولة الغرب. وخلفه في الحكم عمه شيكوي قاغان (611- 619 = 8) فأعقبه ابنه تونغ يابكو قاغان (619- 630 = 11) ثم اعتلى العرش قاغان الثامن الابن الأصغر لبيكله تاردو باغاتور سيبي قاغان (630- 631 = 1) فقد كان أخوه الأكبر يانغ صو تيكين متوفيا. وقد انتهى حكم أبناء ايسته مي بذلك واستلم أبناء بومين الحكم في كلا الفرعين .

والقاغان التاسع للغرب هو سر – يابكو قاغان (630- 633 = 3) وهو الابن الأكبر لتونغ - يابكو قاغان. وابنه الأصغر هو ملك قوندوز (أفغانستان الحالية) تاردو شاد. وقد أصبح ابن حفيده شي- لي- مانغ- كيا- لو(ولم نتوصل إلى معرفة اللفظ التركي لاسمه) حاكما أو ملكا لتوهارستان حتى عام 750. وقد اعتنق هذا المعروف باللغة السنسكريتية سري مانكالا، الديانة البوذية. وقد حكم أحد أحفاد تاردو شاد الآخرين وهو كيو- بي- جو في طاشقند وقبل عام 750 بحكم الصينيين. وحكم توغشادا والذي يعتقد بأنه حفيد تاردو شاد أيضا تسعة وعشرين عاما من (710 حتى 739) في بخاري واعترف بسلطة الصينيين هو الآخر عام 719. ومن إخوته المعروفين ارسلان. ويتبين من هذا إن أحفاد تاردو شاد قد حكموا تركستان الغربية فترة طويلة.

والقاغان العاشر لدولة كوك تورك الغربية باشاغا طولو قاغان (633- 634 =1) هو ابن اولوغ شاد الأكبر(واولوغ شاد هو الابن الأصغر لآبا قاغان) وقد خلف هذا شقيقه اشباره تريش تونكا قاغان (634- 639 = 5) ثم ابنه باغاتورايبي قاغان (639- 640 = 1) فأحد أبناء اولوغ شاد، ايبي طولو قاغان (640- 653- = 13) وقد كان الأخير يطالب بالعرش منذ عام 638. وعلى اثر سقوط الدولة الشرقية في عام 647 أصبح قاغانا للدولة الكبرى واحتفظ بهذا المنصب ستة أعوام. وقد اشترك معه في الحكم من أبناء اولوغ شاد، ابن كورشاد ايبي اشباره يابكو قاغان (640- 642 = 2) وابن باغا تور ايبي قاغان ايبي شاد كوي قاغان (645- 649 = 4) وابن بورو شاد اولوغ اشباره قاغان (651- 658 = 7) وخلف ايبي طولو قاغان ابنه جنجو يابكو قاغان (653- 659 = 6) وهو القاغان الخامس عشر للدولة الكبرى والسابع عشر لدولة الغرب.

وأعقب هذا اجينه تورجه قاغان (659- 679 = 20) والذي يعتقد بأنه ابن الحاكم الأخير. ولنذكر هنا بأن الحاكم ما قبل الأخير لدولة الشرق سيربا قاغان قد يكون هو الآخر من أبناء اولغ شاد. ولا نعلم نسب حكام الغرب بعد هذا بالنسبة لآبائهم أو أخوتهم وهم:

اجينه كور بور جور قاغان (679- 682 = 3)، اجينه تو يجا قاغان (682؟ - 700؟ = 18؟) اوجه له قاغان (700- 706 = 6) وابنه سوكه قاغان (706- 711 = 5) والحاكم الأول من هؤلاء هو حاكم للدولة الكبرى في نفس الوقت إلى أن ظهر ايلتريش قوتلوغ قاغان في 682 فأسس الدولة الشرقية الثانية مرة أخرى ويرقى إلى منزلة الإمبراطور الأكبر للدولة التركية الكبرى.

ويسمى حكام الغرب ما بين الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين بقاغانات تورگيش وهم: صولو قاغان (711- 735 = 26) توكسن قاغان (737- 739 = 2) اجينه كين قاغان (739- 740 = 1) باغا تاركان قاغان (740) ايل – ايتمش قوتلوغ بيلكه قاغان (740- 742 = 2) وتنكرى ايال- ايتمش قاغان (742) وقد سقطت دولة الغرب في عام 742 وأعقبتها دولة الغرب في عام 745 فأنتقل الحكم إلى سلالة دوقوز اوغوز اون اويغور.

وقد أسس ايلتريش قوتلوغ قاغان (682- 693 = 11) الدولة الشرقية مجددا فبدأت بذلك الفترة الثالثة من تاريخ سلالة كوك تورك والتي يسميها هواة خلق الدول من المؤرخين بدولة قوتلوغ. وقد أسهمت زوجته أل بيلكة خاتون في حكم الإمبراطورية وارتقاء الدولة إلى مصاف العظمة بحيث تضاهي الإمبراطورية التركية على عهد مته وبومين. وقد خلف ايلتريش شقيقه قاباغان قاغان (693- 716 = 23) وقد قتل قاباغان المولود عام 665 في 22 تموز 716 عن واحد وخمسين عاما مخلفا ثلاثة أبناء: بوكو قاغان، ايني خان، يولوغ تيكين، وقد طالب بوكو في عام 716 بالعرش لأشهر معدودة وقتل في نفس السنة. ولقي أخوه ايني خان نفس المصير. أما يولوغ تيكن فأشتهر بكونه أديبا لامعا وقد عاون أبناء عمه بيلكه قاغان وكول تيكن. وبعد وفاة قابا غان تأزمت الأمور إلا أن الابن الأكبر للقاغان ايلتريش قوتلوغ استلم مقاليد الأمور وهو بيلكه قاغان (716- 734 = 18) وحكم الإمبراطورية بمعاونة أخيه القائد العام كول تيكن في جو من الألفة والتعاون يثير الإعجاب. وبذلك فقد عاشت سلالتهم والإمبراطورية التركية على عهدهم دورها اللامع الأخير. وقد توفى كول تيكن في 27 شباط 731 وهو في السابع والأربعين من عمره في غمرة الحرب قبل ثلاثة أعوام من وفاة أخيه. وكان شقيقه الذي يكبره بعام واحد بيلكه قاغان متزوجا من ابنة بيلكه تونيوكوك، وتونيوكوك الذي ولد عام 648 كان قائدا عاما للقوات التركية لمدة خمسة وعشرين عاما من 682 وهى عام 702 على عهد ايلتريش قوتلوغ وشقيقه قاباغان ثم أصبح رئيسا لوزراء بيلكه مدة ثمانية عشر عاما من 716 إلى عام 734. وقد توفي بعد عام 734 عن تسعين عاما. وله فضل كبير كقائد عام للقوات وكوزير اكبر في رفع شأن الدولة. وتميز كل من ايلتريش قوتلوغ قاغان وقاباغان قاغان وبيلكه وكول تيكين وتولوغ تيكن وبيلكه تونيوكوك في الإدارة بالفطنة والدهاء أضفوا على التاريخ التركي والحضارة التركية الكثير واشتهروا بهذه الميزة. وقد قتل بيلكه قاغان وهو في الحادي والخمسين من عمره فخلفه ابنه الأكبر وصهر قاغان التوركيش، ايجن بيلكه قاغان (734- 739 = 5) ثم شقيقه بيلكه قوتلوغ قاغان (739- 741 = 2) وبعد مصرعه حكم الشقيق الأصغر لبيلكه وكول تيكن، بنكه قاغان عاما واحدا (741- 742) وخلفه الابن الثالث لبيلكه قاغان سوين قاغان (اشهرا معدودة عام 742) ثم ابن بنكه قاغان اوزمش قاغان (742- 744 = 2) وبعد مصرعه خلفه شقيقه به يمي قاغان (744- 745 = 1) وبعد القاغان الأخير الذي يأتي تسلسله السادس والعشرين من حكام هذه السلالة انتقل العرش إلى دوقوز اوغوز- اون اويغور. وليلكه قاغان وكول تيكن شقيقة لم نتوصل إلى معرفة اسمها كانت متزوجة من قائد تركي اسمه بارس بك.

الإمبراطورية التركية على عهد الكوك تورك

كان بومين قاغان وشقيقه ايسته مي وابنه (قاغان الشرق) باغان قاغان فاتحين عظاما وقد وسعوا الحدود التركية إلى ابعد مدى وصلته منذ عهد مته أي منذ سبعة قرون . وأصبحت بحيرات ارال وبالقاش وبايقال بحارا داخلية تركية، كما كانت السواحل الشمالية والشرقية لبحر الخزر بيد الأتراك في هذه الفترة. وقد اجتاز الأتراك في هذا العهد جبال اورال ونهر اورال إلى الفولجا غربا. واخترق خط الحدود الشرقي شمال كوريا إلى المحيط الكبير. وكانت سواحل مضيق سهالين تركية. أما في الجنوب فقد كانت تركستان الشرقية وتركستان الغربية عدا جنوبها الغربي ضمن أراضي الإمبراطورية. وقد وصل الكوك تورك إلى كشمير والتبت مزيحين هون الهند إلى الجنوب. كما استولوا على قان صو. وأصبح سور الصين حدا فاصلا بين الإمبراطوريتين الكبيرتين (الصينية والتركية) كما توصلوا إلى خط عرض 60 درجة شمالا.
وقد أرسلت الإمبراطورية الرومانية (البيزنطية) الشرقية إزاء هذه القوة والعظمة رسلا إلى قاغان الكوك تورك (في عهد جستنيان الكبير) فتأسست أواصر الصداقة والعلاقات التجارية. وكانت خصوم الإمبراطورية التركية في هذا العهد، الإمبراطورية الصينية في الجنوب الشرقي والإمبراطورية الإيرانية (الساسانية) في الجنوب الغربي. وكان الساسانيون أيضا في هذا العهد(عهد خسرو انو شيروان) في أوج قدرتهم وبذلك فقد كان الجنوب والغرب منيعا تجاه الأراضي التركية. وكان الجيش التركي لا يقهر. وقدم سفير الصين إلى الكوك تورك شانغ - سون- جينغ تقريرا إلى إمبراطور الصين بين فيه إن الأتراك لا يهزمون في ساحات الحرب واحتمال تعرض الصين إلى مخاطر كبيرة في حالة عدم اللجوء إلى خدع سياسية. وقد لجأت الصين إلى الخداع السياسي الذي كان طابعا مميزا لتصرفات حكامها فاستطاعت بذلك أضعاف بنية الإمبراطورية التركية في زمن يسير.

ثـ ـ ـورة كورشـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـاد

ثورة كورشاد هي من مفاخر التاريخ التركي التي تثير الإعجاب. والأمير كورشاد هو ابن الإمبراطور العاشر جولوق قاغان الأصغر. وقد توفي جولوق قاغان بعد عامين من حكمه على يد زوجته الأميرة الصينية ايجينغ خاتون في عام621. فخلفه شقيقه عم الأمير كورشاد قاره قاغان وتزوج أرملة أخيه تبعا للتقاليد التركية. وقد انصاع القاغان الضعيف إلى دسائس زوجته الصينية وأحدثت سنين القحط والبرد تخريبا مروعا في الديار التركية. فاستطاع الجيش الصيني مستفيدا من كل ما تقدم أن يغلب الجيش التركي على أمره في عام 630 واسر قاره قاغان مع مائة ألف تركي على يد الصينيين وتوفي القاغان بعد أربعة أعوام من الأسر نتيجة الحزن والكمد.
وقد أعلن الصينيون سيربا قاغان إمبراطورا تركيا خلفا لقارة قاغان . إلا أن الأتراك الذين اعتادوا العيش مستقلين منذ ألف عام لم يقبلوا بحكم هذا الحاكم الذي كان ألعوبة بيد الصينيين وعملوا سرا لإنقاذ الأسرى الأتراك والإطاحة بحكم الصينيين. وقد تشكلت هيئة للثورة من 40 شخصا. وانتخب هؤلاء النبلاء الأمير كورشاد رئيسا لهم إلا أن كورشاد كان قد قرر أن يودع الإمبراطورية إلى شخص آخر عند نجاح الثورة وان يبقى بعيدا عن السياسة لئلا يرتاب أحد في كون الثورة قد قامت لأسباب قومية بحتة. وان لا يفكر أحد بان

كورشاد قد قام بالثورة ليكون إمبراطورا. وبذلك فقد رفض الأمير التركي ترشيح زملائه له ليكون إمبراطور الأتراك. وبذلك فقد تقرر أن يسلم العرش إلى ابن أخ كورشاد بعد نجاح الثورة.
وقد كان على عرش الإمبراطورية الصينية في هذه الآونة ثاني أباطرة تانغ من سلالة الإمبراطورية الثامنة عشرة لي- شيه- مين والذي كان في الأربعين من عمره حاكما منذ ثلاثة عشر عاما. وقد كانت الصين بملايينها الخمسين من اكبر دول العالم وقتذاك وكان مئات الألوف من الأتراك الذين يعيشون في طوق حكم الصينيين في شمال الصين يواجهون خطر الإمحاء من الوجود.
وقد كانت خطة الثورة تستند على ما يلي: اسر الإمبراطور لي- شيه مين وذلك باختطافه وأخذه إلى البلاد التركية ثم مبادلته بالأسرى الأتراك في القصر الصيني والأراضي التركية. وحال إعلان الثورة كان الأتراك سيهبون مجهزين على الصينيين ومعلنين الاستقلال. وكان من المعروف إن الإمبراطور الصيني كان يتجول ليلا متخفيا في العاصمة جانغان وقد بيت الأتراك العزم على اسر الإمبراطور آنذاك بسهولة. إلا أن عاصفة مفاجئة هبت ليلة التنفيذ حالت دون خروج الإمبراطور من قصره. وخشي كورشاد من مغبة تأخير التنفيذ خوفا من افتضاح أمر الخطة وقتل الأتراك الأسرى. وبجرأة خارقة قرر كورشاد الهجوم على القصر الإمبراطوري واختطاف الإمبراطور بقوة السلاح. وكان في هذا يعتمد على الفارق الكبير بين مقدرة استعمال زملائه للسلاح وبين الصينيين.
وبالفعل فقد هجم الأبطال الأربعون في تلك الليلة على قصر الإمبراطور الصيني. واغتيل مئات الصينيين بسهام الأتراك. إلا أن العدد الفائق للحراس الصينيين كان حائلا دون وقوع الإمبراطور الصيني بيد الثوار. وقد أمر كورشاد حال تيقنه من هذا بالانسحاب من القصر فهجم الثوار الأتراك على إسطبلات القصر واستولوا وغنموا جياد الإمبراطور واستطاعوا أن يخرجوا من العاصمة الصينية. إلا أن جيشا صينيا بكامله اقتفى اثر الثوار الأربعين. وقد وقف الأتراك على ساحل نهر وي وقتلوا من الصينيين مئات آخرين ثم قتلوا ببطولة نادرة. وبقى كورشاد وتسعة وثلاثون زميلا له على تربة ساحل وي الصفراء مخلفين للتاريخ التركي مفخرة تعد من قبيل المعجزات.
ولم يستكن الأتراك بعد إحباط الثورة فاهتزت الأراضي التركية طلبا للاستقلال . وإذا أنعمنا النظر لا نجد بطولة فائقة مثل هذه الثورة في تاريخ أية أمة فقد أرعب هؤلاء الثوار الإمبراطورية الصينية إلى حد كبير وكان عملهم حافزا قويا لاستقلال الأتراك، تطور على مر الزمن ليصبح سيلا يكتسح الأراضي الصينية.

عهـــــــــد قوتلوغ

التقى في الفترة الثالثة والأخيرة لحكم الكوك تورك والمسماة بعهد قوتلوغ ابرز الشخصيات المعروفة في التاريخ التركي. إلا أن انسحاب هؤلاء من مسرح إدارة الدولة أدى إلى تدهور في وضع السلالة وتركها الحكم بالتالي. وقد بلغت الدولة في عهد ايلتريش قوتلوغ قاغان إلى حد الرقي الذي بلغته في عهد بومين وايسته مي قاغان. ولم يخل هذا العهد من أوقات عصيبة ومنها أن جيشا صينيا قوامه 300.000 رجل زحف على اوتوكن عاصمة الإمبراطورية التركية إلا أن كول تيكن استطاع أن يصد هذا الجيش وان يغلبه على أمره وان يجبر الصينيين على دفع ضريبة سنوية مكونة من 300.000 قطعة حرير.
ويجب أن لا يغرب عن البال أن الصين كانت تعيش بدورها في فترة رقي وقوة آنذاك فلم تكن الفتوحات والانتصارات التركية تحقق بشكل حملات بسيطة وإنما كانت تحصل بوساطة وعي وتكاتف شعبي اقتضى

الكثير من الجهد والتضحية للحفاظ على عظمة الإمبراطورية. واقترب العرب في دور قوتلوغ من آسيا الوسطى مهددين سلطة الصين من جهة والأتراك من جهة أخرى على هذه المناطق. وقد حلت الإمبراطورية العربية المسلمة (الدولة الأموية) القوية محل الإمبراطورية الإيرانية.

وبذلك فقد كانت نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن فترة وعي وتقدم بالنسبة للأتراك والصينيين والعرب في آن واحد. وقد اقتسم الأقوام الثلاثة الكبيرة قارة آسيا بينهم. وإذا كان الأتراك والصينيون قد أسسوا دولا كبيرة منذ قرون عديدة فقد كان العرب يشكلون لأول مرة دولة كبرى واحدة. والى جانب هذا فقد انسحبت الإمبراطورية الإيرانية من مسرح التاريخ لانقراضها أمام الضربات العربية نتيجة انحدارها إلى أدنى درجات الضعف بسبب الضربات التركية المتكررة على مر العصور. وقد دخل الأتراك في عام 687 إلى إقليم شانسي في الصين إلا إنهم اضطروا إلى الرجوع. ولكنهم قاموا بتلافي ذلك الرجوع بتغلبهم على الصينيين قرب هينغ- هيا في عام 694. وظهروا عام 698 شمال بكين. وقد هزم الجيش الصيني مرة أخرى أمام الجيوش التركية التي قادها قابا غان قاغان شخصيا في عام 706 فقويت بذلك شوكة الأتراك. وفي عام 707 قام الجيش التركي بقيادة كول تيكين بتقوية الحدود الجنوبية الغربية تجاه الجيوش العربية المستولية.

والتقى الجيشان التركي والعربي في عام 711 في جنوب تركستان الغربية. وفي عام 713 زحف الجيش التركي على بيش باليق وعززت مكانة الإمبراطورية ونفوذها على القبائل التركية والإيرانية. وهزم الاوغوز العصاة في عام 715 قرب قارا كول. وفي 22 تموز 716 قتل قابا غان قاغان على ساحل تولا قرب كرولين أثناء قمعه لعصيان البايركو اثر كمين مدبر.

وقد عد الأتراك هذه الحادثة قومية يشترك في مسئوليتها الأمة كلها. والاشتراك في تحمل المسؤولية هذا بادرة فريدة ومما يبعث في الوقت نفسه على الدهشة بالنسبة لذاك العهد (كيرود- 52).

وبعد وفاة قاباغان قاغان اشتبك أبناء أخيه بيلكه قاغان وكول تيكين مع ابني القاغان المقتول في نزاع على العرش (إذ انحاز الثالث إلى صف بيلكه - كول تيكين) وبعد انتصارهما في هذا النزاع أعلنت الحرب على دسائس الصينيين وعلى القبائل التي أرادت الانفصال من الاتحاد التركي. وقد استمرت هذه الاشتباكات حتى مقتل كول تيكن في 27 شباط 731 وبيلكه قاغان في 25 تشرين الثاني 734.

وتشترك المصادر التركية في تزويدنا بالمعلومات المتعلقة بهذا العهد مع المصادر الصينية على خلاف العهود السابقة التي كنا نستقي أخبارها من المصادر الصينية فقط. وقد اضطر الأتراك لبذل الجهود للدفاع عن تركستان الغربية ضد العرب والحفاظ على البقاع الواقعة بين الحدود الصينية وبحر الخزر.

وقد أدت محاولة الاوغوز مد نفوذهم إلى السلطة وصدامهم مع الكوك تورك من اجل ذلك إلى أضعاف بنية الدولة. كما كان المغول الذين كانوا يشتركون في إدارة الحكم على عهد الهون والتابغاج والابار متذمرين لعزلهم على سفوح جبال كنكان ومعاملتهم كقوم محكوم من قبل الكوك تورك. ونرى أن مغولستان الحالية قد تم تتريكها تماما في تلك الفترة ودفع بالمغول إلى البلاد التي كان يسكنها التونكوز سابقا في الشرق. وقد عاد المغول إلى مغولستان وسكنوها اثر تجمع الأتراك في تركستان على عهد القاراخانيين وقد استعمل قاباغان نفس السلاح الذي كان الصينيون يستعملونه فتدخل في شؤون الصين وحتى في أمور السلالة الحاكمة. وقد رفض طلب الإمبراطورة الصينية تزويج ابن أخيها من أميرة تركية بدعوى أن السلالة الصينية لا تليق بأصالة السلالة التركية.

وقد تمت المحافظة على الشعور القومي في هذا الجو المتأزم وأضيفت هالة من القدسية على العاصمة اوتوكن بالإضافة إلى قدسية القاغان. وفي كتابات اورخون عبارة تقول:- إن البؤس لا يطرق أبواب اوتوكن مادام القاغان التركي فيها.

وقد تجلت عظمة الدولة في مراسيم جنازة كول تيكين والتي كان الأتراك يسمونها (يوغ) فقد اشترك في تشييع الجنازة وفود من الصين والتبت وإيران ومن كل الشعوب المنظمة إلى الاتحاد التركي حاملة معها هدايا فاخرة لتوضع في قبر الأمير. وقد اظهر الإمبراطور الصيني شهامة تذكر بإنشائه نصبا تذكاريا نقشت عليه عبارات تبجل الأمير الراحل وبطولاته محييا بذلك ذكرى الأمير الذي كان من ألد أعدائه. ولعله فعل ذلك لسروره الفائق لتخلصه من اخطر أعدائه (وهذا النصب هو في يدنا حاليا) ولا محل للارتياب في صدق مظاهر كل هذا التبجيل. ولعظمة الإمبراطورية دخل في إظهار كل هذا الاحترام. إلا إننا نرى بتدقيقنا للمصادر التركية والأجنبية إن الأتراك كانوا يضفون على السلالة الحاكمة صفة الألوهية وقد استمر الحال على هذا المنوال حتى اعتناق الأتراك للدين الإسلامي . فمظاهر الاحترام والتقدير التي أظهرت في جنازة كول تيكين تفيد بان روح الفروسية والنبل كانت مسيطرة على آسيا آنذاك بحيث يحتم على الكل احترام عدوه الصادق البطل.

ومن الأسباب المؤثرة على رفع شان الدولة التركية واستمرارها في عهد قوتلوغ هو وجود بيلكه تونيوكوك. وقد قاد هذا البطل الذي ولد في الصين ووقف على دقائق الطباع الصينية الجيوش التركية كقائد عام ثم أصبح وزيرا اكبر أثناء حكم بيلكه قاغان.

الإمبراطورية التركية في عصر الكوك تورك

اعتنى في هذه الفترة بالجيش التركي ليحتفظ بصفته المتميزة كأقوى جيش في آسيا. وقد كان ثلثا الجيش في هذه الآونة خيالا والباقي مشاة. إلا أن الحروب التي كانت تجري في الأقاليم البعيدة كانت تتطلب اشتراك الفرسان فقط. وقد كانت خيالة الأتراك كمشاة المقدونيين والبيزنطيين لا تقهر ولا يحول دونها حائل.

وقد كانت السرعة أول عوامل نجاح الجيش التركي. إذ أن المباغتة والسرعة كانت تولد انتصارات فائقة. وكانت طلائع العاصفة للجيش العثماني تتبع نفس الأسلوب على ما يذكر. وكان هذا الأسلوب وحده هو المؤثر في انتزاع النصر في مواجهة الجيوش الصينية الكثيفة. إذ كانت الجيوش التركية تنقض على الأعداء في وقت لا يتوقعه اثر مسيرة إجبارية ليلا ونهارا وتبديل الخيل المتعبة بالاحتياطية. وكانت الجيوش التركية تقبل الحرب في مواجهة جيوش قوامها مئات الألوف فتنسحب إلى أراضي نائية تركية موقعة الأعداء في حيرة من أمرها ثم تستعمل حرب العصابات منزلة بهم ضربات قاصمة وتعتمد في النهاية وعلى بعد مئات الكيلو مترات من قواعد الأعداء إلى إنزال الضربة القاضية عليهم في وقت تكون فيه متفككة تعبة. وإذا كان الأعداء يخشون البعد عن قواعدهم فلم يكن الأتراك ليعيرون أية أهمية لذلك. وقد سحقت جيوش صينية متضخمة بعبيدها وصفوفها المساعدة أمام الجيش التركي بخيالاته السريعة وخفيفة الحركة وقد كان الجيش التركي بين أعوام 705- 710 أي في إدراج عظمة الإمبراطورية مكونا من 230.000 شخص.

ويجب أن لا يغرب عن البال أن الصين كانت متميزة بكثافة سكانها ويظهر من إحصاءات سنة 140 إن نفوس الصين كان 49.200.000 منه ثلاثون مليونا في إمبراطورية وي، و 11.700.000 في إمبراطورية

وو، و7.500.000 في إمبراطورية سهو- هان وكان من بين سكان إمبراطورية وي مليون نسمة من الأتراك. وقد تزايد هذا العدد بعد خمسة قرون أي في عهد الكوك تورك.

الوضع المعنوي للإمبراطورية

ازدادت العلاقات الثقافية بين الأتراك وجيرانهم في فترة وصل فيها الأدب التركي إلى درجة راقية. ولنأخذ مثلا كلمة اينجي (أي الجوهرة) فقد اقتبس الأتراك هذه الكلمة التي كان الصينيون يلفظونها جين جو على شكل ين جو ثم حوروها إلى اينجي وكانت الجواهر تأتي إلى الأتراك من الصينيين.
وقد كان الحكام الأتراك ورجال الدولة واقعيين نتيجة الظروف الجغرافية والتربية فيهم. ويظهر جليا من كتابات اورخون واقعية بيلكه قاغان ومعرفته للأمور بصورة دقيقة.
وقد توصل الأتراك إلى استعمال لغة الشعر في النثر كأبرز ما توصلوا إليه من درك الثقافة والأدب. وقد كانت الطبقة العليا تحسن القراءة والكتابة وتستعمل الألفباء القومية.

اوتوكـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن

كانت اوتوكن عاصمة الإمبراطورية في موقع جغرافي ممتاز على خط عرض 47 درجة وخط طول 101 درجة (نفس خط عرض مدينة بودابست) ومناخ هذه البقعة مساعد لنمو النباتات. وغابات اوتوكن تكمن بين نهر اورخون وفرع تامير من نهر سلنكه. واتخاذ الاويغور الذين حكموا الدولة بعد الكوك تورك لمدينة قاراباالكاسون التي تبعد 60 كيلومترا إلى الشمال الشرقي من اوتوكن دليل على كون هذه البقعة ملائمة من كل الوجوه.

الثقافة التركية على عهد الكوك تورك

أضحت الأقوام الإيرانية أقلية في تركستان الشرقية في عهد الكوك تورك. فقد انتشر الأتراك في جبال التون وجبال تانرى أي في منطقة جايدام إلى التبت. وكان شمال مقاطعة البامير تركية. ويعتقد بان الأتراك كانوا يشكلون أكثرية في فرغانة. وكان شمال تركستان الغربية في شمال بحر الأسرار أي قازاخستان الحالية تركية بأكملها. كما كان نفوس الأتراك يهدد نفوس الأقوام الإيرانية في ما وراء النهر. وارتفع نفوس الأتراك في عصرين حكم فيهما الكوك تورك إلى درجة كبيرة.
ولا تقتصر آثار الحفريات العائدة إلى عهد الكوك تورك على الآثار المدفونة تحت الأرض. فقد وجدت آثار مكتوبة على هيئة كتابات محفورة على الصخور وقطع العظام . ولعل من اشهرها كتابات اورخون أو كتابات الكوك تورك. وقد حافظ الشعب آنذاك على هذه الكتابات المنقوشة لقدسيتها لديهم. وبذلك انتقلت هذه الكتابات التي ترقى إلى 12- 14 قرن إلى يومنا هذا. ولا يزال سكان أواسط آسيا يقدسون الأماكن التي وجدت فيها هذه الكتابات. ولئن كنا قد توصلنا إلى كتابات اورخون وهي كتابات قاغانات الكوك تورك فلم نتوصل إلى معرفة أماكن قبورهم. ولاشك إن هذه القبور كانت على قمم الجبال في مناطق نائية محيت آثارها واندرست. في حين نصبت ألواح الكتابات في أماكن على مرأى من الجميع. ولا مجال للاعتقاد بان القبور التي وجدت

قرب الألواح المذكورة تعود إلى بيلكه قاغان وكول تيكين ولاسيما الأول إذ أن المحافظة على سرية أماكن قبور الحكام كانت من التقاليد التركية الموروثة. وقبور اتيلا وجنكيز من اشهر الفاتحين غير معروفة أيضا طبقا لهذه التقاليد.

وفي القبر الذي ينسب إلى كول تيكين تمثالان مضموما الذراعيين وتمثال من الرخام يمثل أسدا كما توجد تماثيل أخرى في القبر الذي ينسب إلى بيلكه قاغان. وقد وجدت سيوف كثيرة تعود إلى هذا العهد وهي طويلة مقوسة. وقد كان هؤلاء يحملون السيف معهم ويعلقونه من جهة الخاصرة بحزامين مصنوعين من الجلد.

وتفيد المصادر الصينية بوجود علامة فارقة على شكل راس ذئب من الذهب على رايات الكوك تورك. ألا أنها لا تصف شكل العلم نفسه. وقد وجدت على الصخور الكائنة على ساحل لينا وينيساي كتابات تمثل فرسانا رفعوا بأيديهم إعلاما. ألا أن شكل الأعلام وألوانها غير واضحة.

وقد اكتشف علماء الآثار معالم قنوات للري محفورة من قبلهم. وقناة توتو من ضمن هذه القنوات ويبلغ طولها عشرة كيلو مترات. وقد اكتشف علماء الآثار الروس أن هذه القناة قد حفرت في أراضي صخرية صلبة يصعب حفرها. وربطت بها شبكة لتوزيع الماء نظمت حسب أرقى المعلومات الرياضية. وقد أحيا الروس في عام 1935 هذا المشروع إذ وجدوا أن لا مجال للتوصل إلى شكل أفضل منه. ويعتقد الأثاريون الروس إن الأتراك كانوا يزرعون الحبوب والنباتات المختلفة هنا في القرن الأول قبل الميلاد.

والتماثيل التي وجدت ومنها ما تعود لنساء هي من الطابع التركي إلا ما ندر. إذ أن الوجوه طابع طبيعي ينسب إلى الجنس الأبيض. والعيون ليست غائرة كما لا يوجد بروز في عظام الوجنة. وهذه التماثيل تعطينا فكرة واضحة عن الطابع التركي في عهد الكوك تورك.

وقد وجدت آثار المدن العائدة لهم ودققت من قبل علماء الآثار الروس. ولأطلال بارس خان قرب بحيرة ايصيق (قرغيزستان الحالية) طابع فريد يدل على عهد الكوك تورك. كما وجدت خرائب مدن جاركلان، جومكال ، جالديوار ، آت باش ، شيرداك- بك و مانا كادي في السفوح الشمالية لجبال تانري . وقد فحصت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها من قبل عالم الآثار الروسي برنشتام. وأكثرية هذه المدن محصنة.

ودخول فرغانة إلى الجامعة التركية في هذا العهد هو من أهم حوادث هذا العصر. وهي حاليا واحدة من بضعه أقاليم تضم كثافة كبيرة من السكان الأتراك. وقد دلت الدراسات التي أجريت على مدن تركية في فرغانة مثل جيكرجيك وياسيكوكارت على أمور لها أهميتها البالغة. وقد كانت فرغانة في يد التوركيش وهم حكام الغرب التابعين للكوك تورك. وقد ألحقت في القرن الثامن من قبل العرب إلى الإمبراطورية الإسلامية. وقد ازداد تغلغل الأتراك في فرغانة على عهد الحكم العربي إلا أن تم تتريكها في عهد القاراخانيين. وفرغانة مركز زراعي وتجاري هام حفرت فيها الأقنية وتمت الاستفادة من كل شبر من أراضيها.

ومن المعروف أن الأتراك كانوا يدينون بالشامانية حتى عهد القاراخانيين فكانوا يعبدون الإله الأزرق وقوى الطبيعة. إلا إنهم اعتنقوا عدة ديانات أخرى ثم نبذوها. ويستدل من آثار ترقى إلى عهد الكوك تورك إن قسما من الأتراك القاطنين في الجنوب الغربي بالقرب من حدود الإمبراطورية الإيرانية قد اعتنقوا الديانة الزرادشتيه أي عبادة النار. ويعتقد إن بعض الأمراء الأتراك المنسوبين إلى سلالة الكوك تورك والذين كانوا يديرون خرا سان وما وراء النهر وفرغانة بشكل شبه مستقل قد اعتنقوا هم الآخرون الديانة الزرادشتية. وينعكس هذا على ما نرى في ملحمة ماناس.

وقد عثر على نقود تركية في الحفريات التي تمت في منطقة يدي صو أي في الجنوب الشرقي من بحيرة بالقاش. وقد كتبت على هذه النقود التي سكت من قبل حكام التوركيش عبارات تركية. ويرجع أقدم نقد تركي

مكتشف لدينا إلى أوائل القرن الثامن وقد وجدت منها قطع بخمس فئات. وقد اكتشفت كتابات عديدة أخرى مكتوبة بكتابة الكوك تورك إلا إنها لا ترقى إلى أهمية كتابات اورخون الثلاثة. ولكنها أفادتنا كثيرا في معرفة معلومات خافية عن التاريخ التركي. وبعض من هذه الكتابات أقدم من كتابات اورخون بقرن ونصف أو قرنين. وتسمى بكتابات ينيساى لأنها وجدت على الأكثر قرب ينيساى الواقع إلى الجنوب من جبال صايان وهو النهر الذي يسميه الأتراك نهر كم. وهذه البقعة تشكل الآن جمهورية قانوتوفا الروسية ويشكل أهاليها الأتراك والمغول. وتدل الحفريات إنها كانت مأهولة بقبائل الكوك تورك والقرغيز في عهد حكم الكوك تورك. ولعل من المفيد أن نذكر أن المصادر الصينية تعتبر هذه المنطقة المنشأ الأصلي لقبيلة وسلالة الكوك تورك.

وتفيد المصادر الصينية إن الأتراك كانوا يكتبون بطريقة الحفر على الأشجار. ولم يستعملوا الورق إلا في عهد الاويغور الذين خلفوا هؤلاء. ولذلك فلم يبق من عهد الكوك تورك سوى الكتابات المنحوتة على الصخور بعكس وثائق الاويغور التي بقيت إلى الزمن الحاضر.

وقد اكتشفت كتابات الكوك تورك في فرغانة وفي الجنوب بين بحر الأسرار وجو في إقليم تالاس. وبذلك فقد انتشرت الألفباء القومية التركية في إيران وإقليم منشوريا. ولم تكن القراءة والكتابة محصورة آنذاك على الطبقة الراقية بل كانت عامة الشعب تحسن ذلك. وقد اكتشفت كتابة كتبت من قبل فلاح تركي في إقليم تالاس توضح لنا طريقة الري التي كان يستعملها ذلك الفلاح. والمفيد أن نذكر أن مدينة مينغ- بولاق في جنوب تالاس كانت مصيفا لقاغانات الكوك تورك الغربيين.

وقد كانت قبيلة قوري قان تعيش في شمال جبال سايان وتربطهما علاقات متينة بقبيلة الياقوت التي تعيش إلى شمالها الشرقي وقد كانت هذه الأقاليم تشكل الحدود الشمالية للدولة التركية. وقد أهملت هذه المناطق للظروف الطبيعية القاسية الموجودة فيها وبقي الياقوت شبه منعزلين فيها. وللخيل التي كانت القوري قان يربونها شهرة خاصة وقد ربوا غزلان الرين التي كانوا يمتطونها. وكانوا يستعملون الكلاب لسحب زحافاتهم. كما كانت خيامهم مدببة. وقد وجدت أعلام منحوتة على الصخور تعود إليهم. ويستدل من الصخور المنحوتة أن الأتراك كانوا يستعملون أحذية من الجلد ولباسا طويلا للرأس. كما كان المحاربون منهم يستعملون الدروع. وأحذية الأتراك كانت مشهورة في آسيا والبلاد العربية.

أما القرغيز فقد كانوا يعيشون على ساحلي نهر ينيساي في الشمال الغربي من جبال سايان والتي تقع في أقصى الجنوب من سهل سيبريا. وقد وصل حكام الكوك تورك إلى مقاطعات القرغيز الذين كانوا مجاورين للقوري قان في الشرق والقارلوق في الجنوب الغربي أي في شمال الالطاي. وقد كانت هناك قبيلة تركية أخرى تدعى سير- تاردوش تعيش في السفوح الشمالية لجبال سايان. وقد كان القرغيز والكوك تورك في هذه المناطق يستعملون الزحافات شتاء. والقرغيز بعيدون نسبيا عن القبائل التركية الأخرى. إلا أنهم امتزجوا مع غيرهم في عهد الكوك تورك. وقد كانوا مشهورين بتعدين الحديد وصنعه.

وقد اكتشفت مناجل وآلات زراعية حديدية تعود إلى هذا العهد. كما كانت أقنية الري العائدة لهم تمتد إلى وادي كم (ينيساي) ويستدل من هذا إن الأتراك كانوا يمتهنون الزراعة إلى جانب تربية الحيوانات.

مذكرات هوان – دزانغ

للسائح الصيني هوان- دزانغ مذكرات هامة عن أحوال الكوك تورك. وقد التقى بقاغان الكوك تورك الغربي عند دخوله مدينة سوياب وكان الأخير عائدا من الصيد. وقد كان القاغان يلبس ثيابا حريرية خضراء وقد أطلق شعره. وكان برفقته مائتا ضابط يلبسون ثيابا حريرية غالية وكان لبعضهم دروع. كما كان البعض منهم يحملون أعلاما. وكان الجنود يتبعونهم ممتطين الجياد والجمال. وكانت الجياد تصهل ولم يستطع السائح تقدير عدد الجنود الذين وصفهم بقوله:

كانوا على درجة من الكثرة بحيث يصعب رؤية نهاية ركبهم.

وقد لمحه القاغان فكلمه فأمر أحد ضباطه بمرافقته. وقد أكرمه هذا في خيمة كبيرة ثم استدعاه القاغان بعد ثلاثة أيام إلى خيمته.

كانت أثاث الغرفة مزركشة و محلاة بالذهب (يبهر الأبصار) وكان القارخانات أي النبلاء يجلسون على بسط وثيرة ويلبسون ثيابا حريرية موشمة بالذهب. وخلف القاغان يقف حراس عديدون. وقد تحدث القاغان مع الراهب الصيني بدماثة فأجلسه وكان هناك مترجم تركي يترجم حديثه إلى الصينية.

ثم استدعى السفراء الذين كانوا برفقة الراهب في نفس القافلة. وقد قدموا للقاغان رسالة إمبراطور الصين وهداياه فشكرهم القاغان ثم بدأ الحاضرون بتناول الطعام والشراب في جو مفعم بالموسيقى التركية. وان كانت الموسيقى التركية لا تشبه الصينية (فأنها كانت مع هذا تسبغ لونا من المتعة على السامعين) ولم يتناول الرهبان البوذيون لحم الخرفان والثيران وأكلوا من القطائف والقشدة والعسل والحلويات. ثم قدم الشراب مرة أخرى.

ولا يخفي السائح دهشته من كرم ضيافة الأتراك وصداقتهم وإنسانيتهم وهم الذين صوروا من قبل الصينيين سفاحين خطرين. وقد نصح القاغان السائح الصيني بعدم السفر إلى الهند مبلغا إياه بأنه لن يتحمل جوه القاسي. وعلى اثر ثبوت الصيني على عزمه أمر نبيلا تركيا وبعض الجنود الذين يحسنون الصينية والهندية بمرافقته لتعذر عبوره جبال الهمالايا بمفرده. وأهداه ثيابا وخمسين قطعة من الحرير عند مغادرته إياهم. وقد وصل هوان- دزانغ إلى مدينة بينغ- يول (بين بنار) على مبعدة 4 فراسخ من سوياب. وقد كانت هذه المدينة جنة مظللة بالأشجار وكانت بمثابة مصيف يصطاف القاغان فيه ويقضي أحر الأيام في ربوعه. وقد وصل بعد اجتيازه لعدة مدن إلى مدينة قوندوز (في تركستان الأفغانية حاليا) وكان يحكمها الابن الأكبر للقاغان توردو شاد، وقد كان الأمير مريضا إلا انه استقبل الراهب على فراش المرض ورحب به. ويدعى السائح الصيني بأنه عالج الأمير وشفاه.

والقاغان الذي يشير إليه السائح الصيني المشهور هو تونغ- يابكو قاغان (619- 630) واشتهر هذا القاغان بفتحه لمدينة ري (تارهان) وأصفهان في عام 620. وقد عمل على بسط النفوذ التركي على هذه الأقاليم التي تقع في أواسط إيران بالرغم من عدم سيطرته عليها طويلا. وقد حكم أحفاد تونغ- يابكو مائة وعشرين عاما على الأقل (حتى عام 750) في الجنوب الشرقي لتركستان الغربية.

الحضارة التركية على عهد الكوك تورك

كان الكوك تورك يقيمون قديما بجوار بحيرة ايصيق ما بين جبال آلا وجبال تانرى. وهاجروا فيما بعد إلى الشمال إلى إقليم شنسي في الصين ثم إقليم تانو توفا. وقد نازعوا الآبار في الحكم وسكنوا غابات اوتوكن. ولهم دور في التاريخ التركي . وقد تركوا كتابات تاريخية على جانب كبير من الأهمية في حين كنا نستقي أخبار من قبلهم من المصادر الصينية ومن ذلك إننا لا نعرف الأسماء التركية الحقيقية لحكامهم.

وقد دونت هذه الكتابات المحفورة على الصخور بلغة الأدب لا باللغة التي كان عامة الشعب يتحدثون بها. وبالرغم من مضى ثلاثين ومائتان وألف سنة على لغة الأدب التي نقشت بها كتابات اورخون، فإن الرجل التركي المثقف يستطيع الإلمام بفحوى هذه الكتابات إذا قرأ نصها. فإذا رجعنا إلى ثلاثين ومائتين وألف عام قبل كتابات اورخون فسنصل إلى عام 500 قبل الميلاد. ونستطيع التكهن بأن التغير الذي طرأ على اللغة ما بين عهد الكوك تورك وقبله في عهد مته كان قليلا، إذ أن مته لم يعيش في عام 500 ق.م بل بعد ثلاثة قرون من هذا التاريخ . ولهذا أهمية كبرى لتاريخ الفكر التركي. فالفرنسي مثلا لا يستطيع أن يفهم ميثاق ستراسبورغ الذي يعد النموذج الأول للغة الفرنسية والذي كتب بعد قرن واحد من كتابات اورخون تقريبا. ويتبين من هذا أيضا خطأ نظرية نيميث المجري ورمشتيد الفنلندي القائلة باشتراك اللغتين التركية والمغولية في اصل واحد ثم تفرعها إلى لهجتين مختلفتين بمرور الأيام. إذ يتبين بتحكيم المنطق وبالمقارنة المذكورة أعلاه إن اللغة التركية في عهد الكوك تورك لم يطرأ عليها تغيير كبير بالقياس على ما كانت عليه في عهد الهون.

ومن مميزات هذا العهد تتريك بعض القبائل الإيرانية وتبنيها اللغة التركية. وانتقال الأتراك إلى مرحلة الحضارة المستقرة والتي تكاملت على عهد الاويغور من بعدهم. ولا شك في أن الأتراك سكنوا المدن قبل الكوك تورك ولم يعيشوا في الخيام فقط . إلا أن علماء الآثار يرون أن عدد المدن قد زاد في هذا العهد. وتفيد المصادر العربية إن (مدن الأتراك كثيرة يسكنها التجار وهي ذات أسواق مليئة بالبضائع) بالنسبة إلى هذا العهد.

وقد بدأ في هذا العهد الاحتكاك بالحضارة الإسلامية. والتجأ آخر أباطرة إيران الساسانيون يزدجرد الثالث في عام 642 بعد هزيمة نهاوند إلى القاغان الغربي للكوك تورك في مرو طولو قاغان. وقد عبر العرب الذين استولوا على خرا سان مجر آمو في عهد الدولة الأموية إلى ما وراء النهر. واحتل الوالي والقائد الأموي قتيبه بن مسلم جميع أنحاء ما وراء النهر الخاضعة للأتراك والحق سمرقند وبخاري بالإمبراطورية الإسلامية. وقد اعتنق الأتراك الساكنون في هذه البقاع الدين الإسلامي فكانوا أول من اسلم من الأتراك. وقد أصبح للعرب المسلمين في هذه الآونة أكبر دولة في العالم وبدأوا بسطوتهم يهددون الصين إضافة إلى البيزنطيين والأتراك. وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين بسقوط الدولة الأموية في عام 750 خرجت الإمبراطورية الإسلامية عن كونها دولة عربية وأصبحت دولة إسلامية بمعنى الكلمة. واشترك الفرس في إدارة الدولة مضفين عليها قوة كبيرة. وقد بدأ الأتراك أيضا في التغلغل في أركان الدولة إلى أن أصبح الحرس التركي بعد قرن من هذا التاريخ على درجة من القوة تمكنه من خلع الخلفاء ومبايعتهم.

وفي عام 751 خرج جيش صيني جرار بقيادة كاو- سيان- جه متوجها إلى طالاس (غرب بحيرتي بالقاش وايصيق) لطرد العرب من آسيا الوسطى. وقد نشبت في هذه البقعة حرب ضروس من اعنف حروب القرون الوسطى وكان على راس العرب القائد زياد ابن صالح. وقد انضم الجيش التركي إلى جانب العرب في هذه

المعركة وهزم الصينيون فانسحبوا من آسيا الوسطى واستولى العرب على قسم كبير من تركستان وتجاوزوا بحر الأسرار إلى الأقاليم التركية. وقد انضم الأتراك إلى جانب العرب في هذه المعركة لوجود العداء التقليدي بين الأمتين التركية والصينية منذ فجر التاريخ وعدم التحام الأتراك بالمسلمين قبل هذا التاريخ. ولئن كان التوركيش قد دافعوا عن سمرقند وبخاري ضد العرب دفاعا دمويا عنيفا فان هذه المصادمات كانت تقع بين القبائل التركية نفسها أيضا ثم إن الأتراك عوملوا معاملة حسنة بعد تأسيس الإدارة الإسلامية في ما وراء النهر وعومل معتنقو الإسلام من بينهم بنفس معاملة الفاتحين. كما إن العرب لم يكونوا يشكلون خطرا على الحدود الشمالية الشرقية لآسيا الوسطى وطن الأتراك نظرا للظروف الجغرافية في حين إن الحدود بين الأتراك والصينيين كانت تمتد على طول سور الصين وكانت بغداد عاصمة الدولة الإسلامية العربية بذلك بعيدة عن موطن الأتراك بعدا شاسعا.

وقد أدى هذا التلاحم بين القومين الفاتحين الكبيرين التركي والعربي في العصر الثامن إلى تقارب نفسي وساعد على هذا التقارب التسامح الأممي للدين الإسلامي وبعد الأتراك عن التعصب الديني على مر العصور. وبذلك فان اعتناق الإمبراطورية التركية للدين الإسلامي بعد قرنيين من هذه المعركة الكبرى إنما كان نتيجة لتكامل منتظم بعيد عن الارتجال.

وبهذه الصورة فقد أسس الأتراك علاقات متينة مع الفرس والعرب. وقد اتبعوا سياسة صداقة مع الفرس ولم يشتبكوا معهم إلا مضطرين. وقد أصبح الإمبراطور الأكبر للساسانيين كسرى الأول انوشيروان (نوشيروان) والذي حكم ثمانية وأربعين عاما صهرا لأيسته مي قاغان في عام 563. فقد كان خلفه وابنه هرمز الرابع مشهورا في التاريخ الفارسي باسم تورك- زاد وهو حفيد ايسته مي قاغان من جهة أمه. وقد لعب الأتراك دورا مهما في الجيش الساساني على عهده.

وقد امن برويز الثاني ابن هرمز الرابع جانب الأتراك في الشرق فقام بفتوحاته الكبرى واستولى على مصر واليمن وفلسطين ورودوس واوسكدار. والتجأ ابن أخيه يزدجرد الثالث إلى الأتراك أمام الغزو العربي .

وقد كان نقض قاغان الكوك تورك الغربي تونغ يابكو(619- 630) الصلح مع الفرس عاملا مساعدا لاستيلاء العرب ولولا ذلك لما استطاع العرب أن يظفروا بنتيجة غير النتيجة التي حصلوا عليها مع البيزنطيين وما كانت الأراضي الفارسية ضمن البقاع الكثيرة التي استولوا عليها في فتوحاتهم. إذ وجه تونغ يابكو ضربة قاصمة إلى الإمبراطورية الإيرانية بفتحه ري وأصفهان واشرف على مداخل الشرق الأدنى، وفي عام 623 تعاون الكوك تورك مع أتراك الخزر القادمين من قفقاسيا والقوات البيزنطية على إبادة جيش الفرس وبذلك فقد فتحوا طريقا للفتوحات العربية وكانت الصين ترقب الانتصارات الغربية للأتراك عن كثب.

وقد أطلقت تسمية الترك على جميع القبائل التي تتكلم التركية في عهد الكوك تورك فقد كانت كل قبيلة وكل فخذ يعرف باسمه قبل هذا التاريخ مثل الهون والكوك تورك والخزر والقرغيز والقارلوق والتوركيش والجيغيل والياغما والاويغور، فإطلاق كلمة تورك على جميع هذه القبائل على شكل اسم قومي واعتماد المصادر العربية والبيزنطية لهذا الاسم كان له الأثر الكبير في توضيح معالم القومية التركية. وبذلك فقد أطلق الكوك تورك اسم تورك الدال على قبيلتهم على جميع الأقوام التي تتكلم التركية واستمرت هذه التسمية حتى بعد سقوط سلالة الكوك تورك عن الحكم. واستمرت القبائل والأفخاذ التركية على تبني هذا الاسم الموحد من تلك العصور وحتى محاولة الروس إطلاق الاسم القبلي عليهم مثل الاوزبك والقرغيز والقازاق والاذري والتركمان والتتار والباشقورد والجواش والياقوت والقاراقالباق.

وقد تزايد النفوس التركي في هذا العهد وساعد على حركة قبائلهم. فقد وصل نفوس القرغيز الذي قدر في القرن السادس بـ 400.000 نسمة الى أكثر من مليونين في القرن الثامن . واستوجب ذلك انتشارا جغرافيا أوسع. وعلى سبيل المثال فإن عدد نفوس تركستان الشرقية في القرن الأول قبل الميلاد كان اقل من مليون نسمة حسب المصادر الصينية (على أساس خضوع 315.000 رجل للضريبة) وقد تبين من إحصائيات العرب في القرن التاسع في ما وراء النهر لغرض الضرائب إن نفوس هذا الإقليم الخصب كان 1.5 مليون نسمة. ومن الطبيعي إن هذا الفراغ قد ملئ نتيجة تزايد نفوس الأتراك المستمر. ومن الأمور المؤيدة من قبل المصادر الصينية إن الكوك تورك كانوا من نفس الفخذ الذي انحدر منه الهون.

التقويـــــــم التركــــــي

استعمل الأتراك تقويم الأثني عشر حيوانا. وقد استمروا على استعماله حتى اعتناقهم الإسلام وأخذهم بالتقويم الهجري والشهر القمري، وظل استعمال التقويم الحيواني مستمرا حتى بعد الإسلام. ويظهر من تدقيقات المؤرخ زكي وليدى طوغان إن البدء باستعمال هذا التقويم كان في عام 2000 ق.م . ويعتقد أن القبائل التركية بدأت باستعمال هذا التقويم منذ ذلك التاريخ . وفي هذا التقويم يطلق اسم حيوان معين على عام فيستمر اثنا عشر عاما وبذلك تنتهي الدورة الأولى لتبدأ الدورة الثانية بنفس تسلسل أسماء الحيوانات وهذه الأعوام هي عام الفأر، عام الثور، عام النمر، عام الأرنب، عام الغول، عام الثعبان، عام الحصان، عام الخروف، عام القرد، عام الدجاجة، عام الكلب، عام الخنزير.

المجتمع التركي في عهد الكوك تورك

يستند نظام المجتمع التركي في عهد الكوك تورك شأنه شأن هذا المجتمع في جميع العصور قبل الإسلام إلى أساس أرستقراطي وكان يطلق على النبلاء اسم تارخان وهم معفون عن دفع الضرائب. وكان يترأس طبقة النبلاء بطبيعة الحال القاغان الذي كان الحاكم الأكبر للأتراك. كما كان هناك قاغان آخر في الغرب من نفس السلالة إلا انه تابع لقاغان الشرق. أما زوجة القاغان فكانت تدعي قاتون (وأصبحت هذه الأسماء فيما بعد خاقان وخاتون) أما الأمراء فكانوا يسمون تيكن وزوجاتهم قونجوي. أما الأمراء الذين كانوا يتسلمون مناصب رفيعة كألوية أو قيادة الجيوش فكانوا يسمون يابكو أو شاد. وكان رؤساء القبائل يسمون هان(خان أو قان) أما النبلاء الآخرون فكانوا يسمون عادة تارخان أو جور، أو ابا أو تودون. وكان يطلق على الحرس الخاص لقب بوري (أي الذئب) وكان ضباط هذا الحرس يختارون من طبقة النبلاء.

وكان كل شاب تركي جنديا لا يعمل في الأرض لكي لا يفقد طبيعته العسكرية. أما الفلاحة والزراعة فكان المسنون والأسرى هم الذين يهتمون بأمرها.

وكان الفحش منعدما ويحكم على من يعتدي على امرأة متزوجة بالإعدام. أما التعرض بفتاة فكان جزاؤه نفس الجزاء إذا لم تقبل الفتاة الزواج بالجاني . أما السارق فكان يجبر على تعويض ما سرقه بعشرة أضعافه فإذا فشل في هذا فقد حريته وعد أسيرا. في حين كان الزواج يتم على أساس الكفاءة بين الطرفين وكان محرما على فتيات الطبقة النبيلة الزواج من الطبقة العامة.

الأدب في عهد الكوك تورك

ألفباء الكوك تورك هي الألفباء التركية القومية وهي مرتبة بشكل تتفق مع متطلبات اللغة التركية. وقد كان الذين أوجدوها مطلعين على القواعد الصوتية للغة التركية. إذ أن التركية تكتب بهذه الألفباء أحسن من كتابتها بالألفباء العربية. وهي مكونة من ثمانية وثلاثين حرفا، أربعة منها حروف العلة أو حروف صوتية و A و E فيها هي نفس i و I كما إن O و U هي نفس Ö و Ü في حين إن حروف العلة في الحروف العربية هي ثلاثة وتكتب أصوات الواو جميعها بنفس الشكل.

ويعد التوصل إلى حل رموز كتابات اورخون نقطة تحول في الدراسات التركية. ويشير المؤرخ الإيراني الجويني في معرض كتابته لتاريخ المغول في أوائل القرن الثالث عشر (تاريخ جهانكشاه) إلى كتابات اورخون كما إن المصادر الصينية المعاصرة له تذكر نصب هذه التماثيل التي تضم تلك الكتابات المنقوشة.

وقد نشر جوهان فون شتراهلنبرغ الضابط السويدي من اصل ألماني والذي اسر من قبل الروس أبان معركة بولتافا في 8 تموز 1709 ونفى إلى سيبريا فبقى يتجول فيها ثلاثة عشر عاما بعد عودته إلى السويد في عام 1722 نشر كتابه (الأقسام الشمالية والشرقية من أوربا وآسيا) ويشير فيها إلى كتابات اورخون مع مقتبسات من هذه الكتابات. وبالرغم من الضجة التي آثارها هذا الكتاب في أوربا فان أحدا لم يفهم مغزى هذه الإشارات العجيبة. كما إن السائح الروسي بالاس رأى هذه الكتابات أثناء جولته في هذه المناطق في أواخر القرن الثامن عشر وكتب عنها. كما نشر سباسكي في عام 1822 في كتابه الذي طبع في بترسبورغ (لينينغراد لاحقا) اثنين وعشرين صورة من كتابات الكوك تورك هذه. وقد وجد شميدت في هذه الآونة نصبين آخرين يحتويان على نماذج من تلك الكتابات. وقد المح المستشرق الفرنسي المعروف ابيل ريموسات عام 1825 إلى عائدية هذه الكتابات إلى الأتراك بقوله إنها في الوطن القديم للأتراك. وقد أخذت لجنة علمية فنلندية برئاسة هيكل نماذج من هذه الكتابات وتدارسها علماء ينتسبون إلى جميع الأقوام إلا أن الألفباء لم تحل.

وأخيرا توصل إلى حلها أحد أساتذة جامعة كوبنهاكن رئيس أكاديمية الدانمارك العلمية الملكية ولهلم لودفيك بيتر طومسن (1842- 1927) في عام 1893. وقد بدأ بقراءة كلمات تنكري(تانرى) أي الإله وتورك وكول تيكين ثم بدأ بمقارنة بقية الحروف بما قرأه وقد نشرت الكلمات التركية مع ترجمتها الفرنسية والألمانية وقد ترجمها إلى الألمانية العالم الألماني الكبير رادلوف الذي كان يعمل في روسيا. وبذلك اكتشفت إحدى روائع التاريخ القديم.

وموقع هذه الكتابات قياسا من جنوب بحيرة بايقال هي 400 كيلو متر جنوبا وغرب مدينة اوركا عاصمة مغولستان بـ 160 كم. وتقابل خرائب مدينة قارا قوروم عاصمة جنكيز خان. أي إن خرائب قارا قوروم تقع على الساحل الغربي لنهر اورخون وتقع كتابات اورخون على الساحل الشرقي له. وتقع هذه المنطقة على خط عرض 48 درجة وخط طول 104 درجة وتقع إلى الشمال الغربي منها بحيرة اوكني- نور وتسمى هذه المنطقة كوشور جايدام .

وتبعد كتابات بيلكه قاغان كيلو مترا واحدا عن كتابات كول تيكين. والأخيرة هي انظف وامتن الكتابات الثلاثة ولم تصبها يد التخريب إلا قليلا. وارتفاعها 3.75 متر أي أن ارتفاعها ينيف على ارتفاع شخصين طويلين وهي عريضة من ناحية القاعدة وإلى القرب منها سبعة تماثيل من المرمر كسرت رؤوسها فيما بعد. ويظهر من الحفريات أن هذه البقعة كانت مسورة لا يسهل الدخول إليها. وكتابات بيلكه قاغان تشبه الأولى من حيث

الشكل والارتفاع. وتختلف عن هذه من ناحية عدد الأسطر. ولاندثار بعض أجزائها فقد صعبت قراءتها. وتعرف كتابات بيلكه قاغان في عرف العلم بالثانية وكتابات كول تيكين بالأولى وكتابات بيلكه تونيوكوك بالثالثة. ولكل من الكتابات أربعة جوانب ويشار إليها كما يلي:

N= الشمال، S= الجنوب،E = الشرق، W= الغرب . والأرقام التي تلي هذه تشير إلى تسلسل الأسطر. فإذا قلنا 2N8 فأننا نعني السطر الثامن من الجانب الشمالي من كتابات بيلكه قاغان. وهناك نسخ صينية من كتابات بيلكة قاغان وكول تيكين صنعت من قبل الفنانين الذين أرسلوا من قبل إمبراطور الصين.

وكتابات تونيوكوك هي اصغر الكتابات وفيها 62 سطرا. وقد وجدت كتابات أخرى بالإضافة إلى هذه الكتابات الثلاثة ذات الشهرة العالمية. وتعرف لدى العلماء بكتابات ينيساي لأنها وجدت بالقرب من نهر ينيساي والذي يطلق عليه نهر يم. وهذه المنطقة تقع في تانوتوفا.

وحروف الكوك تورك استعملت من قبل الأتراك قرونا عديدة. ويمكن مشاهدة آثار هذه الحروف إلى زمن قريب بالرغم من إن حروف الاويغور قد طغت عليها فيما بعد. وقد ثبت إن الألفباء التي كان يستعملها السكيل من مجريي ترانسلفانيا مشتقة من هذه الحروف. والسكيل الذين كانوا من الأتراك قديما يعتبرون البقية الباقية من الابار المهاجرين إلى أوربا، وقد كانوا يكتبون المجرية التي كانوا يتكلمونها بألفباء مشتقة من ألفباء الكوك تورك. وقد ثبت من دراسات العلماء المجريين إن آخر من كانوا يتقنون الكتابة بهذه الحروف عاشوا في القرن الماضي.

أهمية كتابات الكوك تورك

لا مثيل لهذه الكتابات في تاريخ الحضارة التركية وبذلك فهي على أقصى درجات الأهمية. ويمكن القول بأنها أهم من مئات الألوف من الآثار التركية المكتوبة. ويرقى بذلك يولوغ تيكين كاتب هذه الكتابات إلى مصاف أدباء الأتراك العظام. ويلي هذه في الأهمية ديوان لغات الترك لمحمود الكشغري والمكتوب في عهد القاراخانيين. ومن الصدف أن يكون الكشغري كسابقه يولوغ تيكين من أفراد السلالة الحاكمة في الإمبراطورية. وهذان المؤلفان يعدان من أعمدة الأدب التركي. ويأتي(قوتادغو بيليك) من نظم وتأليف الوزير يوسف خاص حاجب نظما وكتاب (دده قورقوت) مجهول المؤلف في مصاف ابرز المؤلفات التركية. وقد كتب المؤلفان الأخيران بعد اعتناق الأتراك للإسلام. ويأتي بعد هذا حسب الأهمية الملاحم التركية ونصوص أدب الاويغور ومذكرات بابور شاه (بابورنامه) و دواوين نوائي وكتبه: خمسه ومحاكمة اللغتين وكتبه المنثورة، وشعر فضولي وبابور شاه، والشعر الشعبي للشعراء احمد يسوي ويونس أمره، وكتب جلبي الكاتب وشعر نسيمي وسلطان ولد ومؤلفات جودت باشا وعبد الحق حامد ونامق كمال وقواميس عاصم المترجم. وقد تركت هذه المؤلفات ومؤلفوها آثارا لا تنمحي في الأدب التركي وسنفصل عند بحثنا لتاريخ الثقافة ما يخص الأدب التركي بشكل مقارن.

ولغة كتابات اورخون متطورة إلى حد يثير الإعجاب والحيرة في آن واحد. ويرى المدقق لغة نثر رفيعة تقارب درجة اللغة التركية التي يستعملها الأدباء الأتراك الكبار في القرن العشرين. وهذه اللغة شعرية تفيض حيوية وهي مكونة من جمل قصيرة غنية المعاني. وحذف كلمة منها أو إضافتها إليها يخل بالمعنى تماما.

والأفكار التي تحويها هذه اللغة مثيرة للحيرة بالنسبة للقرن الثامن. إذ تفيض الروح القومية من بين الأسطر. ولاشك إن هذه الأفكار كتلك اللغة حصيلة تطور دام عصورا عديدة وان كان الأدب في هذه الكتابات يخرج

إلى طور الوجود بشكل مفاجئ لفقدان النصوص التي سبقتها فأنه من المؤكد إن هذوأساسية.هذه اللغة مرت بتطورات عديدة وأساسية . ومن هذا تقدم المصادر الصينية تراجم للشعر التركي في عهد الهون. وقد نكتشف في المستقبل كتابات تعود إلى ما قبل عهد الكوك تورك. ويزداد هذا الأمل لدينا إذا ما تذكرنا إن أربعة آثار أدبية مهمة في التاريخ التركي وهي كتابات الكوك تورك، وديوان لغات الترك، وقوتادغو بيليك وكتاب دده قورقوت قد اكتشفت في الحقب الأخيرة. وإن كنا نكتشف كل عام شيئا جديدا يعود إلى عهد الاويغور الذين جاءوا بعد الكوك تورك فليس من المستبعد أن نكتشف في يوم ما آثارا يعود تاريخها إلى ما قبل الكوك تورك.

ويفيد المؤرخون إن الشعور القومي كان قد تبلور منذ عهد الهون. ويقول جيجي يابكو أحد أباطرة الهون في نهاية القرن الأول قبل الميلاد في إحدى خطبه إن الحرية والاستقلال هي ما توارثه الشعب من الأجداد إضافة إلى الوطن والدولة . ويفيد العالم الكبير هيرث الذي درس هذه الخطبة في المصادر الصينية بأن جيجي هو أول رجل دولة جعل الروح القومية أساسا لسياسة الدولة. وبذلك فليس من العجب أن نرى بروز الشعور القومي في كتابات الكوك تورك. فقد برزت الروح التركية لتشكل طابعا قوميا متميزا في هذا العصر.

وقد كتب اسم كوك تورك في هذه الكتابات على شكل كوك تورك. أما لفظة تورك فتأتي أحيانا على شكل تورك وأخرى على شكل نوروك. ومما نعتقده إن الاسم كان في أصله توروك وقد أصبح على شكل تورك في هذا العهد. وقد كتب هذا الاسم في المصادر الصينية قبل الميلاد على شكل تيك وتذكر هذه المصادر في القرن الثامن عشر قبل الميلاد أي قبل 3.800 عاما من الآن لفظة تيك = تورك . وكانت حروف الكوك تورك تكتب من اليمين إلى اليسار مثل الحروف العربية

وقد نصبت أولى هذه الألواح المحتوية على هذه الكتابة عام 730 من قبل بيلكه تونيوكوك رئيس وزراء بيلكة قاغان. ونصبت الثانية عام 732 من قبل بيلكة قاغان تخليدا لذكرى أخيه كول تيكين الذي قتل أثناء معركة عام 731 أما الثالثة فقد نصبت عام 735 تخليدا لبيلكة قاغان الذي توفي عام 734. وقد كتبت عبارات الكتابات الثلاثة من قبل الابن الأصغر لقاباغان قاغان وابن عم بيلكه قاغان وكول تيكين، يولوغ تيكين. وينادي بيلكه قاغان في هذه الكتابات عبر العصور قائلا:

" أنا بيلكه قاغان الذي خلق من الرب ويشبه الرب. جلست على العرش بمشيئة ا . فيا شعبي ويا سلالتي اسمعوني بدقة:

إن جميع الشعوب في مشرق الشمس وفي الجنوب وفي وسط الشمس وفي الغرب وفي الشمال في وسط الليالي تتبعني . فإذا ما بقى قاغان الأتراك في اوتوكن دائما كما هي الحالة الآن فإن وطن الأتراك لن تصيبه أيدي المحن. وقد جلست أنا في اوتوكن أدير دفة الحكم لوحدي. لم يخدعني ذهب الصينيين وفضتهم وحريرهم وأقوالهم المعسولة وهداياهم الثمينة. لم أنس للحظة واحدة الأتراك الذين قتلوا بسببهم ووقعوا في قبضة أيديهم. وقد ساعدني الإله فأصبحت قاغانا للأتراك. وجمعت شعث قومي وأغنيت شعبي الفقير وأكثرت من عددهم. حاولت أن أكون ابنا لائقا بآبائي بومين قاغان وايسته مي قاغان. قام أسلافي بإدارة بلاد الأتراك بدراية وحكمة فسعد الشعب التركي وبكى لوفاتهم بكاء مرا. ولم ينس جميع الأقوام الخاضعة لحكمهم من صينيين وسكان التبت والمغول الحياة الرغيدة التي عاشوها في ظلهم. وقد أعقب هؤلاء الحكام المشهورين حكام آخرون ليست لهم الدراية والحكمة الكافية ونتيجة لضعفهم ودسائس الصينيين فقد الشعب التركي أقاليمه الغنية وكسرت شوكة الأتراك.

ونتيجة لذلك أصبح النبلاء الأتراك الذين حكموا الصينيين عبيدا وأصبحت فتيات الأتراك جواري. وانتحل السادة الأتراك أسماء صينية تاركين أسمائهم العظيمة. وعاش الأتراك خمسين عاما تحت الحكم الصيني المخجل المزرى.

إلا أن الإله الأزرق رأف بحال الشعب التركي ونصب أبي ايلتريش قاغان وأمي ال بيلكه هاتون قاغانا للأتراك لكي يستعيد هذا الشعب مجده الغابر. وبعون الإله أصبح جيش أبي ذئبا وأصبح أعداء أبي خرفانا. وتبعثر العدو أمام قواتنا كتبعثر الخرفان أمام الذئاب الكاسرة. وأحيا أبي دولة الأتراك ولم شعث القوم المبعثر.

يا سادة الأتراك...... لن يختل قانون الأتراك ولا دولتهم ولا وطنهم ما لم تنشق الأرض وتسقط السماء. أيها الشعب التركي الخالد، عد إلى وعيك وكن لائقا بدمائك التي أهرقت مثل الأنهار وبعظامك التي جمعت مثل الجبال.

يا شعبي..... اعلم أنني لم أصبح حاكما لشعب غني قوي. بل توليت الأمور على رأس شعب ضعيف وفقير. وأقسمت مع أخي كول تيكين وابني أخي الأميرين على العمل من اجل الشعب الذي ضحى في سبيله والدي وعمي.

لم انم الليل ولم اجلس النهار من أجل عظمة الشعب التركي وقوته. وعملت حتى الموت، حتى الإعياء. وقد ساعدني الإله وساعدني الحظ فأغنيت شعبي الفقير وأصبح الشعب التركي متفوقا على جميع الأمم."

ملحمة اركنـــــــــــه قـــون

ملحمة اركنه قون جزء من الملحمة التركية الكبرى وموضوعها قوم الكوك تورك. تفيد عن منشأهم وخلاصة هذه الملحمة هي كما يلي:

" لم تكن هناك بقعة واحدة لا تتبع الكوك تورك في وطن الأتراك. وقد حز هذا في قلوب الأقوام الأخرى فتجمعوا وأغاروا على الكوك تورك للثأر منهم. وجمع هؤلاء خيامهم وقطعانهم في منطقة حفروا حولها خندقا وانتظروا وصول الأعداء وبدأت المعركة التي استمرت عشرة أيام وتفوق الكوك تورك فيها.

وبعد هذه الهزيمة اجتمع رؤساء القبائل المعادية وسادتهم وتدارسوا هذا الأمر الجلل. وقرروا أن يأخذوا بالحيلة بعد أن خاب توفيقهم في الصدام المسلح. وعند الفجر تركوا حمولتهم وهربوا موهمين الأتراك بأنهم قد خذلوا اثر هجوم وتفرقوا. وظن الكوك تورك إن الأعداء قد فقدوا قوتهم ولاذوا بالفرار فاخذوا يقتفون آثرهم. وعلى حين غره رجع الأعداء واخترقوا صفوف الكوك تورك تقتيلا حتى وصلوا إلى خيامهم فنهبوا أموالهم وقتلوا كبارهم واسروا صغارهم ورحلوا بعد أن اصطحبوا الأسرى.

وكان على رأس الأسرى الكوك تورك، ايل خان الذي لم ينج من أبنائه إلا واحد وهو قايي مع ابن أخيه المسمى دوقوز اوغوز. وكان قايي قد تزوج في تلك السنة. وقد استطاع قايي ودوقوز اوغوز أن يهربا من طوق الأعداء بعد عشرة أيام عصيبة قضوها في الأسر مع زوجتيهما. ولما وصلوا إلى ديارهم لمحوا جمالا وخيلا وقطعانا من الخراف والبقر التي هربت من الأعداء. فوجدا إن أحسن طريقة للخلاص أن يلتجئا إلى مكان غير مطروق في وسط الجبال الشاهقة فسارا بالقطعان إلى طريق الجبال.

وعندما وصلوا إلى مضيق لا طريق له سوى ذاك الذي سلكوه وجدوا إن الطريق من الضيق بحيث لا يسمح إلا بمرور ناقة أو حصان واحدا فقط وكانت الجبال من الوعورة بحيث أن العابر إذا زلت قدمه سقط في هاوية سحيقة. وخرجا من هذا إلى سهل موفور الماء والكلأ يكثر فيه الصيد والأشجار والثمار . فشكروا الرب على هذه النعمة وسكنوا هذه البقعة يقتاتون على لحم الحيوانات شتاء وحليبها صيفا. وصنعوا من جلودها ملابس يرتدونها وأطلقوا على هذه الأرض اسم (اركنة قون).

وتكاثر أطفال الأميرين في اركنة قون ولاسيما قايي خان. ومضت سنين عديدة وأولاد هذين الأميرين يعيشون ويتكاثرون في هذه المنطقة. ومرت قرون أربعة تكاثر عددهم وحيواناتهم فيها إلى حد لا يسمح بالعيش في هذه البقعة الضيقة فجمعوا مجلس الشورى ليجدوا طريق الخلاص. وتدارسوا الوضع بينهم على اعتبار أنهم سمعوا من آبائهم إن لهم وطنا خارج اركنه قون وعقدوا العزم على اكتشاف طريق الخروج منه والالتقاء بمن هم خارج الوادي ليعيشوا بسلام مع من يسالمهم ويقتتلوا مع من يعاديهم.

ونتيجة لهذا القرار فقد اجمع الكوك تورك على الخروج من اركنة قون إلا أنهم أخفقوا في الوصول إلى طريق الخروج وعند ذاك اقترح حداد أن يذيبوا قسما من الحديد الموجود في الجبل تمهيدا لإحداث ثغرة ينطلقون منها إلى الخارج. وقد أعجبت هذه الفكرة كبار القوم واطلعوا على قطعة الجبل المعنية فجمعوا على سفح تلك البقعة وقودا من الكثرة بمكان وأشعلوا نارا متأججة رهيبة من سبعين مكانا.

وبعناية الرب وعونه ذاب جانب من الجبل مخلفا ثغرة تسمح بمرور ناقة محملة. وقد خرج الكوك تورك في تلك الساعة المقدسة من هذا المكان وقد اعتادوا على الاحتفال بذكرى ذلك اليوم عيدا. يطرق فيه خان الكوك تورك قطعة حديد محمية في النار بالمطرقة ويتبعه الأمراء والنبلاء.

وقد أرسل بورتاجينه من سلالة خاقان الكوك تورك العظيم قايي خان رسلا إلى الأقوام والأمم يطلعهم على خروج الكوك تورك من اركنة قون. ومرت السنين وعادت الأمم تخضع لحكم الكوك تورك."

خلاصة بشأن عهد الكوك تورك

يظهر من النظرة الموجزة التي أطلعنا منها على هذا العهد إن لسلالة كوك تورك شأنا هاما في التاريخ التركي. وقد أوجزنا في هذه العجالة وضع الإمبراطورية التركية الآسيوية الممتدة من جزيرة سخالين إلى أواسط إيران والقرم واثر العوامل الجغرافية على الأمور التاريخية وطبيعة القوم التركي ونفسيته وشخصيته.

يقول البروفيسور الدكتور محمد الطاي كويمن أستاذ التاريخ التركي العام في جامعة أنقرة:

لا يمكن مقارنة أية أمة بالأمة التركية من حيث انتشارها الجغرافي والدول التي أسستها (تاريخ السلاجقة، الجزء الثاني، صحيفة 13، منشورات مؤسسة التاريخ التركي)

ويقول البروفيسور الدكتور إبراهيم قفص اوغلو أستاذ التاريخ التركي العام في جامعة استانبول:

"كان الحكام يعتبرون أشخاصا مكلفين من قبل الرب لإدارة شؤون البشر. وكان الشعب يضفي عليهم قبل الإسلام هالة من القدسية والألوهية ويعتقد أنهم يمتلكون قوة خارقة فوق طاقة البشر. ونتيجة روابط الدم والقرابة فقد كان هذا التقديس يمتد إلى أفراد السلالة الحاكمة وبذلك فقد كان كل فرد في السلالة بحكم وراثته هذه القوة الإلهية من جده في وضع يؤهله أن يكون حاكما"(سلطان ملكشاه ص14- منشورات جامعة استانبول).

وتوضيحا لما جاء هنا نرى من المفيد أن نذكر أن الخاقان لدى الأتراك كان فوق البشر وهم الذين أسسوا دولة دائمية حازت صفة الدولة الكبرى. وكان الأتراك يعتقدون بوجود صفة الألوهية لدى حكامهم. وتستعاد ذكرى بيلكه قاغان في كتابات اورخون بعبارة (من الإله ويشبه الإله بيلكه خاقان التركي) (انظر الكتابات التركية القديمة، حسين نامق اورقون الجزء الأول، ص 22- 58 منشورات مؤسسة اللغة التركية) (جلست على العرش بمشيئة الإله) (نفس المصدر، الجزء الأول ص 27- 41).

وكان من المعتقدات المجزوم بها إن الخاقان قد ترأس الشعب التركي لتنفيذ إرادة ا ولذلك فقد كان مقدسا هو وأفراد عائلته. وكل أمير تركي(تيكين) له الحق والقابلية لان يكون خاقانا لما توارثه من سلفه من قدرة إلهيه. وبالفعل فأن الإمبراطورية التركية كانت ملكا مشتركا للسلالة. وكان كل أمير تركي منذ صغره ينصب حاكما عسكريا عاما لإقليم معين. ولم يكن معروفا من سيكون خاقانا على وجه التحديد. ولم تكن هناك قواعد معينة تحكم في هذا الأمر. وكان أقواهم على الأغلب هو الذي يصل إلى الحكم. وقد نتج عن هذا الأمر منازعات داخلية عديدة. إلا أن أي فرد خارج السلالة لم يكن يطمع نهائيا في الحكم أو يفكر في هذا الأمر إطلاقا. كما كانت الرتب العسكرية الكبيرة يرثها الأبناء من آبائهم. وبذلك فقد ظهرت إلى الوجود أرستقراطية تركية إلا أنها لم تكن كما كانت الحالة في الغرب تمتلك حقوقا تميزها عن طبقات الشعوب الأخرى.

وقد أوردنا مرارا أن المفهوم الجغرافي لم يكن معلوما عند الأتراك. فقد كانت القبائل التركية إزاء تكاثر عددها أو تبدل المناخ أو الظروف الجغرافية تشد الرحال إلى الصين أو الهند أو إيران أو أوربا ولم تكن لتعيش هناك محكومة أبدا. إذ كانت تنهمك في تنظيم الشعب وتستولي على الإدارة. ويرى هذا الوصف الآن في الإنجليز في القرون الحديثة(عند الانكلو- سكسون) ونتيجة لهذا فقد أصبحت الإمبراطورية البريطانية ثالث إمبراطورية عظمى بعد الإمبراطوريتين الرومانية والتركية.

الدول التركية التابعة للإمبراطورية التركية الكبرى

كانت الإمبراطورية الآسيوية الشمالية التي أطلقنا عليها اسم الإمبراطورية التركية الكبرى على شكل اتحاد فدرالي يضم دولا عديدة. واغلبها الدول والإمارات التي أسستها القبائل التركية المختلفة. وندرج هنا قسما من هذه الدويلات والإمارات:

1-مملكة تولاوس: تذكر المصادر الصينية أسماء ثلاثة من ملوك قبيلة تولاوس وهم الأخوة مي- كنو- تو (توفي في عام 516) أي- فو(516- 522) ويوه- كيو (522- ؟)

2-مملكة تونغ- هو (دونكهو): كانوا تحت حكم السيانبيين حتى عام 200 ق .م . وكانت منطقتهم تسمى او- هو- اوان (جنوب غرب منشوريا) وقد خضعوا حتى عام 65 إلى الهون ثم الصينيين . وتذكر المصادر الصينية من ملوكهم:- كين-جي- فن (توفي عام 65) فو- هو- يون (توفي عام 115) كيو- لي- كيو (توفي في عام 192) ثم شقيقه الملك الأخير تا- تون (192- 208) وقد حاول الأخير أن يستولى

على عرش الإمبراطورية الكبرى في عهد الهون في عام 206 إلا أنه قتل في عام 208. ولم يعتل أبن أخيه يو- به- بينغ العرش والتحقت المملكة بالصين.

3- مملكة تيم – تيم(ديملين) دامت ثمانية قرون ونصف القرن من 300 ق.م وحتى 550 بعد الميلاد . وهي من أهم العناصر المشكلة لأتحاد الهون. وقد حكمها لفترة من الزمن أحد جنرالات الصين القدامى كوي – ليو

4-مملكة القرغيز دامت خمسة عشر قرنا من 300 ق. م وحتى عام 1200. وقد تكلمنا آنفا عن القرغيز ومناطقهم الجغرافية. ويطلق الصينيون على القرغيز اسم (كيان – كوين) وقد حكمهم من عام 97 ق.م حتى عام 1200 سلالة واحدة. ومؤسس هذه السلالة لين وكان جنرالا في الجيش الصيني قبل اعتلائه العرش وقد توفي عام 50 ق. م وقد تزوج أحد ملوك هذه السلالة من ابنة قاغان الأتراك التاسع من الهون.

5-مملكة اوسون ويقال أنهم من سلالة السقا. وعاصمتهم جه- كو- جينغ الواقعة على نهر ايلي. وملكهم الأول الذي توصلنا إلى معرفة اسمه هو نان- تيو- مي (توفي في عام 160 ق. م) وخلفه ابنه كوين – ماو ومن ثم ابنه كين- مي وقد تزوج من أميرة صينية وأخرى من سلالة الهون. وتوفى في نفس السنة فخلفه ابنه كيون – سيو- مي (جين – تسيو) وقد توفي هذا أيضا في نفس السنة (105 ق.م) وخلف هذا في العرش ابن عمه اونغ- كوي- مي (في – نانغ) (105- 60) وحكم لمدة خمسة وأربعين عاما وتزوج من أميرة من سلالة الهون. فأعقب هذا ابن اونغ – كوي- مي، تي- مي (كوانغ- وانغ) ثم ابن اونغ- كوي- مي، يوان- كواي- مي والملوك الأخيرون لهذه المملكة هم تو- يو- مي- بي- يوان- جي (توفي عام 4 ق.م)، او- جه- مي(حكم تسع سنوات من 4 ق. م إلى 5 ب. م)

6- مملكة هو- ته

7-مملكة قانقلي مرت حتى عام 10 ق. م . وعاصمتها بي- تيان- جينغ وقد تأسست من اتحاد خمسة إمارات. وهي شهري سبز (سو- هياي = سورسه)، قوشانيه (فورمه = فو- مو)، طاشكنت (اوا- كي = يو- ني)، بخاري (كي = كي)، واوركنج (يوه- كنين = يويه- كان) وقد انتشروا في خوارزم وما وراء النهر.

8-مملكة فرغانة وعاصمة هذه الدولة التي اسماها الصينيون (تا- اوون) هي كواي- شان- جينغ. وقد دامت مملكة فرغانة التركية حتى عام 100 بعد الميلاد. وكانت أيام ضعف الإمبراطورية التركية تابعة للصينيين حتى إن هؤلاء أسسوا فيها إمارات عديدة. وتذكر المصادر الصينية اسم اثنين من ملوك فرغانة وهما ين- ليو، و كياو- سو- تي الذي خلفه عام 46.

9- مملكة آلان وكانت في سيبريا الغربية.

10-مملكة تواون- جين مكثت في سيبريا الشمالية واستمرت حتى عام 190 ق. م .

11-إمارة كشغر كان الصينيون يطلقون على مدينة كشغر اسم سو- لي- جينغ وعلى وادي كشغر اسم سو- لو. وقد دامت الدولة التركية فيها حتى عام 560. ومن حكام كشغر

المعروفين الأمراء:

جينغ (توفي عام 73) الأمير تيو- تي (73- 74) ابن عم الأول جونغ (74- 76) الأمير كان- كوي- كواي- سي ، جينغ- بواون ، هو- تي (شو- ته،(توفي عام 160)

12- إمارة ياركنت: يسميها الصينيون شاو- جه، وأول أمرائهم وان- نيان وهو من أمراء الاوسون وأمه من أميرات الإمبراطورية الصينية. م.بح خليفة وابنا بالتبني للحاكم الذي سبقه (وقد يكون فارسيا) وقتل الأمير هو- تا- جينغ في عام 64 ق. م . وتوفي من خلفائه ين في عام 14 فأعقبه ابناه كام (14- 33) وهيان (33- 62) فأعقب الأخير الذي قتل ابنه يويو- كيو- جينغ. ثم ابن الأخير تسي- لي (توفي عام 86) وقد استولى الصينيون على الأمارة في هذا العام. وابن كويسيانغ ابن هيان كان أمير مقاطعة يو- مي وتزوجت ابنة هيان من أمير هوتن، كوام – ته.

13- إمارة هوتن: كان الصينيون يطلقون على مدينة هوتن اسم سي- جينغ وعلى وادي هوتن اسم يو- تيان. وقد دامت هذه الدولة حتى عام 560 وقد حكم هذه الأمارة الأمير يو- لين ثم شقيقه كوي- شي (61-62) إلا إنه قتل بعد عام واحد . كما قتل الأمراء كيون- ته، تو- مو، هيو- مو- يا. وحكم بعد ذلك ابن أخ الأخير كوام- ته وتزوج من إحدى أميرات إمارة ياركنت وتوفي حوالي عام 80 ثم حكم الأمارة الأمير فانغ- تسين (توفي عام 140) وكيان – سوي (توفي عام 150) وخلف الأخير ابنه كان- كوي.

14- إمارة يو- مي(كيو- مي): عاصمتها كري- يا (كيو- مي = يو- مي - نيم- مي) وقد حكم فيها كياو- سو- تي الذي توفي عام 46 فأعقبه أمير أمارة ياركنت ومن ثم كياو- سو- تي الثاني.

15- إمارة تسيم – تسيو: عاصمتها تسيم تسيو التي تبعد 230 كم إلى الشرق من كريا.

16- إمارة آق صو: كان الصينيون يطلقون على مدينة آق صو (كيو- تسو= كي او- تسو= كيو- تساو) وعلى وادي آق صو اسم ين- جينغ= كو- لي- جينغ. ومن حكام هذه الأمارة التي خضعت للصين في عام 222 الأمراء:- تسي- لو (قتل في عام 50) وكيان (قتل في عام 70)

17- إمارة كو- مه: (كي- مه= بو- لو- كيا) عاصمتها نان جينغ التي تبعد 335 كم إلى الغرب من عاصمة آق صو.

18- إمارة وين- سو: ومدينة وين- سو تبعد عن نان جينغ 135 كم غربا.

19- إمارة قاراشار: وكان الصينيون يسمون قاراشار ين- شي وعلى واديها يون- كيو- جينغ.

20- إمارة شان- كوي

21- إمارة كوي- سيو: عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.

22- إمارة كوي- لي: عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.

23- إمارة كيو- لي: عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.

24-إمارة تسيه- مو عاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.

25- إمارة جن جن (ليو- لان) عاصمتها مدينة كان- ني- جينغ قرب بحيرة لوب. وقد ألحقت عام 177 ق. م من قبل الهون بالإمبراطورية التركية الكبرى وخضعت في عام 72 للصين وانضمت إليها عام 222.

26-إمارة كامول استمرت حتى عام 560 وقد أطلق الصينيون عليها اسم أي- او- هيان. وعاصمتها أي- او- ليو وهي إلى الشرق من جبال تانري.

27- إمارة كيو كانت في الشمال الغربي من دولة الاويغور.

28- إمارة بي- لو كانت على سفوح جبال تانري. وقد انقسمت إلى أمارتين (كيان- تونغ- كوي- جينغ)

(فان- كيو- لوي- كو- جينغ)

29-إمارة يو- لي- يا- سو كانت إلى الشمال من الاويغور وعاصمتها نوي- تو- كو- جينغ.

30-إمارة تسي- مي وهي إلى الجنوب من أمارة لو- تان- تسو-لي وقد انقسمت إلى شرقية(تسي- مي)وغربية.

31- إمارة تان- يه وهي إلى الشرق من أمارة او- تان- تسو- لي وعاصمتها المدينة المسماة بنفس الاسم.

32-إمارة او- تان- تسو- لي عاصمتها مدينة يو- ليو- كو جينغ

إمارة الاويغور

لما كان الاويغور قد خلفوا الكوك تورك في حكم الدولة التركية الكبرى فسيأتي البحث عنهم في فصل مستقل.

وأمارة الاويغور كانت في غرب الكامول وقد شكل الاويغور إمارتين: اورمجي في الشمال (فو- تو- كو) وأمارة طورخان في الجنوب (كياو- هو- جينغ) وكانت هناك أربعة إمارات صغيرة أخرى:- كو- هو، اي- جي، بو- لوي الأول وبو- لوي الثاني. وتذكر المصادر الصينية إن الأمير بو قد توفي في عام 130 ق.م . وقد خلفه او- كوي ثم خلفه أمير آخر اسر عام 90 قبل الميلاد من قبل الصينيين. وبعد ذلك اعتلى العرش او- كواي شقيق ولي العهد كيون- سو وتزوج في عام تتويجه (73 ق.م) من أميرة من سلالة الهون . وانضم الاويغور بعد هذا التاريخ إلى اتحاد الهون. ومن أمراء اورومجي المعروفين:

كو- كو (كيو- كو)(توفى عام 10 ب.م)، كان – تي (تولي عام 74)، وشقيقه سوي- تي (74- 97 وقد خلع عن العرش)، وابنه نوم- كي (97- 120)، وابنه كيون- تسيو (120- 125)، وابنه كيو- تي- نو (125- 150؟)، وابنه او- لو- تو (150؟- 155+ 160؟- ؟)، ثم شقيق الأخير بي- كيون (155- 160؟).

م. أمير طورخان الأول فهو تيو- مو (دزومو) وقد توفى عام 60 ق.م . وقد توفي كان – به- جيو في عام 481 وقتل ابنه الذي خلفه اي- جينغ، وخلف هذا ابن أخيه شيو- كي والذي لقي نفس المصير. وحكم

بعد هذا جونغ- مين إلى أن قتل. فخلفه ما- جو الذي يعتقد بأنه ابن شيو- كوي إلى أن خلع. أما ابنه كو- كيا (كيو- هي) فقد توفي عام 528 وخلفه كيو- كيان.

5- الاويغور (دوقوز اوغوز – اون اويغور)
745- 940 السلالة والحكام

ازدادت أهمية دولة الاويغور ضمن الاتحاد المكون للدولة التركية الكبرى على مر الزمن. وأخذت هذه الأهمية طابعا خاصا في عهد الكوك تورك حيث أصبح ملوك الاويغور حكاما هامين في اتحاد الدولة الكبرى. وقد برز منهم في تاريخ الكوك تورك سوكون شيكه (616- 629 = 13) زوجة او- لو- هوين وابنه بو- سا (629- 640؟ = 11؟) وتومي- تو الذي يعتقد بأنه شقيق من سبق (640؟- 652؟ = 12 وقد قتل) وابنه بويون (652؟- 658؟ = 6؟) وبيلير الذي يعتقد بأنه شقيق من سبق (658؟- 660؟- = 2) وشقيق هذا على ما يعتقد توك كاتيسي (660؟- 670؟ = 10؟) وابنه بوكدائي (بوغداي) (670؟- 685 = 15 ؟) وابنه هو- سو (هو- لي- في- لو) (685- 712 = 27) ويذكر مؤرخو ذلك العصر أن هو- سو كان أحد أمراء سلالة الكوك تورك الإمبراطورية. ولكننا لا نعرف الآن اسم أبيه أو شقيقه أو جده. وقد كان ابنه قوتلوغ بيلكه كول قاغان ملكا على الاويغور 33 عاما من عام 712 وحتى عام 745 ثم أطاح بسلالة الكوك تورك وأصبح قاغانا اكبر الأتراك (745- 746) وعندما توفي خلفه ابنه ايل- ايتمش بيلكه باينجور قاغان (746- 759) ولما كان ابنه الأكبر تاي بيلكه يابكو قد قتل فقد أعقبه على العرش ابنه ايل- توتمش ألب كولوك بيلكه بوكو قاغان (759- 780 = 21) وقد اعتنق هذا الديانة المانية. وقد حكم من بعده شقيقه آلبا قوتلوغ بيلكه قاغان (780- 789 = 9) وتزوج من أميرة صينية. وقد أعقب هذا ابنه تاراس كولوك بيلكه قاغان (789- 790 = 1) ثم ابنه اوجور قوتلوغ بيلكه قاغان (790- 795 = 5) أما آلب اولوغ بيلكه قاغان (795- 850 = 10) فقد كان وزيرا لسلفه. لا يقتضي كونه من أمراء نفس السلالة لتمكنه من اعتلاء العرش. وقد أعقب هذا من يلي من الحكام:
آي- تنكري ده قوت بولمش ألب كولوك بيلكه قاغان (805- 808 = 3)، أي- تنكري ده قوت بولمش ألب بيلكه قاغان (808- 821 = 13)، تنكري ده قوت بولمش قوتلوغ بيلكه قاغان (821- 825 = 4)، وقد تزوج هذا من أميرة صينية فأعقبه شقيقه ألب بيلكه تنكري اويغور قاغان (825- 832 = 7). ويصعب التحديد على وجه الدقة والد هذين الشقيقين . وقد أعقب هذا في الحكم آلب كولوك بيلكه قاغان (832- 839 = 7)، ثم اوكه قاغان (839- 845 = 6) وقد خلع عن العرش ثم قتل بعد عامين وبهذا تنتهي الفترة الأولى للاويغور. وكانت العاصمة طوال قرن كامل مدينة قارا بالكا سون القريبة من اوتوكن. وقد نقلت بعد ذلك ولمدة 95 عاما إلى الجنوب الغربي، إلى مدينة قارا هوجا في تركستان الشرقية. وقد تقلصت حدود الإمبراطورية التركية في هذه الفترة وأعلنت الدول التركية المنضمة للاتحاد استقلالها. وقد اعتنق قاغانات

الاويغور الديانة المانية بعد أن كانوا في الديانة الشامانية بين 745- 763. وبذلك فقد ظل الأباطرة الأتراك مانيي الدين طوال 177 عاما.
وإذا كانت الوثائق الخاصة بالتاريخ المدني لهذه الفترة متوفرة فإن الوثائق التي تعود للتاريخ السياسي كانت قليلة. لأن الإمبراطورية فقدت صفتها العالمية في هذه الفترة. وما نعرفه عن هذه الفترة حكم بيلكه بانجور قادر خان (845؟- 885؟ = 40؟) وتافغاج اوغولجاق قادرطان (885؟- 940؟ = 55؟).
وبعد عام 940 انتقل تاج الدولة التركية الكبرى الى سلالة القاراخانيين المعتنقين للدين الإسلامي. وبذلك بدأت المرحلة الثانية الكبرى للتاريخ التركي . وتخرج دولة الاويغور عن كونها إمبراطورية لتعود إلى وضع مملكة صغيرة. وتنتقل العاصمة إلى شهر بيش بالق وتتقلص حدود الدولة إلى ابعد مدى.
وأول حاكم لهذه الفترة ارسلان خان (940؟ -990؟=50؟) وتستمر دولة الاويغور حتى عام 1260 على هذه الحالة . وبعد هذا التاريخ تنقرض الدولة التي خضع ملوكها الذين سمو ايديقوت للقاراخطائيين ثم للمغول في عام 1209 وتلتحق الدولة بإمبراطورية المغول. وحفيد ارسلان خان السابع ايديقوت بارجوق خان (توفي عام 1235) معاصر لجنكيز خان. وقد حكم بعد هذا الأخير ابنه الأكبر (1235؟- 1245؟ = 10) ثم الأوسط (1245؟- 1255؟ = 10) ثم الأصغر(1255؟- 1260؟ = 5؟) وبنهاية حكم الأخير انتهى حكم هذه السلالة.

ملحمة الهجرة

تشبه ملحمة الهجرة في طابعها ملحمة اركنه قون. فكما كانت الأخيرة الملحمة اجميلتان.لالة الكوك تورو‌ملخصها: ت هذه الملحمة القومية لعهد الاويغور وملخصها:
كان لأحد حكام الهون ابنتان جميلتان . وكانتا على حسن بارع خلاب بحيث كان يعتقد بأنهما خلقتا للزواج من الآلهة. وقد فكر الأب ، حاكم الهون كذلك فبني قلعة في الإقليم الشمالي المقفر لمملكته فأودع ابنتيه فيها . وقد استمع الإله لدعاء الأب وتوسلاته فنزل على شكل ذئب اغبر وتزوج من الفتاتين وقد نتج هذا الزواج عن إنجاب تسعة اوغوز وعشرة اويغور. وقد تكاثر أولاد الاوغوز التسعة وال أيغور العشرة بصوت وروح يشبه صوت الذئب الأغبر وروحه.
وكان في إقليم الاويغور جبل يسمى هولين يخترقه نهرا توغلا وسلينكة. وذات ليلة نزل نور ازرق من السماء على شجرة تكمن بين النهرين . وراقب القوم هذا النور الذي دام اشهر عديدة. وانتفخت الشجرة وسمع القوم أنغاما عذبة وانتشر نور في الليالي إلى مسافة ثلاثين قدما عن الشجرة . وذات يوم انشقت الشجرة وخرج منها خمسة أطفال مقدسين خلقوا من النور. وقد وقف الجميع إجلالا لهم وقد سموا سونكورتيكن، قوتور تيكين، توكك تيكين، اور تيكين، بوكو تيكين. وقد قرر الأتراك الذين آمنوا بان الأطفال الخمسة قد أرسلوا من قبل الآلهة أن ينصبوا أحدهم حاكما لهم. ولما كان بوكو تيكين أجملهم واحكمهم وأدهاهم فقد اجمعوا على انتخابه قاغانا فأولموا الولائم ونصبوا منه قاغانا.
ومرت السنين واعتلى عرش الاويغور حاكم جديد فكر في أن يزوج ابنه كالي تيكين من الأميرة الصينية كيو- لي- ين أملا في أن تنتهي الحروب التركية الصينية. وقد نصبت الأميرة معسكرها في جبال ختاون وكانت هناك إلى الجنوب من جبال تانرى صخرة تسمى الجبل السعيد . وقد قدم السفراء الصينيون مع الوفد

وتشاوروا فيما بينهم وقالوا إن سعادة جبال خاتون متوقفة على هذه الصخرة. فلابد أن تزيل هذه الصخرة من الوجود لأضعاف دولة الأتراك.
وطلب السفراء هذه الصخرة مهرا لسيدتهم ولم يمتنع الحاكم التركي الجديد رغم أن هذه الصخرة كانت مقدسة مسحورة وكانت وحدة الأتراك مرهونة ببقاء هذه الصخرة في وطنهم . وكانت السعادة ستزول عن بلاد الأتراك بزوال هذه الصخرة. إلا أن الحاكم الذي وقع تحت تأثير الأميرة الصينية لم يعر اعتقاد أمته أهمية لضعف شعوره القومي.
ولما كانت الصخرة كبيرة ضخمة بحيث يصعب نقلها فقد عمد الصينيون إلى إحراقها ثم تقطيعها وحملوها إلى الصين. وعمت الفرحة بلاد الصين لهذا النجاح. فقد الأتراك صخرتهم المقدسة .
وقد نتج عن هذه الحادثة أوخم العواقب. وبكت الطيور والحيوانات بلغتها الخاصة وانتحبت لفقدان الصخرة. ومات الأمير بعد سبعة أيام إلا أن الوطن التركي لم ينج من الكوارث ولم يبق للراحة والبركة والخير من اثر. ومات الحكام الأتراك واحدا تلو الآخر.
وأخيرا اعتلى العرش أحد أبناء بوكو قاغان . وسمع على عهده الحيوانات الوحشية والطيور وحتى الأطفال ينادون: الهجرة.الهجرة. ولبي الاويغور الأتراك مشيئة الإله فتركوا موطنهم وسمعوا نداء الهجرة أينما حلوا إلى أن وصلوا إلى الإقليم الذي تكمن فيه مدينة بيش بالق وهناك خفتت الأصوات المنادية بالهجرة فتوقف الاويغور الأتراك وانشأوا مدينة بيش بالق وولدت دولة تركية قوية.

الإمبراطورية التركية في عهد الاويغور

كانت السلالة الجديدة من نفس العائلة التي أنجبت السلالة الحاكمة للدولة التركية الكبرى والمسماة (أبناء اجينا) ولما كان الخاقان الاويغوري الأول أميرا من سلالة الكوك تورك فقد كان الموضوع تبدل نظام حكم أكثر منه تبدل سلالة حاكمة. فقد انسحبت القبائل المتقاسمة للحكم في عهد الكوك تورك وحلت محلها قبيلة دوقوز اوغوز- اون اويغور. وهذا يعني أن الاوغوز والاويغور جاءوا سوية إلى الحكم وعرفت السلالة بهذا الاسم. وارتقى الاوغوز بذلك إلى الصفوف الأولى ولا يخفي أنهم قد اخرجوا للوجود بعد ذلك الدولتين السلجوقية والعثمانية ولعبوا أهم دور في التاريخ التركي. وبالرغم من أن بعض المؤرخين يدافعون بحرارة عن النظرية القائلة بأن الهون هم من الاوغوز أيضا وإن مته هو اوغوز خان بعينه وان الاوغوز نشأوا عن أربعة وعشرين فرعا ينتسبون إلى اوغوزخان فأننا يجب أن نحتاط في بحث هذا الموضوع .
وقد تجاوز عدد نفوس الأتراك سكان الفرس في تركستان الشرقية في عهد الاويغور. وقد أصبحت تركستان الشرقية تركية برمتها بعد ذلك في عهد القاراخانيين. وانصهر الفرس في بوتقة العنصر التركي أو انسحب قسم منهم إلى مناطق أخرى . وتتريك تركستان الشرقية حدث هام في التاريخ التركي لأن هذه المنطقة الكبيرة هي تركية حاليا أيضا . وبالرغم من أن تركستان الشرقية كانت مثل تركستان الغربية داخلة في نطاق الدولة التركية الكبرى فإن الأتراك كانوا أقلية هناك وكان الفرس يشكلون الأغلبية سابقا.
وقد التجأ الاويغور إلى تركستان الشرقية بعد إخراجهم عنوة من مغولستان من قبل أتراك القرغيز البدائيين الوافدين من إقليم ينيساى (كم) في عام 845. وهذا الحدث بدوره يشكل حدثا هاما في تاريخ الأتراك للقرون الوسطى . لان مركز الثقل ومركز الدولة التركية الكبرى كانت في مغولستان الشرقية حتى ذلك التاريخ. وقد انتقل في الفترة الثانية للاويغور إلى الجنوب الغربي أي إلى تركستان الشرقية. وعند انسحاب الاويغور إلى

هذا الإقليم نزح قسم منهم إلى إقليم قان صو الصيني المجاور لتركستان الشرقية ووقعوا بذلك تحت السيطرة الصينية . والقرغيز الذين طردوا الاويغور من مغولستان الحالية التي كانت آنذاك إقليما تركيا طردوا هم بدورهم من قبل المغول وأصبحت هذه المنطقة من آسيا مغولية تماما في القرن العاشر. وبالرغم من هذا فقد استمرت القبائل التركية تعيش إلى جانب المغول فيها بعد هذا التاريخ .

وقد قام القاغان الثاني والثالث لسلالة الاويغور (دوقوز اوغوز- اون اويغور) باينجور (ماينجور) قاغان وابنه بوكو قاغان بفتوحات كبيرة.

وقد كتب اسم هذه السلالة في الكتابات المكتوبة بحروف الكوك تورك والتي اكتشفت عام 1909 قرب بحيرة شينه- اوسو على شكل (اون اويغور- توقوز اوغوز) (حسين نامق اورقون، الكتابات التركية القديمة، الجزء الأول ص 164) وقد استعمل الايغور أول الأمر حروف الكوك تورك ثم استعملوها إلى جانب ألفباء الاويغور ثم ثبتوا على الألفباء الأخيرة وتركوا السابقة. ومن المعروف أنهم قد بدأوا بطبع الكتب بحروف مصنوعة من الخشب القوي.

الوضع السياسي للإمبراطورية التركية في عهد الاويغور

تزوج باينجور قاغان (746- 759) بعد ارتقائه العرش من أميرة صينية . وأسس علاقات صداقة مع الإمبراطورية الصينية وساعد على إخماد عدة تمردات حصلت في الصين. أما ابنه بوكو قاغان (759- 780) فقد اشتهر باسم (فاتح الصين) واقتدى بأسلافه في الفتوحات. وقد فتح في 20 تشرين الثاني 762 عاصمة الإمبراطورية الصينية لو- يانغ. وبقى فيها حتى شهر آذار من عام 763 واعتنق الديانة المانية . وقد كان هذا الدين الفارسي قد ابعد من قبل العرب المسلمين من بلاد الفرس وكان على وشك الانقراض. وقد اكتسب طابعا من الأهمية لاعتناق إمبراطور كبير له.

وبدأ الأتراك الذين تغلغلوا في الصين الشمالي وقان صو مؤقتا إلى اتخاذ الدين ذريعة للتدخل في شؤون الصين الداخلية. واجبروا الإمبراطور الصيني على إقامة المعابد المانية واستقبال الرهبان المانيين. وقد ابلغ السفراء الأتراك في عام 807 رغبة القاغان في فتح معبد في العاصمة الصينية لو- يانغ كسائر المدن الصينية إلى الإمبراطور الصيني.

وقد اخرج الاويغور في عام 845 من مغولستان وذلك من قبل القرغيز فنزحوا إلى تركستان الشرقية. واستمر القرغيز حتى عام 920 يحكمون مغولستان واخرجوا بعد ذلك منها من قبل القيتانيين إحدى قبائل المغول.

واستقر الاويغور الصفر عام 890 في إقليم قان صو وأسسوا مملكة صغيرة دامت ثمانية وستين ومائة عام حتى سنة 1028 تابعة للدولة التركية الكبرى. وقد فتح قان صو في عام 1028 من قبل التانغوت وخضع الاويغور الصفر للسيطرة الصينية.

وقد نبذ الاويغور الصفر الدين الماني واعتنقوا البوذية أكبر أديان الشرق الأقصى. وأخذت البوذية مع النسطورية إحدى مذاهب الدين المسيحي محلها إلى جانب الديانة المانية لدى الاويغور القاطنين في تركستان الشرقية.

وقد كان الباسميل الأتراك يعيشون في تركستان الشرقية لدى نزوح الاويغور إليها. وازداد الاحتكاك مع الدين الإسلامي في عهد الاويغور وكثر المعتنقون للإسلام بين الأتراك القاطنين في الغرب. إلا أن الاويغور بقوا

بعيدين عنه في تركستان الشرقية التي أصبحت مركزا لهم بعد عام 845. إلا أن العلاقات التجارية كانت جارية. وكانت قوافل المسلمين والقوافل التركية والعربية تصل إلى جبال سايان التي يسميها العرب جبال كوكمن ونهر ايرتش.

ولا يزال الاويغور يشكلون الأغلبية بين الأتراك الساكنين في تركستان الشرقية ويشكل القازاق مع بقية القبائل التركية الأقلية.

أما الاويغور الصفر فبالرغم من إن اغلبهم قد نسوا اللغة التركية فإن بضع مئات الألوف منهم لا يزالون يتكلمون لهجة الاويغور العائدة للقرن التاسع. ويسكنون في سوجوف و كاجوف في إقليم قان صو. وقد وجد العالم الروسي مالوف (التون- ياروق سوترا) وهي من اكبر النصب التركية في بداية عصرنا بين الاويغور الأصفر. وقد استمر هؤلاء يستعملون ألفباء الاويغور حتى القرن السابع عشر.

الحضارة التركية في عهد الاويغور

وصل الأتراك في عهد الاويغور إلى ذروة الحضارة المستقرة. وقد أسست مدن عديدة وتطورت أخرى ومن هذه المدن قاراهوجا ، قارا بالكاسون ، بيش بالق ، قاراشار ، كشغر ، خوتان ، ياركنت ، تورفان ، قومول ، كولجا ، اورومجي ، كوجا ، آق صو ، سوجو ، كانجو ، جرجن . ووصلت الزراعة والصناعة والتجارة والفن إلى مستوى نموذجي . واتصلت هذه المدن ببعضها بشبكة منتظمة من الطرق وشقت القنوات والترع فأوصل الماء إلى المناطق النائية والمقفرة.

وتطور النحت والرسم والرسوم الجدارية وصناعة القماش والسجاجيد والخزفيات إلى ابعد مدى. وانتشرت حروف الاويغور في آسيا بالرغم من كونها معقدة بالنسبة لحروف الكوك تورك. وكان هناك في القرن الخامس عشر قسم من أدباء الديوان العثمانيين يتقنون ألفباء الاويغور. وقد استعمل الجنكيزيون والتيموريون هذه الألفباء، وبعد ذلك استطاعت الألفباء العربية أن تحل محلها. ولم يكتب الاويغور كتاباتهم على الأشجار بل على الورق. وانتقل الورق المحتكر من قبل الأتراك بعدئذ إلى بغداد واستعمل هناك. وقد ساعد معرفة الاويغور للطبع مثل الصينيين على تطور في حضارتهم وأدبهم.

وقد ترك الاويغور آثارا هامة في الأدب والفلسفة والدين والعلم مكتوبة بتركية فصحى. ويكتشف العلماء الألمان والفرنسيون والإنكليز والروس في كل سنة أثرا جديدا من آثار الاويغور. وقد اكتشفت في خرائب تركستان الشرقية مئات الكتب التي بقيت من عهدهم. ولم ينشر ولم يدقق سوى قسم منها. وقد اقتبس المغول ألفباء الاويغور وانتقلت منهم إلى المانجو وبذلك انتشرت في مساحات تصل حتى المحيط.

ويجمع المؤرخون إن الدين الماني سبب برود الروح العسكرية المحاربة للأتراك ونتيجة لذلك فقد اجمع الاويغور والأتراك كافة على عدم اعتناق هذا الدين واقتصر ذلك على القصر والمثقفين.

وإذا كانت الآثار المعمارية العائدة لعهد الكوك تورك قليلة فإن الآثار العائدة لعهد الاويغور كثيرة ومتعددة. وكان الاويغور يحيطون مدنهم بأسوار ترتفع أحيانا إلى عشرين مترا. وكانت جدران المعابد مزينة بصور وشرائط مذهبة. وكان عرض معبد مدينة هوجو (والتي كان الاويغور يسمونها مدينة ايديقوت) عشرين مترا وقد نشرت تفاصيل تصميمه من قبل كرنويل. ووجد معبدان في مدينة تويوك الواقعة شرق تورخان. وقد وجدت في أحدهما مئات الكتب التركية واحدة منها بألفباء الكوك تورك والبقية بألفباء الاويغور.

ويبرز التأثير الصيني في الفن الاويغوري. ويرجع تاريخ هذا الفن إلى القرن التاسع وقد تطور في القرن العاشر وتكامل في القرن الحادي عشر والثاني عشر وكان تدهوره في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وقد اثر هذا الفن في القارلوق القاطنين على سواحل نهر جو في غرب بحيرة ايصيق. وكان قسم من هؤلاء قد اعتنقوا الديانة البوذية. وقد وصل الاويغور إلى التبت أيضا وخضع إقليم بحيرة كوكو (كوكو نور) لحاكمية الاويغور. إلا أن هذا التأثير كان أكثر بروزا في قان صو الشرقية وكان هنا الاويغور الصفر البوذيون. وقد كان الاويغور الأتراك كما كانوا دائما أرقى شعوب آسيا في التعدين و اثر الفن الاويغوري على المغول وعلى الصينيين بالتالي. وازدادت العلاقات الصينية التركية في هذا الحقل بشكل متبادل.

وقد لعب الاويغور الأتراك دورا مهما في إمبراطورية قارا خطاي المغولية. إذ كانت طبقة المعلمين والعلماء والكتاب في هذه الإمبراطورية من أتراك الاويغور. واستمر هذا في عهد جنكيز. وقد فقد الدين المانى أهميته القديمة في هذا العصر. واخذ الايغور باعتناق البوذية. والى جانب هذا ازداد عدد المسلمين منهم. وأخيرا دخلوا جميعا في الإسلام.

وقد تطورت الموسيقى التركية والرقص أيضا في عهد الاويغور على ما يظهر من الكتابات المنحوتة والمحفورة على الجدران. وكانت صناعة النسيج في عهد الاويغور مشهورة إذ كان القماش يصدر إلى جميع أقاليم آسيا ومن ضمنها الصين. كما كانت التجارة متطورة فقد كانت تهيئة الفواكه والشراب وتصديرها قد قطعت شأوا بعيدا. وقد فقدت الدولة الاويغورية في فترتها الثانية صفة الفتح إلا إن الجيش التركي استمر محاطا بأهمية تقليدية. وكان يتحتم على كل فارس أن يكون له حصانان أو ثلاثة بحكم القوانين المرعية.

القبائل التركية الأخرى في هذا العهد

يذكر الجغرافيون العرب في القرن العاشر إن الأتراك كانوا يسكنون الأقاليم الواقعة بين بحر الخزر والصين. وتقع تركستان الشرقية والغربية في هذه الأقاليم. ولم يكن الأتراك يشكلوا أكثرية بالنسبة لعدد السكان في تركستان الغربية في هذا القرن. إلا أنهم كونوا الأكثرية في مناطق عديدة. وكان أجداد السلجوقيين والاوغوز يعيشون بين الخزر وبحيرة ارال وغرب هذه البحيرة أما القارلوق فكانوا يعيشون في الفسحة الواقعة بين بحر الأسرار وحتى شرق فرغانة التي يستغرق عبورها عشرين يوما. ويأتي بعدهم قبائل دوقوز- اوغوز التي تتغلغل حتى الصين. وقد كان هؤلاء يعيشون جنبا إلى جنب مع الاويغور. واحمد بن طولون الذي أسس أول دولة تركية مسلمة هو من دوقوز- اوغوز.

ويبرز التبتيون في هذا القرن كمنافس للأتراك ويبدأون في التدخل بشؤون الصين وقد ظلت التبت موطن هذا القوم بعيدة عن الغزو والاستيلاء بفضل الجبال الشاهقة التي تحيط بها. وقد اهتمت الدولة في عهد الاويغور بصفتها إمبراطورية الأتراك الكبرى بالأتراك غير المسلمين والقاطنين في البلاد الإسلامية لعدم معاملتهم كغيرهم من المواطنين. ونذكر على سبيل المثال تدخل قاغان الأتراك إزاء الضغط الذي جوبه به الأتراك المعتنقون للدين المانى والذين كانوا من رعايا الدولة السامانية في ما وراء النهر وخراسان وتهديده السامانيين بشن الحرب لإنقاذ الأتراك من المعاملة السيئة.

وكانت منطقة ايرتيش أي الشمال الشرقي لقازاخستان الحالية آهلة بالسكان في هذا العصر من قبل قبائل كيماك. وقد كان هؤلاء يعيشون على شكل قبائل رحل من خط عرض 50 درجة حتى عرض 55 أو 60 درجة. وقد اكتشفت آثار ترجع للأتراك على ساحل نهر نورا قرب مدينة قاراغاندا ومنها الأسلحة وبعض

الأدوات. ويجلب النظر من بين هذه الأسلحة التي دققت من قبل مارغولان السهام. إذ كانت سهام الحرب تختلف عن سهام الصيد فقد كانت رؤوس الأولى مدببة والأخيرة عريضة.

وكان الكيماك يعيشون قرب بحيرة ايصيق أي في الشمال الشرقي لقرغيزستان الحالية. وهذه المنطقة تقع على خط عرض 43 درجة. والجيكيل هم من القارلوق. وليس لهؤلاء طابع منغولي. ويشبه طابعهم طابع أتراك الأناضول الحاليين. في حين تزداد على الاويغور بمر الزمن الطابع المنغولي على هيئة العيون الغائرة وعظام الوجنة البارزة. وقد نتج هذا عن اختلاطهم بالمغول والصينيين.

القـــــــارلـــــــوق

انتشر المسلمون في هذا العصر حتى سواحل نهر تالاس. وكان الأتراك المسلمون وغير المسلمين يعيشون على ساحل هذا النهر الواقع بين بحر الأسرار ونهر جو. وهم من القارلوق. وإذا كان تأثير الفرس يبرز في الآثار التركية وفنون الهندسة في جنوب تالاس فإن آثار الفن التركي في الشمال كانت متحررة من هذا التأثير. ومن هذه الآثار تماثيل الحيوانات والأشخاص. وقد كان القارلوق يعيشون على ساحل جو أيضا وحتى غرب بحيرة ايصيق. وكانت جماعات منهم تعيش في تركستان الشرقية وما وراء النهر. ولم يكن الدين الإسلامي ولا الثقافة الإسلامية قد تسربت إلى وادي جو وبحيرة ايصيق بعد. وبمرور الزمن نرى تماثيل الحيوانات العائدة لهم تفقد طابعها القديم برؤوس البشر وتشاهد زيادة التأثير الإسلامي عليها. ويفقد الفن التركي المواضيع الواقعية وتكثر الكتابات ويظهر إلى الوجود ما يسمى بفن خطائي . وقد نزل القارلوق إلى جنوب نهر نارين فوصلوا إلى فرغانة.

وقد اكتشفت مدن كثيرة للقارلوق من قبل الآثاريين الروس وسلطت الأضواء بذلك على تاريخ ثقافة هذا الفرع من الأتراك. وقد اعتنق القارلوق الذين تبعوا حكم القاراخانيين في القرن التالي الدين الإسلامي ضمن الدولة التركية الكبرى.

و كان ملوك القارلوق يحملون لقب(يابكو) وقد عاش هؤلاء فترتهما الذهبية بين عام 766- 840. وأصبحت مدينة بالاساكون الواقعة على الساحل الشمالي لنهر جو مركزا ثقافيا هاما. وقد كانت هذه المدينة التي تسمى أيضا بمدينة (قوز- باليق) عاصمة للتوركيش الذين خلفوا الكوك تورك قبل أن تكون للقارلوق.

وقد كان القارلوق الذين يسميهم الصينيون (كو- لو- لو) ويسميهم العرب قارلوخ أو خارلوخ في تارا باكاتاي ما بين بحيرة سايسان وبحيرة آلا قديما. ونزحوا إلى الجنوب والجنوب الشرقي بمرور الزمن.

وقد ذكرنا في مبحث سابق عن محاربة القارلوق إلى جانب العرب في معركة تالاس عام 751 والتي كان من نتيجتها طرد الصينيين من آسيا الوسطى. وملوك القارلوق كانوا أيضا من سلالة أبناء اجينا، العائلة التي أنجبت السلالة الحاكمة للدولة التركية الكبرى. واستنادا إلى هذا فقد أعلن يابكو(ملك) القارلون نفسه قاغانا (إمبراطورا) للدولة التركية الكبرى على اثر انفصال مغولستان عن الاويغور ونزوح هؤلاء إلى تركستان الشرقية إلا أن لقبه هذا لم يعترف به. ولما كان القارلوق حلقة وصل بين المسلمين والأتراك فقد عملوا على نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية بين الأتراك. وكان يعيش إلى الشمال من القارلوق قبائل التوخسي التركية والى الجنوب منهم الياغما الأتراك.

ويعيش حاليا في تركستان الأفغانية قبيلة اوزبكية تسمى القارلوق ولاشك أنهم ينتسبون إلى القارلوق القدامى . وقد استمرت أمارة قارلوقية مسلمة حتى القرن الثالث عشر في يدي صو وكان مركزها قايالغ. وقد كان من

أمرائهم ارسلان خان الأول خاضعا للقاراخطائيين. أما ابنه ارسلان خان الثاني سارتا كتاي فقد بايع جنكيز في عام 1211 وتوفي في عام 1221. وقد منح المغول ابن هذا ايلجي- ملك شاه دويلة فرغانة بعاصمتها اوزكنت. وقد توفي هذا في عام 1260. وبوفاة ابنه صاتلمش ملك شاه تنقرض أمارة القارلوق.

نظرة عامة في جغرافية تركستان

درسنا فيما سبق تاريخ الدولة التركية طوال ستين ومائة وألف عام من عهد مته في 220 ق.م وحتى حدوث اكبر انقلاب في التاريخ التركي باعتناق الدولة الكبرى للإسلام في عام 940 على عهد القاراخانيين. وينتقل مركز الثقل بعد هذا إلى الإقليم الذي نسميه تركستان. وقبل أن نستغرق في بحث القاراخانيين يجدر بنا أن نلقي نظرة عامة على جغرافية تركستان التي سيأتي بحثها مرارا في هذا المبحث وتدقيق علاقاتها بالتاريخ التركي.

تقع تركستان بين خطوط عرض 33 درجة – 55 درجة وخطوط طول 47 درجة – 97 درجة. أي إنها تقطع 23 درجة من الجنوب إلى الشمال و 50 درجة من الغرب إلى الشرق ويقع قسم منها في الغرب في قارة أوربا. وهذا القسم هو الواقع في غرب نهر اورال في قازاخستان. وتقع السواحل الشمالية والشرقية للخزر في تركستان. وتشكل بحيرة ارال وبالقاش أجزاء هامة منها وهي المناطق الوحيدة التي تطل منها على البحر . ويحدها من الشمال نحو الغرب ، روسيا وسيبريا ومغولستان ومن الجنوب نحو الغرب، إيران وأفغانستان وباكستان وكشمير الهندية والتبت ومن الغرب بحر الخزر وروسيا ومن الشرق (من الجنوب إلى الشمال) إقليم قان صو الصيني ومغولستان وسيبريا. وقد أصبحت تركستان بسبب الظروف السياسية في الوقت الحالي ثلاثة أجزاء هي:

تركستان الغربية، تركستان الشرقية، وتركستان الجنوبية. وتركستان الغربية (محتلة من قبل الاتحاد السوفيتي) والشرقية من قبل الصين. أما تركستان الجنوبية فهي واقعة في أفغانستان ومجموع مساحتها 5.751.800 كم مربع (3.995.000 كم مربع تركستان الغربية، 1.646.000 كم مربع تركستان الشرقية و 110.000 كم مربع تركستان الجنوبية) وقد كان نفوس تركستان الغربية في أواخر عام 1963 ، 25.580.000 ونفوس تركستان الشرقية 6.490.000 وتركستان الجنوبية 3.500.000 . وقد قسم الروس تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات ضمن خمس عشرة جمهورية كان الاتحاد السوفيتي يتألف منها، واحدة منها فقط روسية. والجمهوريات الخمس المذكورة هي:-

الاسم	المساحة	عدد النفوس
قازاخستان	2.756.000 كم مربع	10.230.000
اوزبكستان	409.400 كم مربع	8.930.000
قرغيزستان	198.500 كم مربع	2.270.000
تاجيكستان	142.500 كم مربع	2.180.000
تركمنستان	488.000 كم مربع	1.970.000

وتتمتع قارا قالباقستان بالحكم الذاتي داخل اوزبكستان (ومساحتها 155.800 كم مربع ونفوسها 450.000 نسمه) وبذلك تكون مساحة اوزبكستان الأصلية عدا قارا قالباقستان 252.600 كم مربع ونفوسها 8.490.نسمة . أما مقاطعة بداخشان ذات الحكم الذاتي في قرغيز ستان فمساحتها 63.700 كم مربع ونفوسها 80.000 نسمة .

وفي هذا الإقليم الكبير يعيش الأتراك على الأغلب مع أقلية ضئيلة من غيرهم. فمن مجموع نفوس هذا الإقليم البالغ 35.570.000 لا يشكل الأتراك أقلية إلا في تاجيكستان حيث الأكثرية من الفرس. ويشكل الروس الآن الأغلبية في شمال قازاخستان. ويكثر الصينيون والمغول عن الأتراك في أقصى شرق تركستان الشرقية. وماعدا هؤلاء فان الساكنين هم من الترك. كما إن مناطق معينة مثل تركمنستان هي تركية على الإطلاق ماعدا أقليات ضئيلة جدا. وتقع أجزاء هامة من ما وراء النهر التاريخية أي البلاد الواقعة بين آمو وبحر الأسرار مثل سمرقند وبخاري في اوزبكستان. وقد ألحقت صحراء قزل قوم في الشمال الشرقي بقازاخستان وقسم من الأراضي الجنوبية بتركمنستان وتاجيكستان. والقسم الأكبر من فرغانة يقع في اوزبكستان أيضا ويقع بعض الأقسام الجنوبية منها في تاجيكستان وقرغيزستان. ومدينة مرو التاريخية في إقليم خراسان القديم تقع في جنوب مورغاب في تركمنستان.

جبـــال تركستان

والمنطقة الجبلية تقع في جنوب تركستان الشرقية والغربية . وتفصل الالطاي الكبرى في الشمال ما بين تركستان ومغولستان كما تفصل الالطاي الصغرى تركستان عن سيبريا. وجبال تانرى الموازية للالطاي في الجنوب تقع قرب حدود قرغيزستان في تركستان الشرقية وارتفاعها 7300 متر. ويقع إلى القرب من هذه القمم العالية ممر موزارت 3900 متر. وترتفع جبال تانري في الشرق نحو قان صو إلى 4432 متر في قمم بوغدو- أولا. وتسمى المقاطعة الكائنة بين جبال تانرى والالطاي بإقليم جونغاريا الذي يشكل شمال تركستان الشرقية. حيث النفوس بشكل عام ونفوس الأتراك اقل مما هو في تركستان الشرقية. وتوازي جبال تانرى في الجنوب جبال آلتون وتكملها جبال نانشان التي تدخل في قان صو. وتقع إلى الجنوب الغربي من جبال التون جبال قرانلق (الجبال المظلمة) وتصل هنا جبال برزوالسكى إلى ارتفاع 7720 مترا وجبال دوبليكس في حدود التبت إلى ارتفاع 8000 مترا. وتمتد جبال قارا قوروم على امتداد جبال قارانلق غربا. وهي تكمن بين تركستان الشرقية وكشمير وتفصل جبال قزل يورد الواقعة شمال قارا قوروم تركستان الشرقية عن تاجكستان. وارتفاع قمة موزتاغ- آتا فيها 7850 مترا وتربط جبال قزل قوم بجبال تانرى، جبال كوكجال التي تقع بين تركستان الشرقية وقرغيزستان. وتقع المنطقة الكبرى لتركستان الشرقية والتي تسمى حوض طارم بين جبال تانري شمالا، وجبال التون وجبال قرانلق جنوبا، وجبال قارا قوروم في الجنوب الغربي، وجبال قزل يورد وجبال كوكجال غربا. وتتألف من سهل طاقلامكان وبعض الوديان الخصبة. وتقع في جنوبها الشرقي بين جبال التون وجبال قرانلق والجبال الخلفية إقليم جايدام بصحرائه المالحة.

وتقع جنوبا جبال هندوقوش إلى الغرب من جبال قارا قوروم وتؤلف غربا جبال بابا وارتفاعها5140 متر. والجبال الأخيرة تفصل أفغانستان عن تركستان الأفغانية. أما وادي فرغانة فمحاطة جنوبا بجبال آلاي. وهذه الجبال التي تبلغ قممها إلى ارتفاع 7000 متر تقع بين تاجيكستان وقرغيزستان. وتحيط الجبال بوادي فرغانة من ثلاثة جوانب وجانبها الغربي مفتوح. ويقسم نهر بحر الأسرار هذا الوادي إلى قسمين. أما تاجيكستان

وقرغيزستان فهي مناطق جبلية محضه. ويقسم نهر نارين قرغيزستان إلى قسمين من وسطه وتندر الجبال الشاهقة في اوزبكستان وتركمنستان وقزاخستان. ويبلغ ارتفاع جبال البلقان الكبرى قرب الخزر في غرب تركمنستان 1634مترا. أما جبال تارابا كاتاي في شرق قازاخستان فتمتد حتى جونغاريا. وتفصل جبال آلا في جنوب هذه جونغاريا عن قازاخستان. وتمتد جبال الالطاي الصغرى في جنوب شرق قازاخستان إلى سيبريا. واكبر قسم من هذا الإقليم هو الامتداد الجنوبي لسهل سيبريا اكبر سهول العالم.

الأنهر في تركستان

أهم انهار تركستان هي نهرا آمو ونهر السر. وهما يجريان متوازيين من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وتسمى الفسحة الواقعة بينهما بما وراء النهر. ويصب النهران في بحيرة ارال (وقد كانت تصب قديما في بحر الخزر) ونهر آمو ينبع من جبال قزل يورد في شمال جبال قارا قوروم. وينحرف إلى الشمال الغربي فاصلا بين أفغانستان وتاجيكستان واوزبكستان ويصب على شكل دلتا في الجنوب في بحيرة ارال مشكلا حدودا طبيعية بين أوزبكستان وقارا قالباقستان وتركمنستان. ويصب فيه فرعان هما يانجا في الجنوب وقزل صو في الشمال. أما نهر سر- دريا (والذي ترجمناه بنهر بحر الأسرار) فينبع من جبال الالطاي .
ويجري في وادي فرغانة من الشرق إلى الغرب. وينحرف بعد اجتيازه الوادي إلى الشمال الغربي ويصب في الساحل الشمالي الشرقي من ارال. واهم فروعه نهر نارين الذي ينبع من جبال كوكجال ويجري في قرغيزستان من الشرق إلى الغرب.
ويصب في الخزر من الجنوب نهر أتك الذي يجري في خراسان الإيرانية وتشكل حدودا بين تركمنستان وإيران ثم تصب في بحر الخزر (بحيرة قزوين) ويصب في الخزر من الشمال نهر أمبا النابع من أراضي قازاخستان. ونهر اورال الذي يجري في قازاخستان ويصب في الخزر مشكلا دلتا خصبة. وهذا النهر ينبع من جبال اورال ويفصل بين قارتي آسيا وأوربا.
واهم نهر داخلي في تركستان الغربية هو نهر زرفشان. وقد أسست مدن سمرقند وبخاري على الساحل الجنوبي لهذا النهر الذي ينبع من جبال الآي. ونهر جو الذي ينبع من الجبال الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحيرة ايصيق ويجري نحو الشمال الغربي وينتهي في سهل آجليق ونهر صارى صو(النهر الأصفر) في قازاخستان يفصل سهل آجليق عن سهل القرغيز. ويشكل نهر تورغاي الذي يصب في بحيرة جالقار ونهر نورا الذي يصب في بحيرة نورا أهم الأنهر الداخلية لقازاخستان.
أما في قازاخستان الشمالية فإن نهر ايرتيش وفروعه هو من أهم الأنهر. ويسمى فرع نهر ايرتيش الذي يمتد من شرق بحيرة سايسان إلى جونغاريا بايرتيش الأسود. ويقع فروع إيجيم وتوبول في أقصى الشمال من قازاخستان. وايرتيش بحد ذاته فرع من نهر اوبي الذي يصب في البحر المتجمد الشمالي في خليج اوبي.
واهم نهر في تركستان الشرقية هو نهر طارم. وينبع هذا النهر من الجبال الشاهقة التي تقع في شرق جبال قارا قوروم وتجري إلى تركستان الشرقية في منطقة تفصل بين كشمير وتركستان الشرقية ثم تقسم هذه المنطقة إلى قسمين من الغرب إلى الشرق. وتصب في بحيرة لوب الواقعة في شمال جبال آلتون. ويصب فيها من الشمال فرع كشغر ومن الجنوب فرعا ياركنت وخوتان. ويقع على هذه الفرالأسماء.اثة وديان ومدن

فالأسماء. االأسماء.لمسماة بنفس هذه الأسماء . وينبع فرع خوتان من جبال قارانلق. أما ياركنت فهو امتداد غربي لنهر طارم.
ويقع نهر بولونكير قرب إقليم قان صو في أقصى شرق تركستان الشرقية. أما أهم انهر جونغاريا فهي ايرتيش الأسود وهورونكو الواقع إلى جنوب الأول. أما نهر كوبده في الشمال الشرقي فيفصل ما بين مغولستان وجونغاريا.

البحيرات في تركستان

أهم بحيرة في تركستان بعد بحيرة قزوين (بحر الخزر) هي بحيرتا ارال وبالقاش. وقد تقاسمت قازاخستان وقارا قالباقستان بحيرة ارال وهي على ارتفاع 48 مترا عن سطح البحر (بحيرة قزوين هي على انخفاض 26 مترا عن سطح البحر)، أما بحيرة بالقاش الواقعة في قازاخستان الشرقية فهي على ارتفاع 270 مترا عن سطح البحر. ويقع إلى جنوبها دلتا نهر إيلي. وتسمى المنطقة الكائنة بين هذا الدلتا وجبال آلا بإقليم (يدي صو).
والبحيرة المهمة الثالثة هي بحيرة ايصيق. وهي على ارتفاع 1572 متر عن سطح البحر (بحيرة وان هي على ارتفاع 1720 متر عن سطح البحر) وتقع في شرق قرغيزستان. وتقع إلى شرق بالقاش في قازاخستان بحيرة آلا قرب جونغاريا. وتقع إلى شمالها الشرقي بحيرة سايسان (على ارتفاع 413 متر عن سطح البحر) أما أهم بحيرة في أواسط قازاخستان فهي بحيرة جالقار.
واهم بحيرات تركستان الشرقية هي بحيرة باغراج الواقعة إلى جنوب جبال تانري (896 متر) وبحيرة لوب في جنوبها الشرقي (790 متر) ومدينة قاراهوجا عاصمة الاويغور كانت تقع على الساحل الشمالي الغربي من بحيرة باغراج.
أما اكبر بحيرات جونغاريا فهي بحيرة أبي . وتقع هذه البحيرة التي هي على ارتفاع 210 متر عن سطح البحر في جنوب غرب الإقليم قرب يدي صو في جنوب شرق جبال آلا. أما في تركستان الجنوبية (الأفغانية) فليست هناك بحيرة تستحق الذكر.

المناخ في تركستان

تتحكم في تركستان المتكونة من مساحات شاسعة تقع بين سيبريا حتى كشمير ومن الصين حتى بحيرة قزوين ظروف مناخية مختلفة، وإذا استثنينا بعض المناطق المزدحمة بالسكان مثل فرغانة فإن سكان هذا الإقليم الشاسع قليل بالنسبة لكبر مساحته. والأمطار قليلة في تركستان بصورة عامة ولا يتعدى معدل سقوط الأمطار السنوي 50 سنتيمترا. وتقل الأمطار في الصحاري بطبيعة الحال.
واهم الصحاري ، صحراء طاقلامكان الكامنة بين جبال قرانلق وجبال طارم، وصحراء قاراقوم التي تغطي مساحات شاسعة من تركمنستان . وصحراء قزل قوم التي تغطي أجزاء كبيرة من قارا قالباقستان وتمتد حتى قازاخستان. وتكثر الأمطار نسبيا في جبال في جبال تاجيكستان وقرغيزستان (المعدل السنوي 80 سنتيمترا) وتكثر في شمال قازاخستان أيضا (65 سنتيمترا تقريبا).

ومعدل الحرارة في تركستان عامة في الصيف 30 درجة ومعدل البرودة شتاء 5 درجات تحت الصفر. وتقل الحرارة بالطبع من الجنوب إلى الشمال. ويرتفع معدل الحرارة في تركستان الشرقية عن 30 درجة في أكثر الأحيان. ومعدل درجات الحرارة شتاء في تركستان الجنوبية 2 درجة. وفي قازاخستان الشمالية 13 درجة تحت الصفر شتاء و16 درجة صيفا.

ويتحكم في قسم كبير من تركستان مناخ صحراوي وهناك مناخ شبه صحراوي في المناطق التي تقع خارج الصحاري ومناخ السهول في منطقة السهول . والسهول الرئيسية هي سهل القرغيز وسهل اجليق ما بين نهر صاري صو وبحيرة بلقاش وهي السهول المترامية الأطراف التي تقع في شمال قازاخستان.

وتنبت في الصحاري والسهول نباتات نموذجية وتكثر نباتات الأب في المناطق الجبلية. وتوجد واحات في صحاري تركستان الشرقية والغربية وتتجمع قرب الواحات جماعات من السكان. وأراضي قازاخستان الشمالية صالحة للزراعة وتربية الحيوانات إلا أن الغابات قليلة. وتشكل سواحل آمو وسر وجو وايلي واحدة من اكبر مناطق زراعة القطن في العالم. وتربة تركستان غنية بالمعادن ويكثر في جوف الأرض النفط والحديد والنحاس والكبريت والملح والفحم والذهب وسائر المعادن.

ملوك الأتراك الكبار

ملوك وأباطرة_

1-_سلالة كون – الهون 220 ق . م – 216 ب . م = 436 عام

1	تيومان (تومان) يابكو	220- 209 ق.م=11	21	فوتاتيهو يابكو	46
2	مته (اوغوزخان/ ماوتون = موتون) يابكو	209- 174 = 35	22	يونو يابكو	46 – 83 = 37
3	كون يابكو	174- 161 = 13	23	سانمولوتسو يابكو	83 – 84 = 1
4	كون يابكو	161- 126 = 35	24	يوليو يابكو	84- 89 = 5
5	أيجيهيسة يابكو	126 – 114 = 12	25	يوجوكيه ن يابكو	89- 93 = 4
6	أوفاي يابكو	114 – 105 = 9	26	آنكو يابكو	93- 94 = 1
7	أوشيلو يابكو	105 – 102 = 3	27	تينكتوشي- سويهويتي يابكو	94- 98 = 4
8	كيليكهو يابكو	102 – 101 = 1	28	فانشيجي- سويتي يابكو	98- 124 = 26
9	تسويد يكهيو يابكو	101 – 96 = 5	29	فوجيهو- شيهجو يابكو	124- 127 = 3
10	خولوكو يابكو	96 – 85 = 11	30	تيجوشي سويتسيو يابكو	127- 140 = 13
11	خواندي يابكو	85 – 68 = 17	31	جنيو يابكو	140- 143 = 3
12	خويلوي يابكو	68 – 60 = 8	32	هولا نجوشي- سويتسيو يابكو	143- 147 = 4
13	أوين – كويدي يابكو	60 – 58 = 2	33	ايليفكشي- سويتسيو يابكو	147- 172 = 25
14	خوخاسيه يابكو	58 – 56 = 2 + 36 – 31 = 5	34	توتيجيشو- سويتسيو يابكو	172- 177 = 5

14آ	جيجي يابكو	20 = 36 – 56	35	هوجينغ يابكو	2 = 179 -177
15	جوتي يابكو	11 = 20 – 31	36	كيانكيو يابكو	9 = 188 -179
16	سويسه – جوتي يابكو	8 = 12 – 20	37	تجيشي- سويهيو يابكو	7 = 195 -188
17	جيا – جوتي يابكو	4 = 8 – 12	38	هوجو تيسون يابكو	21 = 216 -195
18	أوج جولو – جوتي يابكو	8 ق. م- 13ب م =21			
19	أولوي – جوتي يابكو	5 = 18 – 13			
20	شياكو – جوتي يابكو	28 = 46 – 18			

1-آ- ملوك الجنوب الشرق

1	خوخانيه يابكو	8 = 56 – 48	12	اليابكو التاسع والعشرون الكبير	
2	كيو فيو – يوتي يابكو	1 = 57 – 56	13	اليابكو الثلاثون الكبير	
3	إيفايوليوتي يابكو	2 = 59 – 57	14	اليابكو الحادي والثلاثون الكبير	
4	هيتونكشي – سويهيوتي يابكو	4 = 63 – 59	15	اليابكو الثاني والثلاثون الكبير	
5	كيوجوجه – لينتي يابكو	63	16	اليابكو الثالث والثلاثون الكبير	
6	هوسيشي – سويهيوتي يابكو	22 = 85 -63	17	اليابكو الرابع والثلاثون الكبير	
7	أيتويوليوتي يابكو	3 = 88 – 85	18	اليابكو الخامس والثلاثون الكبير	
8	هيولانشي – سويليوتي يابكو	5 = 93 – 88	19	اليابكو السادس والثلاثون الكبير	
9	اليابكو السادس والعشرون الكبير		20	اليابكو السابع والثلاثون الكبير	
10	اليابكو السابع والعشرون الكبير		21	اليابكو الثامن والثلاثون الكبير	216
11	اليابكو الثامن والعشرون الكبير				

2- التابغاج سلالة (سيانبي وسيانبي- توبا) 216- 394 = 178 عام

3-

39	بوتوكن يابكو	216- 233= 17	47	بيلو يابكو	6 = 316 – 310
40	هوبونم يابكو	233 - 235= 2	48	يوليو يابكو	9 = 325 – 316
41	كيفوين يابكو	235 - 261= 26	49	هونو يابكو	5 = 330 – 325
42	ليفي يابكو	261 - 277= 16	50	كينا يابكو	+ 5 = 335 -330
					1 = 1 =338 -337
43	ليوهو يابكو	277- ؟= ؟	51	إيهواي يابكو	+ 2 = 337 -335
					40=38 =376 -338

44	جويابكو	؟- ؟ = ؟
45	فويابكو	؟- 297؟= ؟
46	أوتا يابكو	297 - 310= 13
52	كاوتسو شيكين يابكو	376 – 380؟ = 4؟
53	فوكين يابكو	380؟ – 386 = 6؟
54	كوئه ي يابكو	386 – 394 = 8

4- سلالة الابار (الاوار) 394- 552 = 156 عام

-5

55	طولون قاغان الأول	16 = 410 – 394
56	هوليو قاغان	4 = 414 – 410
57	بولوجين قاغان	414
58	طالان قاغان	17 = 431 – 414
59	أوتي قاغان	13 = 444 – 431
60	جولوق قاغان	20 = 464 – 444
61	يوجينغ قاغان	21 = 485 – 464
62	طولون قاغان الثاني	7 = 492 – 485
63	نوكاي قاغاي	14 = 506 – 492
64	طوق خان قاغان	5 = 511 – 506
65	جونو قاغان	9 = 520 – 511
66	أونا هوي قاغان	522+1 = 521 -520 - 552 = 30=31
67	بولومن قاغان	1 = 522 – 521

4- سلالة كوك تورك (كوك تورك) 552- 745 = 193 عام

68	بومون – بومين قاغان	1 = 553 – 552
69	إيسته مي قاغان	23 = 576 – 553
70	طابار قاغان	5 = 581 – 576
71	باغا أشباره قاغان	6 = 587 – 581
72	جور باغا قاغان	1 = 588 – 587
73	تونكا توران قاغان	12 = 600 – 588
74	بيلكه تاردو قاغان	3 = 603 – 600
75	كيمين توره قاغان	6 = 609 – 603
76	شيبي قاغان	10 = 619 – 609
77	جولوق قاغان	2 = 621 – 619
78	قارة قاغان	9 = 630 – 621
79	سيربا قاغان	16 = 646 – 630
80	جيبي قاغان	1 = 647 – 646
81	إيبي تولو قاغان	6 = 653 – 647
82	جنجو يابكو قاغان	6 = 659 – 653
83	أجينه تورجه قاغان	20 = 679 – 659
84	أجينه كور بورجور قاغان	3 = 682 – 679
85	أيلتريش قوتلوغ قاغان	11 = 693 – 682
86	قاباغان قاغان	23 = 716 – 693
87	بيلكه قاغان	18 = 734 – 716
88	أيجن بيلكه قاغان	5 = 739 – 734
89	بيلكه قوتلوغ قاغان	2 = 741 – 739
90	بيلكه قاغان	1 = 742 – 741
91	سوين قاغان	742
92	أوزمش قاغان	2 = 744 – 742
93	بيمي قاغان	1 = 745 – 744

4- آ- خاقان الغرب

#	الاسم	المدة	#	الاسم	المدة
1	إيسته مي قاغان	552 – 576 = 24	12	باغاتور أيبي قاغان	639 – 640 = 1
2	بيلكه تاردو قاغان	576 – 603 = 27	13	أيبي تولو قاغان	638 – 653 = 15
3	أبا قاغان	576 – 593 = 17	14	أيبي أشباره – يابكو قاغان	640 – 642 = 2
4	إينال قاغان	593 – 600 = 7	15	أيبي – شاد كوي قاغان	645 – 649 = 4
5	جورتومان قاغان	600 – 611 = 11	16	أولوغ أشباره قاغان	651 – 658 = 7
6	شيكوي قاغان	611 – 619 = 8	17	جنجو – يابكو قاغان	653 – 659 = 6
7	تونغ – يابكو قاغان	619 – 630 = 11	18	أجينه تورجه قاغان	670 – 679 = 9
8	باغاتور سيبي قاغان	630 – 631 = 1	19	أجينه كور بور جور قاغان	679 – 682 = 3
9	سر – يابكو قاغان	630 – 633 = 3	20	أجينه تويجا قاغان	682 – 700 = 18
10	باغاشا تولو قاغان	633 – 634 = 1	21	أوجه له قاغان	700 – 706 = 6
11	أشباره تريش تونكا قاغان	634 – 639 = 5	22	سوكه قاغان	706 – 711 = 5

ومن سلالة التوركيش

#	الاسم	المدة	#	الاسم	المدة
23	صولو قاغان	711 – 737 = 26	26	باغا تارخان قاغان	740
24	توكسن قاغان	737 – 739 = 2	27	أيل - أيتمش قوتلوغ بيلكه قاغان	740 – 742 = 2
25	أجينه كين قاغان	739 – 740 = 1	28	تنكري أل – أيتمش قاغان	742

5- سلالة دوقوز اوغوز- اون ايغور (الاويغور) 745- 845 (940) = 100 (195) عام

#	الاسم	المدة	#	الاسم	المدة
94	قتلوغ بيلكه كول قاغان	745 – 746 = 1 ش	102	آي تنكري ده قوت بولمش آلب بيلكه قاغان	808-821 = 13 م
95	أيل – أيتمش بيلكه باينجور – (موينجور) قاغان	746 – 759 = 13 م	103	تنكري ده قوت بولمش كوجلوغ بيلكه قاغان	821 - 825 = 4 م
96	أيل – توتمش آلب – كولوغ بيلكه قاغان	759 – 780 = 21 م	104	آلب - بيلكه تنكري أويغوز قاغان	825 -832 = 7 م
97	آلب – قوتلوغ بيلكه قاغان	780 – 789 = 9 م	105	ألب – كولوغ بيلكه قاغان	832 - 839 = 7 م
98	تاراس كولوغ بيلكه قاغان	789 – 790 = 1 م	106	أوكه قاغان	839 - 845 = 6 م
99	أوجور قوتلوغ بيلكه قاغان	790 – 795 = 5 م	107	بيلكه باينجور – (موينجور الثاني) قادرخان	845؟ - 885 ؟= 40؟ ب
100	آلب – أولوغ قوتلوغ بيلكه قاغان	795 – 805 = 10 م	108	تافكاج أوغولجاق قادرخان	885؟ - ؟940 = 55؟ ب

101	آي تنكري ده قوت بولمش آلب كولوغ بيلكه قاغان	805 – 808 = 3 م

6 – سلالة القاراخانيين 845 (940) – 1040 = 195 (100) عام

109	كول بيلكه خان	845 - ؟ = ؟ ش
110	بازر خان	؟ - ؟ = ؟ ش
111	صاتوق بوغرا عبد الكريم خان	940؟-955 = 15؟
112	بايتاش موسى خان	955- ؟ = ؟
113	علي خان	؟ - 998 = ؟
114	الخان احمد الأول	998- 1017 = 19
115	منصور خان	1017 -1024= 7
116	الخان أحمد الثاني	1024 -1026 = 2
117	يوسف خان	1026 -1032 = 6
118	سليمان خان	1032 -1040 = 8

7 - السلالة السلجوقية 1040- 1308 = 268 عام

119	السلطان طغرل بك	1040-1063 = 23
120	السلطان آلب أرسلان	1063 – 1072 = 9
121	السلطان ملكشاه	1072-1092 = 20
122	السلطان محمود	1092 – 1094 = 2
123	السلطان برقياروق	1094-1104 = 10
124	السلطان ملكشاه الثاني	1104 – 1105 = 1
125	السلطان محمد طابار	1105-1117 = 12
126	السلطان سنجر	1117-1157 = 40
129	السلطان سليمان شاه الثاني – تركيا	1196 – 1204 = 8
130	السلطان قليج أرسلان الثالث -تركيا	1204 – 1205 = 1
131	السلطان كيكاوس الأول – تركيا	1211 – 1219 = 8
132	السلطان كيقباد الثاني - تركيا	1219-1237 = 18
133	السلطان كيخسرو الثاني – تركيا	1237 – 1246 = 9
134	السلطان كيكاوس الثاني – تركيا	1246 -1256 = 10 +1257 -1261= 4 =14
135	السلطان قليج أرسلان الرابع – تركيا	1256 – 1257 = 1 +1261 -1266= 6=5
136	السلطان كيخسرو الثالث – تركيا	1266 -1281 = 15

127 السلطان قليج أرسلان الثاني - تركيا 1157-1192 = 35

128 السلطان كخسرو الأول - تركيا 1192 -1196 = 4 +1205- 1211= 6=10

137 السلطان مسعود الثاني – تركيا 1281-1297 = 16 +1302- 1308= 6 =22

138 السلطان كيقباد الثاني - تركيا 1297 – 1302 = 5

ملاحظة :- كان ملوك السلالات الأربع المار ذكرها يعتنقون الدين الشاماني . وسنوضح ديانة من يلي من الحكام برموز تشير إلى الأديان كما يلي :- (ش) شاماني (م) ماني (ب) بـوذي (ح) مسـيحي أمـا الحكام الذين لا توجد إزاء أسمائهم رموز فهم مسلمون جميعا .

8- سلالة الالخانيين 1308- 1335 = 27 عام

139 السلطان أولجايتو خدابنده 1308 – 1316 = 8

140 السلطان أبو سعيد بهادر 1316-1335 = 19

9- السلالة الجغتائية 1335- 1370 = 35 الالخانيون+ الجغتائيون = سلالة جنكيز = 62 عام

141 بوزان خان 1335-1338 = 3 ح

142 أيسن – تيمور خان 1338 – 1340 = 2

143 محمد خان 1340 – 1343 = 3

144 قازغان خان 1343 – 1346 = 3

145 بويان – قولو خان 1346 – 1347 = 1

146 توغلوق – تيمور خان 1347-1362 = 15

147 إلياس – خوجا خان 1362 – 1370 = 8

10- السلالة التيمورية 1370- 1447 = 77 عام

11-

148 تيمور كوركان 1370-1405 = 35

149 السلطان خليل مرزا 1405 – 1409 = 4

150 السلطان شاه روخ مرزا 1409-1447 = 38

12- السلالة العثمانية 1447- 1922 = 475 عام

13-

151 السلطان مراد الثاني 1447 – 1451 = 4

152 السلطان محمد الثاني الفاتح 1451-1481 = 30

153 السلطان بايزيد الثاني 1481-1512 = 31

154 السلطان سليم الأول - ياوز 1512 – 1520 = 8

155 السلطان سليمان الأول - 1520-1566 = 46

167 السلطان مصطفى الثاني 1695 – 1703 =8

168 السلطان أحمد الثالث 1703-1730 = 27

169 السلطان محمود الأول 1730-1754 = 24

170 السلطان عثمان الثالث 1754 – 1757 = 3

171 السلطان مصطفى الثالث 1757-1774 = 17

القانوني

156	السلطان سليم الثاني	1566 – 1574 = 8
157	السلطان مراد الثالث	1574-1595 = 21
158	السلطان محمد الثالث	1595 – 1603 = 8
159	السلطان أحمد الأول	1603-1617 = 14
160	السلطان مصطفى الأول	1617- 1618 = 1+ 1622-1623= 1=2
161	السلطان عثمان الثاني	1618 – 1622 = 4
162	السلطان مراد الرابع	1623 -1640 = 17
163	السلطان إبراهيم	1640 – 1648 = 8
164	السلطان محمد الرابع	1648-1687 = 39
165	السلطان سليمان الثاني	1687-1691 = 4
166	السلطان أحمد الثاني	1691 – 1695 = 4

172	السلطان عبد الحميد الأول	1774-1789 = 15
173	السلطان سليم الثالث	1789-1807 = 18
174	السلطان مصطفى الرابع	1807 – 1808 = 1
175	السلطان محمود الثاني	1808-1839 = 31
176	السلطان عبد المجيد الأول	1839-1861 = 22
177	السلطان عبد العزيز	1861 -1876= 15
178	السلطان مراد الخامس	1876
179	السلطان عبد الحميد الثاني	1876-1909 = 33
180	السلطان محمد الثاني - رشاد	1909 – 1918 = 9
181	السلطان محمد السادس – وحيد الدين	1918 – 1922 = 4

12- الجمهورية التركية اعتبارا من عام 1923

<u>خاقانات الغرب والشرق الذين يلون الملوك الأتراك الكبار</u>

1- خاقان الشرق (1040- 1077 = 37) (السلالة القاراخانية)

كان عرش الدولة التركية الكبرى في هذه الأعوام بحوزة السلالة السلجوقبة الذين كانوا ملوك الشرق

1	سليمان خان	1040-1057 = 17
2	محمد خان	1057 – 1058 = 1
3	إبراهيم خان	1058 – 1059 = 1
4	محمود خان	1059-1074 = 15
5	عمر خان	1074 – 1075 = 1
6	حسن خان	1075 – 1077 = 2

2- خاقان الغرب (تركيا) (1077- 1157 = 80) (السلاجقة)

كان عرش الدولة التركية الكبرى في هذه الأعوام بحوزة السلاجقة الكبار الشرقيين

1	السلطان سليمان – شاه الأول	1077 – 1086 = 9
2	السلطان داود	1086 – 1092 = 6
3	السلطان قيلج أرسلان الأول	1092-1107 = 15
4	السلطان مسعود الأول	1107-1155 = 48
5	السلطان قليج أرسلان الثاني	1155 – 1157 = 2

3- خاقان الشرق (1157- 1194 = 37) (سلاجقة العراق)

كان عرش الدولة الكبرى في هذه الأعوام بحوزة سلاجقة الأناضول أي أباطرة تركيا وهم الغربيون

1	السلطان محمد	1157-1159 = 2	3	السلطان أرسلان شاه	1161-1177 = 16
2	السلطان سليمان شاه	1159 – 1161 = 2	4	السلطان طغرل شاه	1177-1194 = 17

4- خاقان الشرق (1194- 1231 = 37) (الخوارزمية كان عرش الدولة الكبرى في هذه الأعوام بحوزة سلاجقة الأناضول أي أباطرة تركيا وهم الغربيون

1	تكش خرزم شاه	1194 – 1200 = 6	3	جلال الدين خرزم شاه	1220- 1231 = 11
2	محمد خزرم شاه	1200- 1220 = 20			

5- خاقان الشرق (1231- 1335 = 104) (قوم جنكيز الجغتائيون)

كان سلاجقة الأناضول أي أباطرة تركيا على عرش الدولة الكبرى حتى عام 1308 والالخانيون من أبناء جنكيز بعد هذا التاريخ

1	جغتاي خان	1231-1242= 11 ش	10	قونجوق خان	1306 – 1308 = 2 ش
2	قاره هولاكو خان	1242 – 1247 = 5 +1251ش	11	تاليكو خان	1308 – 1309 = 1 ش
3	مونكه خان	1247-1251 = 4 ش	12	كبك خان	1309+ 1318- 1321 = 3 ش
4	مبارك شاه خان	1251 – 1261= 10 + 1266	13	إيسن – بوغا خان	1309 – 1318 = 9 ش
5	الكو خان	1261-1266 = 5 ش	14	إيليجي – كداي خان	1321 ش
6	باراق خان	1266 – 1271 = 5	15	دو وه تيمور خان	1321 – 1322 = 1 ش
7	نيكباي خان	1271-1272 = 1 ش	16	تارما شرين خان	1322 – 1334 = 12
8	توكا - تيمورخان	1272-1282= 10 ش	17	سانجار خان	1334
9	دو وه خان	1282-1306= 24 ش	18	جنكشي خان	1334 – 1335 = 1ح

6- خاقان الغرب (تركيا) (1335- 1447 = 112) (العثمانيون)

كان الجغتائيون الشرقيين على عرش الدولة الكبرى حتى عام 1370 والتيموريون بعد هذا التاريخ

1	السلطان أو رخان	1335 – 1362 = 27	4- آ	موسى جلبي	1411- 1413 = 2
2	السلطان مراد الأول	1362 – 1389 = 27	5	السلطان محمد الأول	1411- 1421 = 10

				جلبي	
3	السلطان بايزيد الأول - يلدرم	13 = 1402 – 1389	6	السلطان مراد الثاني	+23 = 1444 -1421 24 =1= 1447 -1446
4	سليمان جلبي	9 = 1411 -1402	7	السلطان محمد الثاني	2 = 1446 – 1444

المبحث الثالث

الدولة التركية الكبرى بعد اعتناق الإسلام

القاراخانيون 940- 1040

القاراخانيون والاويغور

فقدت الدولة التركية الكبرى صفتها العالمية وصفة الإمبراطورية الآسيوية بين عام 845- 940 . وقد حكم خلال الخمس والتسعين عاما هذه ملوك من الاويغور والقاراخانيين ولاتتوفر لدينا المعلومات الكافية للجزم بسيطرة أحدهما عل الآخر. إلا إننا نستطيع أن نقول بان القاراخانيين كانوا ملوك الغرب والاويغور ملوك الشرق. وقد أحدث اعتناق صاتوق بوغرا خان الإسلام باسم عبد الكريم في عام 940 نقطة تحول في التاريخ التركي إذ سيطر القاراخانيون بعد هذا التاريخ على الدولة التركية الكبرى. وتنتسب السلالة القاراخانية مثل الاويغورية إلى سلالة الكوك تورك التي نسميها أبناء اجينا. وقد أحدث القاراخانيون انقلابا مزدوجا في التاريخ التركي باعتناقهم الإسلام وإيصالهم الإمبراطورية التركية قرب البحر الأبيض المتوسط. وقد كان لهم تأثير هام في تاريخ العالم أيضا . فقد أضفوا على العالم الإسلامي الذي بدا الوهن يتطرق إليه قوة جديدة وفتية ولم يمض قرن وربع القرن على اعتناقهم الإسلام حتى حكموا العالم الإسلامي بأسره. وبذلك فقد حل الأتراك محل العرب في تمثيل العالم الإسلامي. أما الانقلاب الثاني فقد كان نقل الإمبراطورية التركية إلى الجنوب الغربي متبعين خطة سلالة دوقوز اوغوز- اون اويغور التي نقلت مركز الأتراك من مغولستان الغربية إلى تركستان الشرقية ولهذا الأمر أهمية قصوى وتأثير بالغ على تاريخ العالم. وإذا كان مركز ثقل سلالة الاويغور يتركز في الأقسام الوسطى والشرقية والشمالية من تركستان الشرقية فقد كان أبان حكم القراخانيين في غرب تركستان الشرقية (بجوار كشغر) وقد أسدى هؤلاء اكبر خدمة للأمة التركية منذ عهد الكوك تورك بتوسيع حدود الدولة اثر انتزاع ما وراء النهر من السامانيين الفرس وتوحيد تركستان الشرقية والغربية وزحفوا من كشغر (800 كم) غربا إلى سمرقند (تقع سمرقند وبخاري وكشغر على خط عرض 39 درجة) وحري بنا نظرا لأهمية هذا الحدث في التاريخ التركي أن نتوسع في هذا البحث من الناحية السياسية الجغرافية مستعينين بالأمثلة آخذين بنظر الاعتبار أن السلاجقة والعثمانيين قد استندوا إلى هذه الناحية في توسعهم. فإذا ما نظرنا إلى تاريخ الدولة التركية الكبرى منذ تأسيسها وحتى عام 845 نرى إن العاصمة اوتوكن وحواليها أي وسط وشمالي مغولستان الحالية تبعد عن البحر الأبيض المتوسط (من خليج الاسكندرونة) بمسافة 5300 كم بينما تبعد عن المحيط الهادي (من خليج بجيلي) بمسافة 1600 كم وقد أخفى هذا الأمر على الإمبراطورية التركية صفة كونها دولة من دول الشرق الأقصى. وقد نقلت العاصمة أبان حكم الاويغور في فترتهم الثانية أي خلال أعوام 845- 940 إلى مدينة قارابا لكاسون على مسافة 1400 كم إلى الجنوب الغربي. وبالرغم من إن مركز الدولة قد ابتعد عن اقرب المياه المفتوحة (المحيط) فإن المسافة إلى البحر الأبيض قد تناقصت إلى 4150 كم (أصبحت المسافة إلى المحيط 2900 كم) ولم يقتصر التغيير على هذا الأمر فحسب بل إن اوتوكن كانت تقع على خط عرض 48 درجة بينما كانت العاصمة الجديدة على خط عرض 42.30 درجة . وبذلك فقد أزيحت العاصمة إلى الجنوب بمقدار 5.5 درجة ونتيجة لهذا فقد تم الانتقال من المناخ البارد إلى المعتدل. أما القاراخانييون فقد كانت عاصمتهم أول الأمر

مدينة بالاساغون ثم مدينة كشغر. ولا اثر للمدينة الأولى حاليا وقد كانت تقع غرب بحيرة ايصيق على بعد 240 كم إلى الشمال من كشغر. وكانت هذه المدن تبعد بمسافة 3300 كم عن البحر المتوسط و3500 كم عن المحيط الهادي و1750 كم عن المحيط الهندي و2750 كم عن البحر المتجمد الشمالي (خليج اوبي) أي إنها كانت في وسط آسيا تماما وكانت الدولة التركية لا تزال دولة برية إلا أنها على بعد مسافات متساوية من المياه المفتوحة وبذلك فقد خرجت عن كونها دولة من دول الشرق الأقصى. وإضافة إلى هذا فقد انتقلت العاصمة 3.5 درجة أخرى إلى الجنوب (أستا نبول 41 درجة وكشغر 39 درجة) وقد كانت هذه المنطقة وحيدة في بابها من ناحية البعد عن البحار إذ يستحيل إيجاد نقطة تساويها في هذا البعد في أفريقيا أو أمريكا أو أية منطقة أخرى في آسيا بالذات. وهذا يعني أن المستقبل كان يخفي انفتاحا على المياه المفتوحة. وقد آمن الأتراك بدهائهم السياسي بهذه الضرورة وتحسبوا لها منذ بادئ الأمر. إذ أن كل شيء كان يدفع الأتراك بعد هذه النتيجة إلى سبيل البحر المتوسط والأناضول. وقد كانت الحيلولة دون وصول الأتراك إلى هذه المناطق ضربا من المستحيل. إذ أن الإمبراطورية التركية مرت بفترة تطور وتكامل استمرت ثلاثة عشر قرنا (220 ق.م- 107 ب.م) للوصول إلى هذه النتيجة. تم تركز القاراخانيون في عام 1040 في كشغر وسمرقند وانتقل عرش الدولة التركية الكبرى إلى السلاجقة وأصبحت مدينة نيسابور (قرب مشهد في خرا سان) عاصمة السلاجقة في عام 1037. وبذلك فقد أصبحت الدولة التركية من دول الشرق الأدنى قاطعة علاقاتها التي ترجع إلى آلاف السنين بالشرق الأقصى. ويصادف عام 1071 فتح الأناضول وملازكيرت. وفي عام 1077 تأسست دولة تركيا واختيرت مدينة ازنيق عاصمة لها.

أسطورة صاتوق بوغراخان

حمل اعتناق صاتوق بوغرا خان للدين الإسلامي وتبديل الدين الرسمي للدولة إلى الإسلام نابذا ديانة آبائه وأجداده لآلاف السنيين (الدين الشاماني) على انه وحي إلهي فظهرت نتيجة لذلك أسطورة صاتوق بوغرا خان بين الأتراك. وفحوى هذه الأسطورة إن الخاقان التركي تعلم أسس الدين الإسلامي في حلمه فأعلن إسلامه عند استيقاظه من النوم وعلم رعاياه اركان هذا الدين الجديد آمرا بان يعتنق الأتراك جميعا الإسلام. والحقيقة إن اعتناق الأتراك للإسلام كان نتيجة تفاعل وتكامل استمر قرونا عديدة حتمية المصالح السياسية والقومية العليا . وهو ابعد ما يكون عن حدث ارتجالي وإلهام من قبل شخص واحد.

لماذا اسلم الأتراك؟

يبدأ احتكاك الأتراك بالدين الإسلامي في أواخر القرن السابع. فقد وصل هذا الدين الذي ولد عام 610 واجتاز حدود الجزيرة العربية في عام 634 إلى خراسان في أواخر القرن السابع وبدا بذلك احتكاك الدولة التركية الغربية به . وقد أسلفنا في موضوع الكوك تورك نتفا حول هذا الأمر . تدارس الأتراك هذا الدين طيلة قرن ونصف القرن. وفي خلال هذه المدة اعتنق مئات الألوف من الأتراك هذا الدين ودخلوا في خدمة الإمبراطورية الإسلامية وارتقوا حتى إلى منصب القائد العام لقوات الخليفة كما إن الطولونيين من أتراك



الاوغوز أسسوا أول دولة تركية مصرية- سورية. وقد اعتاد الأتراك في ما وراء النهر وسواحل بحر الأسرار أن يعيشوا مختلطين بدياناتهم الإسلامية والشامانية وحتى البوذية والمانية. وكان قسم من القارلوق مسلمين والقسم الآخر شامانيين كما كان بينهم من يدين بالبوذية أو المانية .

وقد حدث تقارب بين الأتراك والمسلمين نتيجة لوقوف العرب ضد الصينيين. وأصبحت ما وراء النهر في الربع الأول من القرن العاشر مسلمة برمتها إذ كان الفرس والأتراك القاطنين هنا مسلمين, من رعايا الدولة السامانية، الدولة الفارسية التي كانت تتبع الخلافة الإسلامية في بغداد بالاسم فقط.

وقد واجه الأتراك هذه الدولة عندما نقلت العاصمة إلى بالاساغون وكشغر. وحتمت الظروف السياسية الجغرافية شن الحرب على السامانيين وفتح ما وراء النهر التي كانت خاضعة للدولة التركية الكبرى منذ عهد الهون وحتى سقوط سلالة الكوك تورك فقد كان استردادها من أيدي الفرس ضروريا. وكان من الضروري للتغلغل في بنية الدين الجديد والمجتمع الإسلامي الحائز على ثقافة وحضارة فريدة في العصور الوسطى اعتناق الدين الإسلامي . ولم يكن الفرس وحدهم في عدم قبول سلطة الدولة التركية الكبرى التي تدين بالشامانية بل كان الأتراك المسلمون أيضا يرفضون إتباعها. في حين إن دولة تركية كانت ستكسب تأييد هذا الإقليم الذي كان الأتراك يشكلون نصفه في حالة إسقاط الدولة السامانية وتأسيس دولة جديدة. وقد كان من نتائج إسلام القاراخانيين سيطرة الأتراك على ما وراء النهر وخراسان، الناحية.لذي يربط الشرق الأدنى بالشرق الأوسط. ولا يخطر بالبال إطلاقا إن الحكام الأتراك بدهائهم المعروف لم يلتفتوا إلى هذه الناحية . لم يكن لينتظر الأتراك مستقبل لامع ما لم يتم فتح ما وراء النهر وخراسان. وبالفعل فإن الاويغور لم يمتلكوا دولة عالمية موسعة ولم يكن بوسع الإمبراطورية التركية التي فقدت صفة كونها من دول الشرق الأقصى أن تبقى ثابتة في آسيا الوسطى فإن دولة برية بهذا الشكل لم تكن لتطمع في أن تتوسع في حين إن تقاليد الأتراك وكرامتهم كانت تقتضي محافظة وضعهم العالمي وإضافة إلى الأسباب الوارد ذكرها في اعتناق الأتراك للإسلام فقد كان هناك عامل معنوي، فقد اعتنق قسم من الأتراك البوذية والمانية بعد نبذهم للشامانية وقد ظهر اثر تجارب قرن واحد إن هذه الأديان لا تتفق والبنية القومية للشعب التركي فقد أحدث اعتناق هذه الأديان إخلالا بتقاليد الأتراك ومزاياهم العسكرية ونتج عنه تخريب البنية السياسية للدولة التركية وتغيير القيم المعنوية للأتراك. وجاء الدين الإسلامي بتقديسه للعناصر المعنوية المقدسة من قبل الأتراك وأسسه العملية مطابقا لرغبات هذا القوم نظرا لتجرده من الأخطاء والنواقص الموجودة في تلك الأديان . وقد أدى اعتناق الأتراك للإسلام بمحض إرادتهم وعلى شكل كتلة واحدة وتكيف الوضع القومي معه إلى وصولهم إلى أقوى المراحل التي وصلوها في تاريخهم الحافل.

وقد ظل قسم من الأتراك على ديانتهم القديمة بعد اعتناق القاراخانيين للإسلام على شكل كتلة واحدة ولا يزال هناك قسم منهم غير مسلمين . إلا إن العصور التي أعقبت هذا الحدث ولاسيما بعد إسلام ثلاثة من أربعة فروع تشكلت منه الامبراطورية المغولية بعد جنكيز خان وتبنيهم للغة التركية أدى إلى تناقص هذه الجماعات ونزولهم إلى مرتبة أقلية ضئيلة تعيش في الأقاليم النائية في الشرق الأقصى وسيبريا. ويجدر بالذكر إن العالم الإسلامي والإسلام كان يمر بفترة حرجة عندما اعتنق الأتراك الإسلام . إلا إن الأتراك أصبحوا مدافعين صادين لهذا الدين ومقابل هذا فقد منح الإسلام للأتراك وحدة معنوية لا تقدر بثمن. ومن ناحية أخرى فإن الازدياد المطرد في نفوس الشعب التركي كان يحتم التغلغل في الأقاليم الإسلامية الغنية والوصول إلى المياه المفتوحة. وقد حدث هذا في وقت مل فيه العالم الإسلامي من ضعف الخليفة الذي كان مرجع السلطان واخذ يرنو إلى الاستقرار والطمأنينة التي ستستتب بيد الأتراك ولم يكن من المتصور أن لا يحيط الحكام الأتراك

الذين عرفوا بدهائهم السياسي وحكمتهم التنظيمية. ومن هذا يذكر المفكر العربي الكبير الجاحظ (توفي عام 869) في أوج عظمة الخلافة: حب الوطن يشمل الناس جميعا إلا إن هذه الخصلة تبرز لدى الأتراك أكثر من غيرهم ويذكر قتيبه بن مسلم (فاتح ما وراء النهر) إن الأتراك مولعون بوطنهم يضحون في سبيله بكل غال ورخيص. لا ينسونه ولا يسلونه أينما ذهبوا وقد أدت هذه العوامل إلى تفوق الأتراك على باقي الأمم والأتراك يعرفون هذا جيدا وتظهر الكفاءة الفذة للأتراك في العمل من اجل الوطن وفتح الأقاليم وإدارتها بشكل منظم على ابرز ما تظهر على الأمم القوية كالبيزنطيين والانكلوسكسون وغيرهم ويستدل على ذلك من دراسة بسيطة وسطحية للتاريخ التركي وقد برزت هذه الصفة على ابرز ما تكون في ملحمة اوغوز بهذه العبارة (إنهم يهاجرون دائما لا يستقرون في مكان) وعلاوة على استمرار هذه المزايا عند الأتراك طيلة تاريخهم فإنها شكلت دعما معنويا لهم في أيام فتورهم وضعفهم أيضا. ويذكر المؤرخ الروسي بارتولد في معرض حديثه عن هذه الخصلة قوله:- أثارت الفتوحات التركية في القرن العاشر غرورا قوميا وفخرا للأتراك ساعدهم حتى في القرن العشرين.

ويرى محمود الكشغري (أحد أمراء الإمبراطورية التركية من سلالة القاراخانيين) والأدباء الأتراك الكبار الذين تعاقبوا في عهد القاراخانيين، ويوسف خاص حاجب، وهو من وزراء القاراخانيين . إن الأتراك انفردوا بقابلية تشكيل الدول يشكل موهبة ورعاية سماوية . ويذكر يوسف خاص حاجب إن الحكام الأتراك توارثوا سر تشكيل الإمبراطورية الكبرى أبا عن جد منذ عهد آلب أر تونكا على شكل قدرة قومية خفية. ويستند محمود الكشغري إلى أحاديث نبوية في رأيه القائل بأن الأتراك امتلكوا قدرة حكم العالم بفعل قدرة إلهية. يذكر كبار بحاثة التاريخ الصيني واللغة الصينية أمثال هيرث وهيرمان إن وجود الإمبراطورية التركية كدولة كبيرة فيوالبيزنطيين. أضفى الكثير من الرفاه والاستقرار على الحياة الاقتصادية والتجارية في تلك المنطقة. إذ كان الأتراك بمثابة حلقة وصل وارتباط بين الشرق الأقصى والأدنى أو بعبارة أخرى بين الصينيين والفرس والرومان والبيزنطيين . وكانوا مسيطرين على سبل التجارة بين البيزنطيين والصينيين والمسماة بطريق الحرير. وكان هذا نتيجة لامتداد الحدود التركية إلى شمال بيكين فبلاد الفرس وخراسان وجبال اورال. وقد استعمل الأتراك نظام الصكوك في المبادلات التجارية وعمموا استعمالها في آسيا . وقد حاولوا استعمال النقود الورقية عدة مرات إلا أنهم أخفقوا في ذلك. ولكنهم وسعوا التجارة بتأسيس شركات تجارية مع التجارالصينيين والفرس وقد استمرت هذه في عهد الإمبراطورية المغولية أيضا . وقد اشترك التجار العرب فيما بعد في هذه الشركات التي كانت تسير قوافل ترحل طيلة خمسة اشهر متوغلة في سيبريا . ويذكر إن خمسة آلاف شخص كانوا ضمن قافلة خرجت من خوارزم في جنوب بحيرة آرال في عام 921 وقد مرت القافلة ببلاد الاوغوز ووصلت إلى إقليم أتراك البلغار في سواحل الفولجا. وعادت القافلة التي بدأت بسيرها في الربيع إلى خوارزم في الخريف وقد كانت الشركات تمتلك بواخر تمخر عباب المحيط الهندي وقد سجل المؤلفون العرب والرومان نزاهة التجار الأتراك في مناسبات عديدة.

اثر عهد القاراخانيين في التاريخ التركي

يشكل القاراخانيون حلقة بين عهد الكوك تورك والاويغور وعهد السلاجقة. فالآثار المعمارية والسيراميك والنقوش الخشبية انتقلت إلى السلاجقة من القاراخانيين وكذلك الأمر بالنسبة للصفحات الأخرى من تاريخ المدينة.

وقد أدى إسلام صاتوق بوغرا خان (قبره في محلة آرتش بمدينة كشغر) إلى إسلام القبائل التركية الأخرى. وقد اسلم الاوغوز القاطنون ما بين بحيرة ارال وبحيرة قزوين في الربع الثالث من القرن العاشر، ويجدر بالذكر إن السلاجقة الذين سيطروا على الإمبراطورية التركية وحكموا العالم الإسلامي وأسسوا دولة تركيا هم السلالة الحاكمة لهؤلاء الاوغوز.

لقد أصبح قبول الإسلام دينا من قبل الأتراك أمرا حتميا كما كان بالنسبة للأقوام الأخرى وفي هذا يذكر بارتولد: نرى في التاريخ إن كثيرا من الأقوام الاوسطى، البوذية قد أسلمت إلا إن أي قوم مسلم لم يعتنق المسيحية أو البوذية(تاريخ الترك في آسيا الوسطى،ص 59).

وقد ارتقى القاراخانيون إلى أعلى المراحل في العالم الإسلامي بعد انتزاعهم ما وراء النهر من السامانيين الفرس. وكانت بخاري عاصمة الدولة السامانية من جملة المدن التي فتحت من قبل الأتراك. ووصل هؤلاء إلى خرا سان إلا أن إمبراطورية تركية أخرى واقعة تحت التأثير الفارسي وهي الدولة الغزنوية حالت دون استمرار القاراخانيين في سيرهم نحو الجنوب والغرب. وقد طرد الغزنويون الذين تصدوا للقاراخانيين في طريق الغرب من قبل السلاجقة واخرجوا من هذه البقعة وفتحت سبل الغرب والبحر الأبيض المتوسط للدولة التركية الكبرى. وتجلى مستقبل الدولة الغزنوية في الهند فتأسست أول دولة تركية مسلمة في القارة الهندية.

وبدأت تركستان الغربية بعد تركستان الشرقية في اتخاذ طابع تركي في مطلع القرن الحادي عشر فتأسست مدن تركية جديد (أطلق الأتراك اسم طاش كنت على مدينة بين كنت في القرن الحادي عشر) ونتيجة لفقد العرب قدرتهم الأولى فقد واجه الأتراك ضرورة الدفاع عن العالم الإسلامي.

وفي عام 1025 اجتمع السلطان محمود الإمبراطور التركي الغزنوي في جنوب سمرقند مع إمبراطور القاراخانيين قادر خان يوسف وتدارسا النزاع بين الدولتين الكبيرتين حول ما وراء النهر إذ أن الغزنويين كانوا سيطروا على ما وراء النهر ودفعوا بالقاراخانيين بعيدا إلى ما وراء بحر الأسرار. وهنا برز السلاجقة ضد الغزنويين فإن سلالة تعجز عن إيصال الأتراك إلى المياه الدافئة لم تكن لتستطيع أن تبقى على عرش الدولة التركية الكبرى.

وقد أصبح الدين الإسلامي حاكما في معظم أقسام تركستان التي كانت تسمي آنذاك (توران) ماعدا جونغاريا وشمال قازاخستان وشرق تركستان الشرقية بالقرب من قان صو إذ كانت شامانية أو بوذية. أما في تركستان فقد كانت مدينة كوجا مسلمة في حين كانت تورفان بوذية وكانت صحراء يدي صو المسكونة من قبل التوخسي والياغما والجيغيل من قبائل الأتراك مسلمة مثل جنوب بحيرة بالقاش إلا أن سهل القرغيز في شمال هذه البحيرة كان يدين بالشامانية.

وقد حاول الأتراك نشر الإسلام وهم الذين قبلوا بهذا الدين بشكل سياسة قومية. وقد حاربوا في هذا السبيل فأرسلوا جيوشا حتى إلى منابع نهر يامار(اوبي) التي كان يقطنها الباسميل الأتراك.

الحضارة التركية في عهد القاراخانيين

كان الايغور يعيشون على شكل دويلات صغيرة في مدن تركستان الشرقية على عهد القاراخانيين. وكان الاويغور الذين يدينون بالبوذية لا يزالون محتفظين بحضارتهم المتقدمة كما كانت المؤلفات التركية ذات القيمة الكبرى تكتب بلهجة الاويغور. وقد حال هؤلاء دون تسرب الإسلام إلى قان صو، ولم يفتح هذا الطريق إلا



بعد إسلام المغول في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبذلك تسرب الإسلام إلى إقليم قان صو، وانتشر في جنوب شرق الصين في يونان.

وكان القاراخانيون قد نشروا الإسلام في إقليم طارم وقد انتشر هذا الدين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر في شرق بحيرة لوب وإقليم جايدام حتى التبت. وكانت خوارزم أي جنوب بحيرة ارال قد أصبحت تركية مثل تركستان الغربية وذلك في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وقد كان هذا الإقليم غنيا بموارده ويشكل حلقة اتصال بين قارتي آسيا وأوربا. وقد كانت الحضارة الإسلامية ابتداء من القرن السابع تعد من أرقى الحضارات لا تدانيها الحضارة المسيحية أو التركية أو الصينية أو الهندية. وقد كانت الحضارة المسيحية ممثلة بالبيزنطيين، إذ كانت أوربا الغربية والوسطى في حال مدقع من الإفلاس والفقر والتخلف ولم يبق اثر من ذكرى الإمبراطورية الرومانية الكبرى وأصبحت ضربا من الخيال.

أما الأتراك فمما لاشك فيه أنهم أسهموا في الحضارة الإسلامية قبل القرنين العاشر والحادي عشر وبرز منهم من عملوا من اجل هذه الحضارة بجد مثل الفارابي إلا إن هذه الحضارة كانت تتميز بطابع عربي.

وبتأسيس الدولتين الطاهرية والسامانية التابعتين للخلافة في بغداد وتبلور الأدب والشعر الفارسي في القرن العاشر فقدت اللغة العربية وثقافتها أثرها على الحضارة الإسلامية وظهرت إلى الوجود حضارة عربية - إسلامية مشتركة. وقد أسهم الأتراك ابتداء من النصف الثاني للقرن الحادي عشر كعنصر ثالث في هذه الحضارة.

وظهور الحضارة التركية الإسلامية للوجود من أهم أحداث التاريخ فقد أضفى الأتراك الكثير من الحيوية على هذه الحضارة. ووصلت الحضارة التركية إلى أوج عظمتها في القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر متقدمة على العرب والفرس.

وقد كان تأسيس الثقافة التركية الإسلامية والأدب التركي الإسلامي في القرن الحادي عشر في عهد القاراخانيين. في حين كانت الدولة التركية الكبرى تحافظ قبلهم على شخصية آسيا الوسطى. وبالرغم من هذا فإن الأتراك لم ينبذوا شخصيتهم الأولى في الحضارة وحتى في الدين فهناك اختلاف شاسع على ما نرى بين مفهوم الأتراك للدين ومفهوم العرب أو الفرس. ويتولد هذا الفرق من مزايا الثقافة التركية وحيويتها. ولا يخفي إن الأتراك أسسوا طرائق مختلفة مثل اليسوية والبكتاشية والمولوية وأضفوا روحا جديدة على المعتقدات الدينية.

ونظرا لعدم اعتراف الدين الإسلامي بفارق الطبقات ووجود طبقة النبلاء في المجتمع التركي فلم تتم تصفية الفروق حتى حكم العثمانيين. فقد استمرت الطبقة النبيلة في عهد السلاجقة والتيموريين. كما استمر منح النبلاء امتيازات خاصة في عهد القاراخانيين بعد إسلامهم. وإن كان هؤلاء يعفون من الضرائب والرسوم، إلا أنهم لم يكونوا منفصلين عن طبقات الشعب مثل نبلاء أوربا. وبالرغم من أن اعتبار عائله ما من النبلاء كان يقتضي صدور أمر سام من الحاكم لقاء خدمه كبرى أو بطولة تظهرها كما كانت الحالة عليه في أوربا فإن الشعب لم يكن ليملك حقوقا اقل من هؤلاء. ومثال ذلك إن الحدائق الخاصة للحكام وقصورهم أثناء سفرهم كانت تفتح لأبناء الشعب بغض النظر عن كونهم من الطبقات الغنية أو الفقيرة بحيث يستطيع كل واحد أن يتجول فيه متى ما شاء.

الأدب التركي في عهد القاراخانيين

يعتبر ديوان لغات الترك وقوتا دغو بيليك المكتوبين في العهد القاراخاني من أهم آثار الأدب التركي بعد كتابات اورخون. وقوتادغو بيليك يعني علم السعادة ومؤلفه وزير القصر الإمبراطوري في عهد القاراخانيين يوسف خاص حاجب. وقد تمت كتابته في عام 1070 فأهدى إلى حسن خاقان الذي كان وليا للعهد آنذاك وارتقى العرش في عام 1075. ويتألف من سبعة آلاف بيت مكتوب على وزن (فعولن فعولن فعولن فعول) من أوزان العروض. ولد المؤلف في عام 1015 في مدينة بالاساغون عاصمة القاراخانيين (وهي في غرب بحيرة ايصيق) وهو من عائلة تركية نبيلة. وقوتادغو بيليك يحوي أفكار الشاعر وفلسفته والكتاب يحوى حوارا بين أشخاص أربعة:

كون دوغدى الحاكم الذي يمثل العدالة، آي طولدى الوزير الذي يمثل فلسفة الدولة، اوكدولمش ابن الوزير الذي يمثل العقل، واودغورمش شقيق الوزير الذي يمثل القناعة. وقد عثر على ثلاث نسخ من قوتادغو بيليك هي نسخة فرغانة ونسخة فينا ونسخة مصر. واثنتان منها مكتوبة بالحروف العربية والثالثة بالحروف الاويغورية. وقد أحدث اكتشافها ضجة كبرى في تاريخ العلم وإن كانت لترقى إلى درجة كتابات اورخون وديوان لغات الترك. وقد عرف المستشرق اميديه يوبرت هذا الكتاب لأول مرة إذ كتب مقالة في عام 1825 تحدث فيها عن هذا الاكتشاف الذي دقق نسخته المنسوخة من الحروف العربية إلى الحروف الاويغورية في هرات عام 1439 والموجودة في المكتبة الإمبراطورية بفينا. كما نشر مقطوعات منها مترجمة. وهذه النسخة هي النسخة الثالثة المعروفة في الأوساط العلمية باسم نسخة فينا وهي ترجمة ركيكة مكتوبة من اجل علاء الدين علي أفندي فناري زاده، من علماء عصر محمد الفاتح الذي كان يتقن قراءة حروف الاويغور. أما النسخة المصرية من هذا الكتاب والموجود حاليا في المكتبة الوطنيةعشر بالقاهرة فقد كتبت في أواسط القرن الرابع عشر بأمر عز الدين آي دمير من أمراء المماليك في مصر. أما النسخة المتقنة منها فهي نسخة فرغانة المستنسخة في القرن الثالث عشر.

وقد درس هذا المؤلف العالم الروسي برزين في عام 1857، ثم العالم الروسي ايلمينسكي في عام 1862، ثم العالم المجري ومبري في عام 1870 وقد ترجم الأخير ألف بيت من المنظومة إلى اللغة الألمانية ونشرها. وقد أدت هذه الترجمة إلى اشتهار هذا المؤلف فعمد العالم الألماني شوت في عام 1871، والعالم فاسيلوف في عام 1890 إلى دراسته. كما قام العالم الروسي الكبير رادلوف الأخصائي بعلم اللهجات التركية إلى طبع نسخة هرات كاملة في لينغراد في عام 1890. وقام العالم نفسه بعد عام واحد بطبع المؤلف مجددا بحروف المانجو. وقام مليورانسكي الروسي في عام 1893 والبرتس الألماني في عام 1897 وكليرمونت- كانيه الفرنسي في عام 1898 ورادلوف في عام 1898 بدراسة المؤلف مجددا. كما عاد مليورانسكي إلى دراسته في عام 1900 وكذلك رادلوف الذي نشر نسختي هرات ومصر مجددا في عام 1900 وترجم المؤلف بأكمله إلى اللغة الألمانية.

ومن العلماء الذين درسوا هذا المؤلف وكتبوا عنه أبحاثا قيمة كل من: البرت في عام 1901 وطومسن الدانمركي والذي توصل إلى قراءة حروف الكوك تورك. وهرتمان الألماني في عام 1902 وجو زيف المجري في عام 1903 ورادلوف مرة أخرى في 1908 وصامويلوفيج الروسي في 1912 وزكي وليدي طوغان في 1914، وبارتولد الروسي في 1922، وفؤاد كوبريلي في نفس العام، وأ. رحيم وأ. عزيز من القازان الأتراك في 1924 وصامويلوفيج ورضا نور في نفس العام، وفطرت التركي الاوزبكي في 1925

ومالوف الروسي في 1926 وبارتولد مجددا في عام 1927 ، وفطرت وصامويلوفيج في عام 1928 ومالوف الروسي في 1929 وبروكلمان الألماني في 1933 وصامويلوفيج في 1934 ونيميت المجري في 1935 ورشيد رحمتي ارات في 1936.

كما قام بونيللي في عام 1933 بترجمة قسم من المؤلف إلى الإيطالية. كما عاد إلى دراسة المؤلف كل من ضياء الدين فخري فندق اوغلو في 1938 وحسين نامق اورقون في 1940 واحمد جعفر اوغلو في عام 1943 وبرتلس الروسي في عام 1944 وصادق آران في نفس العام، وبرتلس مجددا في 1945 ومولاف في 1948 و 1951 . كما قام فاليتوف في عام 1943 بترجمة مقتطفات منه إلى اللغة الروسية.

و قام مجمع اللغة التركية بطبع النسخ الثلاث للمؤلف في مجلدات ثلاثة في عام 1942- 1943 في أستا نبول . ثم قام رشيد رحمتي آرات بنشر نصوصه بالحروف اللاتينية في عام 1947 ثم نشر ترجمتها الكاملة الى اللغة التركية بحالتها في يومنا هذا. والمؤلفان الأخيران يعرضان الكلمة الأخيرة الكلمة الأخيرة للعلم حول هذا الموضوع .

ديوان لغات الترك

مؤلف هذا الكتاب هو الأمير محمود الكشغري ابن الأمير حسين خان ابن عم حسن خاقان الذي أهدى إليه كتاب قوتادغوبيليك وقد بدأ بكتابته في 25 كانون الثاني 1072 وانتهى منه في 10 شباط 1074 وراجعه في عام 1077 ثم قدمه إلى الخليفة المقتدي با في بغداد. ويهدف الكتاب إلى تعليم الخليفة البالغ من العمر 21 عاما (وهو الزعيم الروحي للمسلمين) وصهر ألب ارسلان اللغة التركية. إلا أن المؤلف اجتاز حدود هذا التعليم ووضع موسوعة كاملة للغة الأتراك. وكان الأمير محمود الكشغري ملما بلهجات اللغة التركية كافة وقد أورد في كتابه أمثله مختلفة حول هذه اللهجات. وضمن المؤلف كتابه خريطة ملونة للعالم تظهر فيها تركستان مركزا للعالم (كانت الأناضول قد فتحت في عام 1077 وأسست دولة تركيا) ويذكر المؤلف في مقدمة الكتاب ما يلي:

"إن ا وهب شمس الدولة من أبراج الأتراك وقد رأيت دوائر السماء تدور حول أقاليم الترك. لقد وهبهم ا اسم تورك (وتورك يعني القوي) وجعلهم مسيطرين على المعمورة. وقد خرج أباطرة العالم من عرق تركي. وقد سلم زمام الأمور في العالم إلى الأتراك. وجعل الأتراك أقوى الأمم وأرقاهم. وقد قوي الأتراك بالحق لأنهم لم ينحرفوا عنه. وأصبحت الأمم الأخرى معززة بفضلهم وتوصلت إلى مطامحها بيد الأتراك. إذ قام هؤلاء بحماية تلك الأمم من كل الشرور. الكل محتاجون للأتراك حاكمي الدنيا ويتحتم تعلم اللغة التركية لإفهامهم المشاكل التي يريدون حلها".

ومما يستحق الذكر إن هذه الأسطر كتبت في بغداد عاصمة الخلافة. وهي مثال بارز للشعور القومي. وليس أول من فتح الأناضول من قاصيها إلى دانيها في هذه الأعوام تأكيدا لهذه الأقوال وبعدها عن المبالغة والتهويل. فقد أسس الأتراك دولة عاصمتها ازنيق وفتحوا اوسكودار وعبروا إلى جزر ايجه وسيطروا على الشرق الأدنى وشرق أوربا وأواسط آسيا والهند. وقد كتب محمود الكشغري كتابا آخر تحت عنوان (كتاب جواهر النحو في لغات الترك) ولم يتوصل أحد إلى اثر هذا الكتاب وقد يكون امحي من الوجود. وقد كتب باللغة العربية لتعليم العرب قواعد اللغة التركية.

وقد أوردت نصوص في ديوان لغات الترك باللغة الشعبية التركية وهي أكثر وضوحا من لغة قوتادغو بيليك التي كتبت بلغة الأدب المسماة (اللهجة الخاقانية) والتي نتجت عنها في القرن الرابع عشر اللهجة الجغتائية.
وقد وصل ديوان لغات الترك إلى عصرنا بنسخة واحدة. وقد كان معروفا بعض الشيء إذ رآه الكاتب جلبي في القرن السابع عشر إلا أنه اشتهر وخرج إلى النور في سنوات الحرب العالمية الأولى من قبل العالم علي أميري من هواة الكتب المعروفين.
وقد نشر الكتاب في أجزاء ثلاثة من قبل نجيب عاصم. وقد أهتم به الكثيرون من العلماء الأتراك والغربيين ولاسيما بروكلمان الألماني. ويذكر أن بسيم أتالاي ترجم الكتاب ونشره في أجزاء ثلاثة.

الخوجـــــا احمـــد اليســوي

والخوجا احمد اليسوي المسمى بعالم تركستان هو أحد ابرز الشخصيات التركية في عالم الفكر. وقبره الذي أنشئ من قبل تيمور في أواخر القرن الرابع عشر لا يزال محجا للكثير من الأتراك الوافدين للتبرك به.
ولد اليسوي في سايرام قرب جيم كنت في تركستان (جنوب قازاخستان الحالية) ووالده الشيخ إبراهيم من الدراويش الأتراك توفي واحمد في السابعة من عمره فجاء مدينة يسي مع أخته واستقر فيها. وسلك سبيل التصوف تحت تأثير درويش تركي يسمى ارسلان بابا. ورحل إلى بخاري التي كانت تدار من قبل القاراخانيين التابعين للسلاجقة فدرس في الكتاتيب وتتلمذ على يد المتصوف الشيخ يوسف لهمداني وقد توفي في يسي في عام 1166 ودفن هناك.
وقد كان الدين الإسلامي في هذه الفترة في تطور حيوي في يدي صو(إقليم تركي جنوب بحيرة بالقاش) وقد انتشرت شهرة اليسوي إلى خارج يدي صو ووصلت إلى كل شبر في تركستان. ولم يكن القرويون والرحل من الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام بصدق واخلاص قد تخلصوا من كل اثر لديانتهم الشامانية القديمة وقد كان من الضروري إذابة هذه البقايا في الإسلام. وقد استعمل اليسوي وزن الهجاء تاركا وزن العروض وخاطب في كتاباته الطبقة العامة من الشعب.
وقد أطلق على قصائده الإسلامية اسم الحكمة تمييزا لها من القصائد الاعتيادية . وإذا لم يكن شعر احمد اليسوي قويا ورائعا مثل شعر يوسف خاص حاجب فإن له تأثيرا كبيرا على الثقافة التركية لكونه يخاطب الشعب ويلقنه مبادئ الدين. والحكميات هذه متكونة من مقطوعات رباعية وهي تلحن وتغني في اغلب الأحيان. وقد اشتهر شعره وأصبح الشعب يحفظه عن ظهر قلب واللهجة المستعملة فيه تفرق عن اللهجة الخاقانية قليلا وتقترب من لهجة الاوغوز في عهد السلاجقة. وقد توفي إبراهيم ابن احمد اليسوي والذي يعتبر مؤسس الطريقة اليسوية أول طريقة تركية قبل أبيه. وقد نشر أحفاده هذه الطريقة وكثر مريدوه وأشهرهم الحكيم سليمان اتا باقر غاني، وقد افرد فؤاد كوبرلي النصف الأول من كتابه الموسوم (المتصوفون الأوائل في الأدب التركي) المنشور في عام 1918 للبحث عن الخوجا احمد اليسوي. وبحث في النصف الثاني عن يونس أمرة.

عيبة الحقائق

ومن الكتب المنشورة في ذلك العهد عيبة الحقائق المنظوم في خمسين ومائتي بيت على وزن (فعولن فعولن فعولن فعول) وهو نفس البحر الذي نظم به الشهنامه وقوتادغوبيليك. وقد اكتشف مؤخرا ونشر . ومؤلفه هو احمد بن محمود من قصبة يوكنك في سمرقند.

وقد كتب الكثيرون من غير الأتراك كتبا باللغة التركية لتعليم هذه اللغة إلى أبناء تلك اللغات. ومن اشهر هذه الكتب مقدمة الأدب للزمخشري (1075- 1144) وهو العالم العربي المشهور صاحب التفسير المعروف بالكشاف. وقد ترجم هذا الكتاب آنفا من العربية إلى التركية.

تاريخ سلالة القاراخانيين ونهايتها

كانت الدولة في عهد القاراخانيين كسائر الدول التركية المسلمة وغير المسلمة حتى عهد العثمانيين ملكا مشتركا للسلالة الحاكمة التي كانت تبايع الأكبر سنا خاقانا . إلا أن الأمراء كانوا يحكمون أقاليم قد تكون شاسعة الكبر أو جليلة الأهمية بشكل شبه مستقل.

وقد فتحت في هذا العهد اكبر مدن ذلك العصر بخاري عاصمة السامانيين الفرس (في ايار- مايو 992) وقد شكل هذا الفتح تحولا هاما في تاريخ الدولة الكبرى إذ أصبحت حاكمة لما وراء النهر وتغلغلت بذلك إلى العالم الإسلامي.

وقد استمرت سلالة القاراخانيين 372 عاما في الحكم من 840 حتى 1212 أي أنها استمرت في الحكم 55 عاما بعد انقراض سلالة السلاجقة. وكان القاغان الشرقي أي الأكبر (ارسلان- قاره- خاقان) والغربي (تامغاج بوغرا قاره خاقان) وولي عهد الإمبراطورية(ارسلان- ايليك). ويعتقد إن القاراخانيين قد لعبوا أول أدوارهم الأولى في التاريخ التركي على راس الجيغيل من أتراك القارلوق. وقد كانت هناك اعتبارا من عام 840 عاصمتان للدولة، الأولى هي بالاساغون التي كانت تسمى قارة اوردى والثانية تاراز. وقد تركت الأخيرة في عام 893 واختيرت كشغر بدلا عنها. وقد كان في هذا العهد قسمان شرقي وغربي. فقد كان الابن الأصغر للخان كول بيلكه قادر وهو اوغولجاق قادر خان يشترك مع شقيقه الأكبر بازر ارسلان خان (والد صاتوق بوغرا عبد الكريم خان) في الحكم. وقد تركت بالاساغون في عام 1131 نهائيا كعاصمة وحلت محلها كشغر. وكان القاغان الشرقي يحكم تركستان الشرقية وقازاخستان من بالاساغون ويشترك معه في الحكم قاغان في كشغر وفي طاراس أحيانا. أما القاغان الغربي فقد كان مركزه في اوزكنت ثم سمرقند اعتبارا من عام 1053. أما القاغان الذي كان يشترك معه في الحكم فكان مركزه بخاري وكان القاغان الغربي يحكم ما وراء النهر. وبذلك فقد كانت الدولة مقسمة بين أعضاء السلالة الحاكمة.

وقد ألحقت شعبه بخاري من الفرع الغربي للدولة في ما وراء النهر بالسلاجقة في الفترة ما بين 1089- 1094، إلا أن السلاجقة أعادوا هذه الشعبة في سنة 1094 كسائر الفروع الأخرى مكتفين بخضوعها لهم. وقد خضعت عام 1141 للمغول والقاراخطاي البوذيين والخوارزمية الذين اعتلوا عرش الفرع الشرقي للدولة التركية في عام 1207.

وعبد الكريم صاتوق بوغرا خان الذي اعتنق الإسلام هو ابن بازر ارسلان خان وحفيد كول بيلكه قادر خان وقد دفن في آرتوج شمال كشغر. وقد استمر نسله على فرعين من ابنيه بايتاش موسى خان وسليمان ايليغ-خان.

وقد أوردنا جدولا بحكام فروع القاراخانيين. ومما يجدر بالذكر إن فرعا من الفروع كان يعتبر متبوعا من قبل بقية الفروع كما هي الحالة عليه في جميع السلالات الأخرى. وقد استمر القاغان الكبير من بايتاش موسى، وابنه شهيد أبو الحسن على ارسلان قاره تونكا خان، وهذا الإمبراطور مدفون في كشغر ، وقد أعقبه ابناه أبو نصر ناصر الحق سيف الدولة قطب الدولة وناصر الملة شمس الدولة مؤيد العدل . احمد توغان خان الأول وأبو المظفر منصور ارسلان خان. وقد اعتزل الأخير الحكم لخرسه، وتبحر في دراسة الفقه وقد أعقبه فرع القاراخانيين المنحدر من سليمان ايليغ خان. وقد كان ابنه شهاب الدولة ظهير الدعوة أبو موسى هارون حسن قليج بوغراخان (اسمه الحقيقي هارون) يشترك في الحكم. وقد اشتهر هذا بفتحه بخاري في عام 992 وقد توفي في نفس العام. وقد ارتقى العرش ابناه خلفا لمنصور خان وهما أبو مظفر جلال الدولة معز الدولة احمد توغان الثاني وناصر الدولة ملك المشرق ناصر المله ناصر الدين ناصر الحق يوسف هارون قادرخان. وقد ظل يوسف خان يحكم خمسة وعشرين عاما كإمبراطور مشترك. وقد تخلي احمد خان عن العرش لشقيقه يوسف خان وقد حكم أثنين وثلاثين عاما في فرغانه بعاصمتها اخسي. ويوسف خان أخر قاغان كبير، أما الفرع الشرقي للسلاطة فإن أول قاغان له ابن يوسف خان القاغان الكبير، شرف الدولة أبو شجاع سليمان ارسلان خان. وقد أعقب هذا شقيقه قوام الدولة محمود بوغرا خان الأول. ثم ابنه إبراهيم خان الأول، ثم الابن الثالث ليوسف خان. وسليمان خان وشقيق محمد خان الأول محمود طغرل قاره خان وابنه عمر خان ثم ابن سليمان خان، أبو علي ناصر الحق والدين عز الدين حسن هارون تابغاج بوغرا قاره خاقان. وقد كتب قوتادغوبيليك من اجل هذا الحاكم الأخير. وقد اشترك حسن خاقان في الحكم مع عمه محمود خاقان أيام توليه الأخير. وقد أعقبه ابنه نور الدولة احمد هارون خان، ثم ابنه إبراهيم ارسلان قاره خان الثاني وقد استشهد - ثم ابنه محمد خان الثاني ثم ابنه أبو المظفر يوسف خان فأبنه أبو الفتح محمد خان الثالث. وقد انتهى حكم هذا الفرع بفعل الأتراك الشرقيين المسيحيين وهم النايمان.

أما الفرع الغربي للسلاطنة فإن أول قاغان له هو عين الدولة مؤيد العدل محمود محمد خان الأول، أبو الحسن ناصر ارسلان ايليغ- خان وهو ابن علي خاقان القاغان الكبير. وقد لقب ناصر ايليغ خان بلقب مؤيد العدل وقد شارك أخاه منصور خاقان في الحكم مديرا قسما كبيرا من ما وراء النهر من عاصمته اوزكنت. وتوفي عام 1012 فأعقبه في الحكم شقيقه مؤيد العدل ملك المشرق إبراهيم تامغاج خان الثاني. وخلف هذا ابنه وشريكه في الحكم شمس الملك ملك المشرق ناصر الحق والدين ناصر خان الأول. فشقيقه خضر خان، فأبنه احمد خان الأول وأحد أبناء سليمان خان من الملوك الشرقيين، يعقوب خان فأحد أبناء إبراهيم خان الأول ركن الدين قليج مسعود تامغاج خان الأول بن محمد خان، ثم أحد أبناء إبراهيم خان الأول سليمان قادر تافغاج خاقان بن داود خان. ثم أحد أبناء الملوك الكبار وحفيد حسن جعفر جاغري تيكين بن منصور خان الذي فتح بخاري في 23 كانون الأول عام 999 وهو أبو القاسم محمود تامغاج خان الأول، فأحد أبناء الملوك الشرقيين هارون جبرائيل خان بن عمر خان والذي اشترك مع حسن خان من الملوك الشرقيين في الحكم. ثم ابن سليمان خان، علاء الدولة الغازي محمد تابغاج خان الثاني، وشريكه الذي حكم لمدة ستة عشر عاما بين 1102- 1118 والذي هو ابن شعيت خان الذي طالب بالحكم في الفرع الشرقي وقتل عام 1068 وهو ابن إبراهيم خان الأول. أما بعد 1118 فقد اشترك في الحكم أحد أبناء محمد الثاني نصر الثاني

فأعقب هذا بعد وفاته احمد قادر خان الثاني. ثم جلال الدنيا والدين حسن كوك- ساكون قليج قاره خان وشقيق محمد الثاني أبو المظفر ركن الدولة والدين برهان الإسلام والمؤمنين إبراهيم تابغاج بوغرا خان الثاني لأشهر معدودة.

وقد أعقب هذا محمود خان الثاني فشقيقه إبراهيم تامغاج بوغرا خان الثالث، علي كوك- ساكون جاغرى خان ابن حسن خان فشقيقه أبو المظفر ركن الدنيا والدين مسعود الثاني ألب قوتلوغ تونكا بيلكه قليج تامغاج خان. وقد شاركه في الحكم ابنه ركن الدنيا والدين غياث الدنيا والدين محمد الثالث تونكا بيلكه قليج تامغاج خان. وقد اعتلى الحكم بعد ذلك نصرة الدنيا والدين إبراهيم الرابع قليج تامغاج ارسلان خان ثم ابنه عثمان خان. وقد سقط هذا الفرع بيد الخوارزمية وإبراهيم خان الرابع وهو ابن جلال النيا والدين حسين الذي اشترك في الحكم ما بين 1041- 1056 وقتل في أيلول 1056. وحسين خان وأخوته والد علي خان ومسعود خان الثاني. وكوك ساكون عبد المؤمن خان حاكم فرغانه هم أبناء يوسف ارسلان ايليك. وقد حكم يوسف ارسلان ايليك اعتبارا من 1034 في قسم كبير من ما وراء النهر ثم انفرد بفرغانة. وله شقيق يسمى ارسلان تيكين. ويوسف ارسلان ايليك هو ابن على تيكين المشهور. والأخير هو شقيق احمد خان الثاني ويوسف خان أخر الملوك الكبار.

وقد سيطر بهاء الدولة قطب الدولة ناصر ا عضد الدين علي يكان تيكين ما بين 1014- 1020 على بخاري ثم مد سيطرته إلى سمرقند وتولى ولاية عهد الإمبراطورية في عام 1024 تحت اسم ارسلان ايليك. وقد طالب بالعرش في عام 1032 وأعلى نفسه إمبراطورا تحت اسم (تامغاج بوغرا قاره خاقان).

وللقاراخانيين فرع آخر يسمى بفرع فرغانه وهم على التوالي: والد إبراهيم الرابع حسين خان، ابنه محمود طغرل طوغان خان، فقاغان الغرب إبراهيم الرابع، فشقيقه نصر طوغرول خان، فأبنه جلال الدنيا والدين محمد طغرل خاقان، فشقيقه جلال الدنيا والدين قادر خاقان اولوغ سلطان، ثم شقيقه الآخر حسام الدنيا والدين طوغان خاقان، ثم عماد الدين خان، ثم محمد ارسلان خان الأول، فأبنه ارسلان خان الثاني.

وقد أعلن ارسلان خان الأول خضوعه للقاراخطاي وتوفي منتحرا. وقد انتقل فرع فرغانه إلى سيطرة الخوارزمية في عام 1212. ويسمى ارسلان خان الأول والثاني بفرع قايالغ أيضا. فقد حكم هذا الفرع حتى عام 1222 في مدينة قايالغ. أما الفرع الآخر فيتكون من أبناء اوت تيكين الذي قتل عام 1212 وهو ابن إبراهيم الرابع من حكام الغرب وشقيق عثمان خان وقد تبع ابنه تاج الدين بيلكه خان الخوارزمية وحكم في اورتار (فاراب) إلى أن قتل عام 1216 بعد حكم دام سبعة عشر عاما. أما ابنه محمد سيونج قوتلوغ ارسلان خان الثالث فقد تبع المغول وحكم في فرغانه ويستمر حكم القاراخانيين بهذه الفروع نصف قرن آخر بعد عام 1212.

ويرز من القاراخانيين إضافة إلى من سبق من نسل بايتاش موسى خان ابنا محمود الثاني من حكام الغرب. وقد حكم أحدهما وهو محمد خان من عام 1159 وحتى عام 1162 الاوغوز الذين تمردوا على السلاجقة الكبار. وقد توفي عام 1163 أما شقيقه كمال الدين خان فقد حكم في جند وتوفي عام 1152.

ومن حكام هذه السلالة أيضا: أبو منصور ثناء الدولة محمد خان ارسلان ايليك وقد حكم ما وراء النهر وفرغانة وتوفي عام 1024 وهو من أبناء علي خاقان من الحكام الكبار. وقد لعب احمد خان وعباس خان من أنجال محمد خان الأول من حكام الغرب دورا هاما في تاريخ هذه السلالة وقد أصبح احمد خان وليا للعهد تحت لقب ارسلان ايليغ في عام 1026 وقد حكم سمرقند من 1020- 1025 ومن 1033- 1034 وتوفي

عام 1042 وتوفي شقيقه أبو الفضل عباس ارسلان تيكين في نفس العام. وقد عمل القاراخانيون على تأسيس أواصر القرابة مع الغزنويين والسلاجقة الذين خلفوهم على عرش الدولة الكبرى.

ومن أواصر قرابتهم مع الغزنويين:

1- تزوج السلطان محمود الغزنوي بعد ارتقائه العرش في عام 1001 مع ابنة نصر ايليغ خان وقد كانت هذه الأميرة شقيقة محمد الأول وإبراهيم الأول من حكام الغرب.
2- خطب محمد الأول القاغان الشرقي الثاني للقاراخانيين ابنة السلطان محمود الغزنوي زينب في عام 1025 إلا أن الزواج لم يتم (ومحمد الأول هو جد العالم الكبير محمود الكشغري).
3- خطبت شقيقة محمد الأول في عام 1025 لابن محمود الغزنوي السلطان محمد إلا أن الزواج لم يتم لوفاة السلطان محمد، وقد خطبت خان ملك شاه خاتون الأميرة عام 1028 لشقيق خطيبها الأول السلطان مسعود وتزوجته عام 1033 وتزوجت بعد وفاة هذا من السلطان السلجوقي ألب ارسلان.
4- تزوجت شقيقة زوجة السلطان محمود الغزنوي نصر ايليغ خان من ابن السلطان محمود، السلطان مسعود أي أن الأب والابن تزوجا شقيقتين.
5- تزوج يوسف ارسلان ايليغ بن علي تيكين من ابنة أخ السلطان محمود الغزنوي.
6- تزوجت شقيقة يوسف ارسلان ايليغ من السلطان سعيد بن السلطان مسعود في عام 1036.
7- خطبت ابنة سليمان خان أول حاكم شرقي للقاراخانيين للسلطان مودود أحد أبناء السلطان مسعود في عام 1028 إلا أن الزواج لم يتم لوفاة الأميرة.

أما أواصر قرابتهم بالسلاجقة:

1- تزوج السلطان ألب ارسلان من أرملة السلطان مسعود الغزنوي، خان ملك شاه خاتون.
2- تزوج نصر الأول الحاكم الغربي الثالث من ابنة ألب ارسلان وشقيقة السلطان ملك شاه عائشة خاتون.
3- تزوج السلطان ملك شاه من تركن خاتون وشقيقة نصر الأول.
4- تزوج السلطان ملك شاه أيضا من الأميرة جلالية خاتون ابنة الأمير عيسى عم نصر الأول. وتركن وجلالية خاتون هما بنات عم. وتركن (تركان كما يلفظها الأتراك اليوم) هي والدة السلطان محمود الخاقان التركي الكبير وخلف السلطان ملك شاه.
5- تزوج سليمان خان الحاكم الغربي الثامن وابن أخ نصر الأول من ابنة السلطان ملك شاه في عام 1095 ودام الزواج عامين.
6- تزوجت ابنة السلطان سنجر من ابن سليمان خان، محمد الثاني وهي والدة محمود الثاني. وقد ناب هذا عن أبيه في إدارة الإمبراطورية من 1153- 1156 و 1157- 1162 ابان احتجاز السلطان سنجر من قبل الاوغوز وما بعد وفاته.
7- تزوج السلطان سنجر بالأميرة تركن خاتون شقيقة محمود الثاني.

وقد تزوج أخر حكام الغرب من القاراخانيين عثمان خان من ابنة محمد الخوارزمي وشقيقة جلال الدين الخوارزمي خان ملك سلطان خاتون في عام 1211. وقد توفي هذا في عام 1211 وتزوجت الأميرة في عام 1220 من جوجى خان الابن الأكبر لجنكيز خان.

الجدول رقم 2

القاراخـــــــــانيون

1- الحكام الكبار للقاراخانيين

1	كول بيلكه خان	840 - ؟
2	بازر خان	
3	عبد الكريم صاتوق بوغرا خان	؟ - 955
4	باتياش موسى خان	955 - ؟
5	علي خان	؟ - 998
6	احمد خان الأول	998 - 1016=18
7	منصور خان	1016 - 1024=8
8	أحمد خان الثاني	1024 - 1026= 2
9	يوسف خان	1026 - 1032= 6

2 – الحكام الشرقيين للقاراخانيين

1	سليمان خان	1032 - 1056= 24
2	محمد خان الأول	1056 - 1057= 1
3	إبراهيم خان الأول	1057 - 1059= 2
4	محمود خان	1059 - 1075= 17
5	عمر خان	1075
6	حسن خان	1075 - 1103= 28
7	احمد خان	1103 - 1129= 26
8	إبراهيم خان الثاني	1129 - 1159= 30
9	محمد خان الثاني	1159 - ؟
10	يوسف خان	؟ - 1205
11	محمد خان الثالث	1205 - 1210= 5

3- الحكام الغربيون للقاراخانيين

1	محمد خان الأول	1042 - 1053 = 11
2	إبراهيم خان الأول	1053 - 1068= 15
3	نصر خان الأول	1068 - 1080= 12
4	خضر خان	1080 - 1081؟= 1؟
5	احمد خان الأول	1081؟ - 1089= 8؟ + 1094 - 1095= 1= 9؟
6	يعقوب خان	1089
7	مسعود خان الأول	1095 - 1097=2
8	سليمان خان	1097
9	محمود خان الأول	1097 - 1099= 2
10	جبرائيل خان	1099 - 1102= 3
11	محمد خان الثاني	1102 - 1132= 30
12	إبراهيم خان الثاني	1132
13	محمود خان الثاني	1132 - 1141= 9
14	إبراهيم خان الثالث	1141 - 1156= 15
15	علي خان	1156 - 1160= 4
16	مسعود خان الثاني	1160 - 1178= 18
17	إبراهيم خان الرابع	1178 - 1204= 26
18	عثمان خان	1204 - 1212 = 8

4- حكام فرغانة

م	الاسم	التاريخ	م	الاسم	التاريخ
1	حسين خان	1141 -1156 =15	7	حسام الدين خان	
2	محمود خان	1156 -1165 =9	8	عماد الدين خان	؟ - 1212
3	إبراهيم خان الرابع	1165 -1178 =13	9	ارسلان خان الأول	1212 - ؟
4	نصر خان	1178 -1182 =4	10	ارسلان خان الثاني	؟ - 1222
5	محمد خان	1182 -1184 =2	11	محمد سيونج قوتلوغ ارسلان خان	1222 - ؟
6	جلال الدين خان	1184 - ؟			

(المبحث الرابع)
الدول الإسلامية التركية الأولى

1- الطولونيون (868- 905)

الدولة الطولونية هي أول دولة تركية مسلمة وقد أسست في مصر. ومما يجدر بالذكر إن الأتراك لم يكونوا قد دخلوا هذه البلاد قبلا. فتأسيس هذه الدولة وإن كانت من قبيل الصدف فإنه يمكن حمله على أساس جغرافي سياسي بتوسيع رقعة المناطق التي يسكنها الأتراك إلى قارة أفريقيا.
ومؤسس هذه الدولة هو ابن تركي من الاوغوز يسميه العرب باسم طولون التركي. وقد أتي بطولون في عام 816 مملوكا إلى قصر الخليفة ببغداد. وقد اعتني بتربية ابنه احمد فارتقى إلى مراكز هامة في خدمة الخليفة وكان ملحنا وشاعرا يقرض الشعر بالتركية والعربية. وقد ولي احمد في 15 أيلول من عام 868 على مصر التي كانت من الأقاليم الهامة للخلافة العباسية. فأعلن احمد نفسه حاكما على مصر في عام 880 بصورة رسمية إلا انه اعترف بسلطة العباسيين. وحكم بذلك خمسه عشر عاما وثمانية شهرا في مصر حتى وفاته. وقد جعلت منه سيطرته على سوريا ولبنان وفلسطين وبنغازي حاكما ذي سطوة وقدرة.
توفي احمد طولون مخلفا ثمانية عشر ابنا و خمس عشرة بنتا. وقد خلفه ابنه أبو الجيش خمارويه الذي كان في العشرين من عمره فحكم أحد عشر عاما حتى مقتله في عام 895 وكان أخوه عباس قد قتل عام 882. ومن اشهر بنات احمد طولون بنته العباسة.
وبعد وفاة خمارويه تولى ابنه أبو العباس جيش السلطة وتوفى بعد عام واحد من حكمه في عام 896 فخلفه شقيقه أبو الموسى هارون (896- 905 = 9) فأعقب هذا ابنه شيبان من أبناء احمد طولون إلا أن العباسيين استرجعوا مصر من بني طولون وبذلك دام حكم هؤلاء 37 عاما(868 – 905). وقد تزوجت ابنة خمارويه الأميرة قطرالندى البالغة من العمر أربعة عشر عاما بالخليفة العباسي المعتضد (892- 902) في عام 893 بحفل شيق أصبح موضوعا لقصص ألف ليلة وليلة.
كان بنو طولون يتكلمون العربية ويعتنقون المذهب الحنفي وقد تركوا آثارا عمرانية هامة في مصر وعلى رأسها جامع طولون. وقد كانت هذه الدولة ذات طابع عربي لا يمكن إزاءها اعتبارها دولة تركية. وتقتصر علاقة هذه لدولة بالأتراك على كون مؤسسها تركيا.

2- الاخشيديون (934- 969)

حذا وال آخر من ولاة العباسيين على مصر حذو طولون وهو ابن والى العباسيين على سوريا توغا،.محمد الاخشيد أبو بكر. وقد ادعى إخشيد الانتساب إلى نسل الملوك الأتراك الكبار من فرغانه. فقد كان توغاج بن جوف (جف) بن يل تيكين بن فوران بن فوري بن خاقان.
وقد نصب إخشيد في عام 928 واليا على الرملة (في فلسطين) وعلى سوريا في عام 930 وعلى مصر في عام 933 فأعلن استقلاله في عام 934 معترفا بسلطة العباسيين وسيطر على فلسطين وسوريا ولبنان في عام 941 وعلى الحجاز في عام 942. وقد أتخذ الفسطاط عاصمة له.

وبذلك فقد استطاع وال تركي بعد سقوط الطولونيين بتسعة وعشرين عاما مستفيدا من موقعه الجغرافي أن يستقل عن الخلافة في مصر والأقاليم التي كانت تشترك معها في المصير كفلسطين وسوريا. ولم تعد مصر تتبع العباسيين منذ ذلك التاريخ.

وقد كانت لغة بني إخشيد العربية ومذهبهم حنفيا ولا يمكن اعتبار هذه الدولة أيضا من الدول التركية إذ اقتصرت علاقتها مع الأتراك على كون مؤسسها تركيا. استمرت دولة بني إخشيد خمسة وثلاثين عاما حتى عام 969. وقد توفي محمد إخشيد المولود في بغداد عام 882 بعد حكم دام أثني عشر عاما في 24 حزيران 946 عن عمر يناهز الرابعة والستين وقد ساعده أشقاؤه حسين وعبيد ا وحسين بن عبيد ا . وقد توفي عبيد ا الذي كان واليا عن أخيه على سوريا في عام 945.

خلف محمد إخشيد ابنه أبو القاسم انوجور (946- 960 = 14) فأعقب هذا شقيقه أبو الحسن على (960- 966 = 6) ثم أبو الفوارس احمد بن علي (966- 969 = 3) وقد بقى هذا العامين الأولين من حكمه تحت إدارة الطواشي أبو المسك كافور من حكام المماليك. وقد احتل الفاطميون مصر في عام 969 فانقرضت بذلك دولة بني إخشيد.

3- <u>الساجيون (892- 930)</u>

حكم بنو ساج في أذربيجان وأرمينيا ثمانية وثلاثين عاما (892- 930) تحت السلطة العباسية في دولة أسسها أبو الساج ديوداد أبن يوسف ديو دست بن أبو ساج . وقد كان ديوداد واليا للعباسيين على حلب في عام 868 وولي بعد ذلك على الاهواز ثم أصبح واليا عاما على أذربيجان وأرمينيا في عام 889 مدة عشرة أعوام. وقد أعلن ابنه محمد الافشين أبو عبيد ا في عام 892 استقلاله مع الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية. وقد حكم افشين تسعة أعوام حتى عام 901 ثم أعقبه شقيقه يوسف (901- 927 = 26) وطالب دي وداد ابن أفشين الأكبر وولي عهده بالعرش بعد وفاة أبيه ولم يعترف بسلطة عمه إلا انه لم يفلح في ذلك. وقد أعقب يوسف الابن الآخر لأفشين أبو الموسى فير الفتح (927- 930 = 3) ثم استرجع العباسيون أذربيجان وأرمينيا. وقد كانت ابنة افشين زوجة بدر المعتد أحد قادة العباسيين.

الجدول 3 آ: قادة مصر الأتراك من العباسيين

يزيد التركي بن عبد ا	858 – 864 = 6	أوزجر تركي	868
كول بك	864 – 868 = 4		

الجدول 3 : الطولونيون (868- 905)

أحمد بن طولون	868 – 884 = 16	جيش	895 – 896 = 1
خماروية	884 – 895 = 11	هارون	896 – 905 = 9

الجدول 4 : الاخشيديون (934- 969)

محمد إخشيد	934 – 946 = 12	كافور	966 – 968 = 2
أنوجور	946 – 960 = 14	أحمد	968 – 969 = 1

علي 960 – 966 = 6

الجدول 5 : بني ساج (892- 930)

أفشين 892 – 901 = 9 فتح 927 – 930 = 3

يوسف 901 – 927 = 26

(المبحث الخامس)

الدول التركية في الهند

الكوشانيون 3- 176 وآق هون 496- 567

الكوشانيون (3- 176)

حكم الكوشانيون الذين يطلق عليهم الصينيون اسم يو- جي ثلاثة وسبعين ومائة عام في معظم أجزاء الهند من عام 3 حتى عام 176 وقد امتدت سيطرتهم التي كانت تحوي اكبر أقاليم الهند وأفغانستان ماعدا جنوب الهند والبنغال إلى ما وراء النهر لفترة من الزمن. وتشير الوثائق الاويغورية إلى الكوشان باسم (تورت كوشان اولوس) أي قبائل الكوشان الأربع وقد نزح الكوشانيون إلى الهند مع المغول واختلطوا بالفرس. وقد أثرت فيهم الثقافة اليونانية نظرا لأن اليونانيين كانوا متنفذين في باكتريا.

ويشكل الكوشانيون السلالتين الرابعة والخامسة من إمبراطورية الهند. إذ حكمت السلالة الأولى خمسة وسبعين عاما من 3- 78 أما الثانية فقد حكمت ثمانية وتسعين عاما من 78- 176. ويغلب على السلالة الثانية العنصر الفارسي والثقافة الفارسية مما يصعب اعتبار دولة الكوشان دولة تركية صرفة. وقد بقيت الهند في حالة مضطربة طيلة أربعة وأربعين ومائة عام حتى مجيء الكوبتا وهي السلالة الإمبراطورية السادسة في الهند إلى الحكم (176- 320).

وتاريخ الكوشانيين مضطرب وغامض. وتاريخ السلطنة مجهول بالرغم من معرفة أسماء الأباطرة السبعة الذين تولوا الحكم في السلالة الثانية. ومؤسس هذه السلالة هو كانيشكا الأول وقد أعقبه ابنه فاسيشكا ثم أبناء هذا الثلاثة كانيشا الثاني وفاسيشكا الثاني وهوفيشكا ثم تولى فاسوشكا ابن كانيشكا الثاني الحكم وانتهى حكمهم بحكم فاسوديوا.

آق هون (الهون البيض) (496- 567)

حكم الآق هون الذين يشكلون السلالة الإمبراطورية السبعة في الهند واحد وسبعين عاما (496- 567) في وادي الغانج وبنجاب وأفغانستان وما وراء النهر وخوارزم وخرا سان وتركستان الشرقية وذلك بعد الكوبتا.

ويسميهم الصينيون (يه- تا = هوتا) أما العرب فيطلقون عليهم اسم (الهياطلة) كما يسميهم الهنديون هونا بمعنى الهون في اللغة السنسكريتية في حين يطلق عليهم اليونانيون اسم هفتاليت. والآق هون هم زمرة من الهون الذين انتشروا في بقاع العالم بعد انتقال الحكم في آسيا الوسطى من الهون إلى التابغاج (ويرى زكي وليدي طوغان وآخرون من المؤرخين إن الهون هم أسلاف الاوغوز أي أتراك تركيا الحاليين). وقد اسقط الآق هون حكم الكوبتا في الهند بعد فترة وجيزة من فقدان الهون للحكم في أوربا بعد اتيلا مختلطين بالقبائل المغولية. ويأتي ذكر هؤلاء في المصادر الهندية تحت اسم توروشكا أي الأتراك.

وقد كان الآق هون مثل الكوشانيين يعتنقون الديانة البوذية وقد دخلوا أفغانستان عام 425 والذي يصادف حكم اتيلا في أوربا. وبذلك فقد حاول الهون الذين فقدوا عرش الدولة التركية الكبرى تلافي خسارتهم في الهند

وأوربا. وكان عبورهم من بلاد الفرس بعد حروب طاحنة مع الساسانيين سيطروا على أثرها على البنجاب وكانت عاصمتهم مدينة فارفاليز بالقرب من مدينة قوندوز الحالية في تركستان الأفغانية. وقد سيطروا على تركستان الشرقية واخضعوا الاوسون (من القبائل التركية) لحكمهم.

ولهم ثلاثة أباطرة: هم تورامان وابنه ميهراكولا وابن هذا الذي نجهل اسمه. وتورامان هو حفيد اخشونوار الذي كان ملكا على الآق هون بين أعوام 420- 470 وتزوج من الأميرة الفارسية فيروز دوخت. وقد تولى تورامان الحكم خلفا لأبيه في عام 470 فسيطر على شمال الهند في عام 496 فأعلن نفسه إمبراطورا(كان جنوب الهند وحتى وسطه يعيش حياة قرون ما قبل التاريخ وكان يسكن فيها أقوام الدرافيد البدائية). وقد تزوجت شقيقة تورامان بإمبراطور الساسانيين الفرس قباد الأول(485- 498 + 501 – 531). وقد أدى هذا الزواج الذي تم عام 498 إلى زوال المنافسة والخصومة التي كانت متحكمة في علاقاتهم بالفرس بسبب استقرار الآق هون في الهند وعدم تشكيلهم عنصرا مهددا للدولة الفارسية. أما ميهراكولا فقد تزوج بأميرة تركية من سلالة الاوار في عام 520 مما أوجد نوعا من التقارب بين الزمرتين التركيتين. وقد كان الآق هون يشكلون دولة مجاورة هامة للدولة التركية الكبرى بسبب سيطرتهم على تركستان الشرقية حتى قان صو.

الجدول 6 : الكوشانيون (78- 176)

كانيشكا	78 – 96 = 18	هوفيشكا	
فاسيشكا الأول	96 - ؟	فاسوشكا	
كانيشكا الثاني		فاسوديوا	؟ - 176
فاسيشكا الثاني			

الجدول 7 : آق هون (496- 567)

تورامان	496 – 502 =6	؟	530 – 567 = 37
ميهر كولا	502 – 530 = 28		

الغزنويون 962- 1187

منشأ الغزنويين

سقط عرش دولة الآق هون غير المسلمة في الهند إلا أن دولة تركية أخرى تعتنق الإسلام سيطرت على الهند بعد أربعة قرون من هذا التاريخ وهي الدولة الغزنوية التي وضعت أسس الحكم التركي في الهند حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبذلك أصبحت الهند إحدى ساحات التاريخ الرئيسية الست إلى جانب تركستان وتركيا ومصر وإيران وأوربا الشرقية. والدولة الغزنوية هي من أهم الدول التي أسسها الأتراك.

والدولة الغزنوية هي الدولة التركية المسلمة التي أعقبت الدولة التركية الكبرى(القاراخانيين) فقد أسس الغزنويون دولة تركية متأثرة بالثقافة الفارسية وصلت مساحتها في أيام عظمتها إلى 4.900.000 كم مربع . وسيطرت على أفغانستان وتركمنستان وخوارزم وما وراء النهر وخراسان وسامان- دامغان وكرمان ولارستان واصفهان و ري(طهران) وهمدان ويزد و قزوين وكاشان و مازندران واستر آباد و كيكوجارتا باطهانستان والسند وبلوجستان والبنجاب وراجستان ومالوا وكوجارت والهند الحقيقية في وادي الغنج (أقاليم دلهي و اكرا و ا آباد و عود) وقد انسحبوا إلى أفغانستان والهند بعد سيطرة السلاجقة على آسيا الوسطى وبلاد الفرس.

وقد كانت عاصمتهم أول الأمر في غزنه ونقلت عام 1157 إلى لاهور كما كانت بلخ بعد عام 997 بمثابة العاصمة لسنوات معدودة. ولم تكن غزنه مركزا للدولة في الفترتين بين 1148- 1149 و 1155- 1156. وقد كان الغزنويون يتكلمون بالتركية في القصر والجيش إلا أنهم استعملوا اللغة الفارسية في المخابرات الرسمية. وقد استمرت الدولة خمسة وعشرين ومائتي عام من 962 وحتى عام 1187 إلا أنها اكتسبت صفة الإمبراطورية في عام 1000 بعد تولي السلطان محمود الغزنوي الحكم. فقد تبعت السامانيين حتى عام 999 واستقلت بعد انقراض هؤلاء إلا أنها خضعت للدولة التركية الكبرى (في عهد السلاجقة) في عام 1072 بعد عام واحد من معركة مالازكيرت طيلة خمسة وثمانين عاما وحتى وفاة السلطان سنجر وزوال شعبه خرا سان من الدولة السلجوقية فاستقلت ثانية واستمرت ثلاثين عاما إلى أن تركت الحكم في عام 1187 لسلالة تركية أخرى وهي سلالة الغوريين، السلالة التركية المسلمة الثانية في الهند.

الغزنويون حتى عهد السلطان محمود

وضع ألب تكين أسس الدولة. وقد كان هذا واليا عاما للسامانيين في عام 955 على هـرات أي خـرا سـان الشرقية وأصبح عام 961 واليا عاما على خرا سان بأكملها. واستقل بدولته في عـام 962 مـع الاعتـراف بسلطة الحاكم الساماني. وبعد وفاة ألب تكين في عام 963 خلفه ابنه أبو إسحاق إبراهيم (963- 966 =3) وقد خلف هذا أبناؤه بالتبني: بيلكه تيكن الذي كان واليا على بلخ (966- 972 = 6)، بيرى تكين (972- 977 = 5) وسبوك تكين (977- 997 =20).

والمؤسس الحقيقي للدولة هو سبوك تكين (تيكين) وقد ولد في بارسغان بالقرب من بحيرة ايصيق واسلم في عام 960 وبيع إلى ألب تكين عبدا فرباه وتبناه فأوصله إلى مراكز مرموقة. ووالده قاره ارسلان.

وقد انتحل سبوك تكين بعد ارتقائه العرش اسم (ناصر الدين سبوك تكين قاره بجكم) وكان له شقيق يسـمى بوغرا جيق وشقيقة تسمى قالجي. وقد تزوجت هذه بحاكم خوارزم أبو العباس مأمون وبأخيه علي في عـام 1015 بعد وفاة أبو العباس. وقد خلف سبوك تكين ثلاثة أبناء: السلطان محمـود وعضـد الدولـة يوسـف وإسماعيل وقد خلف إسماعيل أباه لأشهر معدودة إلا أن السلطان محمود أبعده مع ابنه سالار مسعود.

السلطان محمود الغزنوي

السلطان محمود الغزنوي هو مؤسس الإمبراطورية الغزيوية والحاكم الذي ادخل الإسلام إلى الهند وهيأ تأسيس دولة باكستان في القرن العشرين ووضع أسس الحكم التركي للهند والذي دام قرونا عديدة.

ولد السلطان محمود في 14 تشرين الثاني 970. وابعد أخاه إسماعيل من العرش بعد مكوثه عليه لمدة سبعة اشهر في عام 998 وتوفي في 30 نيسان 1030 عن تسعة وخمسين عاما ونيف بعد حكم دام واحدا وثلاثين عاما وثمانية اشهر.

وقد انعم على "يمين الدولة وأمين الملة، كهف الإسلام، نظام الدين أبي قاسم الغازي سيف الدولة السلطان محمود الغزنوى" لقب السلطان=الإمبراطور من قبل الخليفة العباسي. وكان الخليفة العباسي حتى ذلك التاريخ هو إمبراطور الإسلام الوحيد فكان هذا الحدث انقلابا هاما من حيث القانون الدولي الإسلامي. وقد تحرر السلطان محمود الغزنوي من سيطرة السامانيين بعد هزيمة هؤلاء من قبل القاراخانيون في عام 999 وبذلك فقد تهيأ له ظرف مناسب لفتوحاته في الجنوب (الهند) وفي الغرب (إيران) بالرغم من منافسة القاراخانيين له في أكثر الأحيان.

دخل محمود الغزنوي في عام 1000 إلى مدينة بشاور في الشمال الغربي من الهند. ولم يكن الحكم الإسلامي قد تجاوز نهر السند كثيرا حتى ذلك التاريخ. وقد ابعد الهندوس المسلمين إلى الشمال الغربي من الهند أيام ضعف العباسيين. وقد فتح السلطان محمود الغزنوي البنجاب، من أغنى الأقاليم الهندية بعد اندحار جيش هندي قوامه اثنان وأربعون ألف مقاتل وثلاثمائة فيل أمامه في عام 1001 وبذلك فقد بسط سيطرته على شمال الهند برمته. وقد رجع السلطان إلى غزنه بغنائم كثيرة وتقلد لقب الغازي. وقد فتح السلطان في غزوه العاشر وادي الغنج أي الإقليم الذي كان المسلمون يطلقون عليه اسم الهند. ودحر في غزوه الثالث عشر جيشا هنديا قوامه مائة وخمسون ألف رجل وغنم أكثر من ألف فيل مقاتل أما أكثر غزواته شهرة فهو غزوه السادس عشر. إذ دخل مدينة كجرات في عام 1026 وعاد بغنائم لا تحصى.

وقد الحق نتيجة حروبه أهم أجزاء بلاد الفرس بدولته وأسس إمبراطورية عظمى. إلا انه اضطر لمجابهة السلاجقة في أواخر أعوامه. ولم يكتف السلاجقة الذين ارتقوا عرش الدولة التركية الكبرى في عام 1040 بتأسيس اكبر إمبراطوريات عظيمة بل سيطروا على الدولة الغزنوية نفسها. وسنعود إلى هذا الموضوع عند بحثنا للسلاجقة.

اشتهر السلطان محمود الغزنوي بكونه عسكريا بارعا وسياسيا حاذقا. وقد كتب الفردوسي الشاهنامة من اجله إلا أن السلطان لم ينعم عليه بشيء كثير لأنه كان قد أمعن في البحث عن انتصارات الفرس ضد الأتراك فعاد وهجاه. وقد بدأت المرحلة الكبرى للأدب والشعر الإيراني في عهد الغزيويين. فقد لمع هذا الأدب وتطور وأكمل تطوره في عهد السلاجقة حتى وصل إلى ذروته في العهد المغولي. ولم يتوان الحكام الأتراك عن إسباغ الحماية على الشعر الفارسي لإلمامهم باللغة الفارسية.

ما بعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـد السلطان محمود

خلف السلطان محمود ابنه جلال الدولة وجمال الملة أبو احمد محمد، الذي كان واليا عاما على جزجان (في جنوب بحيرة قزوين) من عام 997 وحتى عام 1041. أما شقيقه نصير الدين مسعود الأول، فقد كان واليا عاما على أصفهان وري (طهران) وقد ابعد هذا السلطان محمد وحكم من 2 تشرين الأول(اكتوبر) 1030 وحتى 24 كانون الأول(ديسمبر) 1040 وقتل عام 1041 فارتقى السلطان محمد العرش ثانية وأكمل اشهر حكمه العشرة بعد توليته الأولى من 30 نيسان (ابريل) 1930 وحتى 2 تشرين الأول(اكتوبر) 1030 من 24 كانون الأول(ديسمبر) 1040 وحتى نيسان(ابريل) من عام 1041. وقد كان متزوجا بابنة أبو نصر محمد بن أبو الحارثة احمد بن محمد وقد أعقب هذا شهاب الدين مودود ابن السلطان مسعود (1041- 1048) ثم ابن هذا، مسعود الثاني (1048- 1049) الذي كان لا يزال طفلا وقد ابعد عن الحكم فعاد الابن الآخر للسلطان مسعود الأول، بهاء الدولة علي أبو الحسن إلى الحكم (1049- 1051) ثم الابن الأصغر للسلطان محمود الكبير مجد الدولة عبد الرشيد (1051- 1052) ثم طغرل المسمى بكافر النعمة لسبعة وخمسين يوما ثم ابن مسعود، سيف الدولة فروخ زاد (1053- 1059) فشقيقه ظهير الدين إبراهيم(1059- 1099) فأبنه علاء الدولة مسعود الثالث (1099- 1115) وقد اشتهر من أبناء مسعود الأول مسعود والي بلخ ومجدود الذي قتل أثناء ولايته على لاهور(البنجاب) في عام 1042. وقد تزوجت إحدى بنات السلطان إبراهيم بن مسعود الأول بالإمام عبد الخالق الجزجاني وأنجبت العائلة التي أخرجت علماء عائلة الجزجاني المشهورين. وقد خلف مسعود الثالث ابنه الأكبر كمال الدولة شيرزاد (1115- 1116) فأعقبه بعد مصرعه شقيقه سلطان الدولة ارسلان شاه (1116- 1117) فشقيقه يمين الدولة الغازي بهرام شاه (1117- 1152) وبعد خمسة وثلاثين عاما من حكم السلطان بهرام شاه أعقبه ابنه معز الدولة خسرو شاه (1152- 1160) فأبنه تاج الدولة خسرو ملك أو ملك شاه (1160- 1187) وقد ابعد هذا عن العرش بعد حكم دام سبعة وعشرين عاما وقتل عام 1191 وبمصرع ابنه بهرام شاه أخر ولي عهد للغزنويين في هذا العام انقرضت هذه السلالة نهائيا. تزوج مسعود الثالث الغزنوي بإحدى بنات السلطان ملك شاه من أباطرة السلاجقة في عام 1072 وقد أنجبت منه بهرام شاه الذي حكم خمسة وثلاثين عاما.

الجدول 8 : الغزنويون

م	الاسم	التاريخ	م	الاسم	التاريخ
1	ألب تكين - تيكين	962 – 963 = 1	12	السلطان علي	1049 – 1051 = 2
2	إبراهيم	963 – 966 = 3	13	السلطان عبد الرشيد	1051 – 1052 = 1
3	بيلكه تكين	966 – 972 = 6	14	السلطان طغرل	1052 – 1053 = 1
4	بيري تكين	972 – 977 = 5	15	السلطان فروخ- زاد	1053 – 1059 = 6
5	سبوك تكين	977 – 997 = 20	16	السلطان إبراهيم	1059 – 1099 = 40
6	إسماعيل	997 – 998 = 1	17	السلطان مسعود الثالث	1099 – 1115 = 16
7	السلطان محمود	998 – 1030 = 32	18	السلطان شير- زاد	1115 – 1116 = 1
8	السلطان محمد	1030+1040- 1041 =1	19	السلطان ارسلان شاه	1116 – 1117 = 1
9	السلطان مسعود الأول	1030 – 1040 = 10	20	السلطان بهرام شاه	1117 – 1152 = 35
10	السلطان مودود	1040- 1048 = 7	21	السلطان خسرو شاه	1152 – 1160 = 8

11	السلطان مسعود الثاني	1048 -1049 = 1	22	السلطان خسرو – ملك (ملك شاه)	1160 – 1187 = 27

(المبحث السادس)

السلالات التركية في الصين

1- سلالة جى (479- 502 و 550- 577)

سلالة جي هي السلالة التركية الثانية التي حكمت في الصين بعد سلالة جو (1050 ق.م ؟ - 256 ق.م = 794 ؟) وتشكل هذه السلالة الثانية عشرة من السلالات الحاكمة في الصين. وقد حكمت ثلاثة وعشرين عاما في إمبراطورية الجنوب (479- 502) وسبعة وعشرين عاما في إمبراطورية الشمال (550- 77). وقد أنهى التابغاج حكم هذه السلالة. وقد أسست سلالة جي مملكة في قان صو دامت ثلاثة وستين عاما (313- 376) وقد سيطرت بعد ذلك على إمبراطورية الصين الجنوبية وعاصمتها جانغ- آن. وقد حكم فيها سبعة أعوام.

وبعد فقدانهم عرش الجنوب بثمانية وأربعين عاما سيطرت هذه السلالة على إمبراطورية الشمال وابعدوا من الحكم هنا على يد التابغاج إحدى السلالات التركية الأخرى. ويطلق على جي الجنوب اسم به ي- تسي وعلى جي الشمال جن و بي جيو.

ويجدر بالذكر إن هذه السلالة قد اضطرت إلى التطبع بطابع صيني لتستطيع الحكم في إقليم شاسع متعصب ومحافظ في مدنيته مثل الصين، وقد قطعت كل رابطة لها مع الأتراك ولم تبق أية علاقة غير رابطة الدم. وبذلك فأننا نستطيع القول بأن السلالات التركية التي حكمت في الصين لم تؤسس دولا تركية في الصين وإنما اعتلت عرش إمبراطورية كانت موجودة فعلا بين الفينة والأخرى. في حين إن الدول التركية التي تأسست في الهند لم تكن كذلك فقد حافظت على تركيتها ولم تنصهر بين الهنود محافظة على ثقافتها وتقاليدها التركية. وعلة هذا كون السلالات التي حكمت في الهند مسلمة وبسبب وقوف الإسلام بمستواه العالي أمام تبني دين آخر وبالتالي حضارة أخرى. وهناك سبب آخر وهو تغذية الدول التركية في الهند بعناصر تركية من تركستان بصورة مطردة ومنتظمة.

2- <u>التابغاج (توبا) (386- 534 و 534- 556)</u>

التابغاج هم من اشهر واهم السلالات التركية التي حكمت الصين. وذلك بسبب انتسابهم إلى التابغاج الذين اعتلوا عرش الدولة التركية الكبرى بعد الهون وارتباطهم بالأقوام التركية في أواسط آسيا وشمالها الشرقي بعلاقات وثيقة. وللتابغاج الذين يسميهم الصينيون تو- با تأثير مهم على التاريخ التركي بحيث ظل الأتراك طيلة قرون عديدة يطلقون اسم تابغاج على الصين(والمعروف عن الأتراك ميلهم الشديد إلى تتريك الأسماء الجغرافية).

وقد حكم التابغاج الذين يطلق عليهم الصينيون اسم او وه ي والغربيون اسم توبا ثمانية وأربعين ومائة عام في إمبراطورية الشمال (386- 534) واثنين وعشرين عاما في إمبراطورية الغرب (534- 556) وبذلك يكون حكمهم قد بلغ سبعين ومائة عام. ويشكلون السلالة الخامسة عشرة من السلالات المعروفة التي حكمت الصين.

وعاصمتهم كانت أول الأمر في يه (آن يانغ) ونقلت بعد عام 495 إلى مدينة لويانغ. وقد أسست هذه السلالة دولا عديدة في مختلف الأقاليم إضافة إلى تسلمهم عرش الدولة التركية الكبرى. إذ تبعت أمارة شانسي الشمالية هذه السلالة ثمانية وثلاثين عاما (338- 376) وتبعتها أمارة منشوريا الشمالية وأمارة مغولستان الشمالية ثمانية وثلاثين ومائة عاما (338- 476). وقد حكمت سلالتان من التابغاج. إذ حكمت سلالة التابغاج الثانية 174 عاما من عام 398 وحتى عام 572. وقد حكمت في قسم صغير من الصين بين عام 556 وعام 572. وإتباعا للتقاليد التركية حكم منهم أمراء عديدون في مختلف أقاليم الصين مع الاعتراف

بأكبرهم إمبراطورا. وقد حكم فرعان من السلالة في عام 534 توحدا أخيرا. التابغاج الشرقيين الذين حكموا عاما واحدا حتى عام 550 والتابغاج الغربيون الذين حكموا 23 عاما حتى عام 557 .
وقد حكم الشرقيين أقاليم هو- بيه وشان – سي وشان- تانغ وهو- نان في الصين في حين حكم الغربيون في أقاليم شن- سي وقان- صو وقد كانت عاصمة الفرع الأول جانغ- تو وعاصمة الثاني جانغ- نغان.
وكانت السلطة تنتقل على الأغلب بالوراثة من الأب للابن. وقد تزوج الإمبراطور الثاني توبا- تاو عام 434 بأميرة تركية من سلالة الابار. كما تزوج الإمبراطور التركي الكبير (الخاقان) اوتي من سلالة الابار بابنة هذا الإمبراطور. كما نابت زوجة الإمبراطور توبا كياو الإمبراطورة هو عن ابنها طيلة مدة حكمه البالغة ثلاثة عشر عاما. وتزوجت ابنة الإمبراطور الثالث عشر هياو- وو- تي بالخاقان التركي الكبير اوناهوي قاغان من سلالة الابار في عام 533. وقد تزوج هذا القاغان في عام 538 بابنة إمبراطور التابغاج وين- تي وبذاك أصبحت هاتان الأميرتان التركيتان إمبراطورتين (قاتون) وقد سقطت سلالة الابار عن الحكم بعد اونا هوي قاغان واعتلى بومين قاغان من الكوك تورك عرش الدولة. وقد تزوج بومين قاغان في نفس العام الذي توج فيه (552) بالأميرة جانغ- لو- ابنة آخر أباطرة التابغاج.

<u>3- الجول (شا- تو) (923- 950)</u>

حكم الجول الذين أطلق الصينيون عليهم اسم شا- تو سبعة وعشرين عاما في الصين (923- 950) بقيادة ثلاثة أباطرة. وقد حل الشاتو الذين يكونون السلالة الثانية والعشرين الحاكمة في الصين محل سلالة هيو- ليانغ في الحكم. وقد كانت عاصمتهم تاي- يوان ولو- يانغ (923- 936) وكاي- فونغ- بيان (936- 950).
والشاتو ينتسبون إلى سلالة الكوك تورك الإمبراطورية فقد أصبح أمير الكوك تورك لي- كو- يانغ(حسب التلفظ الصيني) واليا عاما على شان- سي في عام 883 وتوفي في عام 908 عن خمسة وخمسين عاما. والإمبراطور الأول للشاتو هو ابن هذا الأمير بالتبني. أما ابنه الحقيقي لي- تسون- ليو فقد حكم خمسة عشر عاما كملك في إقليم قان صو حتى عام 923 وقد توفي في عام 925. وقد أعقب الإمبراطور الأول صهره. أما الإمبراطور الثالث للشاتو فهو من أمراء الكوك تورك أيضا وقد ذكرت المصادر الصينية اسم أبيه على انه ليو- شيه- يوان.
ويستفاد من المصادر الصينية إن عائلة قيات التي كان جنكيز خان ينتسب إليها هي من اصل الشاتو أي أنها من الكوك تورك بالتالي. إلا أن تفوق المغول عدديا على الأتراك في مغولستان الحالية في القرن الثاني عشر أدى إلى تطبع هؤلاء بالطابع المغولي.

<u>4- هسي – هسيا (1038- 1227)</u>

وهم أتراك تطبعوا بطابع تبتي. وقد حكموا من عاصمتهم هالهر أقاليم قان صو واوردوس وشنسي. ويشكلون السلالة السابعة والعشرين الحاكمة في الصين. إذ حكموا تسعة وثمانين ومائة عام من عام 1038 وحتى عام 1227. وقد خضع هؤلاء عام 1210 للمغول بقيادة جنكيز خان وانضموا عام 1227 إلى الإمبراطورية المغولية. ولما كان سكان التبت تحت سيادة الصينيين منذ عام 1125 فقد أسس هؤلاء علاقات وثيقة بسكان التبت والصين. وقد خلف الإمبراطور الأول ابنه شن- تسونغ (1068- 1085 = 17) فأعقب هذا ابنه هوي- تسونغ(1085- 1125 = 40) فابنه كاو- تسونغ (1125- 1164 = 39) فابنه تو- تسونغ (

1164- 1174= 10). وقد وهنت الإمبراطورية بعد الحاكم الأخير وبسطت إمبراطورية كين في هذه الآونة سيطرتها على شمال الصين. وقد تصدى كاو- تسونغ الابن الأصغر للإمبراطور هوي تسونغ لسلالة كين وحاربها.

وبالرغم من إن المغول قد انهوا حكم هذه السلالة في عام 1227 فقد جاهد الأمير كونغ- تي (تي- بينغ) لاسترجاع عرش آبائه. وبتعبير اصح فقد استخدم أولي الأمر في سلالة هسي- هسيا هذا الأمير لهذا المأرب، إذ أن الأمير كان في التاسعة من عمره لدى وفاته عام 1279. وقد سيطر هؤلاء من عام 1274 وحتى 25 شباط(فبراير) 1276 على مملكة صغيرة إلا أن المغول تصدروا لهم وظل الموالين للأمير يجاهدون في سبيل استقلالهم حتى وفاته عام 1279. وقد برز في هذا الوقت قوبيلاى ابن جنكيز الحاكم المتنفذ في الصين. وقد اسر قائد ثورة الأمير ووزيره كيا- سيو- تاو عام 1279 من قبل قوبيلاى .

<u>الجدول 9 : الأباطرة الأتراك في الصين</u>

آ- سلالة جي الجنوبية (479- 502 = 33)

1	تاي - كاو	479 – 482 = 3	5	مينغ - تي	494 – 498 = 4
2	وو - تي	482 – 493 = 11	6	تي باو كيون	498 – 501 = 3
3	يو – لين - وانغ	493 – 494 = 1	7	هو - تي	501 – 502 = 1
4	وو - تي	494			
ب- سـلالة التابغاج (توبا) 1	تاي تسونغ مينغ يـوان- تـي توباسيو	398 – 423 = 25	9	جونغ - تي	528 – 530 = 2
2	تاي – وو – تي - توباتو	423 – 452 = 29	10	تونغ هاي	530 – 531 = 1
3	وين جينغ- تي- توبا سيون	452 – 465 = 13	11	سي - ني	531 – 532 = 1
4	هيان وين- تـي- توبـاهونغ الأول	465 – 471 = 6 وفاته في 480 ؟	12	هيو سي- تي	532
5	هياو وين- تي- توبـا هونـغ الثاني	471 – 499 = 28 ولادته في 460؟	13	هياو وو - تي	532 – 534 = 2
6	سيون- وو- تي - توبا كياو	499 – 515 = 16	14	تسينغ- تي	534 – 550 = 16
7	هياو مينغ - تي	515 – 528 = 13	15	وين - تي	550 – 551 = 1

8	جاو	528	16	في - تي	5 = 556 – 551

ج – الشاتو (923 – 950)

1	.....	1 = 936 – 923	3	......	4 = 950 – 946 قتل
2	شيه جينغ - تانغ	10 = 946 – 936			

(المبحث السابع)

الأتراك في أوربا

1- الكون (الهون) 374- 454

دولة هون الفولجا وبالامير

ارتحل الهون الذين يعتبرهم بعض المؤرخين من عداد الاوغوز بعد انتقال عرش الدولة التركية الكبرى للتابغاج من وطنهم الأصلي. وزحفت قبائل هونية يترأسها أمراؤهم إلى بقاع يبسطون عليها نفوذهم ويتحررون فيها من العيش كتابعين لغيرهم. ومن المعلوم أن هناك ثغرتان نفذ منهما الأتراك إلى الغرب والجنوب خارجين من أواسط وشرق آسيا. فقد كان المحيط الهادي(الباسيفيك) من الشرق والمناطق المتجمدة في سيبريا شمالا حجر عثرة أمام هذه الهجرة. ولم يكن مفتوحا أمام الأتراك إلا الصين والهند وفارس في الجنوب وأوربا الشرقية في الغرب. إلا أنهم لم يكونوا يستقرون في الصين ولم يعد دخولهم إليها قصد الغزو. وبذلك فلم يبق من كتل الأتراك والمغول والمانجو والتونغوز والتبت من اثر في هذه البلاد الشاسعة. ولم يبق إلا الصينيين الذين اسلموا (الدونكن) فقد حافظوا بسبب إسلامهم على طابعهم الخاص. وقد كان الهند وبلاد الفرس (أي المناطق الجنوبية الغربية) جاذبا في نظر الأتراك. وقد أسس الأتراك بالفعل دولا كبرى في هذه البلاد كما عملوا على تتريك أجزاء كبيرة من إيران حتى يومنا هذا .

أما الطريق الثاني الذي انفتح أمام الأتراك فقد كان طريق الغرب وقد عبروا جبال الاورال ونهر الاورال إلى سهل روسيا. أحب الأتراك هذه الأقاليم وظلوا يحكمون فيها مئات السنين. ولم يكن الذين فتحوا طريق أوربا أمام الأتراك غير الهون إذا استثنينا بعض عناصر السقا المختلطة بالفرس. ومن معالم هذه السيطرة تأسيس دولة هون الفولجا التي أسسها بالأمير من أمراء الدولة التركية الكبرى في عام 374. وبذلك بدأت قبائل الفولجا تتطبع بطابع تركي. وقد انقرضت هذه الدولة فيما بعد وانصهر الهون بين قبائل البلغار والخزر التركية الوافدة إلى أوربا.

سلالة اتيـ_ _ _ _ _ _ _ _ _ _لا

استمر القسم الأكبر من الهون في سيرهم نحو قفقاسيا وشمال البحر الأسود وحتى سهل المجر. وكان على رأسهم أربعة أشقاء هم: مونجوق، اوكتار، روغا (روا)، وآيبارس. ويفيد كبار المؤرخين أنهم من السلالة الإمبراطورية للدولة التركية الكبرى. ومن المعلوم قطعا إن أمراء القبائل كانوا يأتون من هذه السلالة ولاسيما في أدوار ما قبل الإسلام. واتيلا بن مونجوق هو الحفيد الثاني عشر للإمبراطور جيجي يابكو من اشهر شخصيات التاريخ التركي والحفيد الثامن عشر بالتالي للإمبراطور مته(اوغوزخان) ويسلم بهذه النظرية اكبر علماء الأجناس وعلماء الدراسات التركية والطورانية أمثال ف . بي.، رادولف، جي. بي . إي.، ف. إي . كراوسه، زكي وليدي طوغان.

كما يذكر هؤلاء العلماء إن الأمير الذي يذكر المجريون اسمه بشكل جسابا وهو من أبناء اتيلا هو الجد الأكبر آلموس مؤسس سلالة ارباد. ومن الحقائق المسلم بها إن أول واشهر سلالة ملكية من المجريين هم من الأتراك. إلا أن هؤلاء العلماء ينسبون هذه السلالة إلى اتيلا وبالتالي إلى مته. ويتفق هذا الأمر مع مفهوم الأتراك لحكم السلالات. وسنتطرق بالبحث إلى هذا الموضوع عند بحثنا لموضوع المجريين.

وقد انقرضت إمبراطورية هون الأوربية التركية بعد حكم دام واحدا وثلاثين عاما فقط ومن المؤكد كونهم قد وصلوا إلى درجة من القوة بحيث تمكنهم من تأسيس إمبراطورية كبرى في عام 425. جاس اوكتار فأعقبه روغا (روا) على عرش الهون. وبعد وفاة روغا عام 434 اعتلى العرش ابنا مونجوق بليدا (بودا) واتيلا معا إلا أن بليدا كان القاغان الأكبر وقد قتل عن خمسين عاما بعد أن حكم أحد عشر عاما من عام 434 وحتى عام 445.

أما اتيلا فقد ولد عام 400 وأصبح وليا للعهد وقاغانا للشرق في عام 434 وإمبراطورا في عام 445 وتوفي بعد تسعة أعوام عن عمر يناهز الثالثة والخمسين. ومن زوجاته آرى قان وايلديكه وقد توفي في ليلة زواجه بالثانية.

وأبناء اتيلا من زوجته آرى قان هم ايلاك ودنكيزيك وايرمك . وله أيضا من الأبناء هرناك الذي كان واليا على دوبروجه وجسابا مؤسس سلالة ارباد. وقد خلف اتيلا على العرش ابنه ايلاك إلا انه قتل في عام 454 بعد عام واحد من توليته وتفككت أوصال الإمبراطورية بعده.

ولم دنكيزيك شعث الهون المبعثرين وحاول الحفاظ على دولة الهون طوال خمسة عشر عاما حتى مصرعه في عام 496 وقد حكم دنكيزيك في شمال البحر الأسود ورومانيا في حين حكم شقيقه ايرنك (ايرمك) في أوكرانيا. وتبع ايرمك البيزنطيين بعد مقتل دنكيزيك واستمر على الحكم في وبروجه.

وقد كان اودوكار (اودوفاكار) الذي أنهى حكم الإمبراطورية الرومانية الغربية هو ابن اديكون ملك سكير المعاصر لآتيلا. ومن الأمور التي دار حولها نقاش طويل موقع عاصمة اتيلا والهون وتفيد بعض المصادر أنها كانت أقرب من مدينة سكادين الحالية في موضع تفرع فرع الماروس من نهر تيسا.

الأهمية التاريخية لهون أوربا

تعني كلمة (كون) في اللهجة التركية الدارجة الخروف. ومن هذا نستطيع أن نفهم مفهوم كلمة كون الأبيض والأسود من دول الهند التركية ولا يغرب عن البال دولتي الخروف الأبيض والخروف الأسود اللتين خرجتا إلى الوجود في القرن الرابع عشر. ولا تتيسر لدينا المعلومات الكافية عن الهون حتى هجرتهم من أواسط آسيا إلى سهل المجر. ومن المؤكد أن جد اتيلا أسس دولة تركية هامة في شمال البحر الأسود. ومن السهولة بمكان مشاهدة آثار الهون التي تخلفت من عهد حكمهم الخاطف حتى يومنا هذا. وقد التحق الهون بعد انقراض إمبراطوريتهم بإمبراطورية أتراك الخزر. كما التحق قسم من الذين بقوا في أوربا منهم بسلالة الابار الوافدة إلى أوربا مؤخرا. أما البقية فقد انصهروا بين العناصر السلافية والجرمانية واللاتينية.

وقد صادف علماء الأنثروبولوجيا أناسا بطابع تركي في غرب جيكوسلوفاكيا واولم بالقرب من بافاريا واستنتجوا أنهم من بقايا هون أوربا ويمكن توضيح أسماء الكثير من المناطق في المجر وجيكوسلوفاكيا وألمانيا بلهجة الهون التركية مذكرين بذلك مرة أخرى قابلية الأتراك الفذة في تتريك الأسماء الجغرافية. ولا يستوجب هذا الأمر الدهشة إذا ما تذكرنا إن أسماء الكثير من المناطق الممتدة بين الصين والادرياتيك هي تركية محضة دخلت الأطالس الجغرافية واستمرت حتى يومنا هذا. عبرت كتلة كبيرة من الهون في عام 445 جبال القفقاس من الشمال إلى أذربيجان. وقد انضمت قبيلة اغاجري من اتحاد الهون في عام 465 إلى الهون الموجودين في أذربيجان. كما كان أتراك سابير قد ولجوا هذه البقاع في عام 305 وكان هؤلاء يعيشون في سيبريا الغربية وقد سميت سيبريا باسمهم. وقد انضم اغلبهم إلى إمبراطورية الخزر. كما غزا قسم منهم

الأناضول في عام 515 ووصلوا إلى أنقره وقسطمونو ورجعوا عام 527 إلى أذربيجان وداغستان. وكان تعداد أتراك سابير في القرن السادس يناهز النصف مليون نسمة تحالف قسم منهم مع البيزنطيين والقسم الآخر مع الفرس. وتبين من هذا إن تسرب الأتراك إلى أذربيجان والذي تم نهائيا بعد القرن الحادي عشر قد بدأ في عهد الهون.

وإضافة إلى من سبق فقد مر حوالي خمسون ألف تركي في عهد خسرو انوشيروان من بلاد الساسانيين الفرس وسكنوا أذربيجان الجنوبية (من بطون البلغار والبلنجر). كما عمل نفس الحاكم على إسكان بعض القبائل التي تنتسب إلى بطون يازار وصول التركية القاطنة في خرا سان في أذربيجان الجنوبية.

حضارة الهـــــــــــــــــــــــون

امتعض الكثيرون من الهون الحاكمين للدولة التركية الكبرى من تنازع هوهانية يابكو وجيجي يابكو الذي استمر طيلة أعوام عديدة. وارتحل قسم منهم بقيادة جيجي يابكو إلى الغرب مبتعدين عن النفوذ الصيني. وقد وصل جيجي يابكو إلى سواحل طالاس وسيطر على الإقليم المشرف على بحيرة ايصيق. وبذلك زحف القسم الأكبر من العنصر التركي الحاكم إلى الغرب. وقد تجمع أغلبية الهون بعد سقوط جيجي يابكو وسلالة الهون من الحكم في الغرب وتدفقوا إلى أوربا. وحدث بذلك احتكاك كبير بين الحضارتين التركية والأوربية كما احتك الهون بعناصر الآلان الفارسية القاطنة في شمال قفقاسيا ويمكن متابعة آثار الزحف التركي من الشرق إلى الغرب بفضل الحفريات بصورة منتظمة. وتظهر القطع الذهبية المصنوعة التي اكتشفت في سواحل بحيرة بوروفوكو في قازاخستان المراحل التي قطعها الأتراك من الشرق نحو الغرب. وقد اكتشف سيف هوني ذو طابع فريد في منطقة الفولجا وهو يماثل السيوف التركية المقدسة. ولم يكن الفين قد سكنوا شمال الفولجا في هذه الادوار إذ استقروا فيها في الفترة ما بين القرنين السادس والثامن وابعدوا الأتراك إلى سواحل الفولجا الجنوبية وهذا الأمر هو سبب وجود الأتراك في شمال الفولجا على عهد الهون.

وقد زحف الهون إلى إقليم الدون بعد الفولجا ويمكن متابعة الاكتشافات الأثرية في هذه المناطق كما يمكن مشاهدة هذا القوم على سواحل الدنيبير وهم الذين سكنوا شبه جزيرة القرم أيضا. ووصلوا إلى سواحل الدانوب متنقلين بين سواحل الأنهر وتجمعوا في سهل المجر تمهيدا لإقامة إمبراطوريتهم . وقد ترك الهون آثارا حضارية متميزة في المجر كما انسحب الكثيرون من الجرمان إلى ألمانيا تحت وطأة الغزو التركي وخلا جنوب روسيا من العناصر الجرمانية. ومن المناطق التي استوطن الهون فيها أيضا سيليزيا الذي تركوا فيها مخلفات حضارية خالدة. ويوجز المؤرخ والجغرافي الفرنسي فرناند غرينارد اثر حضارة الأتراك الهون على حضارة أوربا بقوله:

" كان الأوربيون يجهلون حتى ذلك العهد الملابس الداخلية وسروج الخيل والكثير من الأساليب العسكرية التي كانت معروفة لدى الأتراك بالإضافة إلى الأسماء الجغرافية . وقد اقتبس اليونانيون والرومـانيون والجـول والجرمان أساليب تسريج الخيل." وقد كان اوريستا والد روموولوس آخر أباطرة الرومان والذي كـان يحكـم الإمبراطورية نيابة عن ابنه من ضباط اتيلا وقد تلقى تربيته العسكرية على يد الأتراك. كما كـان اودوجـر حاكم إيطاليا المشهور ابن أحد مستشاري اتيلا .

اتيـــــــــــــــــــــــلا

نوجز في هذه العجالة تاريخ حياة اتيلا ومميزات شخصيته وهو أحد شخصيات التاريخ التركي الفذة والذي يرتبط اسمه ارتباطا وثيقا باسم إمبراطورية الهون في أوربا.

ارتحل الهون الأتراك الذين اخضعوا الآلان إلى حكمهم في أواسط القرن الرابع إلى بلاد فارس في عام 359 والى قفقاسيا الجنوبية عابرين جبال الشمال في قفقاسيا في عام 363 ثم إلى الأناضول من الجنوب فبلاد ما بين النهرين (العراق). إلا أن أغلبية الهون كانوا يقطنون شمال البحر الأسود والقرم وسواحل نهر الدون في هذه الفترة. وقد انتقلت عاصمة أتراك الهون التي كانت على سواحل الخزر في عام 417 إلى جوار صوفيا الحالية في بلغاريا في عام 430. وكاد اتيلا أن يحقق حلمه العتيد في سيطرة الهون على العالم فقد اخضع إمبراطوريتي الغرب والشرق وحاول فتح إيران إلا انه توفي وهو يعد العدة لغزوها.

قضى اتيلا سني شبابه الأولى في أحد قصور روما فتعلم اللاتينية والثقافة الرومانية ووقف على نقاط الضعف في الإمبراطورية الرومانية فاستفاد كليا من دراسته هذه عندما اعتلى العرش. فقد زحف أول الأمر على روما الشرقية (البيزنطيين) فأجبرهم على دفع الضرائب ولم يكن هذا الأمر معروفا من قبل لدى البيزنطيين وبسبب ذلك فقد انقطع الإمبراطور البيزنطي عن دفعها بعد أعوام فسار اتيلا عليه وفتح بلغراد ونيس وفيليبيا ثم وصل إلى شبه جزيرة غليبولى. واضطر الإمبراطور البيزنطي إزاء هزيمة جيوشه للموافقة على دفع فدية اكبر من سابقتها مبعدا بذلك اتيلا عن أبواب القسطنطينية(أستانبول)، فألحق اتيلا بعد فترة ، سبعين مدينة وقصبة بيزنطية إلى إمبراطوريته نتيجة تردى العلاقات بينه وبين البيزنطيين مجددا. ولما وصل إلى أبواب أستا نبول مجتازا مورا لم ير الإمبراطور بدا من حبك مؤامرة للإجهاز على اتيلا إلا إن المؤامرة باءت بالفشل فأرسل اتيلا نتيجة لذلك رسولا إلى البيزنطيين يطالب فيها براس المتآمر مهددا إياهم واضطر الإمبراطور البيزنطي خشية اقتحام اتيلا لعاصمته إلى قتل الروماني الذي دبر المؤامرة بتوجيه منه فأرسل رأسه إلى اتيلا.

وكان اتيلا قد تحول ببصره إلى الإمبراطورية الرومانية الغربية التي كان على علاقات طيبة معها حتى ذلك الحين، وقد غير سياسته نتيجة لالتجاء بعض من يدعون بأحقيتهم في العرش إليه. وكانت الأميرة هونوريا شقيقة الإمبراطور الثالث فالينتيانوس قد منعت من الزواج خشية منافسة أطفالها للعرش وأرسلت الأميرة بداعي الانتقام خاتم خطبة إلى اتيلا إلا أن الأخير لم يجبها إلى طلبها. ولما كان اتيلا يبحث عن حجة ما فقد تذكر هذه الحادثة التي جرت قبل أعوام. وكانت الأميرة هونوريا قد أبعدت من قبل أمها الإمبراطورة بلاسيديا إلى أستا نبول ثم رافينا (إيطاليا) في هذه الأثناء بداعي أنها مغرمة بأحد رجال القصر فلما علم اتيلا بذلك أرسل رسولا إلى إمبراطور روما الغربية يطالب فيها إطلاق سراح (خطيبته) الأميرة هونوريا كما طالب ما يقارب نصف أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية كحساب لزوجته المقبلة كصداقها وإرثها وتردت بذلك العلاقات بين الحاكمين ووصلت الأزمة إلى ذروتها.

ولما كان اتيلا يخشى اتحاد الإمبراطوريتين الرومانيتين أمامه واضطراره إزاء ذلك إلى القتال في جبهتين فقد أسرع بالسير على الإمبراطورية الغربية مجتازا نهر الرين إلى سهل غاليا (فرنسا) وفتح مدينتي ميتز و ريمس وجابه جيوش الإمبراطورية الرومانية الغربية وحلفائها الغوت الغربيين على مقربة من مدينة اوليان في 24 حزيران 451. ولم يتوصل كلا الطرفين إلى نتيجة حاسمة في الحرب الضروس التي دامت رحاها يومين وقتل فيها خمسة وستون ومائة ألف مقاتل من الجانبيين.

وسار اتيلا في العام التالي على إيطاليا مباشرة وسيطر على مدينتي ميلانو وبافيس. وأصبح من المتوقع اقتحام اتيلا لروما في أية لحظة وإزاء ذلك خرج البابا الثالث ليو من المدينة وتوجه إلى معسكر اتيلا طالبا منه عدم دخول روما ولما كان اتيلا مزمعا على التوجه إلى الإمبراطورية الشرقية مجددا فقد قبل طلب الصلح لقاء ضريبة سنوية كبيرة تعهد الرومانيون بدفعها. كان اتيلا يرنو إلى تأسيس اكبر الإمبراطوريات شأنا وهو بذلك يحذو حذو من سبقه من الأباطرة والفاتحين الكبار أمثال الاسكندر الكبير ومته وبالفعل فقد خلف اتيلا إمبراطورية مثيرة للدهشة من حيث السعة.

مرت فترة حكم اتيلا الذي سماه الأوربيون بسوط الرب كلمح البصر وفقد الأتراك الذين كانوا يكونون أقلية ضئيلة بين أقوام أوربا هذه الإمبراطورية بعد وفاته. وتشير خريطة إمبراطورية أتراك الهون إلى إن دولة اتيلا كانت تمتد من أواسط السويد إلى شمال قفقاسيا ومن سواحل الرين إلى بحيرة قزوين وكانت الأقاليم الخارجة عن هذا النطاق مثل إيطاليا وفرنسا والبلقان من البلاد التي كانت تتعرض دوما لغزو الأتراك في هذه الحقبة من الزمن. وجد اتيلا ميتا في فراشه في صباح الليلة التي زفت إليه عروسه الجديدة ايلديكو وكان فراشة مخضبا بالدم الذي نزف من فمه وانفه. كما كانت زوجته قد فقدت عقلها من الخوف ووجدت منزوية في أحد أركان الغرفة. ولم تظهر الحقيقة في سبب وفاته أبدا ولم يعرف أحد فيما إذا كان سبب موته هو نزيف حاد أم مرض مفاجئ أم دسيسة مبيتة.

دفن اتيلا بمراسيم مهيبة ووضعت جنازته في تابوت من ذهب ووضع هذا في تابوت فضي ضمه تابوت من الصلب. وقتل الذين دفنوه رميا بالسهام لئلا يعرف مكان دفنه كما حول مجرى الماء الذي كان يصب بالقرب من المكان الذي اختير قبرا له إلى ناحية أخرى.

الجدول 10 : هون أوربا

م	الاسم	التاريخ	م	الاسم	التاريخ
1	بالامير	374 – 395؟ = 21؟	6	بليدا	434 – 445 = 11
2	قاراتون	395 – 415؟ = 20؟	7	أتيلا	445 – 453 = 8
3	مونجوق	415؟ – 425 ؟= 10؟	8	إيلاك	453 – 454 = 1
4	أوكتار	425 ؟– 430 = 5؟	9	دنكيزيك	454 – 469 = 15
5	روغا	430 – 434 = 4			

2- الابار - الأوار 565- 835

الاوار في أوربا

حذا الاوار الذين تركوا عرش الدولة التركية الكبرى للكوك تورك حذو الهون الذين لم يخضعوا للتابغاج الذين تسلموا زمام الأمور في هذه الدولة فرحلوا إلى أوربا وأسسوا دولة كبرى فيها. أسس الاوار دولتهم على أنقاض إمبراطورية الهون التي تأسست قبل قرن من ذلك في عام 565 وقد عمرت هذه الدولة أكثر من دولة الهون فاستمرت سبعين ومائتي عاما إلى أن انقرضت في عام 835. إلا أنها فقدت صفة الإمبراطورية بعد القرن السابع.

وأول أباطرة اوار أوربا الذين كانوا يسمون بالقاغان هو بايان قاغان. وكان له خمسة أنجال قتل أربعة منهم في عام 601 فخلفه ابنه الخامس الذي حاصر البيزنطيين في عام 616 وعام 626 ويبدو أنهم اختاروا عاصمة اتيلا أو جوارها وهي على مقربة من مدينة سكدين الحالية في المجر عاصمة لهم. وقد زار حاكم الاوار الذي أعقب هذا وهو تودون قاغان في عام 796 شارلمان الإمبراطور القادم للإمبراطورية الغربية في مدينة اخن (اكس- لا- شابل) زيارة رسمية. وقد اعتنق اثنان على الأقل من حكام الاوار مثل تيودوروس وابراهام الديانة المسيحية وقد انقرضت دولة الاوار بعد إبراهام بنهاية حكم تودون الثاني.

وكان الكوك تورك بنفس مذهب السلالات الحاكمة الجديدة يخشون من أسلافهم ونتيجة لذلك فقد ظهر إلى الوجود تحالف الكوك تورك – البيزنطيين إزاء الاوار ويبدو أن الكوك تورك كانوا يخشون من سطوة أسلافهم الاوار في حالة إجهازهم على الإمبراطورية الرومانية.

وقد كان انتصار شارلمان على الاوار في عام 791 ضربة قاصمة لهم واضطر هؤلاء في عام 796 إلى نبذ الشامانية التي كانت الديانة الرسمية للدولة واعتناق المسيحية وكان هذا الأمر الذي حدث تحت ضغط خارجي يعني الموت بالنسبة للدولة. وبالفعل فقد أصبحت دولة الاوار بعد أربعين عاما حدثا منسيا ولا أدل على انقراض هذه الدولة من وصول شارلمان إلى المجر موطن الاوار.

وانصهر الاوار بين أقوام أوربا وقد قام علماء الأنثروبولوجي بتثبيت الطابع الاواري الذي وجد بكثرة بين المجريين. كما اكتشفت في المجر مخلفات كثيرة تعود لهم. فقد ظهرت في الحفريات خمسة عشر ألف قبر أواري. كما عثر على مزمار بأنبوبين يعود لهم وهي آلة موسيقية تركية قديمة.

الاوار و دول أوربا

وصل الاوار إلى الرين فأحرزوا نصرا حاسما على ملك الإفرنج سيغابرت الأول في عام 566. كما كان القوتورغور والاوتورغور ما بين الدون والدينبر في ظل الحكم التركي عند اعتلاء بايان قاغان للعرش. أما الاونوغور والاوتورغور الذين كانوا يقطنون شرق الدون فقد كانوا خاضعين للكوك تورك. وبذلك أصبح الدون حدودا طبيعية للاوار وخلفائهم الكوك تورك. إلا أن الكوك تورك سيطروا على غرب الدون في عام 569 وخضعت الأقوام التابعة للاوار إلى الكوك تورك. وأملى بايان قاغان شروطا صارمة على الإمبراطور تيبريوس الذي قاد جيش الإمبراطورية في عام 573 بعد أن هزم هذا الجيش قبالة الاوار فأصبحت دولة الاوار اكبر دول أوربا دون منازع بعد البيزنطيين. ونشاهد في هذه الفترة الصراع الشديد بين الاوار والبيزنطيين في أوربا فتارة يتفوق هؤلاء وأخرى أولئك وقد قتل البيزنطيون أبان إحدى المعارك أربعة أبناء من أنجال بايان خان في عام 601 فعمد هذا إلى الزحف بجيشه على أستا نبول في عام 616 انتقاما لذلك. وحوصرت أستا نبول حصارها المشهور في عام 626 من قبل الاوار المتحالفين مع الفرس. ولازالت ترانيم اكاثيوس المشهورة تتلى في الكنائس الرومية وهي ابتهال وشكر للعذراء لإنقاذها البيزنطيين من هذا الحصار.

دخل الاوار إلى بافاريا في عام 736 واستعرت بذلك حروب الاوار- بافاريا الذي دام عشرين عاما وقد ترك الاوار القسم الكبير من النمسا نتيجة لهذه الحروب الطاحنة بعد أن كانت الحدود تفصل بمجرى انس في جنوب الدانوب بين البلدين إلى الجرمان.

وبنهاية القرن الثامن تبدأ فترة الانحطاط إذ اندحر الاوار أمام إفرنج شارلمان. واعتنق تودون قاغان الذي زار أخن عاصمة شارلمان المسيحية في عام 796 إلا أنه عاد إلى حظيرة الدين الشاماني بعد أن تبين إن هذا لم

يطفئ جذور الحقد على الأتراك لديه. ولئن كان تودون قاغان قد دخل بافاريا وهزم الكونت جيرولد شقيق زوجة شارلمان وقتله فإن من أعقبه من الحكام اضطروا لاعتناق المسيحية نحو عام 508. وانقرضت الدولة في عام 826 بعد تودون قاغان الثاني.

الاوار في التاريخ

يأتي ذكر الاوار كما يسميهم الأوربيون على شكل (ابار) في كتابات اورخون. وحكام الاوار الأوربيون هم من نفس سلالة الاوار التي حكمت الدولة التركية الكبرى في آسيا. ولابد أن بايان قاغان أول أباطرة الاوار في أوربا هو ابن أحد حكام الاوار في آسيا أو ابن أخيه إلا أن درجة قرابته غير معروفة على وجه التحقيق في يومنا هذا. إذ أن المعلومات المتعلقة بحكام الاوار الأوربيين وفترة حكمهم محدودة جدا. إلا أن اغلب المؤرخين يجمعون على أن السلالات التي حكمت الدولة التركية الكبرى وحكمت الدول الفرعية في الصين والهند وأوربا هي من اصل واحد وسلالة واحدة هي عائلة اشينا (آسينا) أو كوكبوري(الذئب الأغبر).
ويعد الاوار أساتذة السلافيين في فنون الدولة وتنظيماتها فقد أزاحوا السلافيين جنوبا وغربا إلى البلقان. كما كانت قبيلتان من فخذ الاونوغور التركية (تعدادها 20.000 نسمة) قد اتحدتا مع الآلان الفرس القاطنين في قفقاسيا الشمالية ودخلتا إلى أوربا منضمتين إلى أتراك الهون والبلغار فظهرت إلى الوجود قوة جديدة زحفت إلى المجر والنمسا فألمانيا إلى منطقة التورين وأسرت سيغابرت ملك الإفرنج وسيطرت على البلاد الواقعة بين جبال كربت ونهر الدانوب مزيحة اللومبارد إلى إيطاليا. ثم غزت بانونيا في 568 وبلاد الإفرنج في عام 597. وقد سيطرت هذه الإمبراطورية المؤقتة على مساحات شاسعة تمتد من قفقاسيا الشمالية إلى بروسيا وأصبحت طليعة الاوار.
وقد سار الاوار في اثر الهون بعد سقوط بلغراد في أيديهم فدخلوا اليونان ومورا في عام 589. كما حاصروا سلانيك واستا نبول مرتين إلا أن هذا الحصار لم يجد نفعا. ومن أهم مؤثرات الاوار على التاريخ إرغامهم السلافيين على الالتجاء إلى البلقان والعمل على صبغ شبه الجزيرة هذه بطابع سلفي.

الجدول 11 : اوار أوربا

1	بايان قاغان	565 – 602 = 37	5	تيودورس	؟ - 805
2	××× قاغان	602 – 626؟ = 24	6	إبرا هام	
3	تودون الأول	791 – 803 = 12	7	تودون الثاني	؟ - 835 ؟
4	زودان	803 – 805 = 2			

3 – الخزر (468 – 965)

نظرة عامة إلى دولة الخزر التركية

الخزر من الأقوام التركية التي أسست إمبراطورية في أوربا الشرقية دامت سبعة وتسعين وخمسمائة عاما من 468 وحتى عام 965. وقد اتخذت الدولة صفة الإمبراطورية بعد عام 620 وكانت العاصمة في بلنجر زهاء خمسة وخمسين ومائتي عام(468- 723) وفي ايتيل (أترخان الحالية) زهاء اثنين وستين ومائتي عام (723- 965) وقد اعتنق الخزر الذين كانوا يدينون بالشامانية الإسلام بين 732- 800 ثم اليهودية بعد هذا التاريخ كأديان رسمية. وقد عاد القاغان الرابع عشر والأخير للخزر يوسف إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى في عام 965 إلا أن الدولة كانت في سبيلها إلى الانقراض وتقلصت إلى مجرد إمارة صغيرة حافظت على كيانها لقرن آخر من الزمن. والأتراك الذين يسمون بالقارايم وهم الذين يدينون باليهودية ويعيشون اليوم في أقاليم مختلفة كانوا يعيشون قديما في القرم وهم البقية الباقية من الخزر.

ودولة الخزر هي الدولة التركية الوحيدة التي اعتنقت اليهودية كما يتحتم علينا اعتبارها الدولة التركية المسلمة الأولي باعتبار إنها أعلنت الإسلام الدين الرسمي زهاء ثمانية وستين عاما اعتبارا من عام 732.

ويرى زكي وليدى طوغان إن الخزر هم من سلالة الفرع الغربي للكوك تورك، أي أنهم من فخذ الكوك تورك وسلالة (آجينا- الذئب الأغبر) (ابن فضلان 269- 270). ولا نعلم شيئا عن ملوك الخزر الذين حكموا طيلة قرن ونصف قرن قبل أن تنتقل الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية. وقد تسلط الأضواء على نسبهم لأحد ملوك الكوك تورك لدى العثور على الوثائق المؤيدة لذلك.

وقد أسس الخزر الذين أفرطوا في الاستفادة من التسامح الديني للأتراك باعتناقهم عدة أديان أواصر قرابة متينة مع الدول المجاورة ولاسيما مع البيزنطيين فقد كان هؤلاء مسيطرين على جنوب البحر الأسود وغربه بينما كان الخزر يقطنون سواحله الشمالية والشرقية. ومن هذا أن أميرة من أتراك الخزر تدعى تيودورا قد تزوجت عام 695 بالإمبراطور جوستنيان الثاني. كما أن أميرة أخرى أطلق البيزنطيون عليها اسم أيرين تزوجت بالإمبراطور قسطنطين كوبرونيموس الخامس عام 732. ويعرف الإمبراطور ليو الرابع الذي كان ثمرة هذا الزواج باسم خزر.

كما أسس الخزر علاقات وثيقة مع العرب والإمبراطورية الإسلامية فقد تزوجت إحدى أميرات الخزر بوالي العباسيين على أرمينيا يزيد ابن أسيد السلمي عام 760، وقد توفيت هذه في عام 746. كما تزوجت أميرة أخرى بالوزير العباسي المعروف فضل بن يحيى البرمكي في عهد الخليفة هارون الرشيد.

أسس الخزر العلاقات مع منافسيهم البيزنطيين. ولا أدل على ذلك من كون أميرة الخزر الثانية إمبراطورة البيزنطيين. كما إن للخزر الفضل الكبير في حماية أستا نبول من الغزو الساساني الفارسي في عام 627. كما اشترك أتراك الخزر والبلغار في الدفاع عن أستانبول ضد الحصار الغربي في عام 718. وتظهر أهمية هذا العون إذا تذكرنا بتفوق الأتراك الفذ في القتال.

التقى الخزر بأتراك القوتورغور والهون والاوار والبلغار لدى عبورهم شمال البحر الأسود إلى أوربا الشرقية. والحقوا هذه الجماعات بقواهم عند تأسيسهم لدولتهم الأوربية. ويستدل من الوقائع التاريخية إن الخزر كانوا أول الأمر من التابعين للدولة التركية الكبرى تحت حكم الكوك تورك. وقد اختاروا لعاصمتهم أول الأمر بلنجر(اندري الحالية) في شمالي شرق قفقاسيا(داغستان) ثم سمندر (قزلر) ثم نقلوها إلى دلتا الفولجا في السواحل الشمالية من بحيرة قزوين.

كانت المسيحية تحتل مكانتها إلى جانب اليهودية والإسلام بين صفوف الخزر . وقد ترك الخزر أثرا حيويا بين أقوام أوربا فسلالة ارباد التركية التي أسست مملكة المجر تنتسب إلى قبيلة قابار الخزرية. كما قامت الأقوام الاسكندنافية بتقليد المؤسسات التركية الخزرية. وساعد الخزر في تغذية المدينة التي أدت إلى تبلور القومية الروسية. كما اقتبست اكبر دول ذلك العصر مثل الإمبراطوريتين الإسلامية والبيزنطية فنون الحرب والاستحكام.

وان كان الدين الرسمي هو اليهودية فإن حكام الخزر لم يرغموا رعاياهم على اعتناق هذا الدين إطلاقا ودليلا على ذلك فإن أكثر رعايا الخزر كانوا من المسلمين ويليهم المسيحيون ثم اليهود فالشامان.

وقد تلقى الخزر الضربة القاصمة من النورمان القاطنين بين بحر البلطيق والبحر الأسود (عاصمتهم نوفكورود في أقصى الشمال) وهم أسلاف الروس الجدد.

ولما كان الروس يشكلون عنصرا هاما في التاريخ التركي فيجدر بنا أن نوجز هنا نبذة قصيرة عن نشأتهم. كان الروس آنذاك نورمنديين من الاسكندنافيين يتكلمون إحدى اللهجات السويدية. وقد انصهر هؤلاء في القرون التالية بين السلوفاك وأخذوا يتكلمون الروسية الحالية وهي إحدى اللهجات السلوفاكية وأصبحوا سلوفاكيين تماما نحو عام 1000 (مينورسكي: الروس إي. آ ،9- 788ب). وقد لقي أتراك البلغار نفس المصير كما سنتطرق بالبحث في مبحث قادم . فقد انصهرت الأقلية الحاكمة من أتراك البلغار بين سلوفاك البلقان واخذوا يتكلمون البلغارية إحدى اللهجات السلوفاكية الجنوبية. وكان الروس آنذاك يطلقون على حكامهم لقب القاغان مقلدين بذلك أتراك الخزر. في حين كان لقب حكامهم قبلا هو كنياز أي الأمير الكبير.

المسلمون العرب وأتراك الخزر

اجتاز المسلمون العرب بين عامي 721- 723 الحدود الجنوبية لإمبراطورية الخزر من جبال القفقاس إلى داغستان وسيطروا على عاصمتهم بلنجر . وإزاء ذلك نقل الخزر كما أسلفنا عاصمتهم إلى مدينة أتيل (استرخان) على بعد 500 كم من شمال العاصمة القديمة. وقد الحق مروان بن محمد الأموي في عام 732 بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل داغستان برمتها إلى الإمبراطورية الإسلامية. كما تقدم في عام 737 بجيش اكبر يضم مائة وخمسين ألف مقاتل إلى الشمال فوصل إلى دلتا الفولجا واتيل. وهذا أقصى ما بلغته القوات الإسلامية (خط عرض 47 درجة) فقد كان تقدم الأمويين إلى خط عرض 48 درجة شمالا في فرنسا مؤقتا.

شدد الحصار على مدينة اتيل وعمد خاقان الخزر إلى تكليف خزر تارخان بقيادة الجيوش. إلا أن هذا لم يفلح في فك الحصار وخسر جيش الخزر عشرة آلاف قتيل و سبعة آلاف أسير وعشرة آلاف جريح ، فطلب الخاقان الصلح وأعلن إسلامه فأرسل الأمويون نوح بن ثابت الاسدي وعبد الرحمن الخلاني للتبشير بالإسلام وانسحبوا من داغستان.

إلا أن الخرز شددوا من عزائمهم في الغرب فالحقوا القرم التي كانت تدار من قبل أحد الولاة بالحكومة المركزية في عام 787 والغوا امتيازات الغوت وأسسوا مدينة كيف.

وقد استمر الصراع بين الخزر والعرب فعبر جيش قوامه مائة ألف مقاتل بقيادة استرخان جبال القفقاس من الشمال إلى الجنوب وانتزعوا أذربيجان وأرمينيا من الخلافة الإسلامية (في عهد العباسيين) ورجعوا بمائة ألف أسير.

وبالرغم من التسامح الديني المفرط لدى الخزر فقد اعتبروا الدفاع عن اليهودية دينهم الرسمي واجبا عليهم. ومن ذلك إن خاقان الخزر أمر بهدم منارة أحد الجوامع في اتيل بحضور بعثة تمثل الخليفة المقتدر في عام 922 ردا على تخريب إحدى المعابد اليهودية في الأندلس.

إلا أن الإسلام كان في تطور مطرد في هذه الأقاليم وانحصرت اليهودية برجال القصر. فقد كان هناك في اتيل عشرة آلاف مسلم وثلاثين جامعا كما كانت الأوضاع في صالح المسلمين في سائر المدن. وكان هناك سبعة قضاة يحكمون بأصول الشريعة. وبدأ عدد من يعتنقون الشامانية بالتناقص إذ انخرط هؤلاء في الإسلام ومن تبقى منهم في المسيحية أو اليهودية. وقد كان للخزر توراة تركية يمارسون بها شعائرهم الدينية. وكانت الإمبراطورية قد توسعت وخضعت أقاليم الدلتا في خزرم وجنوب بحيرة آرال لهم ردحا من الزمن. وبذلك كانت سطوة الخزر يمتد إلى خط طول 60 درجة شرقا. كما كان حاكم بلغار الفولجا خاضعا لهم. وبإسلام هؤلاء وصل الإسلام إلى خط عرض 55 درجة شمالا. وكان حاكم (يابكو) الاوغوز في اوست يورد أي في الإقليم المنحصر بين الخزر وارال يخضعون للخزر. وتبرز الأهمية التاريخية للخزر إذا ما تذكرنا أنهم حكموا داغستان وقفقاسيا الشمالية واسترخان والقرم وشمال البحر الأسود. وقد أطلق المؤلفون العرب المسلمون اسم الخزر على بحر الخزر كما سموا بحيرة آرال باسم خرزم.

كان الخزر كسائر الأتراك شجعانا يتميزون بقدرة عسكرية فائقة فعمل أباطرة البيزنطيين والساسانيين على اختيار حرسهم الخاص من الخزر. اسلم هؤلاء في بغداد واعتنقوا المسيحية في أستانبول والمجوسية في بلاد الفرس. وقد لعب الضباط والجنود الخزر دورا هاما في القصر الإمبراطوري البيزنطي. كما كان بعض الأباطرة يشتركون في بعض مراسيم الأعياد بالزي القومي للخزر. وإن كنا نعرف عن ملوك الخزر أسماءهم ابتداء من بولان وحتى يوسف فإن تواريخ حكمهم مجهولة. ومن حكامهم اوبجا ابن بولان وابن هذا حذقيا ومناحه ابن هذا الأخير. أما هانوكا فهو الابن الأصغر لمناحه. ويوسف (جوزيف) الحاكم الأخير هو ابن هارون (آرون) الثاني. وقد تقلصت دولة الخزر بعد هذا إلى شكل أمارة صغيرة حكمت قسما من القرم وشمال بحر ازاق وسواحله الشمالية واستمرت حتى نهاية القرن الحادي عشر. وانضم الخزر بعد هذا التاريخ إلى سائر الزمر التركية مثل القبجاق والبجنك والاوغوز. في حين استمروا يحكمون مدينة اتيل. وقد فتح سوبيدي نويان مدينة اتيل وأسست بالقرب منها بعد ذلك مدينة سراي التي أصبحت فيما بعد عاصمة لإمبراطورية التون- اوردى. ولم يعثر على أي قبر من قبور حكام الخزر ولاشك إنها ستسلط الأضواء على الكثير من المعلومات حول هؤلاء إذا تم العثور عليها.

الجدول 12 : الخزر

1	بولان	620 ؟ -	8	مناشه الثاني	
2	أوباجا		9	نيسي	
3	حذقيا		10	هارون الأول	
4	مناشة الأول		11	مناحيم	
5	هانوكا		12	بنيامين	
6	إسحاق		13	هارون الثاني	؟ - 931
7	سابولون		14	يوسف	931 – 965 = 34

4- المجـــــــــــر

منشـــأ المجـــر

كان المجر من أقوام الفين القاطنة في السفوح الغربية لجبال اورال الوسطى على خط عرض 58 درجة شمالا. ويرتبطون بصلات القرابة مع قبائل الفوكول والفوتياك القاطنة حاليا في سيبريا الغربية الآخذة بالانقراض. وقد عاش المجر تحت سيادة جيرانهم الاوغور الأتراك متأثرين بالحضارة التركية المتمثلة بتطبعهم بالفروسية. ويجدر بنا أن نتذكر أن الفروسية كانت نادرة لدى أقوام الفين باستثناء المجر. وقد ساعدت هذه الصفة قوم المجر على دخول التاريخ الأوربي من أوسع أبوابه. في حين كانت أقوام الفين الأخرى وعلى رأسها الفنلنديون قد اعتادوا على العيش تحت حماية وسيادة الأقوام الأخرى(تأسست فنلندا في عام 1918).

وقد كان المجر فرسانا عندما انضموا إلى إمبراطورية الهون الأوربية. وهاجروا إلى الجنوب الغربي شأنهم في ذلك شأن الأتراك إلى أن وصلوا إلى أقاليم قازان وسيمبرسك (اوليا نوفسك) وبنزا وتامبوف وساراتوف في إقليم برم. وعندما انقرضت إمبراطورية الهون الأوربية في أواسط القرن الخامس انتقل هؤلاء من سواحل الفولجا إلى سواحل الدون وعاشوا فيها قرابة أربعة قرون حتى القرن التاسع خاضعين لأتراك الخزر. وقد اضطر المجر إزاء ضغط البجنك في القرن التاسع عشر إلى الالتجاء إلى باساربيا مجتازين نهر الدونتز والدنيبر وبوغ والدنيستر والرحيل من هناك إلى مولدافيا مجتازين بروت. كان المجر يتكلمون المجرية (إحدى لهجات الفين) على الأغاب والتركية على نطاق ضيق إلا أنهم كانوا متطبعين بالثقافة التركية فأصبحوا بذلك ركنا هاما من أركان هذه الثقافة كما كانوا يدينون مثل الأتراك بالديانة الشامانية.

والمجر على حد تعبير المؤرخ المجري اكهارت كانوا يتبعون الدولة التركية الكبرى والكوك تورك عندما كانوا يقطنون المجر الحقيقية أي شمال باشقوردستان الحالية. ثم خضعوا للخزر. إلا أن الخزر كانوا بدورهم

خاضعين لإمبراطورية الكوك تورك الممتدة من المحيط الهادي إلى البحر الأسود. وكان الأتراك يسمونهم اون- اوغور (القبائل العشر) وقد نمت من هذه التسمية تسميتهم باسم هونغوريوس بالفرنسية واونغار بالألمانية واونغري باللاتينية وونغر بالروسية.

كان المجر يجيدون لغة الكوك تورك ويتقنون الكتابة بها. وقد استعملوا هذه الكتابة حتى في وطنهم الحالي (هنغاريا) وكان هؤلاء يعيشون كقوم ولم ينتقلوا إلى الصفة الدولية إلا بعد استقرارهم في هذا الوطن. وقد كان المجر يتكونون من سبع قبائل أكبرها المجر الذين أسبغوا اسمهم على هذه المجموعة.

التحقت قبيلة قابار التركية التي أنجبت سلالة ارباد بالمجر الذين رحلوا من شمال البحر الأسود وقد نشأت سلالة ارباد من اتيلا وبالتالي من مته وبذلك فقد ارتقت إلى الحكم على رأس المجر.

ويطلق البيزنطيون اسم الترك على المجر الذين تحالفوا مع أتراك البجنك. ولم ينس المجريون اللغة التركية إلا بعد قرن أو قرنين من تأسيسهم دولتهم. وكان ملوك المجر يسمون في القرن الثاني عشر باسمين الأول مجرى والثاني تركي.

عاش المجر ردحا من الزمن في قفقاسيا الشمالية الغربية في سواحل نهر كوبان. وقد ارتحل قسم منهم إلى كرجستان(جورجيا) في الجنوب جبال القفقاس. وقد نزل المجر أو القبائل المجرية التركية السبع على وجه اصح في عام 830 إلى ليوديا وشمال بحر ازاق بين نهري الدون والدنيبر. وارتحلوا منها في عام 889. وقد أعلن هؤلاء ارباد ابن الموس خاقانا برفعه على درع بموجب التقاليد التركية. ورحلوا بقيادة مليكهم إلى سهل المجر.

المجر المؤسسون للدولة في سهل المجر

عندما وصل المجر إلى بلاد المجر كان يعيش فيها الألمان البافاريون (في الشمال الغربي) البقية الباقية من أتراك الاوار والسلوفاك. ويماثل استيطان المجر لهذه البلاد وجعلهم منها وطنا ثابتا استيطان الأتراك بعد قرابة القرنين للأناضول. وقد أدى هذا الاستيطان إلى عزل السلوفاك الجنوبيين عن الشماليين وبذر جذور الحق والشقاق بينهم وبين هؤلاء.

وقد اعتنق الأتراك الاوار هنا المسيحية إلا قسما منهم استمروا على دينهم الشاماني في حين كان المجر كقوم فاتح يدينون بالشامانية برمتهم. وقد أدى ظهور دولة هذا القوم المجهول في أوربا مجاورة لإمبراطورتي الشرق (البيزنطيين) والغرب (ألمانيا) إلى الإخلال بميزان القوى في المنطقة.

اتخذ المجر سهل المجر قاعدة للإغارة على أوربا مقتدين بمن سبقهم كاتيلا وبايان خان. فوطأت أقدام خيل المجر مقاطعات فرنسا الجنوبية الشرقية وأواسط شرقها كبرغونيا وبروفينس مما أدى إلى شعور البيزنطيين والألمان بالندم لطلبهم مساعدة هؤلاء ضد البلغار بالنسبة لأولهم والسلوفاك بالنسبة لثانيهم. إلا أن المجر لم يفلحوا في خططهم الرامية إلى القضاء على دولة المجر التي كانت تستند إلى تأييد أتراك البجنك. فقد دفع هؤلاء بالمجر بعيدا إلى الشمال من جبال كاربات.

قام المجر في القرن العاشر بعشرين غارة على ألمانيا وسبع غارات على إيطاليا وأربع غارات على فرنسا وتسع غارات على البيزنطيين وبغارة واحدة على كل من هولندا وأسبانيا. كما كان المجر بعد اعتناقهم المسيحية في القرن الحادي عشر يحاكون الأتراك في إطاعة ملوكهم والاستقلال بأمورهم فيما يخص القبائل

ويهددون أمن أوربا واستقرارها. فقد أغاروا على ميناء بريمن في عام 918 وعلى مدينة بافيا أهم مدن إيطاليا الشمالية (لومبارديا) بكنائسها الأربعة والأربعين في عام 924. ونهبوا بافاريا والالزاس واللورين وبيكارديا ومدن شمال ووسط إيطاليا حتى روما في عام 926. كما اندحرت أوستمارك (مارك الشرقية والتي استمدت النمسا اسمها منها) والتي أسسها شارلمان لحماية الخطوط الشرقية لإمبراطوريته أمام المجر. كما عمد ملك ألمانيا هنريخ الأول في عام 924 إلى دفع إتاوة معينة لوقف الغزو المجري.

درس هنريخ الأول مؤسس السلالة السكسونية فنون الحرب التركية وأسس جيشا راكبا عمل على تقويته مدة تسعة أعوام وبعد إن تمكن من هذا قطع الضريبة عن المجريين الذين اجتاحوا سكسونيا إلا أنهم اندحروا أمام الألمان في معركة مرسبورغ التي جرت عام 933. كما آباد الإمبراطور اوتو ابن هنريخ الأول الجيش المجري الذي اجتاح بافاريا في معركة اوكسبورغ واسر قادته وأعدمهم في عام 955 فعاد ميزان القوى إلى سابقه بين الألمان والمجريين.

أحيت سلالة بابنبرغ الماركية النمساوية (اوسترايخ). وقد أصبح سادة هذه السلالة التي حكمت النمسا قبل سلالة هابسبريغ محافظي الحدود الألمانية إزاء المجريين. وقد تزوج الملك ستيفان أثناء ولايته للعهد بشقيقة هنريخ الثاني وبذلك دخلت المجرية في الجامعة الكاثوليكية. وقد تقلد ستيفان في عام 1000 التاج المرسل من قبل البابا وانفصل المجريون بذلك عن الأتراك بشكل حاسم.

وكان المجريون يطلقون على ملوكهم لقب كيرالي السلافية وقد دخلت هذه اللفظة إلى التركية في القرن السادس عشر على شكل قرال (الملك).

دامت دولة المجر ستة قرون في أوربا كدولة كبيرة متنفذة إلى أن فتح الأتراك هذه البلاد في عام 1526 وكانت دولة المجر تضم بالإضافة إلى المجر الحالية مقاطعتي ترنسلفانيا (اردل) وتمشفار في روما والنصف الشمالي من يوغسلافيا الحالية (فويفودينا، بلغراد، كرواتيا، سلوفنيا، دالماجيا، البوسنه، الهرسك، سلافونيا)، وجبال كاربات السلوفاكية والاوكرانية في الشمال. كما أخضعت مولدافيا ورومانيا والصرب ردحا من الزمن.

دخل هذا القوم كقوم فاتح ومؤسس لدولة، مسرح التاريخ بفضل سلالة ارباد. ويرى عالم الأجناس المجري جيروف ستيفان أن المجر الحاليين يتكونون بنسب 80% من الأتراك و20% من المجر والسلاف والجرمان وسائر الأقوام. كما يفيد المؤرخ واللغوي نيمث غيولا أن سبع قبائل من القبائل التسع المؤسسة لدولة المجر هي من الأتراك. وقد كان هناك مسلمون أتراك بين المجريين عند دخولهم سهل المجر وبالرغم من أن المجريين الذين اعتنقوا المسيحية اضطهدوا المسلمين فإنهم لم يفلحوا في إجبارهم على اعتناق المسيحية إلا في القرن الخامس عشر. كما كان هناك قرويون يتقنون التركية ويتلون ادعيتهم في الكنائس باللغة التركية حتى مطلع القرن التاسع عشر. ويمكن القول بأن الطابع التركي لازال محتفظا بأثره على المجريين.

ســـــــــــــــلالة ارباد

كانت سلالة ارباد تدين بالشامانية 111 عاما (889- 1000)، وقد اعتنقت هذه السلالة الحاكمــة المجريــة المذهب الكاثوليكي ثلاثة وتسعين ومائتي عام (1000- 1038 و 1046- 1301). فإذا أضفنا إلى هذا حكم ملكين من أصهار الارباد ثمانية أعوام (1038- 1046) يكون حكمها قد دام اثني عشر وأربعمائــة عــام.

وقد كان الارباد على راس المجر حتى قبل عام 889 إلا أن هؤلاء لم يكونوا قد توغلوا بعد في بلاد المجـر، وقد حكم آنذاك آلموس (الموش) والد ارباد واوكياك (اميسه) جده، وقد حكم بعد ارباد ابنـه زولتـان ثـم فاليكس ابن الأمير جوتوكسا ابن ارباد، ثم تاكسوني ابن زولتان فابنه كزا فابنه سزنت استيفان . وقد اعتنـق استيفان (اسمه الحقيقي فاجك) المذهب الكاثوليكي بعد ثلاثة أعوام من حكمه ورقى إلى مرتبة القديسين مـن قبل البابا في عام 1083 بعد خمسة وأربعين عاما من وفاته. وقد أعقب سزنت استيفان ابن أخته بيتر ابـن دوق فينيسيا ثم صهره صاموبل. وبعد ذلك ارتقى إلى العرش اندراس وبيلا ابنا فازسولي ابن عم استيفان، ثم سالامون ابن اندراس، ثم ابنا بيلا كزا وسزنت (1192).

تزوجت بيروسكا ابنة سزنت لاسلو بالإمبراطور ليوانيس الثاني فأصبحت إمبراطورة البيزنطيين. وقد تعاقب على العرش كالمان ابن كزا فابنه استيفان الثاني والابن الأصغر للملك كزا، وبيلا الثاني ابن الأمير آلموس و كزا الثاني ابن بيلا الثاني واستيفان الثالث ولاسلو الثاني واستيفان الرابع ابنا بيلا الثاني وبيلا الثالث ابن كـزا الثاني وأمرة ابن بيلا الثالث ولاسلو الثالث ابن امرة واندراس الثاني ابن بيلا الثالث. وكانت والـدة انـدراس الثاني من سلالة جابيت الفرنسية، من أعرق السلالات الأوربية والمسيحية. ويشتهر اندراس الثـاني بقيادتـه للحروب الصليبية الخامسة في عام 1217. وقد تزوجت شقيقته ماركيت بالإمبراطور البيزنطـي ايسـاكيوس الثاني.

وقد تعاقب على الحكم بعد ذلك بيلا الرابع فابنه استيفان الخامس فابنه لاسلو الرابع، وكانت والدة الأخير أميرة تركية من فخذ الكومان وكان هذا يلقب باسم كون لتزينه بالزى التركي وميله للشامانية. وقد تزوج هذا الملك بأميرة كومانية. وقد أعقبه على العرش اندراس الثالث وبحكمه انتهى حكم هذه السلالة فقد خلفـه فـاجلاف الثالث ملك بوهيميا وبذلك حلت سلالة سلافية محل سلالة ارباد التركية وهي سلالة يريمسيل الجيكية. وبعـد أن حكمت هذه السلالة أربعة أعوام أصبح اوتو من سلالة ويتلسبرغ الألمانية (البافارية) ملكا لثلاثة أعـوام وأعقبته سلالة جابيت- آنجو المجرية الفرنسية مدة سبعة وثمانين عاما ثم سلالة لوكسمبورغ الألمانيـة مـدة اثنين وأربعين عاما.

الجدول 13: الارباد

1	ارباد	18 = 907 -889	15	استفان الثاني	15 = 1131 -1116
2	زولتان	38 = 945 -907	16	بيلا الثاني	10 = 1141 -1131
3	فاليكس	5 = 950 -945	17	كزا الثاني	20 = 1161 -1141
4	تاكسوني	20 = 970 -950	18	استيفان الثالث	11 = 1172 -1161
5	كزا الأول	27 = 997 -970	19	لاسو الثاني	1 = 1163 -1162
6	استيفان الأول	41 = 1038 -997	20	استيفان الرابع	1163
7	بيتر	+3 = 1041 -1038 5 =2=1046 -1044	21	بيلا الثالث	24 = 1169 -1172
8	اباصاموئيل	3 = 1044 -1041	22	امره	8 = 1204 -1196
9	اندراس الأول	14 = 1060 -1046	23	لاسو الثالث	1 = 1205 -1204
10	بيلا الأول	3 = 1063 -1060	24	اندراس الثاني	30 = 1235 -1205

11	سلامون	1063 -1074 = 11	25	بيلا الرابع	1235 -1270 = 35
12	كزا الأول	1074 -1077 = 3	26	استيفان الخامس	1270 -1272 = 2
13	لاسو الأول	1077 -1095 = 18	27	لاسو الرابع (كون)	1272 -1290 = 18
14	كالمان	1095 -1116 = 21	28	اندراس الثالث	1290 -1301 = 11

ووالد ارباد هو اوكياك (اميسه) وجد جده جسابا من أبناء اتيلا وبذلك يعتبر ارباد الحفيد الرابع والعشـرين للإمبراطور مته (اوغوز خان) ويؤيد صحة هذه النظرية كبار المؤرخين أمثال ف. هيرث (الألمـاني) و ر. رادلوف(الروسي من اصل ألماني) و ج. أ.بوري (الإنجليزي) وف. أ. كراوسه (الألماني).

والجدير بالذكر أن بيلا الثالث(تسلسل 21 أعلاه) قد عاش أحد عشر عما من 1161 إلى 1172 ضيفا علـى الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية.

حكمت هذه البلاد سلالات عديدة ابتداء من سلالة ارباد التي حكمتها خلفا لأتراك الاوار وهذه السلالات هي:

1	سلالة ارباد (تركية) (26 ملك منهم خمسة يدينون بالشامية	889- 1038+ 1046- 1301 =404
2	سلالة اورسولو (إيطالية) (1 ملك)	1038- 1041+ 1044- 1046 = 5
3	سلالة ابا صاموئيل (مجرية) (1 ملك)	1401- 1044 = 3
4	سلالة بريمسل (جيكية) (1 ملك)	1301- 1305 = 4
5	سلالة ويتلسبرغ (ألمانية) (1 ملك)	1305- 1308 = 3
6	سلالة جابيت- آنجو المجرية (فرنسية) (4 ملك)	1308- 1395 = 87
7	سلالة لوكسمبرغ (ألمانية) (1 ملك)	1395- 1437 = 42
8	سلالة هابسبرغ (ألمانية) (13 ملك)	1437- 1439= 2+ 1452- 1457= 5+ 1686-1944= 258= 265
9	سلالة جاكيلون (لتوانيا) (3 ملك)	1439- 1444= 5+ 1490- 1526= 36= 41
10	سلالة هونيادي (رومانية) (2 ملك)	1444- 1452 = 8 + 1457- 1490= 33= 41
11	سلالة زابولياثي (مجرية) (1 ملك)	1526- 1540= 14 تابعا للسلطان سليمان القانوني
12	السلالة العثمانية (تركية) (10 سلطان)	1540- 1686 = 146

5- الاوغوز OGUZ

سنتطرق بالبحث إلى الاوغوز في أوربا الشرقية عند بحثنا للسلاجقة.

6- البجنك

منشأ البجنك

ينتسب البجنك إلى زمرة الاوغوز من الأتراك ويشكلون قبيلة واحدة من الاثنتى عشرة قبيلة المكونـة لجنـاح اوج اوق (السهام الثلاثة) من الاغوز. ونظرا لتجنيد خمسة آلاف جندي منهم في عهد الكوك تورك فـان عددهم كان ما يقارب خمسين ألف نسمة تقريبا. وقد تكاثر عددهم فيما بعد وانضمت إليهم كتل تركية أخرى، فتضاعف عددهم حتى بلغ الملايين. وفي عام 751 اخرج القارلوق الأتراك هؤلاء من إقليم بحيـرة بالقـاش الذي كانوا يعيشون فيه فرحلوا إلى شمال شرق بحيرة آرال. وقد اضطر البجنك الذين زحفوا إلى السـواحل الشمالية الشرقية لبحر الخزر بعد ذلك إلى الهجرة منها تحت ضغط الاوغوز إلى سواحل نهر ايتيل (اورال) وسكنوا بعد أن اجتازوا النهر في جنوب نهر قاما احد فروع نهر يايق (الفولجا) في حوض نهر سامار مـن ايتيل وذلك في عام 889. إلا أنهم لم يستطيعوا البقاء هنا طويلا فارتحلوا إلى سواحل نهر تن (الدون).

قويت شوكة البجنك بعد أن سكنوا إقليم اتلكوز بين نهرى الدون والدونتز. فسيطروا على شـمال بحـر آزاق وعبروا انهر الدنيبر وبوغ والدنيستر وبروت إلى أن وصلوا جبال كاربات . عمل البجنك على تأسيس اتحـاد قوي يضم القبائل التركية في عام 950 بعد أن كانوا خاضعين لدولة الخزر ثم أسسوا دولتهم العظمـى فـي أوربا الشرقية بين نهر اورال وجبال كاربات نحو عام 1000.

البجنك في أدوارهم العظمى

واجه البجنك الذين تسببوا في هجرة المجريين إلى المجر الحالية، الروس الذين كانوا مـن فصـيلة الأقـوام الاسكندنافية آنذاك قبل انصهارهم في البوتقة السلافية. فقد أباد البجنك الجيش الروسي الذي كان يقوده الأمير سفياتوسلاف في ربيع عام 972 في سواحل الدنيبر . تحالف الروس بعد اعتناقهم للمسيحية مع البيـزنطيين في عام 985. إلا أن البجنك كانوا في هذه الآونة قد اضطروا إلى الرحيل إلى غرب البحر الأسود تحت وطأة ازدياد ضغط الاوغوز والكومان عليهم.

عبر البجنك نهر الدانوب لأول مرة في عام 1020 واتبع البيزنطيون آنذاك نفس سياسة البلغار والمجريين في اتخاذ البجنك درعا واقيا لهم ضد أعدائهم. إلا أن هجمات البجنك أصبحت تشكل خطـورة فائقـة بالنسـبة للبيزنطيين ابتداء من عام 1035. فقد هجم هؤلاء ثلاث مرات على أقاليم البيزنطيين في عام 1036 وأعادوا الكرة في عام 1048 إلا أن قسما منهم استقر في أنحاء سليستره في عام 1049 وأصبحوا رعايـا مسـيحيين للإمبراطورية الرومانية. أما القسم الأكبر من البجنك فقد دحروا الجيش البيزنطي في معركة بياكنـه ونهبـوا تراقيا كما حاصروا مدينة أدرنة، إلا أن الحصار لم يستمر بسبب وفاة حاكمهم سلجه خـان فانسـحبوا مـن المنطقة عائدين إلى ديارهم.

وقد وصل البجنك في عام 1050 إلى سواحل البسفور واندحر الجيش البيزنطي أمامهم في معركة جرت عام 1053 وعقدت على أثرها معاهدة طال أمدها ثلاثين عاما. وقد نقض البجنك الهدنة عندما ترامى إلـيهم نبـأ إغارة السلاجقة على البيزنطيين فعادوا يواصلون غاراتهم.

دحر البجنك خصومهم الاوغوز في مورا وسلانيك في عام 1064 فاضطر هؤلاء تحـت وطـأة المجاعـة والأوباء وضربات البجنك إلى الالتجاء إلى البيزنطيين والاستقرار في استانبول ومقدونيا والأناضول في حين بقي قسم منهم في دوبروجه. والجدير بالذكر أن من يسمون بزمرة كاكاوز الآن ينتسبون إلى هذا الفرع.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن المرتزقة من البجنك في جيش البيزنطيين انضموا مع زملائهم من الاغـوز إلـى جيش السلطان آلب- ارسلان السلجوقي في معركة مالازكيرت التي دارت رحاها عام 1071 فساعدوا بـذلك على تحقيق النصر النهائي للجيش التركي. وبعد ذلك لم يستطيع البيزنطيون الصمود أمام الضربات اللاحقة التي انزلها البجنك بهم في البلقان، فقد حاصر هؤلاء مدينة أدرنه في عام 1078 بعد ثمانية وعشرين عاما من حصارهم الأول، إلا أنهم لم يفلحوا ثانية في فتح المدينة. ولم يسـتطع الإمبراطـور البيزنطـي الكسـيوس كومنينوس الذي قارع البجنك طيلة عشرة أعوام (1081- 1091) أن يحصل على نتيجة تذكر.

ساعد البجنك في إشعال فتيل الاضطرابات لدى نشوب تمرد أنصار مذهب بوغوميل في عام 1086 والـذي أحدث الكثير من الشقاق بين صفوف الإمبراطورية البيزنطية. كما ساعد هؤلاء ملك المجر سولومون عنـد اجتياحه البلقان ضد البيزنطيين و أغاروا على لوله بورغاز في عام 1087 ولكن البيزنطيين تصـدروا لهـم وردوهم على أعقابهم. إلا أن هذا لم يمنع هؤلاء من إبادة جيش بيزنطي في حزيران من عام 1087 بالقرب من سليسترة.

نهب البجنك تراقيا مجددا في عامي 1088 و 1089 ولما كان البيزنطيون مهددين آنذاك في نفس الوقت مـن قبل الحاكم التركي السلطان قليج ارسلان الأول وتابعه حاكم أزمير جاقا قد عمد هؤلاء إلى طلب النجدة مـن الأوربيين ونظمت على اثر ذلك الحملة الصليبية الأولى.

انقراض البجنك

اتفق البجنك وجاقا بك على الانقضاض على استانبول في نيسان من عام 1091. إلا أن البيزنطيين استفادوا من تأخر الأخير وأجهزوا على جيش البجنك بالتعاون مع الكومان ألد أعداء هؤلاء وذلك في معركة جرت في لبونيوم على ساحل مريج في 29 نيسان 1091. ولم يستطع البجنك لم شعثهم بعد هذه الهزيمة، إلا أن كـتلا صغيرة من البجنك أغارت على الأقاليم البيزنطية في البلقان سـت مـرات فـي الأعـوام 1122- 1152- 1154- 1161- 1171- 1197. وانقرض البجنك نهائيا بعد القرن الثاني عشر كدولة ذات سيادة.

لم يستقر البجنك في بقعة معينة بالرغم من سيطرتهم على أوربا الشرقية طيلة ثلاثة قرون ويرجع هـذا إلـى عدم وجود خاقان تركي من النسل الخاقاني التركي على رأسهم طبقا للتقاليد التركية المرعية.

استعمل البجنك القباء الكوك تورك في أوربا بعد انفصالهم من الكوك تورك، ولازالت هناك أسـماء تركيـة مختلفة من عهد البجنك في أوكرانيا والمجر ورومانيا والبلقان والأناضول حتى يومنا هذا.

الجدول 14: البجنك 1	كيلتر اوغلو دوراق خان	1040- 1048 = 8	3	سلجه خان	1049- 1050 = 1
2	بالجار اوغلوكه كن خان	1048- 1049 = 1	4	جلكو خان	1050- 1091 = 41

7- الكومان والقبجاق ـــــ Kuman – Kipcak

سنأتي على ذكر الكومان والقبجاق في فصل التون عند بحثنا لموضوع المغول.

8 - البلغـــــــــار- Bulgar

أ- بلغار الفولجا (7770- 1400)

سنتطرق بالبحث إلى بلغار الفولجا في مطلع الفصل الخاص بالتون اوردى.

ب- بلغار الدانوب (584- 1018)

هجرة البلغار إلى سواحل الدانوب

كان بلغار الدانوب يعيشون جنبا إلى جنب مع أتراك الفولجا إلا أنهم اضطروا تحت تأثير ضغط الخزر إلـى الهجرة مع قبائل الكوتريغور والاوتريغور (كما جاء في المصادر الرومانيـة وأسـمائها التركيـة الحقيقيـة الكوتورغور والاوتورغور) ومتحدين معها بفضل قيادة كوبرات (قورت) خان في عام 584 إلـى سـهل المجر تحت اسم البلغار وقد أخضع كوبرات (قورت) خان من أحفاد ايرنك ابن اتيلا البلغار الساكنين بـين نهري تورلا (الدينستر) اوزو (الدنيبر) فامتدت رقعة دولة الاوار التي حلت محل هون أوربا إلى سواحل الدنيبر شرقا. وقد حكم أبناء كوبرات خان الثلاثة قبائل البلغار الثلاث، فقد كان ابنه الأكبر بايان (باتا بايان) خان خاضعا لدولة الخزر. أما ابنه الثاني قوتراغ خان فقد هاجر إلى الشمال ولم شـعث بلغـار الفولجـا. والمعتقد أن حكم بلغار الفولجا ينتسبون إليه. أما الابن الثالث آسباروخ (اسبريه) خان فقد تولى قيادة بلغـار الدانوب . وقد استقرت كتلة البلغار التي كان يقودها بايان خان في قفقاسيا الشمالية خاضعة للخزر وظهرت إلى الوجود بذلك زمرة قاره- بلغار(البلغار السود).

أما البلغار الخاضعون لاسبريه خان فقد اجتازوا شمال الدانوب واسـتقروا هنـاك بمسـاعدة الإمبراطوريـة البيزنطية تحت ضغط الخزر المتزايد عليهم . وقد وضع بلغار الدانوب في عام 659 أسس الإمبراطورية في دلتا الدانوب وما جاوره من المناطق ولم يعرهم البيزنطيون الذين كانوا مشغولين بالصراع مع العرب أهميـة كبرى. وكان من تأثير ذلك أن الجيش البيزنطي الذي سار على البلغار في عام 679 مني بخسـارة فادحـة أمامهم وسيطروا البلغار نتيجة لذلك على النصف الشمالي من بلغاريا الحالية أي المساحات الواقعة بين جبال البلقان ونهر الدانوب.

الإمبراطورية البلغارية والبيزنطيون

نافس أتراك البلغار الدولة المسيحية الكبرى (الإمبراطورية البيزنطية) على سيادة منطقة البلقان. وقد التجأ الإمبراطور جوستنيان الثاني بعد عزله إلى خاقان الخزر ثم استضافه ترفل ابن اسبريه حاكم البلغار وساعده على الرجوع إلى بيزنطيا وارتقاء العرش مجددا. وقويت شوكة الأتراك وبلغت درجة مكنتهم من التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الإمبراطورية العظمى. وقد اعترف الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث بموجب معاهدة عام 716 بدولة البلغار وحدودها وتلقى البيزنطيون عون البلغار في إبعاد الجيوش العربية عن استانبول بعد حصارها في 717- 718.

أعقب ترفل خان على العرش ابنه توفيرم خان فابنه سفر خان ثم انتقل الحكم في عام 739 إلى سلالة كورميسوش من سلالة أوكيل. وقد أعقب قورومش(كورميوش) خان ابنه فيناخ خان وبعد ذلك انتقل العرش إلى تلتز خان من سلطة اوكن الثالثة فابن أخته سابين فأخيه اومور خان (السلالة الرابعة). أما السلالة الخامسة فقد جاءت إلى الحكم بارتقاء توقتى خان للعرش في 764 الذي وضع أسس حكم سلالته الذي دام ثمانية ومائتي عام مع شقيقه بايان. وقد خلف توقتى خان، باغان خان ثم تاريغ خان فابنه قاردم خان فابنه قوروم خان.

وعند انقراض دولة الاوار في سهل المجر وما جاوره تبع الأتراك دولة البلغار فاضفوا عليها الكثير من القوة إزاء البيزنطيين. وقد توجس البيزنطيين خيفة من ازدياد قوة البلغار فسير الإمبراطور نيكفور الأول جيشا جرارا عليهم إلا إن البلغار أبادوا هذا الجيش عن بكرة أبيه في معركة دارت رحاها في مدخل مضيق فربيشكي في عام 811 ونال قوروم خان شهرة واسعة. وقد زحف قوروم خان بعد هذا النصر بجيشه إلى استانبول فحاصرها إلا أنه لم يفلح بسبب وفاته المفاجئة في 13 نيسان 803.

وبعد وفاة هذا الحاكم خلفه ابنه اومورتاغ خان فعقد الصلح مع البيزنطيين وأصبحت الدولة تضم في عهده الأقاليم الواقعة في شرق تيسا وجنوب ماروس أي بانات وترانسلفانيا الجنوبية وافلاك (رومانيا الجنوبية) ودوبروجه وبلغاريا الحالية برمتها. وكانت تمتد غربا إلى نهر مورافا وصربيا والى مقدونيا في الجنوب الغربي. وبذلك أصبحت اكبر دول أوربا بعد الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية العربية في الأندلس. وقد أسس اومورتاغ خان بعد معاهدة الصلح التي عقدها مع البيزنطيين والتي كان أمدها ثلاثين عاما علاقات وثيقة مع حكام أوربا حتى فرنسا. وكانت العاصمة مدينة بليسكا بالقرب من قرية ابابا الحالية بجوار شومنو ونقلت في 809 إلى صوفيا.

البلغار يصبحون سلافيين

خلف اومورتاغ خان على العرش ابنه مالامير (بالامير) خان وفي عهده بدأ تطبع البلغار بالطابع السلافي وأعقب هذا ابنه بريسيان خان وانتشر التبشير المسيحي على عهده في حين كان الحكام البلغار قبل هذا التاريخ يحاربون المسيحية حتى أن مالامير خان قتل أخاه الذي أراد اعتناق المسيحية. بدأت الدولة التي لم تغذ بعناصر تركية جديدة في الانصهار في بوتقة النفوس السلافي المتكاثر.

أعقب بريسيان خان ابنه بوغوريس (بوريس في السلافية) خان الذي نبذ دين أجداده الشاماني واعتنق المسيحية في عام 865. وقد أدى قبوله للمذهب الارثودكسي إلى الاعتراف بسلطة بطريرك استانبول الدينية

وسمى نفسه ميخائيل. وادخل رعاياه في المسيحية وبذلك أصبح المذهب الارثوذكسي سائدا في البلقان. ولم يستطع المذهب الكاثوليكي ولا الثقافة اللاتينية أن تصمد أمام الأرثوذكسية والثقافة البيزنطية لدى البلغار.

وترجم قسيس سلانيكي يسمى قسطنطين (كيريلوس) وشقيقه مثوديوس الإنجيل إلى اللهجة المقدونية السلافية ووضع أسس الفباء لازالت تستعمل من قبل الروس والاوكرانيين والـروس البـيض، والبلغـار والصـرب والمقدونيين(السلاف الارثوذكس). أما الكاثوليك(الكروات والسلوفين والسـلوفاك و الجيـك و والسـواب و والبولونيون) فكانوا يستعملون الالفباء اللاتينية . وأسست أسقفية تابعة للبطريركية البيزنطية في بلغاريا.

وعلى هذه الصورة أصبحت دولة البلغار التركية حتى عام 865 دولة مسيحية وأصبح بلغار الـدانوب قومـا سلافيا. وتم التطبع في قرن واحد حتى حل عام 1000 حيث نسى البلغار لغتهم التركية وظهر إلى الوجـود قوم بلغاري جديد.

وقد أعقب بوريس الأول الذي تخلى عن العرش في عام 889 وتوفي بعد ثمانية عشر عاما فـي 907 ابنـاه فالاديمير خان الأول وسيمون خان الأول. وقد تخلى سيمون في عام 923 عن لقب خـان التركـي وتلقـب بعنوان تشار السلافي (القيصر). ويعتبر حكم سيمون الأول العصر الذهبي للإمبراطوريـة البلغاريـة وقـد حاصر هذا مدينة استانبول في عام 913 للمرة الثانية وأباد الجيش البيزنطي في 20 آب 917 قرب بورغـار آهيول . وقد امتدت الدولة في عهده إلى بحر اليونان غربا وانضمت مقدونيا وابير والصرب إلـى بلغاريـا. كما ضمت إلى الدولة مدن مهمة مثل بلغراد ونيس. إلا أن البلغار اخفقوا في الوصول إلى بحـر ايجـه فـي الجنوب. إذ كانت سواحل هذا البحر في أيدى البيزنطيين. وقد تقلد سيمون الأول التاج الذي أرسـله البابـا واظهر ارتياحا لذلك وحاصر استانبول في عام 923 إلا انه لم يفلح في محاولته هذه أيضا.

وقد بدأ عصر الانحطاط في الأعوام الأخيرة من حكم سيمون الأول . إذ كانت الأقوام التركية في الشـمال، المجر والبجنك يهددون البلغار كما كان أمراء الصرب والكروات في الغـرب يقـارعونهم بالإضـافة إلـى محاولات البيزنطيين الرامية إلى تدمير بنية الدولة البلغارية.

وقد أعقب سيمون الأول ابنه القيصر بيتر الأول. وكان ابنه بايان قد سمى نفسه باسم بنيامين المسـيحي كمـا كان ابنه الثالث على راس إمارة ترنوفا واوهرى. أما ابنته فقد تزوجت بالإمبراطور البيزنطـي قسـطنطين بورفيروجنتس السابع(913- 959). كما تزوج بيتر الأول بالأميرة البيزنطية ماريا . وقد خلفه ابنه بوريس الثاني فابنه صاموئيل بعد مقتل أبيه وعمه الأمير رومان في عام 978 وانقرضت الدولة بعد ذلك.

البيزنطيون يجهزون على دولة البلغار

خضع البلغار للبيزنطيين في عام 971. وبالرغم من أن البلغار قد أعلنوا استقلالهم ثانية في عام 976، فـان الإمبراطورية البيزنطية القوية كانت قادرة آنذاك على دحر القوى المتمردة. والإمبراطور باسيليوس الثـاني مشهور بحروبه الكاسحة ضد البلغار حتى انه لقب بلغاروكتونوس أي مدمر البلغار. وقـد خلـف القيصـر صاموئيل ابنه جبرائيل رودومير رومانوس الذي قتل بعد عامين من حكمه فأعقبه ابن عمه ايوان (آسـين) فالاديسلاف ابن الأمير مويس. إلا أن دولة البلغار انقرضت بعد عامين بتـاريخ 1018 وأصـبحت بلغاريـا مقاطعة بيزنطية طيلة سبعة وستين ومائة عام حتى عام 1158.

إلا أن البيزنطيين لم يهدأوا بالا فقد بدأ أتراك البجنك بمقارعتهم في البلقان. وقد تحالف باسيليوس الثاني فـي عام 1017 مع الملك المجري المسيحي الأول القديس استيفان ضد البجنك. وقد عومل البلغار معاملـة سـيئة

وحدثت مجازر بشعة بينهم . أسس البلغار مجددا دولة خاصة بهم استمرت خمسة وتسعين عامـا (1185- 1280) حكم في عاصمتها ترنوفا تسعة حكام من سلالة آسن البلغارية السلافية. والحاكم الأول لهذه السلالة هو بطرس الثاني حفيد القيصر سيمون الثامن. وقد حكم الدولة بوريل الذي كان ينتسب إلى السلالة من ناحية أمه احد عشر عاما. وقد تزوجت ابنة بوريل في عام 1210 بإمبراطور استانبول اللاتيني هنري الأول. كما تزوجت شقيقه ايوان الثاني بملك الصرب ستيفان الثاني. وقطع البلغار كل صلة لهم مع الأتراك .

وقد فر آخر ملوك السلالة التركية السلافية آسين الثالث تحت ضغط الأقوام الوافدة من الشمال إلى اسـتانبول في عام 1280 وأصبح ترتري من القبجاق الأتراك بذلك ملكا لبلغاريا. وقد اعتنق هذا الحاكم الذي حكم اثني عشر عاما المسيحية وكان خاضعا لحكم آلتون- اوردى. وخلفه ابنه سفيتوسلاف وقد تزوجت شقيقة الأخيـر في عام 1300 بأمير التون اوردى، جاخان (ابن نوغاي المشهور) ودامت سيادة التون اوردى على المملكة ثلاثة وأربعين عاما.

وبعد هذا التاريخ اعتلى ابن سفيتو سلاف العرش وأعقبه بعد عام واحد ميخائيل شيشمان إلا انه اندحر في عام 1330 في معركة كوستنديل أمام ملك الصرب ستيفان دوشان الكبير فقتل وأعقبه ابن عمه ايـوان ألكسـندر فابنه شيشمان الثاني وألحقت بلغاريا في 17 تموز 1393 (بلغاريا الشمالية) بالإمبراطورية العثمانية من قبل السلطان يلدرم بايزيد وبقيت حتى عام 1908 ولاية عثمانية. وقد قتل الحاكم الأخير الملك شيشـمان الثـاني على يد الأتراك وتوفي ولي عهده الأمير ستراسيمير واسلم الأمير ألكسندر وتقلد مناصب عديدة فـي الإدارة العثمانية إلى أن توفي في عام 1410.

وقد تأسست في عام 1878 الإمارة البلغارية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وتولى الحكم أميران من سلالتي باتنبرغ وساشن- كوبرغ اوند غوته الألمانيتين. وانفصلت بلغاريا عن تركيا في عام 1908 وبعـد الحـرب العالمية الثانية أقصى الملك الثالث لسلالة ساشن- كوبرغ اوند غوته وابعد إلى خارج البلاد.

حضارة بلغار الدانوب

تعلمت الأقوام السلافية أسس تشكيل الدولة من بلغار الدانوب الذين أسسوا إمبراطوريـة بلغاريـة أصـبحت سلافية في القرن العاشر، وكانت من نتائجها سيادة الثقافة السلافية الارثوذكسية في البلقان.

وتشتهر استحكامات البلغار الحربية التي كانت تمتد مسافة مئات الكيلو مترات وخنادقهم التي كانت في سـعة عشرة أمتار وعرض ثلاثة أمتار. وقد تسمر الجيش البيزنطي أمام هذه الاستحكامات في بسارابيا ودوبروجه وبلغاريا.

وتظهر في أثارهم العمرانية حروف هي من بقايا الفباء الكوك تورك وأختام تركية. كما كان البلغار يستعملون تقويم الاثنى عشر حيوانا التركي . واللهجة التركية التي كانوا يتكلمون بها تشبه لهجـة الجـواش الأتـراك. وتظهر المعتقدات التركية في إحدى الكتابات البلغارية التي يأتي فيها على لسان ترفل خـان: الحـاكم الـذي أرسله الإله ليحكم البلغار. كما تشير وثيقة أخرى إلى فتح أدرنة من قبل قورومش خان.

وكان يلي الخان في مجتمع البلغار النبلاء الذين كانوا يسمون بويلار(بويار)، وكانوا يتقلدون مناصب حساسة في إدارة الدولة. كما كان البلغار يستعملون كسائر القبائل التركية الأعلام المصنوعة من ذيول الخيل والتـي كانت ترفع فوق الرماح. واكتشفت في الحفريات التي جرت في بليسكا آثار عمرانية واسـتحكامات وقـلاع ترجع للبلغار. وكانت جدران القلاع مبنية من الصخور الكبيرة بقياس 1.5 × 0.6 متـر . كمـا وضـعت

تماثيل أسود على أبواب القلاع. وكانت مساحة كل قلعة نصف كيلو متر يتوسطها قصر الملك (قاعة كبرى مساحتها 31 × 12 = 372 متر مربع، وباحة واسعة مساحتها 22 × 22 = 444 متر مربع). أما ارتفـاع الجدران فكان 2.6 متر وعرضها 2.2 متر. وساحة القصر بأكمله 56 × 25.5 = 1.428 متر مربع .

الجدول 16: بلغار الدانوب (بلغاريا)

آ- سلالة دولو DULO (584- 739 = 155)

1	كوبرات (قورت) خان	584- 642 = 58	4	ترفل خان	701- 718 = 17
2	بايان (باتا بايان) خان	642- 659 = 17	5	توفيرم خان	718- 724 = 6
3	آسبروخ (اسبريخ) خان	659- 701 = 42 اول امبراطور بلغاري	6	سفر خان	724- 739 = 15

ب- سلالة اوكيل UKIL (739- 761 = 22)

7	قورمش خان	739- 756 = 17	8	فينخ خان	756- 761 = 5

ج- سلالة اوكن UGEN

9	تلتز خان	761- 764 = 3

د- السلالة الإمبراطورية (764- 766 = 2)

10	سابين خان	764- 766 = 2

هـ- السلالة الإمبراطورية (764- 972 = 208)

11	توقتى خان	764- 767 = 3	19	بوغوريس الأول ميخائيل بوغوريس خان	852- 889 = 37 مسيحي آرثودكسي: 865 (وفاته 907)
12	باغان خان	767- 768 = 1	20	فلاديمير خان	889- 893 = 4
13	تلبريغ خان	768- 777 = 11	21	سيمون خان الأول (الكبير)	893- 927 = 34 (934 : القيصر)
14	قاردم خان	777- 803 = 26	22	القيصر بيتر الأول	927- 969 = 42
15	قوروم خان	803- 814 = 11	23	القيصر بوريس الثاني	969- 972 = 3 (مقتله: 978)
16	اومورتاغ خان	814- 831 = 17	24	القيصر صاموئيل	972- 1014 = 42

17	مالامير (بالامير) خان	831- 836 = 5	25	القيصر جبرائيل رودومير رامانوس	1014- 1016 = 2
18	بريسيان خان	836- 852 = 16	26	القيصـر ايـوان (آسـين) فلاديسكاف	1016- 1018 = 2

و- أباطرة البيزنطيين (1018- 1185 = 167) (19 إمبراطور)

ز- سلالة آسين ASEN (1185- 1280 = 95) (من السلالة الخامسة)

46	الملك بيتر الثاني	1185- 1190 = 5	51	الملك كاليمان الأول	1241- 1246 = 5
47	الملك آسين الأول	1190- 1195 = 5	52	الملك ميخائيل	1246- 1257 = 11
48	الملك كالويان	1195- 1207 = 12	53	الملك كاليمان الثاني	1257- 1258 = 1
49	الملك بوريل	1207- 1218 = 11	54	الملك آسين الثالث	1258- 1280 = 22
50	الملك آسين الثاني	1218- 1241 = 23			

ح - سلالة كومان- قبجاق KUMAN – KIPCAK (1280- 1323 = 43)

55	الملك ترتري	1280- 1292 = 12	56	الملك سفيتو سلاف	1292- 1322 = 30

ط- السلالة الملكية (1323- 1393 = 70)

57	الملك شيشمان الأول	1323- 1331 = 7	58	الملك شيشمان الثاني	1365- 1393 = 28
57 أ-	ايوان الكسندر	1330- 1365 = 35			

ي- العثمانيون (1393- 1908 = 515) (33 سلطان)

ك- سلالة هاسن- باتنبرغ (ألمانية) HASSEN – BATTENBERG (1879- 1886 = 7)

92- الأمير الكسندر (1879- 1886 = 7) (خاضعا للسلطان عبد الحميد الثـاني) (1857- 1893 = 36) (والي روميلي الشرقية من 1885)

ل- سلالة ساشن- كوبرغ- اوند- كوته (ألمانية) (1886- 1946 = 60)

93	الأمير (الملك: 1908) فرديناند (تابعا لتركيا 1908)	1886- 1918 = 32 حياته 1861- 1948 = 87			
94	الملك بوريس الثالث	1918- 1943 = 25			

95	الملك سيمون الثاني	1943 -1946 = 3

(السلالات الخمس الأوائل تركية، السلالة السابعة أصبحت سلافية والثامنة تركية والتاسعة بلغارية سلافية)

(الدين شاماني حتى عام 865 ارثودكسي حتى عام 1393، والسلالتان الأخيرتان بروتستانتية أصلا اعتنقـت الارثودكسية)

(المبحث الثامن)

السلاجقة (1040 -1308)

1) **الاوغوز ومملكة اوغوز السلاجقة (990 -1040)**

-منشأ الاوغوز الذين يشكلون القسم الأكبر من الأتراك وجميع أتراك تركيا اليوم-

الاوغوز من أهم الفروع التركية واشهرها وقد ارتقوا إلى المرتبة الأولى من حكم الأتراك بظهور السلاجقة على مسرح التاريخ. وأتراك الاوغوز هم الذين فتحوا الأناضول وأسسوا دولة تركيا. فأتراك تركيا هم جميعا من الاوغوز. ويأتي ذكر الاوغوز في وثيقة مكتوبة بحروف الكوك تورك قبل قرنين من كتابات اورخون. وهو نصب شيد اثر وفاة الأمير الشاب اوز- يكن آلب- توران. وكان الاوغوز يعيشون في شمال آسيا إلى الشمال من بقاع الكوك تورك. وقد عثر على النصب المذكور في سواحل نهر بارلق.
كما تتحدث كتابات اورخون عن الاوغوز. ويظهر من هذه الكتابات إن الاوغوز كانوا أهم قوم في الاتحاد التركي بعد الكوك تورك. وقد كان الاوغوز يعيشون في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن أي في القرون المعاصرة لكتابات اورخون على ساحل نهر سلنغه والذي يتفرع عنه نهر اورخون. بذلك يكون الاوغوز متجاورين مع الكوك تورك وكان على رأس الاوغوز في أواخر القرن السابع باز قاغان. وكان هؤلاء يحاولون الاستحواذ على السلطة في الدولة التركية الكبرى. وقد اتخذوا موقف المعارضة إزاء الكوك تورك الآخرين وقد اسقط الكوك تورك بالفعل من قبل دوقوز اوغوز- اون اويغور وانتقل عرش الدولة الكبرى إلى الاوغوز والاويغور. وقد اضطر قوتلوغ قاغان إلى الإجهاز على باز قاغان إلا أن المعارضة اشتدت على عهد قاباغان وبيلكه قاغان.
ازدادت أهمية الاوغوز بعد انتقال السلطة إليهم بالاشتراك مع الاويغور إلا أنهم لم يكتفوا بذلك بل عملوا على إبعاد الاويغور من الحكم وعمدوا إلى التمرد على حكم موينجور قاغان. وقد ساعد القرغيز الأتراك المتخلفون حضاريا عن بقية القبائل التركية الاويغور في دفع الاوغوز بعيدا إلى مغولستان الحالية في أواسط القرن التاسع. وانسحب الاويغور إلى تركستان الشرقية في الجنوب أما القسم الأكبر من الاوغوز فقد رحلوا إلى بحر الأسرار وسواحل ارال في الغرب وكان القاراخانيون يفصلون بينهم. ولم تكن هذه البقاع خالية من عنصر الاوغوز قبل تسرب هؤلاء فقد كان البجنك من فروع الاوغوز يعيشون هنا. إلا أن البجنك لم يثبتوا هنا وشدوا الرحال إلى أوربا الشرقية وقد هاجر مئات الألوف من الاوغوز الذين تزايد عددهم زيادة هائلة إلى شمال البحر الأسود وسكنوا أوكرانيا الحالية وتسربوا إلى البلقان. ويعتبر الغاغاوز الساكنون حاليا في دوبروجه وبساربيا من أحفاد هؤلاء الاوغوز كما رحل عدة ملايين من الاوغوز إلى الجنوب قبل الهجرة إلى سواحل بحيرة ارال واستقاموا نحو الغرب وفتحوا الأناضول مؤسسين دولة تركيا. واستقر عدد متزايد منهم في شمال ما وراء النهر.

الاوغوز والفروع التركية الأخرى

كان الوضع الجغرافي للعالم التركي في أواخر القرن التاسع والنصف الأول من القرن العاشر يتلخص فيما يلي:

1- بلاد الاوغوز:

كان الاوغوز يعيشون بين الخزر وارال وشرق ارال والسواحل الشمالية لبحر الأسرار والمناطق الممتدة جنوبا إلى البلاد الإسلامية. كانت هذه المناطق تحت حكم السامانيين الفرس كما كان القاراخانيون يتحينون الفرص للتوطن في مقاطعات السامانيين. كان مئات الألوف من الأتراك تحت حكم السامانيين وقد اسلم الكثيرون منهم. أما صحراء قزل قوم فكانت تحت سيادة الاوغوز.

2- بلاد القارلوق:

تقع إلى الشرق من بلاد الاوغوز. أهم قبيلة للقارلوق هي الجيغيل. وكان القاراخانيون الممثلون للدولة التركية الكبرى يستندون إلى دعم القارلوق.

3- بلاد الكيماك:

تقع إلى شمال بلاد الاوغوز وتشمل شمال غرب قازاخستان الحالية.

كان البجنك المنفصلون عن بقية الاوغوز يعيشون إلى الغرب منهم في جنوب جبال اورال وسواحل نهر اورال.

4- بلادالاويغور:

تقع إلى الشرق من بلاد القارلوق في تركستان الشرقية. كان حكام الاويغور المهاجرون من مغولستان يقطنون فيها.

5- بلاد القرغيز:

تقع في شمال الاويغور في مغولستان الحالية. وقد قدموا من الشمال واخرجوا الاوغوز والايغور من هذه البقاع.

6- بلاد الخزر:

تشمل أوكرانيا الحالية وشمالي قفقاسيا ممتدة إلى مساحات شاسعة في الغرب والشرق والشمال. يفيد أغلبية المؤرخين إن الاوغوز كانوا تحت سيادة الخزر حتى عام 965.

الاوغوز في أوربا الشرقية

ارتحلت بعض قبائل الاوغوز الساكنة بين بحر الخزر وبحيرة ارال إلى أوربا بعد أن عبرت نهري ايتيل (الفولجا) ويايق (اورال) وتسربوا إلى البلقان مؤثرين على تاريخ أوربا الشرقية في القرن الحادي عشر.

ويتبين من هذا قسما من الاوغوز قد ظهروا في البلقان قبل الأتراك العثمانيين (وهم من الاوغوز أيضا) بقرون عديدة وتشير المصادر البيزنطية إلى هذه القبائل تحت اسم اوز (uz) كما تذكر المصادر الروسية أخبارهم تحت اسم تورك Tork(وجمعه Torki) أي الأتراك. وقد عاش هؤلاء لفترة من الزمن في شمال الخزر بين نهري ايتيل ويايق. ثم عبروا يايق إلى أوكرانيا الحالية. وتقدر المصادر البيزنطية عدد الاوغوز الذين اجتازوا نهر الدانوب بستمائة ألف شخص وقد وصل هؤلاء إلى اليونان ونهبوا المقاطعات البيزنطية. وان كان هؤلاء الاوغوز قد اجتازوا الدانوب في عام 1065 فإنهم واجهوا بعد فترة من الزمن الزمر التركية من البجنك والبلغار القاطنين في مناطق البلقان وتشتتوا بفعل هؤلاء والتجأوا إلى الإمبراطورية البيزنطية. وقد منح البيزنطيون للاوغوز الذين لم يلتحقوا بالبجنك والبلغار أراض في مقدونيا وجندوا قسما منهم في القسطنطينية ثم ساقوهم إلى مقاطعات الأناضول. وكانت هناك وحدات من الاوغوز والبجنك في الجيش البيزنطي في معركة مالازغيرت التي دارت رحاها في عام 1071 والمعروف إن هذه الوحدات قد التحقت بالجيش السلجوقي معجلة في هزيمة البيزنطيين. أما الاوغوز الذين التحقوا بخدمة البيزنطيين فقد اعتنقوا المسيحية على مر الزمن.

بلاد الاوغوز في القرن العاشر

كانت مملكة الاوغوز تتبع دولة الخزر في القرن العاشر. إلا إنها كانت ترتبط بعلاقات وروابط مع القاراخانيين أيضا. وقد انتزعوا عرش الدولة التركية الكبرى من القاراخانيين على نحو ما رأينا آنفا. كان بحر قزوين يشكل الحدود الغربية لمملكة الاوغوز (ويذكر أن قسما من هذا البحر يعود لقارة آسيا بينما تقع سواحله الشمالية الغربية في أوربا). أما الحدود الشمالية الشرقية فكانت تتوقف عند نهر أمبا الذي يصب في قزوين ولا تصل أراضى المملكة إلى نهر اورال (يايق) كما كانت حدودها تنحدر من الشمال الغربي إلى الشمال حتى بحيرة جالقار الواقعة شمال ارال واصلة إلى صاري صو في الشمال الشرقي وتتوقف في قاراداغ في الشرق . كما كانت تضم حوالي نصف نهر الأسرار ابتداء من ارال بالإضافة إلى معظم أنحاء نهر ارال باستثناء سواحله الجنوبية.

كانت صحاري قزل قوم وقارا قوم بيد الاوغوز. وهذه المناطق تضم في يومنا هذا مقاطعات تركمنستان باستثناء قارا قالباقستان ومرو التابعة لخراسان وباستثناء خرزم أي دلتا نهر آمو. ولتعذر الإقامة في الصحاري فقد كان الاوغوز يعيشون بكثافة فائقة في المنطقة المحصورة بين ارال والخزر والتي كانوا يطلقون عليها أسم (اوست- يورد) إلا أنهم كانوا ينطلقون إلى بقاع أخرى كلما سنحت الفرصة ويتحينون الظروف السياسية للانطلاق إلى آفاق أخرى. ويقع إلى الغرب من اوست يورد شبه جزيرة مانغيشلاق الواقعة بين خليجي قزوين (خليج قارابوغاز في الجنوب وخليج اولى قولتوق في الشمال). كان شبه جزيرة مانغيشلاق خاويا قبل قدوم الاوغوز في القرن العاشر فقد كان الفرس يسمون هذه المناطق سياه- كوه، أي (الجبل الأسود) وكان الجغرافيون العرب يسمون هذه المناطق بصحراء الغز (الاوغوز) .

كانت عاصمة مملكة الاوغوز مدينة يني كنت (المدينة الجديدة) الواقعة في شمالي شرق آرال. أما أهم مدنها فكانت سابران (سفران)، صوغناك (صاغاك)، قاراجوق (اورتار، فاراب كما يسميها العرب وفيها ولد الفارابي)، اوكسوز، سوت كنت، جاردارى، ومن قصباتها التون تبه، توكاي تبه، جابلاق تبه، ميرتبه، جوان تبه، قاراسبان تبه، جوي تبه، شورناك تبه، صادقاته تبه، ايكان، ايشكان، بايركام، كاوغاناتا.

وكانت المناطق الواقعة بين السواحل الشمالية لنهر الأسرار والسفوح الجنوبية لجبال قاراداغ آهلة بمدن الاوغوز. وكان الاوغوز يختلطون مع القارلوق في الجنوب وقد اعتنق قسم قليل من هؤلاء الدين الإسلامي.
كما كان هناك قسم من الفرس يعيشون بين هذه الأقوام.
كانت مساحة مملكة الاوغوز تبلغ حوالي المليون كيلومتر مربع. إلا إن نصف هذه المساحة كان يتكون من صحراء قزل قوم في الشمال وصحراء قارا قوم في الجنوب.

الاوغوز والمسلمون

كان الاوغوز يجاورون بقاع المسلمين مثلهم في ذلك مثل القاراخانيين. إلا إن القاراخانيين كانوا اشد بأسا لارتكازهم على مدن هامة وقيادتهم من قبل سلالة الذئب الأغبر والكوك تورك. كان الموقف على ما ذكرنا في أوائل القرن العاشر وسنرى إسلام السلاجقة في عام 915 على نحو ما سيتقدم. وقد انتشر الإسلام بصورة واسعة بين الاوغوز بعد هذا التاريخ ولاسيما بعد إعلان القاراخانيين الدين الإسلامي دينا رسميا للدولة التركية الكبرى. وقد تم هذا الإعلان في أوائل القرن الحادي عشر فما حل الربع الثاني من هذا القرن حتى صار الاوغوز جميعا مسلمين. وقد أطلق المسلمون على الاوغوز المسلمين اسم (التركمان) أي الأتراك المسلمين.
إلا أن إطلاق هذا الاسم أصبح معتادا بالنسبة إلى الاوغوز كافة اعتبارا من القرن الحادي عشر وقد أطلق فيما بعد على الرحالة من الاوغوز. في حين استمر أتراك المدن يسمون بالاوغوز. وأخيرا عدل نهائيا عن استعمال كلمة الاوغوز وذكر الاوغوز المتمدنون باسم الأتراك والاوغوز الرحالة باسم التركمان. ولازالت هذه التسميات بنفس مدلولاتها معروفة في تركيا وبين الأتراك خارج تركيا وفي أوربا. وهكذا فقد حل اسم التركمان محل الاوغوز. وإحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمس عشرة (سابقا) هي جمهورية تركمانستان وينتسب أهلها إلى أتراك الاوغوز .

حضارة الاوغوز وثقافتهم

كان نهر أرتك يشكل الحدود الجنوبية الغربية لبلاد الاوغوز. وقد كان هؤلاء يجتازون النهر وينهبون المقاطعات الإيرانية وكان الفرس في جنوب العالم التركي. وان كان الاوغوز تابعين للخزر نسبيا فإنهم لم يكونوا قد قطعوا اتصالهم بالدولة التركية الكبرى. ويمكن القول بأنهم تبعوا القاراخانيين بعد سقوط إمبراطورية الخزر في عام 965. وقد ظل الاوغوز حتى عام 1040 يمثلون إحدى شعب الدولة الكبرى التي يتزعمها القاراخانيون.
كان مركز المرأة في مجتمع الاوغوز هاما. فقد كانت تقاسم الرجل أعباء المجتمع. وكان الرجل في مجتمع الاوغوز يحلق لحيته وشاربيه ويطيل شعره. ولم يكن الرجل يرتدي ملابس سوداء ويعتبرها علامة نحس وشؤم، وكانوا متعلقين باللون الأبيض. وكانوا يجمعون التراب على قبورهم على شكل قبب.
وكان الاوغوز يسمون مراسيم الحكام (طوغراغ) بينما كان الأتراك الشرقيين يسمونها (يارلق)، ومن المعلوم إن العثمانيين وهم من الاوغوز كانوا يسمون التوقيع الذي يذيل الخليفة به المرسوم بـ (طغرا).
وتفيد الحفريات إن مملكة الاوغوز كانت تضم الملايين. وقد ازداد عدد السكان ووصل إلى حد لا مثيل له في القرن الحادي عشر. فينما كانت هناك عشرة مدن فقط في القرن السابع على عهد الكوك تورك في منطقة

اورتار في بلاد الاوغوز فقد ارتفع هذا العدد في القرن الحادي عشر إلى أربع وعشرين مدينة ، أما في القرن الثالث عشر فقد بقيت أربع مدن فقط. إذ رحل الاوغوز إلى الأناضول ومناطق الشرق الأدنى وأحدث غزو القاراخطاي وجنكيز المغولي أثرا سيئا في المدن التركية وانخفض عدد منازل المسافرين من ثلاثة عشر في القرن الحادي عشر إلى اثنين في القرن الثالث عشر. فقد نقل الاوغوز الأتراك السكان والتجارة إلى الأناضول.

وقد عثر الروس على مدن الاوغوز نتيجة للحفريات التي قاموا بها. وقد تبين أن قلعة اورتار كانت على بقعة مساحتها 400× 300 = 120.000 متر مربع . ومن المعروف أن اورتار كانت تحت الإدارة العربية وتابعة لبغداد. في 813- 818. أما أسوار مدينة التون تبه الواقعة على بعد سبعة كيلو مترات من اورتار فقد كانت تضم مساحة 950 × 50 = 475.000 متر مربع . بينما كانت أسوار توكاي تبه الواقعة إلى جنوب شرق اورتار وعلى بعد ثلاثة عشر كيلو متر تضم بقعة مساحتها 380 × 280 = 106.400 متر مربع.

وكانت هناك على بعد عشرة كيلومترات إلى الغرب من اورتار مدينة غابلاق تبه ومدينة بيجاقجى تبه على بعد 4 كم إلى الجنوب منها. وكانت هناك شبكة من القنوات التي تروي سهل اورتار الشاسع. وقد دهش علماء الآثار الروس الذين عثروا على آثار هذه الشبكة. فقد وصفها البروفيسور اغابيف بأنها "عظيمة". ويظهر من كثرة المدن في بلاد الاوغوز وتقاربها إلى درجة كبيرة ارتفاع عدد السكان إلى حد الملايين (ولا يغرب عن البال إن نفوس إنجلترا كان مليونا فقط في نفس تلك الفترة).

ويفيد علماء الآثار الروس إن مساحة قلعة مدينة سوت كنت كانت 900 × 800 = 720.000 متر مربع. إما سوت كنت الثانية كما يسميها هؤلاء العلماء فقد كانت مساحتها 240 × 200 = 48.000 متر مربع. وإذا ما تذكرنا بان السكان كانوا يعيشون خارج أسوار المدن أيضا ولا يقتصرون على السكنى وراء الأسوار إلا في وقت الحروب فإننا ندرك مدى كثافة السكان في ذلك العهد. وقد كانت هذه الكثافة هي العامل الأساسي في فتح آسيا الصغرى وتأسيس تركيا.

كما اكتشف العلماء الروس مدينة بايرقوم التي كانت على بعد ستة وعشرين كم إلى الشمال من سوت كنت. وكانت مساحة قلعتها 300 × 200 = 60.000 متر مربع. كما اكتشفت مدينة آق تبه على بعد خمسة وعشرين كم من سوت كنت ومساحتها 360 × 260 = 93.600 كم مربع . كما كانت هناك على ساحل نهر الأسرار أيضا مدينة اوكسوز وإلى شمالها الغربي بمسافة خمسة وعشرين كم مدينة كاوغاناته وعلى بعد عشرة كم إلى الشمال منها مدينة ارتقاته. والى القرب منها مدينة بوزوق تبه وكل هذه هي مدن القرن العاشر والتي اكتشفت مؤخرا من قبل العلماء الروس.

وكانت هناك إلى الجنوب من مدينة سوت كنت وعلى ساحل نهر الأسرار مدينة جاردارى والتي كانت مساحة قلعتها الخارجية 310 × 240 = 74.400 متر مربع . ومساحة قلعتها الداخلية 140 × 120 = 16.800متر مربع . وهناك مدينة أخرى كانت تسمى آق تبه وتقع على بعد ستة عشر كيلو متر من جاردارى وعلى ساحل النهر.

كما كانت سفوح قاراداغ الجنوبية عامرة بمدن الاوغوز. واشهرها مدينة صغناق. وكانت أسوارها تحيط بمساحة مقدارها 650 × 400 = 260.000 متر مربع. والى جنوبها الشرقي مدينة ساوران التي كانت هي الأخرى من اشهر مدن الاوغوز. وكانت مساحتها 800 × 550 = 440.000 متر مربع. وهي مدينة شيدت في عهد الكوك تورك وتوسعت في عهد الاوغوز. ولازالت أسوار وأبراج المدينة وأبوابها الخارجية صامدة في وجه الزمن. وعلى مقربة من ساوران كانت تكمن مدن ميرتبه واشكان على بعد خمسة وعشرين كم شمال

مدينة (يسي) الحالية (تركستان) وعلى بعد ثمانية كم من ساوران كانت تقع مدينة شورناق تبه والى قربها مدينة صادقاته تبه. كما كانت مدينة يسي والتي تسمى حاليا(تركستان) من أهم مناطق تجمع الاوغوز. وعلى بعد ثمانية كيلومترات من جنوبها كانت مدينة جوي تبه وكانت قنوات الري وشبكات المياه منها منظمة ومنسقة بشكل بديع. وكانت هناك بالقرب من مدينة يسي مدينة ايكان وقاراسبان تبه وكانت مساحة الأخيرة 850 × 600 = 510.000 متر مربع أي أكثر من نصف كيلو متر مربع. وبالإضافة إلى كل هذه كانت مدينة جوان تبه في نفس المنطقة.

أما مدينة سايرام فقد كانت مركز تجمع الاوغوز في الحدود المتاخمة لمناطق المسلمين. وقد استطاع السامانيون (المسلمون) إن يحتلوا هذه المدينة لفترة من الزمن. وكانت هناك بين مدينتي سايرام وتاراز مدن أخرى هي بولاق قوال وتورتقول تبه وثلاث مدن أخرى. كما كانت هناك على السفوح الجنوبية الغربية لجبال قاراداغ مدينة جيم كنت (أوليا – اتا) وعلى السفوح الجنوبية الشرقية مدينة جامبول. وهاتان المدينتان هما من اشهر مدن تركستان حاليا. والى الجنوب كانت تبدأ حدود بلاد الفرس. وقد كان القاراخانيون والغزنويون يتحينون الفرص شأنهم في ذلك شأن الاوغوز للانقضاض على هذه البلاد.

ملاحظة:- أستقيت المعلومات المتعلقة بمدن الاوغوز من كتاب الأستاذ بهاء الدين اوكل والمنشور من قبل مؤسسة التاريخ التركي والذي مر ذكره فيما سبق .

القواعد الدولية لدى الاوغوز

كان الحاكم الذي يرأس دولة الاوغوز يسمى (يابكو). وقد كان هذا اللقب الذي يعني (الإمبراطور) يطلق في عهد الهون والتابغاج على الخاقان الأكبر في الدولة التركية الكبرى. ولما ابتكرت بعد ذلك ألقاب القاغان والخاقان أخذت كلمة يابكو تعني الملك فقط. إلا إن بعض الزمر التركية استعملت بدلا منها لقب (خان). واستعمال الاوغوز للقب يابكو له دلالة كبيرة تؤيد مذهب بعض المؤرخين أمثال زكي وليدى طوغان في أن الهون كانوا من الاوغوز.

ويأتي بعد اليابكو في المنزلة (سو – باشي) وسو كانت تعني بالتركية الجندي (وسوله مك كانت تعني سوق الجيش) وسوباشي يعني القائد العام. وهذه الرتبة كانت وراثية كما أسلفنا في مناسبات أخرى. وكانت قيادة الجيوش آنذاك في يد السلاجقة الذين فتحوا الأناضول فيما بعد وأسسوا دولة تركيا.

ويلي في المنزلة بعد القائد العام كول أركين واينال (ينال) وتارخان وهي رتب عسكرية كبيرة. كما كان هناك على راس كل فرع من فروع الاوغوز الأربعة والعشرين التي سنبحث عنها فيما بعد من يسمى(بك). وكانت هذه الرتبة وراثية أيضا يتوارثها الأبناء والإخوة والبكوات كانوا من طبقة النبلاء المتنفذين.

وكان جيش الاوغوز الخيال يشكل قوة لا يستهان بها. وقد اجتاز الاوغوز مرات عديدة انهر أمبا واورال وحتى الفولجا إلى أوربا واجتاحوا منطقة الخزر. كما حاربوا البجنك إحدى فروع الاوغوز والجيغيل إحدى الزمر التركية. كما توفي يابكو الاوغوز مرة في إحدى حروب الاوغوز مع القارلوق.

فروع الاوغوز الأربعة والعشرون

ينقسم الاوغوز إلى أربعة وعشرين فرعا كما ينقسم كل فرع إلى شعب. ويسمى الاثنى عشر فرعا منهم (بوزوق) والاثنى عشر الأخرى (اوج اوق)

وتنتسب هذه الفروع إلى أبناء اوغوز خان الستة: كون، آي، يلدز، كوك، داغ، دينيز

كان الاوغوز يعيشون على شكل الفروع الستة المار ذكرها على ساحل نهر يئيساي كم وذلك قبل القرن السابع. ثم لكل من الأبناء الستة أربعة أبناء وقد تفرع من هؤلاء القبائل المختلفة وأصبح عدد فروع الاوغوز بذلك أربعة وعشرين فرعا. واوغوز خان الذي يمر ذكره في ملحمة اوغوز خان هو مته بعينه. ويؤمن الترك بانتساب الأربعة والعشرين فرعا الاوغوز إلى مته. وقد كانت زمره بوزوق هي الحاكمة قبل العهد الإسلامي إلا أن السلالات المنتسبة إلى زمرة اوج اوق هي التي بدأت بالحكم بعد الإسلام. ويجدر بالذكر إن شعار زمره بوزق المتكونة من أثنى عشر فرعا كان القوس وشعار زمره اوج اوق كان السهم. كما كان لكل فرع ختم خاص يختمون به أسلحتهم وحيواناتهم. ويشاهد ختم مدافع العثمانيين ونقودهم أيام حكم السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر بختم فرع قايي الذي ينتسب إليه العثمانيون. وكانت فروع الاوغوز الأربعة والعشرون معروفة. فقد كان الأرمن يعرفون تكوين العرق الفاتح من أربعة وعشرين فرعا عند دخول الاوغوز للأناضول لتأسيس دولة تركيا كما يظهر ذلك فيما كتبه المؤرخ الأرمني واهرام الاورفه لي.

وفروع الاوغوز المار ذكرها هي مايلي:

<u>البوزاوق:</u>

وينتسبون إلى أبناء اوغوز خان (كون خان، آي خان، يلدز خان)

قايي، البيات، الكاايو، قارا ايو، يازر، دودورغا، دوكر، يابالي، اوشار، بغديل، قزيق، قارقن.

<u>اوج اوق:</u>

وينتسبون إلى أبناء اوغوز خان (كوك خان، داغ خان، دنيز خان)

قنيق، بايندر، بجنك، جاولدور، جبني، سالغور، ايمور، الايونتلي، يوره كير، ايغيدير، بوغدوز، يوا.

ولم يكن تعداد هذه الفروع متساويا أو متقاربا. فقسم منها يعد بمئات الآلاف وكان كل فرع ينقسم إلى شعب وأجزاء صغيرة أخرى. والفروع التي فتحت الأناضول هي قايي ، قنيق ، اوشار ، البيات ، جبني ، سالغور ، يازر ، ايمور ، بايندر ، قزيق ، بغديل ، دود ورغا ، جاولدور.

وقد قدمت الفروع العشرة الأخرى إلى الأناضول إلا أن تأثيرها كان نسبيا في تتريك الأناضول وفي إسكانها نظرا لقلة عدد نفوسها . ولازالت هناك في تركيا أسماء كثيرة اشتقت من أسماء هذه الفروع.

وينتسب السلاجقة إلى فرع قنيق بينما ينتسب العثمانيون إلى فرع قايى وكان هؤلاء سادة هذين الفرعين. وإذا ما نظرنا في ترتيب فروع الاوغوز من حيث المنزلة يأتي فرع قنيق في المرتبة الأولى وقايى في المرتبة الثانية. وقد الغي هذا التمييز والتصنيف بعد اعتناق الإسلام، إلا أن آثار هذا التمييز استمر حتى يومنا هذا. وقد كانت سلالة (الخروف الأبيض) وهي من السلالات الحاكمة التركية في إيران من فرع بايندر. كما كانت سلالة الاوشار من فرع الاوشار وسلالة القاجار من فرع يوا . أما بالنسبة لإمارات الأناضول فقد كان القارامانيون من الاوشار والجانداريون من قايى، وذو القادر من البيات، الرمضانيين من يوره كير. والقاضي برهان الدين من سالور. وقد كان الآق قويون (الخروف الأبيض) مثل القارامانيين يعلنون انتسابهم إلى مته الكبير (اوغوز خان). وكان شقيق مؤسس الأمارة القارامانية يسمى اوغوز.

كما كان العثمانيون يعتبرون أنفسهم أحفاد مته وابتدعوا شجرة نسب تربط الغازي عثمان باوغوز خان. وقد سمى السلطان محمد الفاتح أحد أحفاده اوغوز خان وسمى الثاني باسم قورقوت من ولاة الاوغوز المشهورين. ولم يكتف المؤرخون العثمانيون في القرن الخامس عشر ببيان انتزاع العثمانيين عرش الدولة التركية الكبرى من السلاجقة بل أضافوا إلى ذلك كون السلاجقة وارثي القاراخانيين ورسموا بذلك صورة واضحة للحالة الجغرافية والشروط الوراثية للدولة التركية الكبرى.

انتشار الاوغوز الجغرافي

لا نرى موجبا لتكرار ما بيناه سابقا حول انتشار الاوغوز عند بحثنا للمناطق التي يعيش فيها الأتراك. وقد قلنا إن الاوغوز كانوا من اكبر الزمر التركية وقد وصلت الدولة التركية الكبرى إلى أرقى مراحلها في عهد السلاجقة كما أسست السلالة العثمانية أهم المؤسسات العالمية السياسية وهي الدولة التركية العثمانية. كان الاوغوز الذين وصلوا إلى أبواب الأناضول في القرن الحادي عشر مسلمين برمتهم إذ لم يبق بينهم من يدين بالشامانية. وقد أدى نزوح الاوغوز إلى الأناضول والمناطق القريبة منها مثل العراق وإيران وسوريا وقفقاسيا إلى فراغ آسيا من عنصر الاوغوز وبقي منهم قسم في جنوب شرق الخزر بامتداد خرا سان أي في تركمنستان الحالية ويسمى الاوغوز أو التركمان نتيجة لذلك بأتراك الغرب.

السلاجقة، يابكو الاوغوز 990- 1040

لا نعلم أسماء الحكام الذين كانوا يسمون بلقب يابكو والذين كانوا على راس الاوغوز منذ وجودهم في (اوست- يورد) وشمال نهر الأسرار واستيطانهم في هذه البقاع التي تقدر مساحتها بمليون كم مربع وحتى عام 990 وقد يتم العثور مستقبلا على وثائق تكشف النقاب عما خفي في هذا الموضوع.
وكان السلاجقة سادة فرع قنيق من الاوغوز في مرتبة(سو- باشى) أي القيادة العسكرية للإمارة التابعة للدولة التركية الكبرى. وليست لدينا معلومات تاريخية موثوق بها حول الذين جاءوا إلى هذا المنصب قبل دوقاق بك والد سلجوق بك. ويروى إن والد دوقاق بك هو ارطغرل (ارتك) بك، ووالد هذا لقمان بك، ووالد هذا طوقسورمش – ايلجي ووالد الأخير هو قاراقوجي خوجا. وقد استقيت هذه الشجرة من الاوغوز– نامه.
قتل قائد الجيش ورئيس عشيرة قنيق دوقاق بك في عام 903 فخلفه ابنه سلجوق بك. وقد ولد هذا العام 885 وتوفي عام 1000 عن خمسة عشر ومائة عام. وكان قد استلم قيادة الجيوش خلفا لأبيه عام 910.
ويروى انه اختلف مع اليابكو في عام 915 فرحل إلى مدينة جند مع مائة خيال و1500 جمل 000 50 رأس من الماشية واسلم هناك كما عمل على إسلام عشيرة قنيق التي لحقت به في مدينة جند. ويظهر من هذا إن فرع قنيق كان اسبق الزمر التركية في اعتناق الدين الإسلامي، وقد دام الخلاف بين سلجوق بك وعدة يابكو توالوا على العرش طيلة القرن العاشر واسلم جميع الاوغوز المنضمين لدولة الاوغوز في النصف الثاني من القرن العاشر لان القاراخانيين الذين كانوا يمثلون الدولة التركية الكبرى كانوا قد أعلنوا الإسلام دينا رسميا للدولة التركية الكبرى ونبذوا الدين الشاماني بصورة نهائية.

أبناء سلجوق بك

خلف سلجوق بك خمسة أبناء وهم:

أولا:- سو- باشى ميكائيل بك. تسلم القيادة العامة للجيش بعد سلجوق بك. وتوفي عام 998 في حياة أبيـه وله نجلان اشتهرا في التاريخ:

1- ابنه الأكبر جاغرى بك (990- 1060 = 70) واسمه الإسلامي داود وكنيته أبـو سـليمان، ولقبـه الغازى وعنوانه ملك الملوك. وتوفي في سراخس في مرو له أربع بنات وثمانية أبناء هم:-

أ-	ملك سليمان	طالب بالعرش بعد وفاة عمه طغرل بك في 1063 وكان له ابنان:- ملك محمد، ملك طوغان – طغرل.
ب-	ملك كاروت	اسمه الكامل ملك عماد الدولة قارة ارسلان كاورت. وهو مؤسس فرع سلاجقة كرمان. وحكم أثنين وثلاثين عاما من 1041 وحتى 4 نيسان 1073 في فارس وكرمان أي في جنوب إيران. ودفن في بارداسير. وكان قد تزوج من أرملة شقيقة السلطان آلب ارسلان سفرية خاتون في أواخر عام 1072.
ج-	السلطان آلب ارسلان	ارتقى عرش الدولة التركية الكبرى إمبراطورا ثانيا من السلالة السلجوقية بعد عمه طغرل بك. عاش ثلاثة وأربعين عاما وتسعة أيام من 20/ 01/ 1029 وحتى 1072/10/25 وحكم تسعة أعوام وشهرا وأثني عشر يوما من 09/07/ 1063 وحتى 1072/10/25. زوجته سفريه خاتون. وقد خلفه ابنه الأكبر السلطان ملك شاه. وقد تفرع من السلطان آلب ارسلان فروع السلاجقة الكبار وسلاجقة خراسان وسلاجقة إيران. وقد لقي آلب ارسلان مصرعه بعد عام واحد من انتصاره الكبير في معركة مالازغيرت.
د-	ملك ياقوتي	تزوجت ابنته زبيدة خاتون بابن عمها السلطان ملك شاه وقد انجبا السلطان بركياروق. وكان ابنه ملك قطب الدولة والدين إسماعيل واليا عاما على أذربيجان وقد ألحقت ولاية أران في عام 1084 بولايته. وقد أصبح ابن الملك إسماعيل ملك مودود واليا عاما لولاية اران خلفا لأبيه حتى وفاته في عام 1103 وقد خلف ابنة واحدة آما شقيقته فقد تزوجت بالسلطان محمد تابار.
هـ -	ملك عثمان	كان واليا عاما على توهاريستان. وقد تلقب بعنوان الملك المؤيد ركن الدين.
و-	ارسلان اورغون	كان واليا عاما على خوارزم وخراسان.
ز-	ملك إلياس	كان واليا عاما على توهاريستان.
ح-	ملك بهرام شاه	

2- والابن الأصغر لميكائيل هون الخاقان الأكبر الأول للدولة التركية الكبرى من سلالة السلاجقة طغرل بك. (995- 1063/09/07 = 68) حكم ثلاثة وعشرين عاما وثلاثة اشهر وأثنى عشر يوما (1040/05/23- 1063/09/04) كخاقان الدولة التركية الكبرى. واسمه الكامل ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد يمين أمير المؤمنين. ومحمد هو اسمه الإسلامي. وقد لقبه الخليفة بلقب سلطان المشرق والمغرب،

السلطان الأعظم والسلطان المعظم. وقد دفن في مدينة ري (طهران الحالية) وزوجته الرابعة والأخيرة هي ابنة الخليفة القائم. ولم يخلف أطفالا فخلفه ابن شقيقه الأكبر جاغرى بك، السلطان ألب ارسلان.

ثانيا:- أمير إسرائيل ارسلان يابكو :

وهو السلجوقي الأول الذي أطاح بسلالة يابكو الاوغوز واعتلى عرش هذه الأمارة في عام 990 وحكم خمسة وثلاثين عاما حتى عام 1025 حيث اعتقل من قبل السلطان محمود الغزنوي الذي خشي توسع نفوذه واقتيد إلى قلعة كالينجار في الهند حيث توفي في عام 1032. وقد افلح السلطان محمود الغزنوي بهذا في تفريق شمل السلاجقة الذين نصبوا ابن أخيه يوسف بك حاكما. وقد حاول أبناء أخيه جاغرى بك إنقاذ ارسلان يابكو من الأسر بتهديد السلطان مسعود ابن السلطان محمود عدة مرات إلا أنهما لم يتوصلا إلى نتيجة ما. تلقب إسرائيل بك باللقب القومي (يابكو) وباللقب الإسلامي (الأمير) ويعزى هذا إلى سعة معتقداته السياسية وشمولها وقد حذا أحفاده حذوه.

وكان الأمير إسرائيل ارسلان قد تزوج عام 1003 بأميرة ساما نية هي أبو إبراهيم إسماعيل المنتصر وخلف ابنين هما

1- الملك شهاب الدين قوتا لمش بك: توفى في شباط من عام 1064 ودفن في ري (طهران) وقد خلف ستة أبناء:-

أ	الملك (ثم السلطان) ركن الدين ناصر الدولة أبو الفوارس الغازي سليمان شاه الأول	انتحر بالقرب من مدينة حلب في 5 حزيران 1086 وهو فاتح الأناضول ومؤسس دولة تركيا. وقد ولي على تركيا في عام 1077 من قبل خاقان الدولة التركية الكبرى السلطان ملك شاه الذي أطلق عليه عنوان (السلطان) وتتفرع منه سلالة سلاجقة الأناضول – بلاد الروم التي خلفت السلالة الكبرى والتي حكمت حتى عام 1308 والسلطان قليج ارسلان الأول هو ابن سليمان شاه.
ب-	الملك منصور	اتخذ مدينة كوتاهية مركزا له وبقي في الأناضول من عام 1073 وحتى عام 1077 وقد قتل الملك منصور الذي زار إمبراطور البيزنطيين في استانبول عام 1076 بصورة رسمية في عام 1090.
ج-	الملك دولت	
د-	الملك آلب – ليليغ	
هـ -	الملك داود	توفي عام 1095.
و-	الملك.......	

2- الملك رسول – تيكين توفي عام 1065

ثالثا:- فخر الملك موسى يابكو:

هو اليابكو الثالث بعد شقيقه الأكبر إسرائيل ارسلان يابكو وابنه يوسف اينانج يابكو. اعتلى العرش اثر وفاة ابنه الأكبر وتنازل عن العرش بعد أربعة أعوام أي في عام 1032 لابن أخيه ارتاش يابكو. وقد ولي على

هرات (خراسان الشرقية) وسيستان بعد اعتلاء ابن أخيه طغرل بك لعرش الدولة التركية الكبرى في عام 1040 وظل على ذلك حتى وفاته وله ثلاثة أبناء:

1	يوسف بك (اينانج)	الابن الأكبر حكم ثلاثة أعوام (1025- 1028) على عرش السلاجقة الاوغوز أعقبه والده وقد نصب اثر اعتقال عمه إسرائيل ارسلان يابكو من قبل الغزنويين
2	الملك أبو الفتح قاره ارسلان بوروبك	توفي عام 1068.
3	الملك أبوعلي حسن بك	استشهد عام 1048 وله ابن يسمى علي.

رابعا:- يوسف ينال بك :

توفي عام 994 قبل والده. وهو أول من توفى من أبناء سلجوق بك وقد تزوج شقيقه ميكائيل بك بأرملته التي أنجبت إبراهيم ينال، والخاقان الأول السلجوقي للدولة التركية الكبرى طغرل بك السلجوقي. وقد خاف يوسف ينال ثلاثة أبناء:

1- الأمير ارتاش يابكو:

تولى سلطة اليابكو في عام 1032 خلفا لعمه موسى يابكو. وحكم ثمانية أعوام حتى عام 1040. وتولى السلاجقة في هذا التاريخ عرش الدولة الكبرى فأصبح ابن عمه طغرل بك الخاقان الأول. وقد ولي الأمير ارتاش بعد ذلك على هرات (خراسان الشرقية) وانتقلت الولاية بعد وفاته إلى عمه موسى يابكو وقد توفي فخر الملك الأمير ارتاش يابكو في عام 1048 عن ثلاثة أبناء:

الملك أحمد، الملك محمد وقد قتل الاثنان في 23 حزيران من عام 1059 في مدينة ري (طهران) والملك دولت شاه هو ابن الملك محمد ، مسعود ينال توفي عام 1070 وابنه الملك فروخ زاده .

2- سيف الدولة الملك إبراهيم ينال :

وهو أخ طغرل بك غير الشقيق. وقد قتل مع أبني أخيه الملك احمد والملك محمد في ري (23 حزيران 1059) وقد ولي على خراسان الغربية (1040- 1049) ثم على أذربيجان (1049- 1059) وقد نازع طغرل بك على العرش إلا انه قتل مع أبني أخيه كما أسلفنا.

3- الملك ارصغن :

توفي عام 1080 في استانبول. وكان قد اسر مانويل كومينوس في مدينة سيواس في عام 1070 إلا انه رحل إلى بيزنطيا وعاش في استانبول. وابنه طوغان ارسلان وابن هذا سلجوق، وابن هذا محمد، وابني الأخير شاهنشاه وسلجوق شاه.

خامسا:- يونس بك وهو الابن الأصغر لسلجوق بك وقد توفي أبان شبابه. وقد زار ابنه قورتجى في عام 1070 أي قبل عام واحد من معركة ملازغيرت إمبراطور البيزنطيين في استانبول. وقد تزوج السلطان ألب ارسلان بابنه قورتجى.

2) السلاجقة والغزنويون والقاراخانيون

موقف السلاجقة بعد سيطرتهم على عرش دولة الاوغوز (990)

ارتفع السلاجقة عام 990 من مركز (سوباشى) أي القيادة العامة للجيوش إلى مرتبة (يابكو) أي الحكام أو الملك لدولة الاوغوز. وبذلك تبدلت أوضاعهم إزاء الدولة التركية الكبرى بقيادة القاراخانيين وإزاء اكبر إمبراطوريات العالم آنذاك وهي الإمبراطورية التركية الغزنوية من عام 1000 وحتى عام 1040. تقاسم القاراخانيون والغزنويون أشلاء دولة السامانيين الفرس في عام 999 وحلت الدولتان التركيتان محل دولة الفرس في إيران وما وراء النهر. ودالت بذلك هذه الدولة(عاصمتها بخاري) التي دامت خمسة وعشرين ومائة عام في 23 تشرين الأول 999.

وقد التجأ الأخ الأصغر للحاكمين السامانيين الآخرين، الحاكم التاسع منصور الثاني والحاكم العاشر عبد الملك الثاني وابن نوح الثاني أبو إبراهيم إسماعيل المنتصر إلى السلاجقة، ونال تأييد يابكو الاوغوز إسرائيل ارسلان بك السلجوقي في مقارعته للقاراخانيين والغزنويين كما زوج ابنته كما أسلفنا بيابكو الاوغوز السلجوقي.

وقد عمل السلاجقة على مهاجمة القاراخانيين بحوالي سبعمائة خيال ساماني التفوا حول المنتصر. ولما كانت دولة الاوغوز تتبع القاراخانيين نظريا فان هذا العمل كان يشكل عصيانا مبيتا. وكان هناك الكثير من الاوغوز المسلمين والأتراك الآخرين في الجيش الساماني وقد التحق قسم من هؤلاء بالقاراخانيين والغزنويين بعد انقراض الدولة السامانية والقسم الآخر بالسلاجقة.

السلاجقة يعملون على السيطرة على الدولة التركية الكبرى
وانتزاعها من القاراخانيين والغزنويين الأتراك

استطاع القاراخانيون أن يفتحوا طريق الشرق الأدنى للأتراك بعد قضائهم على الدولة السامانية الفارسية. ولم يكن هذا وليد حملة واحدة بل استولوا في عام 992 على مدينة بخاري اكبر مدن العالم آنذاك وعاصمة السامانيين الفرس إلا أنهم اضطروا للانسحاب منها وقد حاولوا إعادة الكرة دون جدوى في عام 997.

وأخيرا استطاع القاراخانيون أن يدخلوا مدينة بخاري في 23 كانون الأول 999 والحقوا ما وراء النهر بالدولة التركية الكبرى. واصطحبوا أفراد الأسرة السامانية الحاكمة إلى اوزكنت، ولما كان الغزنويون تابعين للدولة السامانية فقد أدى هذا الأمر بالتالي إلى استقلال محمود الغزنوي.

كان القاراخانيون أقوى من الغزنويين في هذه الفترة إلا إن انتصارات الغزنويين وفتح الهند من قبلهم مع ما رافق هذا الفتح من شهرة جمة أدى إلى أن يسيطر محمود الغزنوي على سياسة الشرقين الأدنى والأوسط. وقد جاءت معاهدة نيسان 1001 لتضع نهر آمو حدا فاصلا بين الدولتين التركيتين وتجعل من السلطان محمود صهرا لخاقان القاراخانين.

فر الأمير الفارسي المنتصر من اسر القاراخانيين والتجأ إلى السلاجقة عاقدا العزم على مقارعة القاراخانيين والغزنويين وقد افلح المنتصر في السيطرة على مدينة بخاري روحا من الزمن في عام 1000 وقد استقبلته

الأغلبية الفارسية بالترحيب إلا أن الأمير لقي مصرعه في عام 1005 بالقرب من مدينة مرو. وكان الغزنويون في هذه الفترة يعترفون بسيادة القاراخانيين إلا أن عبور هؤلاء إلى جنوب نهر آمو ومطالبتهم بخرا سان وهي من أغنى المناطق المتخلفة عن حكم الفرس أثار توترا بين الإمبراطوريتين. فقد سك الخاقان القاراخاني النقود في طوس (مشهد) في عام 1006 وأمر بتلاوة اسمه في الخطب. ولم يبق السلطان محمود الغز نوي مكتوف اليدين أمام هذه المحاولات وسار بجيشه على القاراخانيين واضطر هؤلاء للانسحاب إلى شمال النهر. وقد أحرز الغزنويون نصرا ساحقا في معركة قاتار (قرب بلخ) في 4 كانون الثاني من عام 1008 واخفق القاراخانيون بذلك من السيطرة على خرا سان والتسرب إلى الشرق الأدنى.

استقبل السلطان محمود في عام 1009 في غزنة سفراء القاراخانيين وعرض عليهم قسما من الغنائم التي تبهر الأبصار والتي استولى عليها في غزوته السادسة للهند ، ولم يكتف السلطان محمود بخراسان فضم خوارزم إلى إمبراطوريته في عام 1015 ووصلت الحدود الشمالية بذلك إلى خط عرض 44 درجة . وكانت خوارزم تجاور من جنوبها الشرقي القاراخانيين ، وتقع إلى الشمال منها بحيرة ارال ويجاورها بلاد الاوغوز .

وقد سبب هذا في تألب ارسلان يابكو السلجوقي الذي كان يتحين الفرص لقطع علاقته بالقاراخانيين، على الغزنويين إلا أن السلاجقة لم يكونوا آنذاك في حال يؤهلهم لمقارعة الغزنويين. فعمل السلاجقة على كسب الوقت انتظارا لما سيحدث.

وقد أحدث النظام اللامركزى الذي اتبعه القاراخانيون وذلك بحكم المقاطعات من قبل حكام مستقلين يتبعون الخاقان الأكبر وهنا في حكمهم واستفاد الغزنويون والاوغوز من هذا فاستمر السلطان محمود الغزنوي في فتوحاته نحو الجنوب بحيث غدا اكبر أقسام الهند ضمن إمبراطوريته.

عبر السلطان محمود الجسر الكبير القائم على نهر آمو في عام 1019 ليجتمع بخاقان القاراخانيين فوطأت إقدامه ارض ما وراء النهر. وقد اجتاز القاراخانيون في عام 1020 نهر آمو إلى الجنوب مجددا إلا أنهم أزيحوا من هذه المناطق قرب بلخ من قبل السلطان محمود. كما استغل القاراخانيون فرصة وجود السلطان محمود في الهند ليهجموا بقواتهم الكبيرة وبشكل مفاجئ وليستولوا على خرا سان وغزنه.

وفي نفس الفترة قدم ارسلان يابكو إلى بخاري متفقا مع تيكين إلا أن الصلح عقد بين القاراخانيين والغزنويين في عام 1025 واجتمع الخاقان التركي الأكبر قادر خان والسلطان محمود بالقرب من سمرقند. وقد أوضح الخاقان الأكبر للحاكم الغزنوي الكبير خطر السلاجقة الاوغوز ومحاولاتهم الرامية إلى انتزاع عرش الدولة التركية الكبرى. فواجه السلاجقة بذلك خطر الإجهاز عليهم من قبل الإمبراطوريتين الكبيرتين. وقد توجس السلطان محمود خيفة من أن يزحف السلاجقة على خرا سان أثناء وجوده في الهند. ودعي ملك الاوغوز ارسلان يابكو إسرائيل بك السلجوقي إلى زيارته إلا انه اعتقله مشينة واقتاده إلى جنوب نهر الغنج في الهند. وقد أدى هذا الفعل المخالف للأعراف الدولية إلى تولد حقد دفين أوغر صدور السلاجقة نحو الغزنويين وان كان قوتالمش وجاغرى بك وطغرل بك قد طالبوا إعادة الحاكم المعتقل مرارا فإنهم لم يفلحوا في ذلك.

قام السلطان محمود بعد ذلك بأشهر غزواته للهند وهي الغزوة السادسة عشرة التي فتح فيها كوجرات (شتاء1024-1025) كما قام في أوائل عام 1027 بغزوته الأخيرة السابعة عشرة وعاد بعد هذا التاريخ إلى الشرق.

بدأ الاوغوز بمهاجمة خرا سان مستغلين كون بلادهم بعيدة عن أن يصلها الغزنويون. وقد استنجد الوالي الغزنوي ارسلان جاذب بالسلطان فقدم هذا إلى طوس (مشهد) وفرق شمل الاوغوز في عام 1028

وانسحب السلاجقة إلى الشمال إلا أنهم تيقنوا بأن الصراع الناشب بينهم وبين الغزنويين هو صراع حياة أو موت يتيح لهم انتصارهم فيه أن يجهزوا على سيادة القاراخانيين أيضا.
كان الاوغوز قد استحوذوا على الأقسام الشمالية الغربية من خراسان. وقد نزل السلطان محمود الذي سئم حرب العصابات المتعب إلى الشرق فدخل مدينة ري(طهران) في أيار(مايو) من عام 1029 واستولى على عراق العجم (ري، أصفهان، همدان، قزوين). وجاءت وفاة السلطان محمود الغزنوي والإمبراطورية في اوج قوتها وعظمتها ليتزايد أمل السلاجقة في القضاء على هذه الإمبراطورية. وقد كانت هذه الفكرة تختمر في عقلي جاغرى بك وطغرل بك وتشكل أملا في قلوب الاوغوز فلم يكن أحد ليتصور بان إمارة صغيرة تستطيع القضاء على هذه الإمبراطورية الشاسعة وتمتد نحو البحر الأبيض.
وقد كان الأمر مشابها بالنسبة للقاراخانيين فيما كان ارسلان يابكو أسيرا ومنفيا في الهند فقد اعتقل القاراخانيون في عام 1028 يوسف اينانج يابكو الذي خلف الحاكم المعتقل وقتلوه.
عقد الشقيقان جاغرى وطغرل العزم على جعل الدولة التركية الكبرى إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف وعملا من اجل مبدأيهما كما عمل من قبلهما الشقيقان كول تيكين وبيلكه خان وقد أفلحا في ذلك.

3- دانداناكان (23 أيار(مايو) 1040)
فتح نيسابور (1038)

كان لوفاة السلطان محمود الغزنوي وإتباع القاراخانيين لنفس أسلوب الحكم في الدولة التركية الكبرى القاضي باشتراك أفراد السلالة الحاكمة جميعا في الحكم ابعد الأثر في فسح المجال أمام السلاجقة لتحقيق مآربهم.
وقد كان الود مفقودا بين القاراخانيين والغزنويين فبينما كان هؤلاء تحت تأثير الثقافة الفارسية فقد كان القاراخانيون يمثلون الثقافة التركية البحتة كما إن انتسابهم إلى سلالة (الذئب الأغبر) المتفرعة من الكوك تورك كان له الأثر في تقليلهم من شان الغزنويين. ويجدر بنا أن نضيف بأن القاراخانيين كانوا يحسدون سطوة الغزنويين وشهرتهم التي رافقت فتح الهند. إلا أن الصينيين كانوا يعتبرون القاراخانيين الدولة التركية الحقيقية وقد استمر النزاع التقليدي التركي- الصيني بينهم وبين القاراخانيين. وقد بعث الصينيون الذين توجسوا خيفة من امتداد الحدود الشرقية للدولة التركية إلى داخل إقليم قان صو رسلا إلى الغزنويين يدعونهم إلى التحالف ضد القاراخانيين. إلا أن السلطان محمود الذي كان مشغولا بفتوحاته في الهند لم يأبه بذلك. ومع ذلك فقد كان السلطان يبيت انتزاع ما وراء النهر من القاراخانيين الذين كانوا قد استولوا عليها بعد انقراض الدولة السامانية الفارسية. وان كان السلطان قد دخل سمرقند في عام 1025 واستولى ابنه السلطان مسعود في عام 1032 على بخاري فقد كانت هذه الفتوحات وقتية. وقد كان نهر آمو حدا فاصلا بين الدولتين فلا القاراخانيون استولوا على خرا سان ولا استطاع الغزنويون أن يستولوا على ما وراء النهر.
كان السلاجقة في غمرة هذه الظروف يبيتون العزم على الاستيلاء على خراسان اعتقادا منهم بان خراسان تشكل بداية الطريق إلى بلاد الفرس والشرق. و بدأت محاولات الاوغوز الرامية إلى الاستيلاء على خراسان في عام 1031 عندما توفى السلطان محمود وخلفه ابناه السلطان محمد والسلطان مسعود وقد دب النزاع بينهما فاستفاد السلاجقة من هذا الأمر، فقد استولوا على مدينة هرات أول الأمر، إلا أن الغزنويين استرجعوا المدينة اثر معركة (فواره). وبدأ بذلك الصراع فدخلت جيوش الاوغوز في عام 1033 إلى خراسان ودحر

جاغرى بك الجيش الغزنوي في عام 1035 ولم يعلق السلطان مسعود أهمية لذلك واستمر على الفتوحات التي بدأ بها والده في الهند.

تلاحمت القوتان المتمثلتان في جاغرى بك وشقيقه الأصغر طغرل بك وقد أودع جاغرى بك الذي كان يبلغ من العمر خمسين عاما (في عام 1040) إدارة البلاد إلى أخيه الذي كان يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاما نظرا لدهائه السياسي وبالرغم من عدم إنجابه لأبناء. ويجدر بالإشارة إلى أن هذه الحادثة كانت مشابهة تماما للخطة التي اتبعها بيلكه خان وشقيقه كول تيكين المتميز بالتفوق العسكري الفذ في عهد الكوك تورك. فقد تجول جاغرى بك في عام 1016- 1021 في قفقاسيا الجنوبية وتجول حوالي خمسة أعوام مع نفر من خيالة الاوغوز على الحدود الشرقية للبيزنطيين وعاد إلى بلاده مكتسبا خبرة عسكرية فائقة وقاد جيوشه متخلصا لعدة مرات من مطاردات الغزنويين الشديدة.

وما أن حل عام 1037 حتى استولى جاغرى بك على مدينة مرو من اكبر مدن خرا سان فأمر بقراءة الخطبة باسمه بعنوان ملك الملوك. كما وقعت مدينة بلخ في نفس العام بيد السلاجقة وفتحت هرات في حزيران من عام 1038 وأخيرا تم فتح نيسابور في آب من عام 1038 وقد أمر طغرل بك بقراءة الخطبة باسمه بعنوان السلطان وتعتبر هذه الحادثة حادثة قانونية هامة إذ لم يكن أحد قد تقلد هذا اللقب ماعدا السلطان محمود وابنيه فقد كان الخليفة العباسي في بغداد يعتبر السلطان الشرعي.

النصر في دانداناكان فتح أبواب المياه المفتوحة أمام الأتراك

استولى السلاجقة على خرا سان برمتها بعد فتح نيسابور، وجهر طغرل بك بعدم المبالاة بالغزنويين بتقلده لقب السلطان. وقد انتبه السلطان مسعود أخيرا إلى الخطر المحدق به فترك فتوحاته في الهند وعاد إلى خراسان فاستعاد بلخ واجبر السلاجقة على الانسحاب في معركة علي- آباد، فقد فضل جاغرى بك الانسحاب إزاء تفوق الجيش الغزنوى الهائل قبل أن تلحق به الهزيمة. وكان هناك فارق كبير بين القائدين، فالسلطان مسعود كان شابا مغرورا ينظر إلى السلاجقة نظرته إلى حفنة من العصاة والمتمردين.

سار السلطان مسعود في شهر أيار(مايو) من عام 1039 بجيشه على الاوغوز مجددا فاستنجد جاغرى بالعائلة السلجوقية بأسرها. فلبى نداءه أخوه السلطان طغرل إمبراطور السلاجقة من نيسابور وعمه موسى يابكو حاكم الاوغوز السابق من مرو، واتحدت قوات الاوغوز في سراخس وقرر السلاجقة شن حرب العصابات نظرا لتفوق خصومهم العددي. إلا أن الجيش الغزنوي لم يكن قد اعتاد مثل هذه الحروب فلحقت به أضرار عديدة ولما طلب السلاجقة الصلح قبل السلطان مسعود هذا العرض بامتنان وقرر العودة إلى غزنه. إلا أن السلاجقة اخذوا يقتنصون الوحدات العائدة فغضب السلطان مسعود وقرر الانتهاء نهائيا من أمر الاوغوز وأبادتهم بينما كان السلاجقة يواصلون الاستيلاء على المدن التي لم يستولوا عليها بعد في خراسان. كما كانت بعض المدن تدعو الاوغوز بنفسها مثل سراخس و نيسا و باورد بعدما رأت استتباب الأمن والنظام في المدن التي دخلها الاوغوز. أما الغزنويون فكانوا يواصلون بدورهم استرجاع ما يمكنهم من هذه المدن وقد جاءت الضربة الشديدة عندما دخل السلطان مسعود نيسابور واخرج منها السلطان طغرل بك. وعندما سمع بتقدم السلاجقة من خراسان الشمالية إلى خراسان الوسطى ترك في نيسابور قوة لا يستهان بها وهي التي استخدمت في فتح الهند. وتقدم إلى سراخس في 15 أيار(مايو) 1040 إلا أن السلاجقة كانوا قد انسحبوا منها وواصل السلطان تقدمه نحو مدينة مرو فاسترجعها.

كان الوضع محرجا بالنسبة للسلاجقة. فقد كان من رأي طغرل بك نفسه في المجلس الحربي الاستعاضة عن زج الاوغوز في حرب شعواء مع اكبر جيش في العالم بإخلاء خراسان والتقدم من إيران الشمالية إلى أذربيجان وحدود الأناضول والقتال ضد البيزنطيين. إلا أن جاغرى بك عارض هذا الرأي بشدة فأعلن اعتقاده بان النصر سيكون للسلاجقة في معركة فاصلة قادمة، وانتهى الاجتماع بالاتفاق على ضرورة إبادة الجيش الغزنوي.

التقى الجيشان في دانداناكان بالقرب من مرو في 23 أيار(مايو) 1040 إلا أن بطولة السلطان مسعود لم تمنع الهزيمة عن جيشه الذي اندحر أمام الدهاء العسكري لطغرل- جاغرى. ولم يظهر القادة الغزنويون أي مجهود يذكر بسبب امتعاضهم من إدارة السلطان ومقابل ذلك كان السلاجقة مدفوعين بأمل الإمبراطورية الكبرى ومتعلقين بقيادتهم تعلقا لا مثيل له. وإزاء هذا قرر السلطان مسعود الرجوع إلى غزنه وقتل بعد سبعة اشهر من هذه الفاجعة.

استولى السلاجقة على خزائن الغزنويين ومخيماتهم وقويت شوكتهم فبايعتهم القبائل المختلفة دون قتال. وتحقق الحلم الذي كان يراود السلاجقة منذ أعوام طوال ذلك الحلم الذي لم يكن أحد ليصدق بتحققه، فلم يكن أحد ليتصور بان جيشا قليل العدد والعدة كالجيش السلجوقي يقهر اكبر جيش في العالم آنذاك والمتمثل بالجيش الغزنوي.

ومعركة داندناكان لها اكبر الأهمية في التاريخ التركي بعد حادثتي فتح أستانبول ومعركة مالازكيرت وقد فتحت هذه المعركة أبواب المياه الدافئة أمام الأتراك.

4- السلطان طغرل بك (1040- 1063)

انتقال الدولة التركية الكبرى إلى السلاجقة

انتقلت السيادة على الدولة التركية الكبرى من القاراخانيين إلى السلاجقة بعد معركة داندناكان، بينما خرج الغزنويون تماما من مسرح السياسة في الشرق إذ تحولت هي والإمبراطورية القاراخانية إلى مجرد دولتين صغيرتين من دول الشرق الأوسط في حين ارتفع السلاجقة إلى مصاف الإمبراطورية.

وقد كانت الدولة لدى السلاجقة شانهم في ذلك شان السلالات التركية الأخرى ملكا مشتركا للسلالة الحاكمة إذ كان الأمراء الذين يلقبون بألقاب مختلفة مثل الملك أو السلطان ينفردون في حكم المقاطعات بإشراف السلطان الأعظم. وقد تمادى بعض هؤلاء إلى حد تأسيس سلالات مستقلة مثل سلاجقة الأناضول والعراق وكرمان والشام (سوريا) وارضروم. كما يستفاد من التاريخ السلجوقي إن هؤلاء اتبعوا نفس السياسة التركية التقليدية بتقسيم الحكم إلى قسمين (شرقي وغربي في اغلب الأحيان) وليس أدل على ذلك من حكم طغرل بك وجاغرى بك فقد كانت عاصمة طغرل نيسابور بينما كانت عاصمة جاغرى في مرو.

وقد كان السلاجقة مثل الكوك تورك أباطرة الدنيا دون نزاع. فقد كان لقب (السلطان) يدل على حكمهم للمسلمين و(شاهنشاه) على حكمهم للفرس و(الخاقان) للترك وكان لقب الشاهنشاه عنوانا فارسيا قديما لم يجرؤ أحد على استعماله بعد سقوط الدولة الفارسية على يد العرب.

أصبحت الأغلبية الساحقة من سكان ما وراء النهر في عهد القاراخانيين من الأتراك. بينما تجمع الفرس في القرن الحادي عشر في بامير وبداخشان وجنوب جبال الاي أي في تاجيكستان الحالية مع أقليات صغيرة في المدن الكبرى مثل بخاري. و كان الدور على خراسان التي لم تصبح تركية بحتة حتى ذلك العهد إلا أن

الأتراك أصبحوا يشكلون الأكثرية في عهد السلاجقة ثم في عهد المغول والتيموريين وفي مقابل ذلك فقدت بلاد الاوغوز اغلب سكانها إذ هاجر الملايين من الاوغوز إلى الأناضول وأذربيجان وخراسان وإيران والعراق وسوريا وأقاليم أخرى. وكانت العاصمة الأولى للسلاجقة في عهد إمبراطوريتهم نيسابور ثم انتقلت إلى مدينة ري (طهران) بعد فتحها.

الأتراك يفتحون الشرق الأدنى

استولى جاغرى بك بعد عدة اشهر من معركة دانداناكان على مدينة بلخ التي لم يستطيع السلطان مودود الغزنوي إنقاذها وبذلك أصبح نهر هري رود وجبال بابا وهندوكوش حدا فاصلا بين الإمبراطوريتين، وانقطع اتصال الغزنويين بخراسان وتركستان نهائيا. ثم فتح جاغرى بك توهارستان. واباد الأمير ألب ارسلان ابن جاغرى بك في عام 1044 جيشا غزنويا فولاه والده على بلخ وأمره بحماية الولايات الشرقية إزاء الغزنويين.

وقد انضمت خوارزم في عام 1045 إلى الإدارة السلجوقية وعقدت معاهدة تحالف بين السلاجقة والقاراخانيين ضد الغزنويين. إلا أن القاراخانيين هاجموا خراسان في عام 1047 فردهم ألب ارسلان على أعقابهم خاسرين واعترف القاراخانيون بموجب معاهدة الصلح المعقودة اثر هذه الهزيمة بتفوق السلاجقة.

كان ابن جاغرى بك وشقيق ألب ارسلان ، كاورت بك يوالى فتوحاته في كرمان أي الأقسام الجنوبية الشرقية من إيران وتم على يده فتح جميع المقاطعات الممتدة حتى الحدود المتاخمة لبلوشستان (باكستان الغربية حاليا) ووصل الأتراك إلى خليج البصرة والخليج العربي . وإذا ما اعتبر بحر قزوين بحرا داخليا فقد كان هذا الأمر يشكل حادثة هامة تتمثل في وصول الأتراك الاوغوز إلى المياه المكشوفة لأول مرة. ويظهر سير الحوادث أنهم كانوا قد أزمعوا إلى الوصول إلى البحر الأحمر والبحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط كما تم ذلك فعلا فيما بعد.

أما ياقوتي بك الابن الآخر لجارى بك فقد فتح سيستان (المقاطعة الواقعة بين خراسان وكرمان) في عام 1054 وأردفها بعد عام بمقاطعة مكران (المقاطعة الواقعة بين كرمان وبلوشستان).

وفي هذه الفترة ظهر الغزنويون مجددا في المناطق القريبة من البحر والحقوا بالسلاجقة بعض الأضرار إلا أن ألب ارسلان انقض على جيش الغزنويين واسر قادته واثر ذلك عقدت المعاهدة التي اعترف الغزنويون بموجبها بجبال هندوكوش حدودا. ويجدر بالذكر إن نصوص هذه المعاهدة التي كان أمدها خمسين عاما كانت قد كتبت من قبل المؤرخ المعروف أبى الفضل البيهقي.

وقد توفي جاغرى بك في عام 1060 عن سبعين عاما في سراخس ونقل جثمانه إلى مرو حيث دفن فيها. وكان نجله ألب ارسلان عند وفاته واليا عاما عن أبيه على خراسان وكاورت بك على كرمان وياقوتي بك على أذربيجان. وقد تحدثنا فيما سبق عن هؤلاء القادة. أما بنات جاغرى بك فقد كانت إحدى بناته زوجة قوتالمش بك مؤسس فرع سلاجقة الأناضول والثاني (خديجة ارسلان خاتون) زوجة الخليفة القائم والثالثة زوجة سلطان القاراخانيين والرابعة زوجة أحد حكام البويهيين. وقد تزوجت زوجته أم ابنه سليمان بك بطغرل بك وسعت إلى إعلان ابنها سليمان سلطانا بعد وفاة طغرل الذي لم ينجب أبناء وهذا هو السبب الذي حدا بالسلطان ألب ارسلان إلى محاربة أخيه سليمان بعد وفاة والده.

وقد فتح جاغرى بك الذي يعد من اشهر شخصيات التاريخ التركي العسكرية وأحد أبطال العالم المرموقين مع أخيه طغرل بك المرحلة الثانية للتاريخ الإسلامي. وقد عمد السلاجقة الذين حكموا العالم الإسلامي بعد الأمويين والعباسيين إلى إحلال الأتراك محل العرب والفرس في إدارة العالم الإسلامي. ويجمع المؤرخون إن جاغرى بك كان كشقيقه طغرل بك عادلا مستقيما جريئا ورحيما في حياته السياسية ويفيدون بأن هذه الصفات انتقلت إلى ألب ارسلان أيضا من والده. وقد ترسخت فكرة الجهاد لدى الأتراك تحت قيادة السلاجقة الذين اقتنعوا بهذه الفكرة واعتبروها مطابقة لدورهم التاريخي العالمي. وقد ذهب السلاجقة إلى حد اعتبار حكامهم قد بعثوا من قبل ا لتحقيق هذه الأهداف السامية.

السلاجقة يبسطون حمايتهم على الخليفة

بينما كان جاغرى بك يوالي فتوحاته بمساعدة أنجاله كان شقيقه الخاقان الأكبر طغرل بك يواصل بدهائه السياسي تنظيم أمور الدولة. وكان الخليفة العباسي آنذاك ألعوبة بيد القادة البويهيين كما كانت الخلافة ضعيفة تلعب بها الأهواء.

وفي عام 1055 اتخذ السلطان طغرل بك أمر تعمير طريق الحج وإعادة صرح النظام بحجة الدخول إلى العراق برفقة جيوشه الجرارة. فعمد البويهيون إلى محاولة استغلال نفوذ الخليفة القائم الديني للحيلولة دون دخول الأتراك إلا أن الخليفة الذي كان مدركا لحراجة الموقف وعالما باتصال قائدة البساسيرى بالفاطميين في مصر أمر بقراءة الخطبة في بغداد باسم السلطان طغرل وبذلك فقد تنازل الخليفة القائم في 15 كانون الأول 1055 عن سلطته الدنيوية واكتفى بزعامته الروحية واعترف بالوضع الجديد بتلاوة اسم طغرل بك بجانب اسمه في خطبة الجمعة، وبعد عشرة أيام دخل السلطان طغرل إلى بغداد واستقبل بحفاوة بالغة من قبل الشعب. واعتقل ارسلان البساسيرى وتزوج الخليفة بعد أربعة اشهر بابنة جاغرى بك خديجة ارسلان خاتون مصاهرا السلطان.

وبعد خروج طغرل من بغداد فر البساسيري من السجن وجمع أعوانه ثم دخل إلى بغداد معتقدا بحتمية هزيمة السلطان طغرل أمام إبراهيم ينال الملك السلجوقي المتمرد. وأمر البساسيري بتلاوة الخطبة باسم الخليفة الفاطمي واعتقل الخليفة القائم الذي حاول مقاومة العصيان مع نفر من أتباعه وسيق إلى خارج بغداد حيث سجن. وأجبر البسا سيري الخليفة على توقيع وثيقة التنازل عن الخلافة لصالح الخليفة الفاطمي فأرسل الوثيقة مع ما اغتصبه من كنوز القصر إلى القاهرة.

وفي هذه الأثناء كان السلطان طغرل قد قمع تمرد إبراهيم ينال وذلك في 14 كانون الأول 1059 ورجع إلى بغداد وعندما علم البساسيري بعودته أسرع الى ترك العاصمة. إلا انه اعتقل من قبل السلاجقة وقتل ودخل السلطان إلى بغداد في غمرة فرحة الشعب للمرة الثانية. وعندما اظهر السلطان رغبته في الزواج من ابنة الخليفة ارتعب الخليفة من ذلك ظنا منه إن السلاجقة سينصبون من الأمير الذي ينجب نتيجة لهذا الزواج خليفة للمسلمين. إلا أن السلطان طغرل لم يكن يفكر بهذا الأمر وكان يضمر نيات حسنة تجاه الخلافة العباسية بالإضافة إلى انه كان محروما من إنجاب الأطفال. وقد توجس الخليفة من أمر تحقق بعد 456 عاما عندما انتقلت الخلافة إلى السلطان ياوز سليم العثماني بعد أربعة قرون ونصف قرن من بقاء العرب تحت الحكم التركي.

تزوج السلطان طغرل بك بابنة الخليفة قبل وفاته بمدة قصيرة وعمر حاضرة بغداد ثم غادرها إلى طهران بعد أن عين الموظفين المعنيين بإشاعة الأمن والاستقرار.

إبراهيم ينال يتمرد ضد طغرل بك

دخلت أذربيجان بأكبر مدنها مثل تبريز وغنجه تحت الحكم السلجوقي في عام 1054 وامتدت حدود الدولة إلى جبال القفقاس وشرق الأناضول. وكان من أهم الأحداث الداخلية التي واجهها السلطان طغرل بعد ذلك تمرد ابن عمه وأخيه غير الشقيق إبراهيم ينال . كان إبراهيم ينال على راس جيش تركي كبير عندما دخل همدان في 17 تشرين الثاني 1058 وكان برفقته ابنا أخيه ارتاش بك، احمد، ومحمد.

وقد فكر السلطان طغرل بحنكته السياسية إلى أن أي تفوق يظهره ينال سيكون له الأثر في نشوب حرب أهلية كاسحة ولذلك لم يكتف بالوحدات الموجودة لديه فأمر أبناء أخيه ألب ارسلان في خرا سان، وكاورت بك في كرمان، وياقوتي بك في شرق الأناضول للانضمام إليه بقواتهم وبذلك فقد انزل بالجيش المتمرد ضربة قاسية كان من نتيجتها إن اسر ينال واحمد ومحمد، ونظرا للتقاليد التركية القديمة التي تقضي بتقديس أمراء السلالة الحاكمة وعدم جواز إراقة دمائهم فقد خنقوا بأقواس سهامهم.

لم يكن الغزنويون والقاراخانيون يعترفون بالسيادة السلجوقية إلا في المعاهدات التي كانت تبقي حبرا على ورق في هذه الفترة نظرا لعدم وصول الإمبراطورية إلى أوجها كما بلغته في عهد ألب ارسلان وابنه ملكشاه. وبالرغم من ذلك فقد كانت دولة طغرل أقوى دول العالم وأكبرها دون نقاش إذ كانت تضم إيران، والعراق، وأذربيجان، وأرمينيا، أفغانستان، الواقعة شمال جبال بابا وهندوكوش، وتركمنستان وقارا قالباقستان واوست يورد وصحراء قزل قوم بحيث كانت مساحتها تبلغ حوالي 3.600.000 كم مربع. وكانت هذه البلاد تضم اكبر وأغنى مدن العالم آنذاك كما كانت أهميتها الاستراتيجية فائقة تسيطر على الشرق الأوسط وتركستان والهند من الشرق وبلدان البحر المتوسط من الغرب.

نورد فيما يلي مقطعا من رسالة كتبها الأديب العربي ابن حسول المتوفى عام 1058 بشان الأتراك نظرا لأهميتها المتمثلة في الإشارة إلى الشعور السائد تجاه الأتراك في عهد السلطان طغرل بك:

" اذكر جانبا من صفات الأتراك كما هم دون تعصب أو تحيز، دون إضافة أو نقص. وغرضي من ذلك الحقيقة وحدها إذ لست طامعا في شئ ولا محاولا للحصول على شئ. ليست هناك أمة بين الأمم توازي الأتراك في شجاعتهم وباسهم واندفاعهم لتحقيق أهدافهم الكبرى فقد خلقهم ا اسودا كاسرة. والتركي إذا اسر فلا يرضى إلا أن يوازي من أسره ويماثله في المأكل والمشرب والملبس وفي استعمال الخيل. فالتركي لا يستخدم شأن الهنود أو الروم أو الأرمن أو غيرهم في كنس الأرض والعناية بالخيل وغيرها من الأعمال العادية. ويتميز الأتراك بأنهم خلقوا لقيادة المجتمعات. فقد خلقوا بالفطرة للقيادة والأمر وإدارة الأقوام. ولنضرب على ذلك مثلا العراق أو مصر وهي ابعد البلدان عن الوطن الأم للأتراك وتجهل التركية تماما ولنمعن النظر في كيفية سيطرة حفنة من الأتراك الذين دخلوا هذه البلدان على الحكم فيها.

واليوم فان سلطان الدنيا وقائد الدين الإسلامي هو السلطان الأعظم طغرل بك. فليساعده الرب ويؤيده بنصر من عنده ويخذل أعداءه. فقد وجد الأتراك في طغرل بك حاكما نشر العدل في مشرق الأرض ومغربها. لقد

وهبه ا دولة لم يهبها لغيره من السلاطين، فإطاعة الخاقان التركي اليوم فرض على كل مسلم فلندعو له بالخير ليل نهار لينصر ا به ديننا الحنيف."

5- السلطان ألب ارسلان (1063- 1072)

السلطان ألب ارسلان الخاقان الأكبر الثاني للسلاجقة

كان ألب ارسلان قائدا مشهورا امتاز بتفوقه في المعارك الحربية وكان يبلغ الرابعة والثلاثين من العمر عند وفاة عمه طغرل وكان حاكما لهم مقاطعات الإمبراطورية وهي خراسان التي تبلغ مساحتها 500.000 كم مربع ويسكنها سكان من الكثافة بمكان. كان ألب ارسلان في الأعوام الأخيرة من حياة والده الحاكم الحقيقي للمقاطعات الشرقية وقد أبقاه عمه في منصبه بعد وفاة والده.

تمت مراسيم اعتلاء السلطان ألب ارسلان على العرش في 27 نيسان 1064 أي بعد وفاة عمه بسبعة اشهر وعشرين يوما فقد قمع تمرد أخيه الأمير سليمان ثم سار على ابن عم أبيه ملك قوتا لمش الذي كان يطالب بالعرش وكان هذا ابن ارسلان يابكو، يابكو السلاجقة الأول والذي اعتقل من قبل السلطان محمود الغزنوي ونفي إلى كالينجار في الهند حيث توفي. وقد اشتهر قوتالمش بغزواته في شرق الأناضول وادعى بأحقيته في العرش وكانت قوات إبراهيم ينال الذي تمرد على طغرل في عام 1059 وقتل قد التحقت بقوات قوتالمش، وبذلك فقد بلغ عدد فرسان قوتالمش سبعين ألفا.

وكان لقوتالمش مؤيدون في أذربيجان واران وأرمينيا وبلاد الفرس وعندما سار هذا بقواته على طهران، عاصمة الإمبراطورية أمر السلطان ألب ارسلان قواته بالسير الإجباري من نيسابور مركز خراسان فوصل إلى طهران فأرسل الرسل إلى عمه داعيا إياه إلى السلم ومحاربة الأعداء، إلا إن قوتا لمش لم يعره أذنا صاغية. وإزاء ذلك هجم السلطان ألب ارسلان بقواته والحق بالقوات المتمردة خسائر فادحة وقتل قوتالمش أثناء فراره. وقد أعلن السلطان العفو عن الجيش المتمرد وأمر بنقل رفاة قوتا لمش إلى طهران حيث دفن إلى جانب طغرل بك. وأطلق السلطان سراح ملك رسول تيكين شقيق قوتالمش.

لم يكن قوتالمش رجل حرب فحسب بل كان عالما أريبا وقد انشأ أنجاله الخمسة على تربية عسكرية فذة فكان يصطحبهم إلى الحروب بحيث شبوا محاربين شجعانا. وبعد هذه الحادثة طلب السلطان ألب ارسلان من عم والده والابن الوحيد لسلجوق بك الباقي على قيد الحياة وهو موسى يابكو أن لا يستعمل لقب يابكو وذلك للتخلص من هذه الصفة نهائيا.

السلطان ألب ارسلان يفتح كرجستان(جورجيا) في 1064

دخل السلطان في 1064 إلى كرجستان، المملكة المسيحية فألحقها بالإمبراطورية التركية وبذلك أصبحت قفقاسيا الجنوبية برمتها داخلة ضمن الإمبراطورية التركية الكبرى وانقطعت علاقة البيزنطيين بشرق البحر الأسود. وفي نفس الفترة فتح السلطان مدينة قارس.

ولم يعتبر قاره ارسلان كاورت بحادثتي سليمان وقوتا لمش نعمل على انتزاع العرش إلا انه فوجئ بقدوم ألب ارسلان إلى كرمان فطلب الصفح ولم يرفض السلطان طلبه فصفح عنه وأبقاه في ولاية كرمان.

السلطان ألب ارسلان يدخل إلى آسيا الوسطى

قدم السلطان ألب ارسلان إلى مرو في عام 1065 وزوج ابنيه ملك شاه وارسلان شاه بأميرتين من الغزنويين والقاراخانيين وفي عام 1067 دخل السلطان إلى خزرم وتجول في شمال وشرق بحيرة ارال فأتم ضم جميع مقاطعات الاوغوز إلى الدولة التركية الكبرى. ثم فأرسل قوات احتياطية كبيرة إلى جيشه الغربي مبلغا إياه بقرب قدومه إلى بيزنطيا.

السلطان ألب ارسلان يصل إلى حدود البيزنطيين في 1068

عبر السلطان نهر اراس إلى الشمال فدخل كرجستان وبدأ بحركاته التي كانت مقدمة لفتح الأناضول فحقق نصر مالازكيرت وأمر سليمان شاه ابن قوتالمش بفتح الأناضول، وسنأتي على تفاصيل هذا الموضوع في الفصول القادمة.

رجع السلطان في عام 1072 إلى ما وراء النهر وقتل من قبل أحد قادة قلاع القاراخانيين الذي تسلل إلى مضجعه نتيجة لدسيسة محكمة. وكان عمره يبلغ حين وفاته ثلاثة وأربعين عاما وتسعة اشهر وستة أيام. وقد دام حكمه تسعة أعوام وشهرا واحدا وثمانية عشر يوما.

وقد توج نصر ملازكرت جميع أعماله فأتم بهذا النصر نصر أبيه وعمه في دانداناكان. وكان رجل دولة وحرب نشأ منذ نعومة أظفاره بتربية عسكرية وسجايا قويمة. وقد ورث صفات أبيه وعمه الخيرة فكان يصفح عن الأسرى والمتمردين ويعاملهم معاملة حسنة ويبتعد عن إراقة الدماء خارج الحرب، وقد أحبه رعاياه. وكان وزيره الوحيد نظام الملك الذي أصبح فيما بعد وزيرا لابنه ملك شاه. ونظام الملك من اشهر وزراء التاريخ الإسلامي.

كانت العاصمة الأولى للإمبراطورية في عهد السلاجقة مدينة نيسابور ثم انتقلت إلى ري. ثم نقلها ملك شاه إلى أصفهان ونقلها السلطان سنجر ابن ملك شاه إلى مرو في الشمال الشرقي مرة أخرى.

الجدول 17: السلاجقة:-

1- السلاجقة الكبار 1040- 1157 = 116 عاما واحد عشر شهرا وسبعة أيام

1- السلطان محمد طغرل	1063/09/04 – 1040/05/23
2- السلطان محمد ألب ارسلان	1072/10/25 – 1063/09/04

3- السلطان جلال الدولة ملك شاه 1092 – 1072

4- السلطان محمود 1093 – 1092

5- السلطان ركن الدين بركياروق 1104 – 1093

6- السلطان ملك شاه الثاني 1105 – 1104

7- السلطان محمد طابار 1118 – 1105

8- السلطان معز الدين سنجر 1157 -1118

2- سلاجقة العراق 1118/04/05 - 1194/03/25 = 75 عام ، 11 شهر ، 20 يوم

1- السلطان محمود 1131 – 1118

2- السلطان داوود 1132 – 1131

3- السلطان طغرل الأول 1134 – 1132

4- السلطان مسعود 1151 – 1134

5- السلطان ملك شاه 1153 – 1151

6- السلطان محمد 1159 – 1153

7- السلطان سليمان شاه 1161 – 1159

8- السلطان ارسلان شاه 1177 – 1161

9- السلطان طغرل الثاني 1194 – 1177

3- سلاجقة كرمان 1041 - 1187 = 144

1ملك قارة ارسلان كاورت 1073 – 1041

2- كرمان شاه 1074 – 1073

3- سلطان شاه 1085 – 1074

4- توران شاه الأول 1097 – 1085

5- إيران شاه 1101 – 1097

6- ارسلان شاه الأول 1142 – 1101

7- ملك شاه 1156 – 1142

8- طغرل شاه 1169 – 1156

9- بهرام شاه 1187 – 1169

10- ارسلان شاه الثاني 1187 – 1169

11- توران شاه الثاني 1182 – 1169

12- محمد شاه 1187 – 1183

4- سلاجقة سوريا 1078 - 1114 = 36

1- السلطان طوتوش 1095 – 1078

2- السلطان رضوان 1098 – 1095

3- السلطان دوقاق 1113 – 1098

4- السلطان ألب ارسلان 1114 – 1113

5- سلاجقة الأناضول 1077 - 1308 = 231 سيأتي ذكرهم في الفصول القادمة

6- قادة الاوغوز - 990 ؟

1- كراكوجي خوجا بك أواخر القرن الثامن

2- طوقسورمش ايلجي بك

ارطغرل (ارتك) بك

4- دوقاق

3- لقمان بك 5- سلجوق بك 910 – 990 = 80

7- يابكو الاوغوز (الملوك) 990 ؟- 1040 = 50 ؟

1- أمير إسرائيل ارسلان يابكو 990 – 1025 = 35 3- فخر الملك موسى يابكو 1028 – 1032 = 4

2- يوسف اينانج يابكو 1025 – 1028 = 3 4- أمير فخر الملك أرتاش يابكو 1032 – 1040 = 8

القســـــم الثاني

الانـاضـــــول وتركيـــــا

المبحث الأول

أسس دولة تركيا 1067- 1157

1- الموقع الجغرافي و الطبيعي لتركيا

تقع تركيا وامتدادها تراقيا في منطقة المناخ المعتدل الواقعة في نصف الكرة الأرضية الشمالي. وكانت الأناضول والتى كانت تسمى في العصور القديمة بآسيا الصغرى واناتوليا بمعناها الضيق تقع بين جبال طوروس ونهر الفرات. أما بمعناها الواسع فتمتد بين بحيرتي وان واورميه. وتحد شبه جزيرة الأناضول البحر من الشمال والجنوب والغرب. أما جزيرة قبرص وجزر آسيا (رودوس، صاقز، ميديللي.... الخ) فهي امتداد طبيعي للأناضول وكذلك تراقيا في الشمال الغربي بعد عبور البسفور والبحر الداخلي والمضائق.
وتشبه الأناضول وتراقيا بهذا التحديد شكل مستطيل. إذ تقع اينجه بورون الواقعة بالقرب من سينوب في الشمال في خط مواز لخط 42 درجة بينما تقع هاتاى في الجنوب موازية لخط 36 درجة وتفصل بينهما ست درجات. أما المسافة الغربية- الشرقية فتقع تقريبا على 26- 45 درجة وبذلك تكون الأناضول – تراقيا تقطع 19 درجة في استقامة الغرب- الشرق. وعرض هذه البقاع 1600 كم وطولها 650 كم.

جبال تركيا

تركيا منطقة جبلية. وسلاسل جبالها توازي البحر الأسود في الشمال والبحر الأبيض المتوسط في الجنوب أما في الوسط فيقع سهل الأناضول وطبيعة الأناضول الغربية وتراقيا سهليه منبسطة نسبيا.
وتشكل جبال طوروس الموازية للبحر الأبيض المتوسط في الجنوب امتدادا طبيعيا لجبال إيران إلى الغرب. وتقع بين بحيرة بي شهر غربا وبحيرة وان شرقا. وتنقسم جبال طوروس إلى ثلاثة أقسام وهي طوروس الغربية وطوروس الوسطى وطوروس الشرقية أو الجنوبية الغربية. وطوروس الغربية متعرجة تبدأ من بحيرة بي شهر وتمتد حتى طاش ألي وارتفاعها إلى الجنوب الغربي من بي شهر يبلغ 2980 مترا. أما طوروس الوسطى التي تبدأ من طاش ألي فتمتد على شكل أربع سلاسل نحو الشمال الشرقي ويقع فيها الممر الضيق المعروف كولك الذي يربط الأناضول الوسطى وجوقور اوا. وترتفع إلى الشمال من هذا الممر في جبال مددسز إلى حد 3585 مترا. أما طوروس الشرقية فتبدأ بجبال امانوس الواقعة شرق خليج الاسكندرونه وتمتد حتى بحيرة وان حيث تتصل بجبال حقاري. وارتفاعها على مقربة من هذه الجبال يتراوح بين 3000- 3500 مترا.
أما الجبال الموازية للبحر الأسود من الغرب إلى الشرق فتبدأ بجبال بولو وتستمر بجبال اسفنديار (كوره)، جانيك، كيراسون، كوموشخانه وريزه. وترتفع في جبال قاجقار في أقصى الشرق إلى 3937 مترا في حين يبلغ ارتفاع قمة فرجنيك في جبال طاطوس 3711 مترا. ويقع ممر زيغانة الشهير بين جبال زيغانة وطرابزون. وتقع إلى شرقها جبال جاقركول والتي يبلغ ارتفاعها 3063 مترا والى الغرب جبال كيره سون حيث يبلغ ارتفاع قممها 3200 مترا. وتفقد الجبال ارتفاعها بالتقدم نحو الغرب. حيث تنخفض إلى ارتفاع 2530 مترا في جبال ايلغاز و 2015 مترا في جبال ايشيق و 2378 مترا في جبال آلا داغ.
تقع جبال الأناضول وسهل الأناضول الشرقي بين جبال البحر الأسود الشرقية وجبال طوروس الشرقية. وتقع هنا قمم يبلغ ارتفاعها 3000 مترا، إذ يبلغ ارتفاع جبال كشيش في شرق ارزنجان 3537 مترا وجبال الا داغ

في شمال شرق بحيرة وان 3519 مترا وجبال تندورك 3542 مترا وجبال كوجك اغرى 3925 مترا وجبال بيوك اغرى 5165 مترا وهي أعلى جبال تركيا. ويذكر أن أعلى جبل في أوربا هو جبل مونت بلانك ويبلغ ارتفاعه 4810 مترا أي أن جبال بيوك اغرى هي أعلى منها بمقدار 355 مترا. أما جبال سبحان في شمال بحيرة وان فيبلغ ارتفاعها 4434 مترا. وجبال اسبريز في الجنوب الشرقي للبحيرة 3537 مترا وجبال منكنه 3550 مترا. وتقع إلى أقصى الجنوب جبال جيلو والتي يبلغ ارتفاعها 4168 مترا في قمة رشكو والى شمالها الشرقي جبال مور والتي يبلغ ارتفاعها 3810 مترا.

أما ارتفاع جبال ارجياس الواقعة جنوب مدينة قيصري في الأناضول الوسطى فيبلغ 3916 مترا. وارتفاع جبال اولوداغ في جنوب مدينة بورصه في الشمال الغربي يبلغ 2543 مترا. وهناك جبال يتراوح ارتفاعها في حدود الألف والألفي مترا في الأناضول الغربية مثل جبال اكري كوز بين مدينتي باليكسير وكوتاهيه (2181 م) وجبال اق داغ إلى جنوبها الغربي (2089 م) والى جنوبها جبال شيخانه (2121 م) والى جنوبها الشرقي جبال مراد (2312 م) وجبال ايدن إلى الشمال من مدينة ايدن والى الشمال منها جبال بوزداغ الموازية لها (2157 م) وجبال قازداغي إلى الجنوب من شبه جزيرة جناق قلعة (1767 م).

أما في تراقيا فيبلغ ارتفاع جبال استرانجه الموازية للبحر الأسود (1031 مترا في قمة ماهية) وليست هناك قمم أخرى تتجاوز الألف متر غير ما ذكر.

الأنهـــــــــــار

يعتبر نهر قزل ايرماق الذي يصب شمالا في البحر الأسود من أطول أنهر تركيا إذ يبلغ طوله 1151 كيلو مترا ويقسم الأناضول إلى قسمين. ينبع هذا النهر من جبال قزل داغ في شرق الأناضول ويصب في البحر عند خليج بافرا، ومن أهم فروعه نهر دليجه.

أما نهر يشيل ايرماق فيقع إلى الشرق من قزل ايرماق (416 كم) وينبع من جبال كوسه ويصب في البحر الأسود في سهل جارشمبه. وينبع فرع كلكيت من جبال كوموشخانه ويمتد نحو الشرق.

أما في الشرق فينبع نهر جوروخ (368 كم) من جبال مسجد ، ويصب في البحر الأسود في جنوب باطوم. ويقع قسم ضئيل منه خارج حدود تركيا في جورجيا. أما أهم نهر في منطقة البحر الأسود الغربية فهو نهر سقارية (790 كم).

وينبع من المناطق المجاورة لجبال اميرداغ ويصب في البحر في سهل ادابازارى. ومن أهم فروعه بورصوق. كما يقع نهرا فيليوس وبارتن الصغيرين في المنطقة المحصورة بين سقارية وقزل ايرماق. ومن الأنهر التي تصب في البحر الأبيض نهر سيحان (516 كم) وجيحان (474 كم) ويرويان منطقة جوقور اوا (السهل المنخفض) وينبع سيحان من جبال تاختالى ومن فروعه كوك صو في الشرق وينيجه في الغرب وجاقيت في الجنوب. وينبع جيحان من شرق منابع سيحان ويصب في خليج الاسكندرونة.

أما فرع كوك صو والذي يصب في البحر الأبيض في سهل طاش ألي فيعتبر من أهم الأنهر التي تصب في البحر بعد نهري سيحان وجيحان. والى جانب هذه توجد أنهر صغيرة موازية لبعضها وتصب في البحر الأبيض فأهمها كوبرى واق صو وقوجا ودالامان.

واهم نهر يصب في بحر ايجة هو نهر مندرس الكبير (496 كم) وينبع من الجبال الواقعة بين بحيرتي بوردور واكريدير ويلتقي في الشمال بفرع باناز. ويجرى إلى الشمال من هذا النهر نهر آخر مواز له وهو

مندرس الصغير ويصب في خليج قوش اداسى. أما نهر كديز الواقع إلى الشمال منه فيصب في خليج ازمير والى شماله بنهر باقير الذي يصب في خليج جاندارلي.

أما أهم الأنهر التي تصب في بحر مرمره فهي نهرا قوجا باش وكوننِ ويصبان في خليج اردك ونهر صوصورلو. ويلتقي النهر الأخير من الشرق بفرع نيلوفر ومن الجنوب بفرع سيماو. ولنهر قوجا جاى الذي يصب في بحيرة مانياس ونهر كيرماستي الذي يصب في بحيرة آبوليونت وفرع آترانوس أهمية محلية.

ويصب نهر مريج (490 كم) في خليج انز ببحر ايجه ويفصل بين تراقيا الشرقية وتراقيا الغربية التابعة لليونان مشكلا خط الحدود بين تركيا واليونان ويصب فيه من الشرق فرع اركنه الذي يقسم تراقيا الشرقية إلى نصفين. كما يصب فيه من الجنوب فرعا جورلو وهايرابولو ومن الشمال بابا اسكي واينه جه. ويتفرع من مريج في ادرنه فرعا تونجا واردا. ويدخل تونجا من الشمال إلى الأراضي البلغارية أما آردا فيدخل إلى تراقيا الشرقية ثم إلى اليونان فبلغاريا.

أما أهم الأنهر في الجنوب الشرقي وشرق الأناضول فهي انهر الفرات ودجلة والعاصي. ويجري قسم ضئيل منها في الأراضي التركية. ونهر العاصي (380 كم) ينبع في سوريا ويصب في البحر الأبيض في هاتاي. وينبع نهر دجلة (1900 كم) من الأراضي المتاخمة لبحيرة الخزر ثم يدخل الأراضي العراقية ويصب فيه فروع عديدة في الأراضي التركية وهي ابتداء من الشمال والغرب ونحو الشرق انبار، باتمان، غارزان، بوتان، قزل صو والخابور. ويجري قسم من الفرع الأخير في العراق. أما الفرات الذي يبلغ طوله (2800 كم) فينبع من جبال جوروخ وقارغابازارى في شمال شرق الأناضول ويطلق عليه قاراصو ويتفرع منه طوز صويى (النهر المالح) نحو الشرق كما يتفرع منه جالتو صو باسم الفرات الغربي نحو الغرب. أما نهر مراد صو فيصب فيه من الشمال ونحو الشرق مونزور (وبري صو النابع منه)، كوزل. ومن الجنوب بانشان وقاراصو. ومنبع مراد صو هو جبال الاداغ القريبة من أذربيجان في الأناضول الشرقية. أما نهر الفرات الذي يستمر في انحداره نحو الجنوب فيصب فيه من الشرق توخما صو وكاخته وكوك صو ونيزيب.

وينبع نهر الزاب في الجنوب الشرقي للأناضول من جبال منكنه ويدخل الأراضي العراقية حيث يلتقي بنهر دجله أما أهم أنهر شرق الأناضول والتي تصب في بحيرة وان الكبرى فهي نهر خوشاب والى شماله نهر مارميت (قاره صو).

واهم نهر في الشمال الشرقي من الأناضول هو نهر اراس وطوله 920 كم ويصب في بحر الخزر. واراس مع فرعه الكبير اربا جاي ويشكل خط الحدود بين تركيا وأرمينيا. ويعتبر زنغيمار جاي الذي يصب في بحيرة باليق في الجنوب فرعا من فروع الاراس. وينبع نهر اراس من جبال بنكول ويصب فيه في الشمال نهر قارص . أما فرع كورا والذي يطلق عليه اسم قورو جاى فيدخل إلى الأناضول من أراضي جورجيا.

البحيـــــــــــــــــــرات

تعد بحيرة وان الواقعة في شرق الأناضول من اكبر بحيرات تركيا (3764 كم مربع)، وهي على ارتفاع 1720 مترا عن سطح البحر ومحاطة بجبال وعرة. وتقع إلى الشرق منها بحيرة أرجك (100 كم مربع) والتي ترتفع عن سطح البحر بمقدار 1890 مترا. كما تقع بحيرة جالدير بالقرب من قارص في أقصى

الشمال الشرقي (120 كم مربع) وهي على ارتفاع 1959 مترا عن سطح البحر. وتلي هذه في الأهمية بحيرة الخزر في جنوب شرق خاربوط (70 كم مربع) وهي على ارتفاع 1135 مترا عن سطح البحر.
أما في الأناضول الوسطى فتقع بحيرة طوز (الملح) والتي تعتبر الثانية بين بحيرات تركيا من حيث السعة (1620 كم مربع) وهي على ارتفاع 899 مترا عن سطح البحر. وتقع إلى جنوبها الغربي حوض البحيرات والتي تجتمع فيها بحيرات عديدة مثل بك شهر (651 كم مربع) واكريدير (517 كم مربع). كما تقع إلى جنوب غرب الأخيرة بوردور (176 كم مربع) وبحيرة اجى كول (157 كم مربع) والى شمال هذه بحيرة اق شهر (105 كم مربع) وابر (104 كم مربع) والى جنوب شرق بحيرة اق شهر تقع بحيرة جاوشجى أو ايلغين (51 كم مربع) كما تقع بحيرة سوغلا إلى جنوب شرق بحيرة بك شهر وسعتها 125 كم مربع. وتقع بحيرة كستل 42 كم مربع إلى شمال جبال بك وبحيرة سوكوت 43 كم مربع في جنوبها الغربي.
أما حوض البحيرات الثالث في تركيا فيقع في منطقة مرمره الجنوبية. واكبر بحيرة منها هي بحيرة ازنيق (308 كم مربع) وهي على ارتفاع 80 مترا عن سطح البحر. ويليها بحيرة مانياس (178 كم مربع) في جنوب خليج باندرمه وهي على ارتفاع 20 مترا فقط عن سطح البحر. وتقع إلى الشرق منها بحيرة ابوليونت (اولوباد) (156 كم مربع) على ارتفاع 10 مترا عن سطح البحر. أما في أقصى الشرق فتقع بحيرة صابانجة 42 كم مربع كامتداد لخليج ازميت. وهناك بحيرة ترقوس في شمال شرق تراقيا وليست على أهمية بالغة.
أما البحيرات المنفردة فأهمها بحيرة اميك (100 كم مربع) في سهل (امانوسلر) في جنوب شرق المدينة المسماة بنفس الاسم والواقعة شمال نهر العاصي في هاتاى. وهي على ارتفاع 140 مترا عن سطح البحر. وهناك بحيرة مرمرة (44 كم مربع) في شمال نهر كديز في الأناضول الغربية وبحيرة كويجكز (52 كم مربع) في جنوب شرق مغله في أقصى جنوب غرب الأناضول.

المنـــــــــــــــــــــــــاخ

يتحكم في الأناضول مناخ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ومناخ السهول. وتقع الأناضول الجنوبية والغربية وسواحل ايجه ومرمره ضمن مناخ منطقة البحر الأبيض. وينقسم هذا المناخ إلى ثلاثة أنواع نوع الأناضول الجنوبي وايجه ومرمرة. أما في شمال غرب تراقيا فيبدأ المناخ بالتحول إلى المناخ البري. أما في شمال الأناضول فيظهر مناخ البحر الأسود جليا. ويظهر اثر المناخ البري في أواسط الأناضول وشرقها وهو على أربعة أقسام: الأناضول الوسطى والشرقية والجنوب الشرقي والوسط الغربي.
ومعدل سقوط الأمطار في الأناضول بصورة عامة يبلغ مترا واحدا. ويرتفع هذا المعدل إلى أكثر من مترين في شمال شرق البحر الأسود وسواحل البحر الأبيض. ويبدأ بالتناقص مع التوغل إلى وسط الأناضول فينخفض إلى 30 سنتيمترا بالقرب من بحيرة الملح ويستمر بالانخفاض في الأقسام الوسطى والجنوبية من جنوب شرق الأناضول وشرق بحيرة وان. ويبدأ بالارتفاع والتقدم إلى الشمال الغربي من تراقيا ومعدل سقوط الأمطار في تراقيا بصورة عامة هو 75 سم. وتكثر الأمطار الربيعية في أواسط الأناضول في حين تكثر أمطار الخريف في منطقة البحر الأسود. أما في أقصى الشمال الشرقي فتكثر الأمطار الصيفية.

وابرد شهر في السنة في الأناضول بصورة عامة هو كانون الثاني (يناير) وأكثر الأشهر حرارة هو شهر تموز (يوليو) فتنخفض درجة الحرارة إلى 43 تحت الصفر في قاره كوسه في شهر كانون الثاني وهي حالة استثنائية فان اقل درجات الحرارة هي 15 تحت الصفر بصورة عامة. كما يصادف أن تسجل درجات الحرارة 10 درجة مئوية في سواحل البحر الأبيض في الجنوب. ويندر أن تنخفض درجة الحرارة عن 5 درجة مئوية في سواحل البحر الأسود وسواحل ايجه ومرمره. إلا أن درجات الحرارة تنخفض إلى 20 درجة تحت الصفر في بعض السنوات في منطقة تراقيا. أما معدل درجة الحرارة في وسط الأناضول بصورة عامة في شهر كانون الثاني فهو الصفر.
أما درجات الحرارة العظمى في شهر تموز (يوليو) فترتفع إلى 30 درجة مئوية في المناطق المحصورة بين نهري دجلة والفرات ويندر أن تتجاوز هذا الحد. أما معدل درجات الحرارة العظمى في منطقتي البحر الأبيض وايجه في نفس الشهر فيتراوح بين 25- 30 درجة مئوية. وقد ترتفع إلى أكثر من 30 درجة أحيانا. وتسجل قمم الجبال ومناطق البحيرات 10 درجة مئوية في أواسط شهر تموز وهي أحوال نادرة.

طبيعة التربة والنبات

يظهر للعيان التطور الراجع إلى مختلف الأزمنة الجيولوجية في الأناضول. ومثال ذلك النمو الراجع إلى العصور الأولى (بالوزويك) وتطور الزمن الرابع (ديلويوم) في تراقيا. كما نصادف الصخور البركانية مثل الجرانيت في معظم مناطق الأناضول.
وقد انتشرت الغابات في الأناضول بشكل مطرد منذ أقدم العصور ويظهر هذا الانتشار بشكل أوسع في سائر بقاع العالم وتنحصر الغابات اليوم في مناطق محددة وأشدها كثافة هي مناطق سواحل البحر الأسود وسفوح جبال طوروس. أما أواسط الأناضول فهي مناطق السهول الطبيعية. وتكثر نباتات منطقة البحر الأبيض في سواحل البحر الأبيض المتوسط وايجه ومرمره مثل الحمضيات والزيتون. أما قمم الجبال فتمتاز بنباتات الألب.

المزايا الاقتصادية الطبيعية للأناضول

تعتبر الأناضول من المناطق التي تسهل فيها الزراعة وتربية الحيوان لكثرة المراعي وقد كانت موطنا لتربية الحيوان على مر العصور. كما تعتبر التربة مناسبة لمختلف أنواع الزراعة وخاصة الحنطة والشعير. وقد أنتجت أواسط الأناضول مقادير هائلة من الحبوب عندما كانت تروى بصورة منتظمة، وقد جهزت الأناضول الشرق بمختلف المواد منذ آلاف السنين.
وهذه المنطقة غنية بالمعادن الموجودة في باطن الأرض فقد استخرجت أنواع المعادن فيها كما استعمل الحديد لأول مرة في تاريخ العالم في الأناضول من قبل الحيثيين الذين أحدثوا انقلابا في فن الحرب باكتشاف هذه المادة.

الأهمية السياسية لجغرافية الأناضول

لم تفقد الأناضول أهميتها الجغرافية طوال عصور التاريخ. فقد تأسست الحضارات الأولى في الأناضول والعراق ومصر. والأناضول وتراقيا بموقعها الجغرافي الممتاز في زاوية البحار يوحيان بأهمية بارزة وهذا الموقع جعل من الأناضول مهد الحضارات الأولى. فالأناضول- تراقيا ممر بين البحر الأبيض والبحر الأسود وبين الشرق والبلقان وبين آسيا وأوربا. وتزداد الأهمية بالتقدم نحو منطقة مرمرة فالمضائق كانت تشكل النقطة الرئيسية التي تحاول الدول الرامية إلى السيطرة على العالم، أن تسيطر عليها. ولا تماثل أية مدينة أخرى في العالم مدينة أستانبول في موقعها في المضيق بين آسيا وأوربا. وقد قال عنها نابليون بأنها المدينة التي تصلح لان تكون عاصمة إمبراطورية العالم .

كما ليس هناك مضيق على وجه البسيطة مثل البسفور فهو على صغره ذو أهمية بالغة. وشبه جزيرتي قوجا إلى وجتالجه إضافة الى شبه جزيرتي جناق قلعه وغليبولي هي نقطة تلاقي قارتي آسيا وأوربا. وتتحكم امروز وبوزجا ادا وليمني في مدخل مضيق جناق قلعه وبذلك فيظهر البسفور على شكل بحر داخلي. وقد عمل الأباطرة الذين حكموا أستانبول والمضائق على جعل البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط بحرين داخليين فليس من الممكن السيطرة على بقاع أوربا واسيا بالدرجة التي تتم بها من استانبول.

واهم مراكز السكن في الأناضول على مر العصور هي مناطق البسفور وايجه بالدرجة الأولى ، وفيها المراكز التاريخية المهمة مثل أستانبول وازنيق وازمير وبورصه وأفس وبرغامه وقوجا وادرنه.

وقد كانت مراكز تجمع السكان في الأناضول على سواحل الأنهر والهضاب العالية. وأكثر مناطق الأناضول تعلو سطح البحر. فمثلا مدينة انقره تعلو سطح البحر بمقدار 851 مترا وارضروم 1950 مترا وسيواس 1275 مترا وقيصري 1048 مترا وملاطية 915 مترا ودياربكر 650 مترا وغازي عنتاب 800 متر وقونيه 1027 مترا واسكي شهر 792 مترا. أما المدن المتاخمة للسواحل فهي اقل ارتفاعا عن سطح البحر(ادنه 20 مترا، بورصه 150 مترا، مغنيسا 50 مترا، ادرنه 41 مترا).

2- الأتراك والأناضول قبل ملازكيرت

الأتراك المسلمون في خدمة الخلافة الإسلامية العباسية

قدم الأتراك من السقا والهون إلى الأناضول قبل ظهور الإسلام في فترات متفاوتة وبشكل متقطع. كما عمل الأتراك مع العرب بعد ظهور الإسلام وتأسيس الخلافة على فتح البلاد الواقعة بين شرق الفرات وجبال طوروس.

تأسست في عهد الأمويين في الأناضول الشمالي الشرقي عدا سواحل البحر الأسود وقفقاسيا الجنوبية مقاطعة أرمنية. وأسست ولايتان في العهد العباسي في طرسوس ومالاطية كانتا تسميان بولايات الثغور لوقوعها على الحدود. وقد عمل الأمويون والعباسيون على الاستيلاء على بعض مناطق الأناضول حتى البسفور وايجه والبحر الأسود، إلا أن هذه المحاولات لم تتعد أكثر من صفة الغزو كما لم تأت محاصرة الآستانة بأية نتيجة.

وقد جاب العباسيون وحدات من الأتراك المحاربين من خراسان للخدمة في الجيش الإسلامي فدخلت هذه الوحدات إلى طرسوس و ميسيس و اينزاربا و ادنه و ماراش و حادث و ملاطية وديار بكر و سلوان و اخلاط و ملازكيرت و ارضروم التي كانت تشكل مدن الحدود فارتفعت نسبة السكان الأتراك في هذه المقاطعات وكان على راس هذه القوات قادة أتراك بارزون مثل افشين ، ايتاه ، ومنغوجور ، عمر الفرغاني ، حارث السمرقندي ، بوغا ، وواصف اشتهروا بحروبهم ضد البيزنطيين. وقد تم تسريح الجنود العرب بصورة تامة في أواسط القرن التاسع واستعيض عنهم بالأتراك وبالفرس بالدرجة الثانية في جيش العباسيين كما استخدم الخليفة الأتراك في حرسه الخاص. وقد حاز القادة الأتراك على سلطات واسعة في ولايات الثغور. ونورد مثالا على ذلك بسر الافشيني واحمد قايي اوغلو وخاقان ومؤنس ورستم بن بوردو وأبو ثابت التركي واحمد طوغان حيث أغاروا على مقاطعات بيزنطية كثيرة واحتلوها بصورة مؤقتة.

ازداد عدد الأتراك في الأناضول واضطر البيزنطيون إزاء ذلك وللتردي الحاصل في ميزان القوى إلى استقدام وحدات تركية من الذين اعتنقوا المسيحية من البلقان مثل البجنك والكومان للحفاظ على حدود الإمبراطورية البيزنطية.

وذهب الأتراك فيما بعد إلى ابعد من ذلك فقد أغار سيما أمير طرسوس على جزيرة آغرى بوز في بحر ايجه إلا أن قواته أبيدت من قبل البيزنطيين واستشهد الأمير التركي في هذه المعركة إلا أن الأتراك لم يتثنوا عن هذا العزم فقد استطاع الأمراء الأتراك النيل من قوات البيزنطيين في عهد الإمبراطور ليون حتى إن أمير طرسوس ، دميان اباد أسطولا بيزنطيا بالقرب من جزيرة سيسام في عام 911 . كما استولت الدولة الحفصية المسلمة في كريت على سلانيك ومقدونيا إلا أن قواتها أخرجت من هذه المناطق من قبل البيزنطيين.

كما استعاد البيزنطيون ارضروم وحواليها من المسلمين ووقعت ملاطيه بيد البيزنطيين بعد دفاع مستميت، وقد جهز سيف الدولة الحمداني جيشا جرارا على البيزنطيين إلا انه لم يستطع الاستيلاء على مناطق جديدة بالرغم من بعض الانتصارات التي أحرزها. وقد استرجع البيزنطيون في عهدهم الذهبي هذا مدينة معرش وسيس وسوروج كما احرق الأميرال باسيليوس أسطول المسلمين في قاعدته طرسوس وحافظ البيزنطيون على تفوقهم حتى قدوم السلاجقة.

واستولى البيزنطيون في زحفهم الكبير على حمص وبعلبك وبيروت واضطر المسلمون إلى بذل الغالي والنفيس في سبيل تطهير هذه الأراضي منهم إلا إن الفتوحات البيزنطية استمرت في مناطق بحيرة وان فاستولى هؤلاء في عام 933 على ارجيس وملازكيرت وفي 1030 على اورفه واثر ذلك أعلن الأرمن والجورجيون(الكرج) انفصالهم عن المسلمين واعترفوا بسيادة البيزنطيين. ومع إطلالة القرن الحادي عشر لم يبق للمسلمين من مقاطعات الأناضول إلا ديار بكر وبتليس وسعرد وماردين وحكارى، أي الأقسام الجنوبية الشرقية من الأناضول فقط. كما اضطر المروانيون في ديار بكر والمسافريون في أذربيجان إلى دفع الجزية للبيزنطيين.

و يظهر مما تقدم وضع المسلمين إزاء البيزنطيين في الفترة التي بدأ فيها الاوغوز بالتدخل في مجرى الأمور في الشرق الأدنى. وبعبارة موجزة فقد تم اندثار الأتراك القاطنين في ولايات الثغور ككيان معين وهم الذين كانوا يملكون قوة خيالة تقدر بمائة ألف فارس فألقي الألوف من الأتراك حتفهم هنا وهم يبحثون عن لقب الغازي أو الشهيد. وإن كان المسلمون قد فتحوا أسبانيا وتركستان والسند إلا أنهم لم يفلحوا في فتح الأناضول وهو اقرب المناطق إليهم وعجزوا تجاه قوة البيزنطيين.

التفسيمات الإدارية في الأناضول قبل الفتح السلجوقي

كان الأناضول مقسما إلى هذه المقاطعات الإدارية قبل الفتح:

انا تولیك	مركزها قونیه	تضم قونیه وأسبارطه وبوردور وأمنیون وكوتاهیة وحوالیها
أرمنیاك	مركزها أماسیا	تضم أماسیا وسامسون وسینوب وجوروم وحوالیها
تراكزیان	مركزها أفس	تضم أیدن ومانیسا وأوشاق ودینزلي وحوالیها
أوبتیموس	مركزها أزمیت	تضم قوجا الي وسقاریة وحوالیها
أوبسیكیون	مركزها أزنیك	تضم بورصه واسكي شهر وبالیكسیر وجناق قلعة وبیله جك وحوالیها
بوكالاریان	مركزها أنقره	تضم أنقره وبولو وحوالیها
بافلاغونیا	مركزها جانقري	تضم جانقري وقسطموني وحوالیها
خالدیا	مركزها طرابزون	تضم طرابزون وریزه وحوالیها
مزوبوتامیا	مركزها أرزنجان	تضم أرزنجان وتونجلي والعزیز وحوالیها
كولونیا	مركزهاشبین قاره حصار	تضم كوموشخانه واوردو وكیره سون وحوالیها
سباست	مركزها سیواس	تضم طوقاد ویوزغاد ونیكده وقیر شهر ونو شهر وحوالیها
لیكاندوس	مركزها مالاطیه	تضم مالاطیه وادي یمان وحوالیها
سلكیا	مركزها طرسوس	تضم أدنه وأیجل وحوالیها
كیبریتوین	مركزها انطالیة	تضم انطالیة وموغله وحوالیها
سامي	مركزها أزمیر	تضم المناطق المجاورة لمدینة أزمیر وجزر میدیللي وساقز وسیام
قبرص	مركزها بافوس	
خارسیان	مركزها قیصري	تضم قیصري وحوالیها
سوریه	مركزها انطاكیة	تضم هطاي ومعرش وعنتاب وأورفه وحوالیها
واسبوراغان	مركزها وسطان	تضم بنكول وموش ووان وأغري وحوالیها
آني	مركزها آني	تضم قارص وجوروخ وحوالیها
أیبریا	مركزها تفلیس	تضم جورجیا وأرمینیا

الاوغوز في الأناضول

احتك الاوغوز بالبیزنطیین قبل ولوجهم خراسان وذلك بواسطة الحملات التي جهزوها من ما وراء النهر واوست یورد مستكشفین هذه المنطقة العتیدة. ومن ذلك إن جاغرى بك زحف على راس جیش كبیر في عهد السلطان محمود الغزنوي إلى أذربیجان واغار في عام 1015- 1016 على الأمارة الأرمنیة في شرق

الأناضول حيث اضطر ملك الأرمن في قارص(آني) إلى الالتجاء إلى البيزنطيين الذين منحوه مقاطعة سيواس.
كما أغار الاوغوز في عام 1018- 1021 على أراضي الدولة الشدادية المسلمة في أذربيجان التي كانت تحت النفوذ البيزنطي.
وبعد أن أتم جاغرى بك هذه الغارات التي كانت بمثابة جس للنبض واستكشاف ساعد فيما بعد ابنه آلب ارسلان في هجومه المشهور وعاد بسرعة البرق متخطيا أراضى الدولة الغزنوية عائدا إلى اوست يورد. ولم يستطع ارسلان جاذب والي خراسان تطبيق أوامر السلطان محمود الغزنوى للتصدي لقوات الاوغوز مرة أخرى. فقد كان الاوغوز الساكنون في خراسان يساندون السلاجقة سرا وعلنا.
أغار الاوغوز من 1030- 1038، 1042- 1043، 1045- 1046 على قفقاسيا الجنوبية وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا. وبعد ذلك عين طغرل بك، قوتالمش بك لقيادة جيوش الأتراك ضد البيزنطيين مهيئا بذلك لفتح ابنه سليمان شاه للأناضول فيما بعد.

غارات قوتالمش بك السلجوقي على الأناضول

حاصر قوتالمش بك الذي كان قد أغار على الشمال عبر نهر اراس في عام 1047 مدينه كنجه إلا انه لم يستول عليها. وبعد مدة عين إبراهيم ينال من أمراء السلاجقة من قبل طغرل بك واليا على أذربيجان وبدا هذا بمساعدة قوتالمش في غاراته على الأناضول. وانطلاقا من آمال طغرل بك في فتح الأناضول أمر الأميرين بتوحيد جيوشهما وتمشيط أراضى البيزنطيين بشكل متناسق.
وقد سار الأميران على ارضروم التي كانت تضم مائتي ألف نسمة ويدافع عنها ستة وعشرون ألف مقاتل بقيادة الجنرال ليباريت بمساعدة الجنرال كاتا كالون والجنرال اراون. وقد شتت الأتراك جيش البيزنطيين في هذه المعركة واضطر الأعداء إلى الالتجاء إلى قلعتها الحصينة. وسميت هذه المعركة بمعركة الباسين لوقوعها في سهل الباسين وكانت أول نذير بفتح الأناضول من قبل الأتراك. وقد عاد الأميران بغنائم وأسرى كثيرين. فرجع إبراهيم ينال بالغنائم إلى السلطان طغرل بك في مدينة ري وبقى قوتالمش بك في حدود الأناضول.
وقد أرسل الإمبراطور البيزنطي رسلا إلى طغرل بك مع فدية كبيرة نظير إطلاق سراح قائده الجنرال ليباريت الذي كان قد أسر في هذه المعركة إلا أن طغرل بك لم يقبل الفدية غير انه أطلق سرح الجنرال الأسير نزولا عند رجاء الإمبراطور البيزنطي. وقد سمح الإمبراطور البيزنطي لقاء ذلك بتعمير الجامع الإسلامي الموجود في أستانبول والذي بدأ بقراءة الخطبة فيه باسم السلطان طغرل بك، وقد أحتج السفير الفاطمي في أستانبول على تلاوة الخطبة باسم طغرل إلى جانب اسم الخليفة العباسي إلا أن ذلك لم يثمر شيئا.
بدا البيزنطيون اثر هذا بحشد قوات كبيرة في شرق الأناضول تحسبا للطوارئ. وقد بدأت المجابهة فيما بعد حيث قاد طغرل بك شخصيا في عام 1045 جيوشه فاستولى على بايبورد ومدن أخرى ثم وقف إزاء قلعة مالازكيرت المستحكمة. ونتيجة لذلك تخطى طغرل بك سواحل بحيرة وان وطفق راجعا وفي عام 1055 اصطحب طغرل بك قوتالمش إلى بغداد واسند إليه الإجهاز على الفاطميين وقد استولى قوتالمش على البلاد المؤيدة للفاطميين ثم رجع إلى الأناضول. وكان ياقوتي بك (شقيق ألب ارسلان) من أبناء جاغرى بك قد أرسل في نفس الفترة مع الجيش الذي كان يقوده إلى حدود الأناضول. وقد سار ياقوتي بك في عام 1057

على بعض مقاطعات الأناضول فأباد جيشا بيزنطيا تأهب لمجابهته وهزم الأمير نيكافوروس بريانوس الذي زحف بجيش كبير على قيصري من قبل الأتراك.

وفي نفس الفترة استولى طغرل بك على جزيرة ابن عمر شمال الموصل وسار إلى مقاطعات المروانيين المعادين للسلاجقة والخاضعين للبيزنطيين. ولم يستطع طغرل بك الإشراف شخصيا على غارات الأناضول أكثر مما فعل لانشغاله بالأمور الداخلية فقد رجع السلطان في عام 1057 إلى خوزستان حيث قمع تمرد الأمير رسول تيكين شقيق قوتالمش والحق المقاطعات التركية المتبقية في إيران بالإمبراطورية في عام 1058.

كان قوتالمش بك قد أحرز سطوة لا تطال في عام 1061 ولاسيما بعد التحاق قوات إبراهيم ينال به بعد مصرع الأخير. وكان يملك جيشا متمرسا خبيرا بأصول الحرب كما كانت أذربيجان وعراق العجم تحت حكمه المباشر، وقد بدأ قوتالمش بالتصرف حسب هواه وكان يتحين الفرص للمطالبة بالعرش على أساس أن والده كان يابكو الاوغوز فيما سبق.

وقد بدأ قوتالمش بك في عام 1061 بالجهر بالسلطنة واستمر على ادعائه بعد ارتقاء آلب ارسلان للعرش في عام 1063. وقد أسندت إدارة غزوات الأناضول في هذه الفترة إلى ياقوتي بك شقيق آلب ارسلان والذي أغار على قلعة آني بالقرب من مدينة قارص والباسين وبحيرة وان. وبدأ الأتراك بالتقدم غربا من نهري الفرات ومراد وحتى التقاء النهرين مستولين على مدن ارزنجان وكماخ ووادي جوروخ ووادي كلكيت ومدينة شبين قاره حصار. واستولى على مدينة ملاطية في عام 1058 بالرغم من استشهاد دينار بك أحد القادة الأتراك.

وبعد تخريب الأناضول الشرقية زحف الجيش التركي بقيادة ياقوتي بك على الجنوب الشرقي للأناضول حيث حاصر مدينة اورفه ثم سار على سيواس حيث استولى عليها.

وفي عام 1061 جهز الإمبراطور قسطنطين دوكاس جيشا كبيرا فسار به على شرق الأناضول واستعاد قسما من المدن التي وقعت بيد الأتراك إلا أن الجيش البيزنطي هزم أمام الجيش التركي في عام 1063 ولقى والي اورفه العام تاوادانوس مصرعه في هذه المعركة.

وإضافة إلى كل ما سبق فقد أعلن المروانيون في ديار بكر والذين كانوا قد أعلنوا مبايعتهم للسلطان طغرل بك بعد فتحه مدينة رى في عام 1043 انضمامهم للدولة التركية الكبرى في عام 1063. وفي هذا العام أيضا انشغل البيزنطيون بأمور جديدة في أوربا مما ساعد الأتراك في غاراتهم على الأناضول. فقد استولى النورمانيون على مقاطعات البيزنطيين في جنوب إيطاليا. وبدا البجنك والاوغوز بإقلاق راحة البيزنطيين في البلقان.

السلطان ألب ارسلان والأناضول

تأهب قوتالمش بك الذي لم يعترف بالسلطان ألب ارسلان لمحاصرة مدينة ري، عاصمة الدولة التركية الكبرى وفي نفس الوقت أعلن عميد الملك وزير طغرل بك الملك سليمان شقيق ألب ارسلان الأكبر سلطانا. وقد تخلص ألب ارسلان من هذه المشاكل توا. فقتل قوتالمش بك واسر ابناه سليمان شاه ومنصور بك وشقيقه رسول تيكين إلا أن السلطان صفح عنهم ولم يكتف بذلك بل ولاهم على جيوشهم فأرسلهم إلى الأناضول.

قدم السلطان ألب ارسلان إلى حدود الأناضول في عام 1064 ففتح شقيقه ملك ياقوتي بناء على أوامره مدينة وان والقلاع المجاورة لبحيرة وان. وبينما كان ألب ارسلان في الشرق الأوسط في عام 1065 حاصرت القوات التركية مدينة اورفه مجددا وزحفت على المناطق المجاورة لمدينتي إنطاكية وحلب وقد التحق بهذه القوات ابن تامغاج خان خاقان القاراخانيين بعد انشقاقه عن أبيه.

أفشين وبطولاته في الأناضول

سار القائد التركي الكبير كوموش تكين وبرفقته ابرز القادة مثل أفشين واحمد شاه على راس الجيش التركي في عام 1066 إلى وادي مراد ودجلة وحتى مدينة نيزيب. وأباد جيشا بيزنطيا قوامه مائة ألف مقاتل بقيادة الجنرال اروانتانوس في حصن منصور (ادى يمان) واسر قائده. وهزم افشين بك جيشا بيزنطيا اكبر في عام 1067 في ملاطية. وتقدم اثر ذلك إلى مدينة قيصري فاستولى عليها. ثم اجتاز أفشين جبال طوروس فهجم على كيلكيا ووصل إلى جوار حلب. وقد كانت غزوات أفشين تعد مقدمه لفتح الأناضول.
فتح ألب ارسلان في عام 1068 مدينة تفليس ثم سار إلى قارص فأرسل طلائع قواته إلى المناطق المحيطة بطرابزون وفي نفس الفترة اسلم قسم من الجورجيين.
وإزاء هذه التطورات الخطيرة سير الإمبراطور البيزنطي جيشا كبيرا إلى الأناضول يضم بالإضافة إلى البيزنطيين الكثير من الاوغوز والبجنك والنورمان والفرنك والألمان والاسكندنافيين وقد ترامى إلى سمعه استيلاء أفشين على نيكسار فسار إلى سيواس فأرغم الجيش التركي على التراجع ثم تقدم إلى معرش. ولما أبيدت طلائع قواته من قبل اينال تقدم شخصيا إلى حلب حيث اجبر حاكمها العربي على دفع الجزية ووصل إلى كيلكيا عن طريق الاسكندرونه.
واستغل أفشين انشغال الإمبراطور في الجنوب فأغار على معظم مناطق الأناضول بصورة جريئة إلى أن وصل إلى سواحل سقارية وقد استشاط الإمبراطور البيزنطي غضبا لدى سماعه لهذه الأنباء إلا انه لم يستطيع الحيلولة دون رجوع القوات التركية فعاد إلى استانبول.
كان ابرز قادة قوات الهجوم التركي بقيادة أفشين بك بكجي اوغلو هم احمد شاه واواق اوغلو اتسز وشقيقه جاولى وارسلان طاش وتوركمن وديملاج اوغلو محمد وصاندوق وتاوتاو اوغلو وتارانك اوغلو وكانت هذه القوات تحت إدارة سليمان شاه وشقيقه منصور وياقوتي بك في أذربيجان.
لم يستطع الإمبراطور البيزنطي الشاب رومانوس ديوجينيس والذي جيء به إلى العرش الحيلولة دون مطامع الأتراك في الأناضول وإخراجهم من هذه البلاد ولم يتمكن من فعل شيء تجاه الأتراك في حملته الأولى. وفي عام 1069 تقدم جيشه مجددا إلى الأناضول ودخل خربوط وترامى إلى سمعه آنذاك محاصرة الأتراك لمدينة ملاطية. ولم يكن الإمبراطور قد آفاق من هول صدمة اندحار جيشه هناك حين سمع بتكرر محاولة أفشين في تجواب الأناضول طولا وعرضا. وكان هذا قد وصل إلى قونيه فبيت العزم على قطع خط الرجعة على الأتراك فتقدم إلى سيواس. ولما سمع الأتراك بذلك في طريق قيصري انحرفوا بسيرهم لئلا يجابهوا البيزنطيين. وبذلك خاب أمل ديوجينيس في الانقضاض على الأتراك مرة أخرى. اندحر الأمير مانويل كومينوس القائد العام لقوات الأناضول البيزنطية في عام 1070 أمام الأتراك في سواحل قزل ايرماق ووقع في الأسر. فاستغل أفشين بك هذه الفرصة فسار من قيصري حتى دنيزلي للمرة الثالثة في غاراته

الجريئة. ويروى إن الأتراك وصلوا لأول مرة إلى سواحل مرمرة وايجة في هذا الهجوم والقوا النظرات الأولى على هذه البحار.

وفي صيف عام 1070 قدم السلطان ألب ارسلان إلى الأناضول وفتح قلعة مالازكيرت المستحكمة ثم سار باتجاه الجنوب الشرقي فوصل إلى آميد (ديار بكر).

جاء خاقان الدولة التركية الكبرى إلى اورفه وحاصر هذه القلعة البيزنطية للمرة الرابعة. ولما أدرك صعوبة الفتح واستغراق ذلك لوقت كثير مما يخالف مبادئه العسكرية تقدم إلى حلب حيث قدم له الأمير العربي فروض الطاعة وبعد ذلك سار السلطان إلى الشمال فاجتاز الفرات ودجلة وقدم أخلاط عن طريق ديار بكر – بتليس. وفي نفس الفترة كان الإمبراطور رومانوس ديوجينيس قد نزل إلى الأناضول يبحث عن الجيوش التركية. كانت النهاية تقترب وحققت الأقدار الحلم الكبير الذي سار الأتراك وراءه طيلة ألف سنة.

3- ملازكيرت 26 آب (أغسطس)1071

لم ترهب حروب الإمبراطور الأتراك. فقد كان عنصر المباغتة بيدهم على الدوام إذ كانوا يغيرون على المناطق التي يخرج منها الإمبراطور. وإزاء ذلك عزم الإمبراطور الروماني على إبادة الجيش التركي والإغارة على مراكز الأتراك فخرج بجيشه من أستانبول في 13 آذار 1071. وقد كانت أمال الإمبراطور تتجاوز ذلك إلى نية الاستيلاء على الأراضي التي كانت للبيزنطيين قبل ظهور الإسلام مثل سوريا وفلسطين ومصر وحتى العراق وإيران التي لم تكن يوما ما في متناول البيزنطيين. وقد تمادى الإمبراطور في غيه إلى درجة أن عين ولاة لهذه البلاد.

كان السلاجقة في هذه الفترة يظاهرون الخليفة العباسي ضد الفاطميين في مصر وقد اخضعوا الإمارات العربية في سوريا وشمال العراق إلى حكمهم وأعادوا تلاوة الخطبة في الحجاز باسم الخليفة العباسي، وكان إنهاء النفوذ الفاطمي في مكة والمدينة المنورة ضربة ماحقة للقاهرة.

وقد انتهز السلطان ألب ارسلان فرصة إسكاته لمعارضة هذه الزمر فأغار على الأناضول الشرقية واستولى على قلعة ملازكيرت المستحكمة. واستقبل السلطان التركي سفراء البيزنطيين في حلب التي وفد إليها. وفي نفس الفترة أرسل إليه أفشين بتقريره الذي يفيد إتمام تخريب مخازن المؤن والقواعد العسكرية الرئيسية البيزنطية في الأناضول وإمكانية القضاء على الجيش البيزنطي الفعلي بهجوم كاسح. وقد عمد السلطان فور تسلمه لهذا التقرير إلى السير إلى الأناضول الشرقية لمجابهة قوات الإمبراطور البيزنطي.

كان الإمبراطور يسير بجيشه الجرار نحو الشرق تحمل لوازم جيشه الحربية ثلاثة آلاف عربة وعشرات الألوف من الحيوانات. وكان من ضمن أسلحة الجيش البيزنطي أكبر سلاح في ذلك العهد وهو المنجنيق الذي يقضي استعماله استخدام 1200 شخص. وكان الإمبراطور عازما على كسب المعركة بأقصى سرعة والتقدم نحو إيران.

اجتمع المجلس الحربي البيزنطي في سيواس عندما توافدت أنباء خروج السلطان ألب ارسلان من حلب. وقد أوصى القادة الذين خبروا حروب الأتراك أمثال نيكيفوروس برينيوس وجوزيف تراخيانيتوس الإمبراطور بالحيطة. وقد طعم الجيش البيزنطي بعناصر جديدة توافدت للالتحاق به مثل الفرنك و النورمان و السلاف و الكرجيين و الانجاز والأرمن وحتى البجنك والاوز وغيرهم من الأتراك غير المسلمين الذين استخدموا في

الجيش نظير أجرة. يضاف إلى ذلك إن قوات البيزنطيين التي تعد مائتي ألف مقاتل لم تكن بشكل وحدات منسقة مركزية كما لم يكن الإمبراطور ديوجينيس سليل أسرة عريقة فلم يكن يحظى بالاحترام اللازم من قبل البيزنطيين.

أمر السلطان ألب ارسلان الذي ترامى إلى سمعه قرب دخول الجيش البيزنطي إلى إيران السير الإلزامي غير مبال بخسائر الجيش التركي ولاسيما عند عبوره لنهر الفرات. وسرح السلطان المسنين من الجنود واصطحب الشباب نحو الشمال الشرقي. فأرسل وزيره نظام الملك إلى همدان لتنظيم أمور الإمبراطورية التركية في حالة اندحار القوات التركية أمام البيزنطيين، كما اخرج وحدة من الفرسان لجمع آخر المعلومات عن القوات المعادية. وقد دحرت هذه الوحدة طلائع القوات البيزنطية وعاد قائدها الجنرال برينيوس جريحا إلى قاعدة قوات الإمبراطور. وأرسل صليب مزركش استولى عليها في هذه المناوشة إلى بغداد كعلامة للنصر.

وما أن انبلج فجر يوم 26 آب (أغسطس) حتى رأى الجيشان تقلص المسافة بينهما الى بضعة كيلو مترات. وكانت هذه المنطقة تبعد مسافة خمسة وأربعين كيلو مترا إلى الشمال من بحيرة وان وبالقرب من نهر مراد على ارتفاع ألف وخمسمائة متر عن سطح البحر. وكانت بالقرب من هذه الساحة قلعة ملازكيرت الشامخة. وكان بين صفوف الجيش التركي أمراء مثل سليمان شاه قوتالمش وقادة بارزون مثل ارتوق بك. وقد بقي عدد القوات التركية خمسين ألفا بعد أن ابعد العاجزون والمسنون وهم على شكل وحدات منسقة ومنظمة تظهر الطاعة المطلقة للسلطان التركي. كما كان الأتراك متلهفين للسيطرة على هذه البلاد التي عزموا على أن يستوطنوها متمرسين في الحرب وفنون القتال.

وكان السلطان التركي قد اختار يوم الجمعة للقتال فرفع من معنويات جنوده باختيار هذا اليوم المقدس للجهاد. كما كان الخليفة العباسي قد عمم نص دعاء بناء على طلب من الخاقان التركي ليتلى في جميع جوامع المسلمين ضمن خطبة الجمعة.

رفض الإمبراطور البيزنطي عروض الصلح التي حملها إليه سفراء الأتراك برئاسة صاو تكين وحمل ذلك على خشية الأتراك ورهبتهم وخاطب السفير التركي قائلا: قولوا لسلطانكم إنني سأتفاوض معه بشان الصلح في ري. فسيمضي جيشي الشتاء في أصفهان وسأروي جيادي في همدان.

ولم يتحمل صاو تكين المعروف بذكائه الخارق بالإضافة إلى شخصيته القوية هذا القول فأجاب الإمبراطور بعبارة كانت بليغة جدا إذ قال: أنا لا اشك بان خيولكم ستمضي الشتاء في همدان إلا إنني لا اعلم أين ستقضون انتم الشتاء.

وخطب ألب ارسلان في الجيش عند مطلع الفجر فأوصى بان يدفن في نفس المكان الذي يقع فيه إن استشهد وأن يتجمع القوم حول ابنه ملك شاه بنفس النظام فأوقد نار الحماس في نفوس مقاتليه. وبعد صلاة الجمعة اخرج ألب ارسلان قوسه وجعبة سهامه وتقلد سيفه ورمحه كأي محارب آخر. وفي نفس الأثناء كانت تراتيل البيزنطيين ترتفع إلى عنان السماء والرهبان يباركون المحاربين. كما كان رجال الدين الإسلامي يجوبون الصفوف مرتلين آيات الذكر الحكيم.

كان الإمبراطور البيزنطي في قلب الهجوم وكان أليستا في الميسرة ونيكيفوروس برينيوس في الميمنة والأمير اندرونيكوس على راس قوات الاحتياط.

وبعد ساعتين من انتصاف النهار اقترب الجيشان من بعضهما وهنا خرج المرتزقة من البجنك والاوز من صفوف البيزنطيين وانضموا إلى بني قومهم الأتراك. وقبل رؤساؤهم الأرض بين يدي السلطان التركي وزودوه بمعلومات قيمة عن الجيش البيزنطي. وقد أحبطت هذه الحادثة شيئا من معنويات الجيش البيزنطي.

بدا القتال بهجوم من قبل الفرسان الأتراك رشقا بالسهام. واحتفظت القوات المعادية بنظامها إزاء هذا الهجوم الكاسح وآنذاك أمر السلطان التركي قواته بانسحاب خادع ثبت أثناءه وحدات معينة في أجنحة الميدان. وقد اعتقد الإمبراطور البيزنطي إن الأتراك انسحبوا بعد استنفاذ قوات هجومهم فاقتفى اثر القوات المنسحبة وابتعد بذلك عن المعسكر الرئيسي، وفي نفس الفترة بدأت قوات الأتراك المرابطة في الكمائن بإبادة الوحدات البيزنطية المتفرقة. ولما أدرك الإمبراطور تفرق قواته وتعذر إيصال الأوامر أمر بالتجمع والانسحاب إلا أن الوقت كان متأخرا جدا. فقد حاصرت القوات التركية القوات المعادية واخطأ الأمير اندرونيكوس فهم أوامر الإمبراطور فاعتقد إن قوات الجيش قد اندحرت فانسحب من ساحة الحرب وانزل ذلك ضربة ماحقة بمعنويات الجيش المحارب. وإزاء هذه المهارة الفائقة في فنون الحرب والقتال لمح البيزنطيون برغبتهم في الاستسلام ولم يستطع الإمبراطور الشجاع أن يفعل شيئا لوحده فاسر جريحا مع نفر من حاشيته.

وقد أدرك الأتراك بعد رؤيتهم لبكاء الأسرى وارتمائهم على أقدام الأسير انه الإمبراطور ديوجينيس فاقتيد إلى السلطان الذي استقبله بإجلال واحترام فأجلسه إلى جانبه معاملا إياه معاملة الند للند. وقد أوضح السلطان للإمبراطور أخطاءه في السوق مما اندحر نتيجة لها وانتقد رفضه لعروض الصلح ثم سأله عن المعاملة التي يتوقعها فأجاب الإمبراطور ديوجينيس باعتقاده الجازم بأنه سيقتل أو انه سيقيد بالسلاسل ويطاف به في المدن التركية ويكون أمله ضعيفا في الصفح والحرية. وإذ ذاك قال له السلطان التركي بان اضعف آماله هي التي ستتحقق فأطلق سراحه ووقع معه معاهدة للصلح تخلي البيزنطيون بموجبها عن اورفه وانطاكيه للأتراك وتعهدوا بدفع تعويضات حرب بالغة. وأخيرا أمر السلطان بإرسال الإمبراطور وحاشيته معززا مكرما إلى استانبول.

4- فتح الأناضول من قبل سليمان شاه قوتا لمش
ما بعد ملازكيرت

يجمع المؤرخون على أن معركة ملازكيرت هي نقطة تحول في التاريخ العالمي فقد مهد هذا النصر فتح الأناضول أمام الأتراك. فلم يكن أي من الانتصارات التي أحرزها الأتراك يماثل ذلك في تأثيره على مستقبلهم. فليس أهم من انتصار ملازكيرت في التاريخ التركي عدا فتح القسطنطينية.

أمر السلطان ألب ارسلان سليمان شاه قوتالمش بمواصلة الفتح حتى مرمرة إزاء نقض البيزنطيين للمعاهدة المعقودة بينهم وبين الأتراك. وقد أحدث النصر المذكور سرورا فائقا في الأقطار الإسلامية ونظمت مئات القصائد في مدح بطل هذا النصر السلطان ألب ارسلان. كما أحدث مصرع هذا السلطان حزنا عميقا لدى المسلمين فأبنه الخليفة ببيان مؤثر اظهر المدى الذي وصلته الإمبراطورية التركية، إذ لم يسبق للخليفة إن أبن ورثى أي حاكم آخر. وقد ظل اسم السلطان ألب ارسلان مدار الأحاديث لحقبة طويلة من الزمن فأطنب في مدحه المؤرخون والأدباء وليس أدل على ذلك من تبجيل جلال الدين الرومي وتعظيمه إياه.

سليمان شاه قوتالمش في الأناضول

دخل سليمان شاه إلى الأناضول كقائد عام للجيوش التركية ونصب من أمراء السلالات التي حكمت فيما بعد على شكل إمارات منفردة مثل ارتوق وتوتوق ودانشمند وصالتوق قادة لمفارز الهجوم فأتم بذلك فتح الأناضول بسرعة البرق وبزمن لم يستغرق أكثر من عدة سنين. فقد عبر الأتراك في هذه الحملة نهر قزل ارماق إلى الغرب فأرسل الإمبراطور الجديد ميخائيل دوكاس، الأميرين ايساكيوس كومنينوس وشقيقه الكسيس كومنينوس على راس جيش بيزنطي كبير إلى الأناضول للتصدي للأتراك، إلا إن هذا الجيش دحر من قبل الأتراك بالقرب من مدينة قيصري واسر قائده العام وهكذا فقد دخل مبدأ الخلفاء الأمويين والعباسيين لفتح الأناضول في طور التحقيق على يد الأتراك.

أطلق سليمان شاه سراح الأمير ايساكيوس لقاء فدية نجاة باهظة وتعرض هذا لهجوم كاسح آخر من قبل مفارز الهجوم التركية بالقرب من ازميت فاضطر إلى الهرب والتقي بأخيه الكسيس فنجيا بجلدهما بالهرب إلى القسطنطينية.

فتح سليمان شاه أواسط الأناضول في هذه الفترة بصحبة جميع إخوانه واتجه نحو الغرب. وفي عام 1073 دحر ارتون بك جيشا بيزنطيا في الطريق المؤدي إلى ازميت ثم عدل وجهة سيره إلى أمسيا ففتح وادي نهر يشيل ارمق. أما سليمان شاه فقد اتجه نحو الجنوب ففتح انطاكية بعد معركة حامية مع الجيش البيزنطي بقيادة الأمير قسطنطين شقيق الإمبراطور ووالي انطاكية العام الأمير ايساكيوس كومنينوس فأطلق سراح الأمير للمرة الثانية من قبل سليمان شاه لقاء فدية باهظة أخرى. وبينما كان ارتوق بك يفتح حوض يشيل ارماق وكلكيت كان منكوجك بك يفتح المناطق المحيطة بمدينة ارزنجان كما فتح أبو القاسم بك مناطق ارضروم وجوروخ إلا أن قلعتي ارضروم وقارص صمدتا ردحا من الزمن وتوالى على حكمها الأتراك والبيزنطيون.

أما الملك منصور قوتالمش فقد نقل مقره إلى كوتاهية ثم تقدم نحو ايجه. كما كان اتسز بك يواصل فتوحاته الهامة على سواحل سوريا فقد فتح ميناء عكا شمال فلسطين في عام 1074.

كان الحجاز قد التحق بحكم الخاقان التركي منذ عهد ألب ارسلان إذ انتقل حكم المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة من الفاطميين إلى الأتراك، وبدأ بتلاوة الخطبة باسم الخاقان التركي والخليفة العباسي الذي كان في حمايته.

فرض سليمان شاه الجزية على إنطاكية في عام 1076 وسيطر على شمالي سوريا. وفي نفس العام كان ارتوق بك قد اجتاز الأناضول إلى البلاد العربية ففتح الإحساء والكويت والبحرين ونجد كما كانت عمان تتبع سلاجقة كرمان وبذلك دخلت معظم أنحاء الجزيرة العربية في الحكم التركي. وإزاء حدة طبع ارتوق بك وانفراده في الأمور فقد عزل من قبل القائد العام سليمان شاه وشكى أمره إلى الخاقان الأكبر السلطان ملك شاه ابن السلطان ألب ارسلان فأمره هذا بفتح المناطق الشرقية من بلاد العرب ومنحت مقاطعات يشيل ارماق وكلكيت إلى دانشمند بك.

وفي عام 1084 فتح دانشمند بك ملاطية و دحر فلول البيزنطيين حتى مشارف قيصري. وفي هذا التاريخ كان معظم مناطق الأناضول قد فتحت فقد استولى كوموش تكين في عام 1077 على اورفه وعنتاب كما فتح سليمان شاه مدينة قونية شخصيا واستولى على المناطق الغربية والجنوبية الغربية للأناضول وحتى بحر ايجه.

ثم فتح سليمان شاه وشقيقه الملك منصور اسكدار فوصلا إلى مضيق البسفور والفيا نظرة على درة الدنيا من الساحل الآخر.

وبعد كل هذا أراد الملك منصور إبعاد شقيقه سليمان شاه وقطع علاقته بالسلطان ملك شاه وتأسيس دولة تركية مستقلة فابلغ سليمان شاه هذا الأمر إلى السلطان ملك شاه الذي أمره بالقضاء على محاولة منصور. وفي هذه

الأثناء كان الملك منصور يزور أستانبول بدعوة من الإمبراطور راميا إلى تحقيق فكرته بعقد الصلح مع البيزنطيين. وإزاء ذلك أرسل الخاقان ملك شاه جيشا قويا بقيادة بورصوق بك لتقوية جيوش سليمان شاه فبرز سليمان شاه وبصحبته بورصوق بك للملك منصور، وحين ذلك اظهر الجيشان التركيان عدم الرغبة في إراقة دماء الإخوة واتفق نتيجة لذلك على مبارزة الملك منصور مع بورصوق بك بصورة انفرادية ولقي منصور مصرعه في هذه المبارزة ونجت وحدة الأناضول بذلك من خطر محدق.

كان السلطان ملك شاه يحب عمه سليمان شاه لانتصاراته الباهرة في الأناضول وولائه للإمبراطورية الكبرى وقد سر كثيرا لذهابه إلى القضاء على شقيقه في سبيل وحدة الإمبراطورية وعدم إراقة دماء الإخوة. ونتيجة لكل ذلك وقع السلطان ملك شاه في عام 1077 على مرسوم يقضي بتنصيب سليمان شاه حاكما على الأناضول وبذلك تأسست دولة تركيا بعاصمتها ازنيق.

5- تأسيس دولة تركيا في عام 1077
حاكم تركيا الأول فاتح الأناضول ومؤسس دولة تركيا ناصر الدولة
أبو الفوارس الغازي السلطان سليمان شاه الأول قوتالمش السلجوقي
(1077 – 1086)

أطلق الخليفة العباسي الذي كان يعتبر الزعيم الروحي للمسلمين لقب السلطان على سليمان شاه فاعترف بذلك بحكمه. كما تلقب سليمان شاه الأول إضافة إلى ألقاب السلطان وشاه بالغازي لفتحه الأناضول. إلا أن القادة المؤيدين لشقيقه منصور بك وعلى رأسهم أفشين ومحمد بك ديلماج اوغلو ارتحلوا إلى سوريا والتحقوا بخدمة ملكها طوتوش.

وقد اختار سليمان شاه مدينة ازنيق في عام 1080 عاصمة له وهي مدينة تقع في جنوب شرق بحر مرمرة وإلى الجنوب من خليج ازميت وشرق بحيرة ازنيق. وكان اختيار هذه المدينة التي تقرب من أوربا والبيزنطيين يعني عزم الأتراك على عبور المضائق. وقد أبيد جيش بيزنطي أرسل إلى الأناضول للوقوف إزاء هذا الأمر من قبل سليمان شاه وبدا الحاكم التركي بالتدخل في الشئون الداخلية للإمبراطورية البيزنطية مثل تأييد بعض مرشحي الإمبراطورية ورفض ترشيح البعض الآخر.

بدأت تسمية الأناضول بتركيا في عام 1085 في أوربا. فقد اطل الأتراك على سواحل البحر الأبيض والبحر الأسود وبحر ايجه في عام 1079 وفترت مقاومة البيزنطيين في ايونيا (ازمير) وقاريا (مغله).

فتح سليمان شاه سواحل مرمرة الجنوبية في عام 1080 ثم استولى على شبه جزيرة قوجا ألي واسكدار وقاضى كوي وقصد في نفس العام إلى سواحل المضيق فأسس مركزا جمركيا هناك يستوفي الضرائب عن السفن العابرة. وبذلك انتهى تحكم البيزنطيين في المضائق وتسلم الأتراك مفاتيح البحر المتوسط.

وفي عام 1080 سير ملك شاه جيشا كبيرا بقيادة احمد بك على البيزنطيين الذين استولوا على قارص وارضروم مستفيدين من انشغال سليمان شاه في الأناضول الغربي فطردهم منها واسكن الأتراك فيها. وقد تأسست مملكة صالتوق في الأناضول الشمالية الشرقية بعاصمتها ارضروم تابعة للسلطان التركي. كما فتحت مناطق أخرى في جورجيا من قبل الأتراك وسقطت سواحل البحر الأسود على يدهم عدا ميناء طرابزون الذي استعاده البيزنطيون على يد تيودور كابراس. أما ملك جورجيا فقد خشي القضاء على دولته فتوجه إلى

أصفهان حيث التمس من السلطان ملك شاه الإبقاء على دولته فوافق هذا شريطة تلبيته للأوامر التي توجه إليه للتحرك في أي وقت كان إلى الجهة التي يعينها السلطان ودفع الضرائب وتجنيد رعيته.
أما أذربيجان فكانت برمتها في هذا الحين تحت حكم الملك إسماعيل ابن ياقوتي بك وهو ابن عم السلطان ملك شاه كما كان هذا الأمير يشرف في نفس الوقت على أمور قفقاسيا.
استولى سليمان شاه على شبه جزيرة قابى داغى وعلى السواحل الآسيوية من مضيق جناق قلعة وبذلك أصبحت السواحل الآسيوية لكلا المضيقين في يد الأتراك ووقعت البلقان واستانبول تحت التهديد التركي. وبعد مفاوضات طويلة ابعد الإمبراطور الجديد الكسيس كومنيوس الأتراك من السواحل الآسيوية للمضيق وعين مال تبه- قارطال حدا فاصلا بين الدولتين. إلا أن عزم الأتراك على اجتياز المضائق كان واضحا فاستلزم ذلك اتحاد جميع الدول الأوربية إزاء الخطر التركي وظهرت بذلك بوادر الحملة الصليبية.
كانت سوريا ولبنان وفلسطين وحتى شبه جزيرة سيناء قد فتحت في ذلك الحين ووصل ابرز قادة الأتراك مثل طوتوش واتسز وارتوق إلى خليج السويس فأبعد الفاطميون بذلك من آسيا وانحصروا في أفريقيا.
وبينما كانت آخر قلاع البيزنطيين الحصن المنصور(ادى يامان) تسقط في عام 1082 كان سليمان شاه يفتح ميناء طرسوس الهام. وما أن حل عام 1083 حتى كانت أهم المدن مثل قيلقيا وجقور اوا وادنه وميسيس وعين زربا في حوزة الأتراك باستثناء معرش التي كانت تبدى بعض المقاومة.
كان سليمان شاه بالرغم من هذه الانتصارات الباهرة يعامل البيزنطيين بشيء من الود. وكان الكسيس كومينوس وسليمان شاه يستعملان اغرب الوسائل الدبلوماسية لإقناع أحدهما الآخر. وقد تمادى سليمان شاه في ذلك إلى حد وضعه وحدة تركية مسلحة تحت إمرة الإمبراطور البيزنطي لمساعدته في طرد النورمان من ألبانيا. كما كانت وحدة تركية قوامها سبعة آلاف جندي بقيادة ياغمور بك تدحر النورمان في تسليا فتحكم بذلك نفوذ البيزنطيين في البلقان. ويجمع المؤرخون البيزنطيون على أن الأناضول أصبحت برمتها في حوزة الأتراك في عام 1083.

سليمان شاه يفتح إنطاكية 13 كانون الأول(ديسمبر) 1084

وجب بعد كل ما تقدم حماية الحدود الجنوبية للأناضول وكان الاستيلاء على إنطاكية في مقدمة العوامل التي تساعد على هذه الحماية. ترك سليمان شاه قائده العام أبو القاسم في ازنيق وتقدم تحت ستار كثيف من الكتمان والحيطة إلى الجنوب الشرقي معسكرا في النهار في مناطق بعيدة عن الأنظار ومتقدما ليلا خشية استنجاد إنطاكية بالبيزنطيين ومخافة تأثيره على أعمال طوتوش الحاكم السلجوقي في سوريا. فقد كان الاستيلاء على إنطاكية يسهل مهمة غزو سوريا.
باغت سليمان شاه القائد البيزنطي فلاريتوس في إنطاكية ووقعت القلعة الحصينة في يد الأتراك مساء يوم 13 كانون الأول 1084 فذاع صيت سليمان شاه على شهرته الواسعة.
أعلن سليمان شاه العفو العام في المدينة وحرر الأسرى وجعل من الكنيسة التي اجتمع فيها حواريو السيد المسيح جامعا حيث أذن مائة وعشرون مؤذنا لصلاة الجمعة ، وسقطت في 12 كانون الثاني(يناير) 1085 القلعة الداخلية التي كانت مستمرة على المقاومة فمنع سليمان شاه النهب وضرب على يد العابثين وأعلن انه

سيعاقب بشدة كل من تسول له نفسه الاعتداء على الفتيات المسيحيات ومنع حتى الزواج بهن، كما أذن للمسيحيين ببناء كنيستين جديدتين عوضا عن الكنيسة التي حولت إلى جامع وبذلك كسب ود السكان ورضاهم. عمد سليمان شاه بعد ذلك إلى فتح الاسكندرونة وعنتاب ثم ابلغ فتوحاته الأخيرة إلى السلطان ملك شاه الخاقان الأكبر وقام بولداجى بك من قاده سليمان شاه بفتح معرش القلعة الأخيرة للبيزنطيين في الأناضول والبستان وكوكسون وبسني فتمت بذلك الوحدة التركية في الأناضول.

وكانت الفتوحات التركية في الجنوب الشرقي مستمرة أيضا فقد استولى جبوق بك على قلاع خربوط واكين وبالو وكنج وعربكير وجميشكزك كما الحق تونج ألي وبنكول والعزيز إلى تركيا. وفي عام 1092 استدعى جبوق بك من قبل السلطان ملك شاه وأمر بفتح اليمن وإتمام فتح البلاد العربية. وعين محمد بك ابن جبوق بك واليا على المناطق التي فتحها والده واتخذ خربوط عاصمة لحكمه. ويعتقد أن جبوق بك قد فتح هذه المناطق بواسطة عشيرة الكرميان التي أسست فيما بعد أمارة الكرميان بمركزها في كوتاهية. وإلى جانب كل هذه الفتوحات فقد فتح قاره تكين بك في عام 1084 ميناء سينوب فأصبحت بذلك سواحل البحر الأسود تحت النفوذ التركي. كما فتح خال سليمان شاه في عام 1085 مدينة ملاطية. أما جاقا بك فقد فتح ازمير وبنى أسطولا ضخما في خليج ازمير مؤسسا بذلك القوة البحرية الأولى للدولة التركية.

الشخصية السياسية للدولة التركية

أتم سليمان شاه الذي يطلق عليه جميع المؤرخين اسم فاتح الأناضول، فتح جميع مناطق الأناضول التي أطلق عليها منذ ذلك التاريخ اسم تركيا فحقق وحدتها. وإن كانت هذه الوحدة قد تصدعت بعد وفاة سليمان شاه فان أحفاده عمدوا إلى تحقيق هذه الوحدة مرة أخرى. ومع كل هذا فيجب أن لا يغرب عن البال إن تركيا كانت واحدة من المقاطعات الأثنتى عشرة التي كانت تحويها الدولة التركية الكبرى. وقد جرت العادة في صلاة الجمعة على تلاوة اسم الخليفة ثم الخاقان التركي الأكبر ثم حاكم تركيا في الخطبة. ولما كانت تركيا ارض الجهاد والنصر فقد كان الخاقان الأكبر يمدها بالمال كما يعمل على إسكان مئات الألوف من الأتراك فيها سنويا.

وكما كانت تركيا من ضمن الدولة التركية الكبرى فقد كانت هناك دويلات صغيرة تتبع دولة تركيا فقد أسس القادة الذين أسدوا خدمات جليلة لفتح الأناضول إمارات وراثية في المناطق التي فتحوها وكان هؤلاء القادة يسمون أول الأمر بالأمراء والأمراء الكبار ثم أطلق عليهم لقب الملوك. وكان الخط السياسي لدولة تركيا في نهاية القرن الحادي عشر على ما يلي:

1	أمارة أبي القاسم بك ومركزها ارضروم سميت فيما بعد بأمارة صالتوق. وكانت تضم ارضروم وقارص وجوروخ وريزه وحواليها .
2	أمارة أبناء منكوج ومركزها ارزنجان وكانت تضم ارزنجان وكوموشخانه وكيره سون وطرابزون.
3	أمارة أبناء دانشمند ومركزها سيواس وكانت تضم سيواس وطوقات واماسيا وجوروم وصامسون واوردو.
4	الأمارة التي كانت تضم قسطموني وسينوب وجانقيرى وزونغولداق ويحكمها قاراتكين بك.

أمارة بولداجي بك في حوالي معرش.	5
أمارة قيلقيا ومركزها طرسوس وكانت تضم ادنه وايجل.	6
أمارة مركزها إنطاكية وتضم هاتاي وعنتاب والمناطق الشمالية من حلب.	7
أمارة جاقا بك في ازمير وكانت تضم المناطق المتاخمة لمدينة ازمير.	8
أمارة مركزها افس كانت تضم ايدين وموغلا.	9
الأمارة التي كانت تحت الحكم المباشر لسليمان شاه وتضم قونيه وعشاق وكوتاهية وافيون والمناطق المجاورة لها	10
أمارة قيصري وتضم قيصري وقير شهر ونو شهر ونيكدة ويوزغاد.	11
أمارة انقرة وتضم انقرة واسكي شهر.	12
أمارة لاديك بالقرب من دنيزلي.	13
أمارة آل شهر في أراضي مغنيسا.	14
أمارة انطالية .	15
أمارة بوردور واسبارطه.	16
أمارة ازنيق تحت حكم السلطان المباشر وكانت مركز الدولة وتضم بورصة وبيله جك وبولو وسقارية وقوجا الي	17
أمارة جناق قلعة وباليكسر.	18
أمارة درسيم ومركزها خربوط وكانت تحت حكم محمد بك بن جبوق بك وكانت تضم العزيز وتونج أيلي وملاطية وادي يمان وبنكول.	19

كان على راس بعض هذه الإمارات أمراء من السلاجقة وقد عمرت منها إمارات دانشمند وصالتوق ومنكوج تحت حكم نفس السلالات، أما الإمارات الأخرى والتي لم تسترد من قبل البيزنطيين فقد أديرت مباشرة من قبل الدولة التركية ونخص بالذكر منها الأمارة العاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة التي مر ذكرها فيما سبق مع قسم من الإمارات المتبقية وقد سمي جميع أمراء تركيا بعد سليمان شاه بلقب الملك. وكانت الولايات الحالية التالية تدار من قبل الدولة التركية الكبرى مباشرة: اورفه، ديار بكر، ماردين، سعرت، حكارى، وان، اغرى، موش، بتليس.

أما الدولة المروانية العربية في منطقة ديار بكر فقد كانت خاضعة للدولة التركية الكبرى.

الأناضول تصبح وطنا تركيا

كانت المناصب والألقاب تتوارث أبا عن جد في المجتمع التركي شان سائر المجتمعات في القرون الوسطى وكان هناك تشابه بين المناصب وبين المجتمعين التركي والأوربي فالرئيس يقابله البارون والأمير يقابله الكونت وأمير الفروع يقابله المركيز والأمير الكبير يقابله الدوق والملك يقابله الملك والسلطان يقابله الإمبراطور.

أصبحت الأناضول وطنا تركيا نتيجة الهجرة التركية المتزايدة إليها وقد عمل السلاجقة ثم العثمانيون على إتباع سياسة حكيمة في الإسكان ففرقوا فروع الاوغوز المختلفة وأقسام العشائر الواحدة في الولايات المختلفة واسكنوا بينهم فروعا أخرى من الاوغوز.

إلا انه من الحقائق المسلم بها إن البعض من سكان الأناضول كانوا من اصل تركي وقد اعتنق هؤلاء أولا الديانة الإسلامية. وكان هناك الكثيرون من الأتراك ممن سكنوا الأناضول قبل الاوغوز مثل البلغار والخزر والبجنك والاوز والكومان كما تدفقت موجات أخرى من الترك إلى الأناضول أثناء الحروب الصليبية ومثال ذلك إن الخاقان الأكبر أرسل خمسين ألفا من المقاتلين إلى تركيا في عام 1113 ووضعهم تحت أمره قادتها.

وبعد غزو المغول للشرق بدأت الموجات الثانية للأتراك تتدفق على الأناضول وكانت من الكثرة بحيث حققت للعنصر التركي الأغلبية في الأناضول إزاء المسيحيين، وان تسربت إليه موجات من الفرس هربا من المغول فان هؤلاء اندمجوا مع الأتراك وانصهروا بينهم. واستمرت الهجرة التركية إلى تركيا في عهد العثمانيين حتى إننا نرى ملامح هذه الهجرة حتى في القرن العشرين. وازدادت كثافة السكان في تركيا بحيث خرج قسم من الأتراك إلى المناطق المجاورة باتجاه سوريا والعراق وأحيانا نحو إيران وقفقاسيا وحتى فلسطين ومصر والجزائر وتونس. واتجهت في العهد العثماني نحو البلقان وتشكلت جاليات تركية كثيفة في المجر أيضا في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

واستمرت أقليات قومية في العيش في تركيا وعلى رأسها العنصر اليوناني والأرمن حتى تأسيس الجمهورية حيث رحل قسم كبير من هذه الأقليات وسكن محلهم الأتراك الوافدون من البلقان بحيث انحصرت الأقلية غير المسلمة في العهد الجمهوري في استانبول وحدها.

ويستفاد من الدراسات التاريخية الحديثة إن زمرة بوزوق المتكونة من أثنى عشر فرعا سكنت شمال الأناضول بينما سكنت زمرة اوج اوق المتكونة من أثنى عشر فرعا آخر الجنوب. ومن اكبر قبائل الاوغوز التي سكنت تركيا هم القنيق وعلى رأسهم السلاجقة وهي في المرتبة الأولى من حيث الأصالة واتى بعدهم القايى وعلى رأسهم العثمانيون ثم الاوشار والبايندر. ولما كانت كل قبيلة تتكلم لهجتها الخاصة بها فقد تشكلت في تركيا اللهجات التركمانية (الاوغوز) في الأناضول. ومن المعتقد إن لهجة قنيق و قايى هي أساس اللهجة التركية الحالية. ويسكن القنيق على الأخص حوالي نهر قزل ارماق وهكذا تكونت لهجة أستا نبول الكلاسيكية.

وإن كانت هناك زمر تركية أخرى من غير الاوغوز قد وفدت إلى تركيا فان أهميتها ضئيلة ومن هذه الزمر القارلوق والخالاج والجيغيل والكانغلى والاويغور والقبجاق.

ومن المؤكد أن الجيش التركي في الأناضول في عهد سليمان شاه كان قوامه مائة وخمسين ألف مقاتل وقد شكلوا مع عوائلهم ومع بقية المهاجرين كثافة كبيرة من السكان تقدر بمليون أو مليونين. واستمر عدد السكان بالازدياد منذ القرن الثاني عشرا. والاوغوز (التركمان) سكنوا السهول لكونهم من قبائل السهول إلا أن ازدياد عددهم اضطر البعض منهم إلى السكن في مناطق جبلية.

وفاة فاتح الأناضول المفجعة 5 حزيران(يونيو) 1086

أمر الخاقان التركي الكبير بطاب من سليمان شاه القائد الداهية ارتوق بك بمغادرة الأناضول والاهتمام بفتح البلاد العربية فعمل هذا على فتح المناطق المحيطة بعمان فألحقها بالإمبراطورية التركية ثم قدم إلى القدس. وكان في القدس حينذاك (1085) دورمش بك والي آتسز بك من القادة الأتراك الكبار والذي فتح سوريا بصحبة السلطان طوتوش.

وفي20 حزيران(يونيو) 1085 تغلب سليمان شاه على شرف الدولة بن مسلم حاكم الموصل وحلب في معركة دارت رحاها بالقرب من إنطاكية وفتح هذه المدينة فكان هذا النصر وما تبعه من اشتهار وذيوع حيث أثره في ازدياد شعور الحقد والكراهية لدى ارتوق بك تجاه فاتح الأناضول، وخشي استيلاء سليمان شاه على سوريا وطرده إياه منها كما كان السلطان طوتوش شقيق السلطان ملكشاه الرامي إلى تأسيس دولة في سوريا يتوجس خيفة من سليمان شاه وانتصاراته المتوالية. فاصطحب ارتوق بك على راس جيش كبير إلى حلب حيث عمل على عرقلة التدابير الرامية إلى الاستيلاء على سوريا الشمالية.

وفي حرب دموية جرت بالقرب من حلب في 5 حزيران (يونيو) 1086 بين المتخاصمين بادر سليمان شاه كعادته بالهجوم إلا أن الجيش المقابل لم يكن جيشا بيزنطيا يهاب الهجوم المباغت. فلم يؤخذ السلطان طوتوش ولم يندحر وقام ارتوق بك بهجوم مقابل دحر به جيش الأناضول ولم يستطع سليمان شاه فاتح الأناضول والذي كانت حياته متواصلة من الانتصارات تحمل الهزيمة فانتحر ويقال انه قتل وهو يقاتل. والتحق قسم كبير من جيش سليمان شاه بالسلطان طوتوش وفي 12 تموز(يوليو) عاد طوتوش إلى حلب.

تأثر السلطان ملكشاه وغضب جدا لمقتل سليمان شاه وتحرك من أصفهان في أيلول من عام 1086 لمعاقبة طوتوش وشاءت الاقدار أن يقع تصادم بين الابنين العظيمين للسلطان ألب ارسلان إلا أن طوتوش قال عندما رأى جيش أخيه الأكبر على مشارف حلب: " لا أستطيع أن افعل ما يمس شرف أخي الأكبر ومجده فأكون أنا المستصغر حتما حتى ولو غلبته على أمره." ، فسحب جيشه إلى دمشق في الجنوب. ولم يقتف السلطان ملكشاه اثر شقيقه بعد أن رأى حكمة أخيه وسر من طاعته لعدم رغبته في إراقة دماء الأشقاء.

6- الحروب الصليبية الأولى 1096 – 1099

ما بعد وفاة سليمان شاه

كان أبناء سليمان شاه صغار السن لدى وفاة أبيهم فاهتم السلطان ملكشاه بتربيتهم واستدعاهم إلى قصره في أصفهان مقر الدولة التركية الكبرى فاشرف على دراستهم. وبقيت بذلك دولة تركيا تحت إدارة شقيق سليمان شاه، الملك داود مدة ستة أعوام وخمسة اشهر وخمسة عشر يوما من وفاة سليمان شاه، 5 حزيران (يونيو) 1086 وحتى وفاة ملكشاه في 20 تشرين الثاني (نوفمبر) 1092 وبذلك يعتبر الملك داود الحاكم الثاني لدولة تركيا.

وبعد وفاة ملكشاه استأذن الابن الأكبر لسليمان شاه، قليج ارسلان من السلطان بركياروق وغادر أصفهان مصطحبا أخاه الأصغر إلى ازنيق واعتلى العرش حاكما ثالثا لتركيا.

كان أبو القاسم بك من قادة سليمان شاه يدير أمور دولة تركيا نظرا لصغر سن الملك داود وقد أنشأ أسطولا سرعان ما احرق من قبل البيزنطيين كما زار عاصمة الإمبراطورية البيزنطية حيث أكرم وعومل معاملة الحكام وككل نواب الحكام كان أبو القاسم طامعا في العرش حتى انه طلب من السلطان ملكشاه توليته على عرش تركيا. وقد استشاط السلطان غضبا من طلب هذا فاستدعاه فورا إلى أصفهان وهناك بقي أياما عديدة

دون أن يسمح له بمقابلة السلطان. ولم يكتف السلطان بذلك فأمر بوزان بك أن يخنق أبو القاسم بشريط سهمه عند عودتهما إلى الأناضول تحسبا للطوارئ ومنعا من إراقة دماء الأشقاء في المستقبل فنفذ بوزان بك أوامر السلطان وعين أبو الغازي بك شقيق أبو القاسم نائبا للحاكم. وفي خضم هذه الظروف قدم السلطان قليج ارسلان الأول من إيران إلى ازنيق وسط حفاوة بالغة من قبل الشعب

جاقا بك يثبت دعائم الحكم التركي في بحر ايجه

قفز جاقا بك والى ازمير في هذه الفترة إلى الصفوف الأولى من مسرح السياسة في البلاد واظهر قدرة فائقة مستغلا إدارة البلاد نيابة عن الملك داود الصغير. فقد بنى أربعين سفينة فأسس بذلك أسطولا ضخما فتح بواسطته جزر ساقز وميديللي ورودوس وسيسام في بحر ايجه. وإزاء نواقيس الخطر هذه عمد الإمبراطور الكسيوس إلى محاولة استرجاع الجزر الآسيوية من يد الأتراك إلا انه لم يفلح في ذلك. وهزم الأسطول البيزنطي بقيادة الأميرال نيكيتاس كاستامونيتاس من قبل الأسطول التركي. وإزاء ذلك نظمت حملة أخرى بقيادة الأميرال قسطنطينوس دالاسينوس مستمدة العون من وحدات الفلاندر الوافدة من بلجيكا وإن استطاع هذا الأسطول استرداد جزيرة ساقز فانه لم يستطع استرجاع ميديللي.

وكان جاقا بك ينوي الاستيلاء على شبه جزيرة كليبولي والسيطرة على مضيق جناق قلعه وتشديد الخناق بذلك على البيزنطيين فأرسل بعضا من الجواسيس إلى الوحدات التركية غير المسلمة العاملة تحت لواء البيزنطيين يحثهم على ترك خدمة البيزنطيين. كما كان يفاوض البجنك من الاوغوز غير المسلمين لنفس الغرض. وقد دحر البجنك في عام 1087 بالقرب من سليستره قوات الإمبراطور الكسيوس ووصلوا في أواخر عام 1090 إلى القرب من جكمجة.

وإزاء بوادر انحلال الإمبراطورية البيزنطية ألح الإمبراطور الكسيوس في طلب نجدة الصليبيين من أوربا وكانت أوربا تدرك استحالة الوقوف بوجه الأتراك في حالة سقوط الإمبراطورية البيزنطية أقوى دول أوربا والمسيحية برمتها.

وفي هذه الفترة أنقذ دهاء الإمبراطور الكسيوس السياسي صرح الإمبراطورية فقد اتفق مع أتراك الكومان الوافدين إلى البلقان ومنحهم مقاطعات واسعة فيها. فأباد جيش البيزنطيين- الكومان المشترك في 29 نيسان 1091 في موقع ليبنيوم بالقرب من أمور بك على الساحل الأيسر لنهر مريج جيش البجنك وقتل فرسان الكومان الذين كانوا يعدون أربعين ألفا أشقاءهم من البجنك وبذلك فقد أنقذت الإمبراطورية البيزنطية مرة أخرى كما استعيدت الأناضول الغربية بحيث اضطر الأتراك وعلى مر قرنين من الزمن الى التضحية بمئات الألوف من الشهداء لفتح هذه الأراضي مجددا. ولما كان جاقا بك طامعا في الحكم وحتى في عرش الإمبراطورية البيزنطية فقد قتل في عام 1093 من قبل صهره السلطان قليج ارسلان الأول.

بداية الحروب الصليبية

وصل الأتراك إلى سواحل مرمرة بعد عشر سنوات من معركة ملازكيرت وأسسوا دولة تركيا التي اتخذوا ازنيق عاصمة لها. وكانت الفتوحات التركية مستمرة كما كان الأتراك يتدفقون على شكل موجات عارمة إلى الأناضول.

توجست أوربا خيفة من استيطان الأتراك للأناضول وأيقنت إن دولة البيزنطيين اكبر دول أوربا قاطبة واقعة في يد الأتراك لا محالة وإن الأتراك سيتسربون إلى أوربا بعد قضائهم على الإمبراطورية البيزنطية. وبذلك فقد كان من الضروري الحد من حركة الأتراك وطردهم من سوريا وفلسطين إذا أمكن ذلك وكان هذا الأمر يحتم اتحاد الدول الأوربية كافة إذ لم يكن بمقدور أية دولة أوربية القيام بهذه المحاولة بمفردها.

وإزاء هذه النوايا أصبح الأتراك أمام مسؤولية كبرى وهي حماية العالم الإسلامي. أما العامل الثاني للحروب الصليبية فهو العامل الاقتصادي فقد أصاب القحط أوربا في القرن الحادي عشر وكان الذهب وبقية المعادن الثمينة في يد الأتراك والأقوام الشرقية الأخرى وكان المسلمون مسيطرين على طرق التجارة العالمية كما كان الأتراك في شرق أوربا يسدون على الأقوام الأوربية سبل العالم في حين كانت هذه الأقوام مضطرة إلى تامين الموارد الأولية من بلاد الشرق. ولما كان شراء هذه المواد متوقفا على دفع قيمتها بالذهب أدركنا مدى الأزمة التي كانت أوربا تعيشها بفقدان المعدن الثمين وافتقارها إليه.

لم تكن هناك أية مدينة في أوربا يربو عدد نفوسها على مائة ألف نسمة باستثناء أستانبول ذات المليون نسمة كما كان تعداد المدن التي يسكنها عشرون ألفا من السكان لا يزيد على عشرين مدينة.

أما في الشرق فكانت هناك مدن عديدة يربو عدد سكانها على المليون نسمة والعديد من المدن التي يسكنها مائة ألف نسمة ونظرا لعدم تأسس اقتصاد المدن في أوربا وعدم ظهور الطبقة البرجوازية فلم تكن هناك طبقة متوسطة بينما كانت الطبقات مقتصرة على النبلاء والطبقة الفقيرة فقط . وكانت الزراعة بدائية وأدواتها خشبية كما كان نظام الري فاسدا وكان دخل اكبر الدول الأوربية مثل فرنسا وألمانيا لا يوازي دخل اصغر أمارة تركية، كما لم يكن هناك أكثر من سبع دول في أوربا يزيد عدد نفوسها على المليون نسمة وهي ألمانيا وفرنسا وإنكلترا والمجر وبولندا وصقلية والإمبراطورية الرومانية. ولم يبلغ عدد سكان أية دولة من هذه الدول عشرة ملايين في حين كان عدد نفوس الإمبراطورية التركية مائة مليون والصين ستين مليونا.

الحروب الصليبية الأولى

تجمعت كتل أوربية كبيرة بتحريض من البابا لاسترداد القدس من أيدي المسلمين واستغلال خيرات الشرق فاجتمع مالا يقل عن خمسين ألف فرنسي حول بيار لارميت الفرنسي المعدم وسار هذا الحشد وراء آمال كبيرة في الإثراء والغنى والتحق بهم خمسون ألفا آخرين في ألمانيا وسارت قافلة المعدمين هذه تلتحق بها جموع غفيرة في المجر ودول البلقان. وقد توجست الإمبراطورية البيزنطية الغنية خيفة من جيش المعدمين هذا فسارعت الى إخراجهم إلى أراضي الأناضول من يالاوه وأدخلتهم بذلك في أراضي الدولة التركية. وقد قام هؤلاء بقتل وسلب كل من يصادفهم دون تمييز بين مسلم أو مسيحي وسار الجيش الفوضوي إلى مدينة ازنيق عاصمة تركيا راميا الاستيلاء عليها. إلا أن السلطان قليج ارسلان اعترض طريقة في أيلول (سبتمبر) من عام 1096 ولم ينج من هذا الجيش الجرار إلا من وقع في الأسر.

إلا أن هذا الجيش كان يعقبه جيش كبير آخر على رأسه ابرز فرسان أوربا ونبلائها مثل كودفري وبويلون ويضم كل قادر على حمل السلاح في القارة الأوربية وقد بلغ تعداده ستمائة ألف رجل عند وصوله إلى القرب من أراضي الإمبراطورية البيزنطية، منهم من تلقى تدريبا عسكريا منتظما ومنهم الكثيرون من المرتزقة. وقد أرعب هذا الجيش الذي كان من المفروض فيه انه قادم لإنقاذ الدولة البيزنطية، الإمبراطور الكسيوس كومينوس والذي كان يميل إلى العيش بسلام مع الأتراك لتحقيقه بعض المكاسب في البلقان متلافيا خسائره في الأناضول فعمد إلى عقد اتفاقية عاجلة مع قادة الجيش الصليبي فأخرجهم بموجبها إلى أراضي الأناضول وكانت الاتفاقية تنص على إلحاق الأراضي المغتصبة من الأتراك في الأناضول إلى الدولة البيزنطية وحرية التصرف فيما عداها.

السلطان قيلج ارسلان يدفن نصف مليون صليبي في أراضي الأناضول

حاصر الصليبيون في شهر أيار(مايو) من عام 1097 مدينة ازنيق عاصمة تركيا. وقد قررت الحامية التركية في المدينة إزاء هذا الأمر تسليم المدينة إلى البيزنطيين الذين كانت تعتبرهم أكثر تمدنا من الأوربيين، ودعت البيزنطيين إلى مفاوضات عاجلة بهذا الشأن. إلا أن الحامية سمعت بمقدم جيش السلطان قليج ارسلان إلى مشارف المدينة فعدلت عن رأيها وقررت المقاومة ضد الجيش الذي يبلغ قوامه ستمائة ألف جندي مستمدة العزم من مقدم السلطان التركي. وقد جرت معركة حامية الوطيس بين الجيش التركي والجيش الصليبي الذي كان يفوقه في العدد بعشرة أضعاف على الأقل ومنى الطرفان بخسائر فادحة فأدرك السلطان قليج ارسلان صعوبة التوصل إلى نصر نهائي إزاء التفوق العددي الهائل للجيش المعادى فقرر الانسحاب والبدء بحملة من حروب العصابات.
وبانسحاب السلطان قليج ارسلان تم تسليم أول عاصمة للدولة التركية إلى البيزنطيين وقد لقي الأسرى الأتراك معاملة حسنة من قبل الإمبراطور الكسيس كومينوس ووافق على افتدائهم بالمال كما اظهر الاحترام الفائق تجاه زوجة السلطان قليج ارسلان التي كانت بين الأسرى فأكرمها في قصر الإمبراطورية في أستانبول مبينا لها كونها حرة في الالتحاق بزوجها الحاكم التركي متى ما شاءت. وكانت سياسة اللين هذه من جانب البيزنطيين تجاه الأتراك متولدة من كراهية البيزنطيين للجموع الكاثوليكية اللاتينية الزاحفة.
سار الصليبيون في أراضي الأناضول باتجاه مدينة اسكى شهر وفي 30 حزيران (يونيو) 1097 تصدى لهم السلطان قليج ارسلان بجيشه حيث الحق بهم خسائر فادحة وأسرع في الانسحاب. وبعد ذلك بدأت مناوشات حرب العصابات بين الأتراك والصليبيين في سهول الأناضول. وقد تمكن السلطان قليج ارسلان بمعونة ابرز قادته مثل دانشمند غازي من إنزال ضربات فادحة بالجيش الصليبي وإبادة وحداته المنفصلة أينما صادفها. كما كان الجيش التركي يشتبك مع الجيش البيزنطي في نفس الوقت. وإذا ما علمنا أن الجيش التركي كان يتكون من مائة وخمسين ألف جندي أدركنا خطورة الأمر وصعوبة الوقوف بهذا العدد أمام قوات أوربا المتحدة برمتها، وقد استغل الإمبراطور الكسيس كومينوس الفرصة السانحة فاسترجع قسما من غرب الأناضول ومن ضمنه مدينة ازمير. وقد وقع الأتراك بذلك في شريط ضيق في سهل الأناضول المركزي يدافعون تحت وطأة أقسى الظروف عن ارض الوطن. يضاف إلى كل ما تقدم أن سادة الأرمن في جبال طوروس استغلوا الظروف المواتية فأسسوا دولة أرمنية في كيلكيا.

انخفض عدد جنود الجيش الصليبي عند مغادرته لأراضي الأناضول تأهبا لمحاصرة إنطاكية إلى مائة ألف رجل. فقد استطاع السلطان قليج ارسلان بفضل حرب العصابات الخاطفة من إبادة نصف مليون صليبي في أراضي الأناضول.

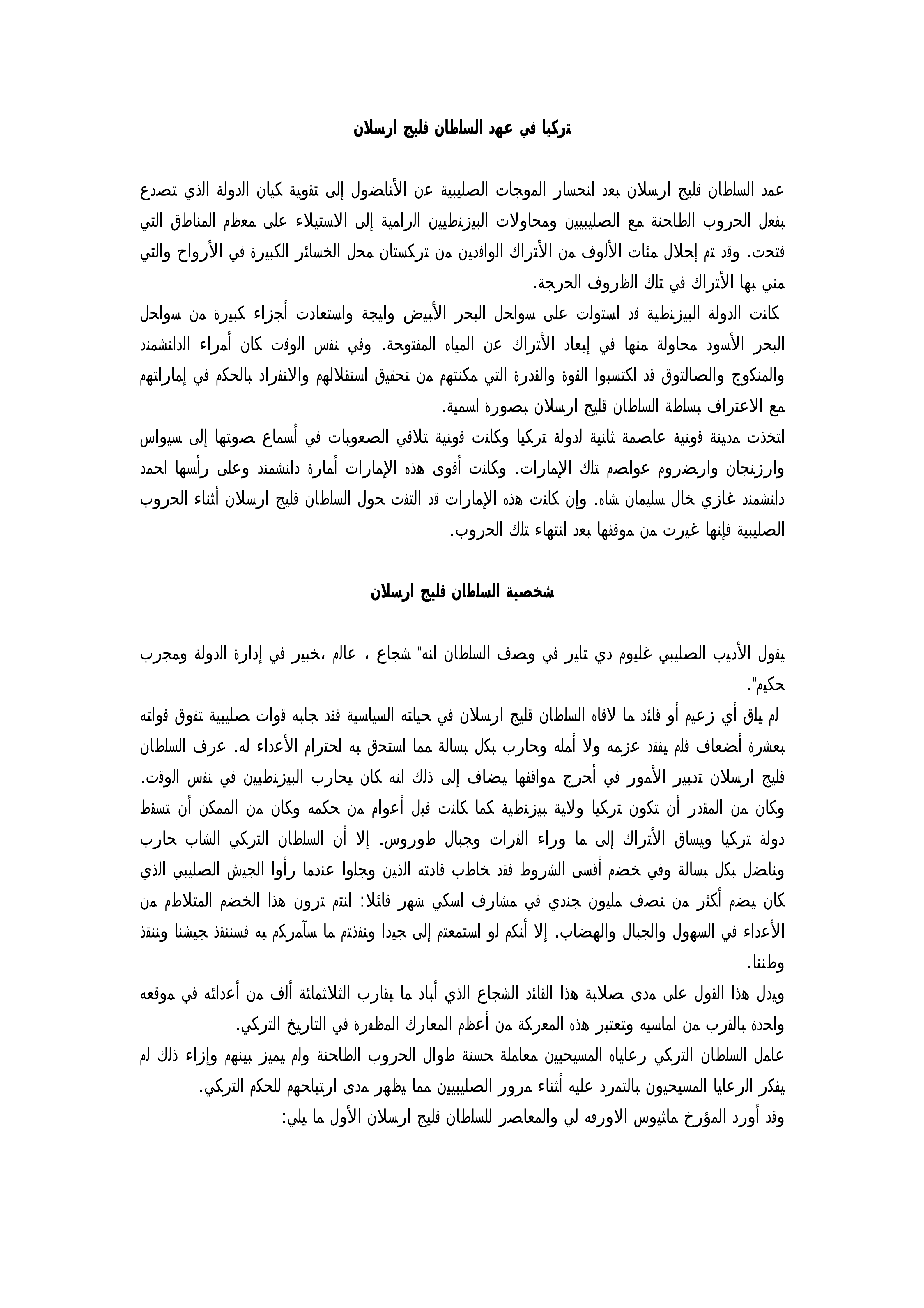
الصليبيون في إنطاكية 21 تشرين الأول 1097

ضحى الصليبيون بنصف مليون رجل كما سبق ذكره لاجتياز أراضي الأناضول فحاصروا بما تبقى منهم قلعة إنطاكية الهامة. ولم تكن هذه المدينة من ضمن مقاطعات تركيا بل كانت تتبع الدولة التركية الكبرى مباشرة بعد وفاة سليمان شاه وكانت تدار من قبل ياغى باصان بك منذ عهد السلطان ملكشاه.
بدا حصار إنطاكية في 21 تشرين الأول (أكتوبر) 1097 واستمر أكثر من سبعة اشهر إلا أن الصليبيين لم يتمكنوا من اقتحامها عنوة إلا بعد إرشادهم من قبل مسيحي في داخل المدينة خان أهل المدينة وقاد الصليبيين إلى الطرق المؤدية إليها، فسقطت بذلك المدينة في أيديهم في 2 حزيران (يونيو) 1098 وإزاء ذلك أمر الخاقان التركي الأكبر والي الموصل كربوغا بك بإنقاذ المدينة فحاصر هذا الصليبيين داخل القلعة. وعندما أدرك الصليبيون إن المدينة ستقع في يد الأتراك ثانية أطلقوا إشاعات مفادها العثور على السهم الذي أطلق في حينه على السيد المسيح فأحدثت هذه المعجزة المفتعلة فعل السحر في معنويات الجيش الصليبي المرهق فقام بهجوم مضاد مباغت في 28 حزيران شتت به القوات التركية. وتأسست في إنطاكية الأمارة الصليبية الثانية التي أعقبت أمارة اورفة الصليبية.

الصليبيون في القـ ـ ـدس

وصل الصليبيون بعد ثلاث سنوات من بدء تحركهم إلى القدس، هدفهم الرئيسي. إلا أن قوام الجيش الذي بدأ بالسير وهو يضم ستمائة ألف رجل كان قد انخفض إلى أربعين ألفا فقط . وكانت القدس آنذاك تحت حكم الفاطميين وبعد مقاومة تكاد لا تذكر وقعت المدينة المقدسة في يد الجيش الصليبي. وقام الصليبيون بإبادة سبعين ألفا من المسلمين واليهود في المدينة ولم يسلم من القتل حتى النسوة والأطفال الذين التجأوا إلى المساجد.
واثر ذلك تأسست دولة لاتينية كاثوليكية اتخذت مركزا لها مدينة القدس التي كانت قد بقيت تحت الحكم الإسلامي مدة 467 عاما. وتبعت جميع الدويلات الصليبية هذه الدولة. وتم بذلك السيطرة من قبل الأوربيين على هذه المدينة التي كانت ولا تزال ثالثة مدينة مقدسة لدى المسلمين بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة. ولم يكن الأتراك ليسمحوا بوجود الأوربيين في هذه المناطق المقدسة وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط فعملوا على إخراجهم منها وتطهير جميع هذه الأراضي منهم وكانت الحملة الصليبية بذلك قد وقفت بوجه التاريخ ردحا من الزمن بحيث تأخر فتح أستانبول ثلاثة قرون ونصف قرن حيث اتحدت الأناضول بكاملها فيما بعد تحت الحكم التركي.

7- السلطان قليج ارسلان الأول 1092 – 1107



تركيا في عهد السلطان قليج ارسلان

عمد السلطان قليج ارسلان بعد انحسار الموجات الصليبية عن الأناضول إلى تقوية كيان الدولة الذي تصدع بفعل الحروب الطاحنة مع الصليبيين ومحاولات البيزنطيين الرامية إلى الاستيلاء على معظم المناطق التي فتحت. وقد تم إحلال مئات الألوف من الأتراك الوافدين من تركستان محل الخسائر الكبيرة في الأرواح والتي مني بها الأتراك في تلك الظروف الحرجة.

كانت الدولة البيزنطية قد استولت على سواحل البحر الأبيض وايجة واستعادت أجزاء كبيرة من سواحل البحر الأسود محاولة منها في إبعاد الأتراك عن المياه المفتوحة. وفي نفس الوقت كان أمراء الدانشمند والمنكوج والصالتوق قد اكتسبوا القوة والقدرة التي مكنتهم من تحقيق استقلالهم والانفراد بالحكم في إماراتهم مع الاعتراف بسلطة السلطان قليج ارسلان بصورة اسمية.

اتخذت مدينة قونية عاصمة ثانية لدولة تركيا وكانت قونية تلاقي الصعوبات في أسماع صوتها إلى سيواس وارزنجان وارضروم عواصم تلك الإمارات. وكانت أقوى هذه الإمارات أمارة دانشمند وعلى رأسها احمد دانشمند غازي خال سليمان شاه. وإن كانت هذه الإمارات قد التفت حول السلطان قليج ارسلان أثناء الحروب الصليبية فإنها غيرت من موقفها بعد انتهاء تلك الحروب.

شخصية السلطان قليج ارسلان

يقول الأديب الصليبي غليوم دي تاير في وصف السلطان انه" شجاع ، عالم ،خبير في إدارة الدولة ومجرب حكيم".

لم يلق أي زعيم أو قائد ما لاقاه السلطان قليج ارسلان في حياته السياسية فقد جابه قوات صليبية تفوق قواته بعشرة أضعاف فلم يفقد عزمه ولا أمله وحارب بكل بسالة مما استحق به احترام الأعداء له. عرف السلطان قليج ارسلان تدبير الأمور في أحرج مواقفها يضاف إلى ذلك انه كان يحارب البيزنطيين في نفس الوقت. وكان من المقدر أن تكون تركيا ولاية بيزنطية كما كانت قبل أعوام من حكمه وكان من الممكن أن تسقط دولة تركيا ويساق الأتراك إلى ما وراء الفرات وجبال طوروس. إلا أن السلطان التركي الشاب حارب وناضل بكل بسالة وفي خضم أقسى الشروط فقد خاطب قادته الذين وجلوا عندما رأوا الجيش الصليبي الذي كان يضم أكثر من نصف مليون جندي في مشارف اسكي شهر قائلا: انتم ترون هذا الخضم المتلاطم من الأعداء في السهول والجبال والهضاب. إلا أنكم لو استمعتم إلى جيدا ونفذتم ما سآمركم به فسننقذ جيشنا وننقذ وطننا.

ويدل هذا القول على مدى صلابة هذا القائد الشجاع الذي أباد ما يقارب الثلاثمائة ألف من أعدائه في موقعه واحدة بالقرب من اماسيه وتعتبر هذه المعركة من أعظم المعارك المظفرة في التاريخ التركي.

عامل السلطان التركي رعاياه المسيحيين معاملة حسنة طوال الحروب الطاحنة ولم يميز بينهم وإزاء ذلك لم يفكر الرعايا المسيحيون بالتمرد عليه أثناء مرور الصليبيين مما يظهر مدى ارتياحهم للحكم التركي.

وقد أورد المؤرخ ماثيوس الاورفه لي والمعاصر للسلطان قليج ارسلان الأول ما يلي:

"إن وجود حاكمنا الطيب هو خير ضمانة لنا نحن المسيحيين." ، كما يقول أحد المؤرخين الأوربيين والذي اشترك شخصيا في الحروب الصليبية في وصف الأتراك: " من يستطيع أن يصور بطولة الأتراك وقابليتهم العسكرية الفذة ؟ فلو كانوا مسيحيين لما استطاع أحد أن يرقى إلى قدرتهم أو جسارتهم أو فنونهم الحربية."

وفاة السلطان قليج ارسلان الأول تموز 1107

دخل السلطان قليج ارسلان في آذار(مارس) من عام 1107 إلى الموصل ونصب من ابنه ملكشاه البالغ أحد عشر عاما ملكا عليها ثم سار إلى الشمال الغربي. وقد توفي غرقا عند عبوره نهر الخابور في شهر تموز فنقل جثمانه إلى سلوان حيث دفن هناك.

ولما كان خلفه ملكشاه صغيرا في السن فقد استدعي من قبل السلطان التركي الأكبر محمد طابار- ابن السلطان ملكشاه - إلى عاصمة الدولة التركية الكبرى حيث بقي عامين تلقي فيهما التدريب والتربية مثل أبيه ثم سلمه الخاقان مرسوم التولي على دولة تركيا فأرسله إلى قونية. وقد حكمت تركيا في هذه الفترة باسمه من قبل أوصياء. وقد توفي السلطان ملكشاه في عام 1116 عن عشرين عاما بعد حكم دام سبعة أعوام فخلفه شقيقه السلطان مسعود الحاكم الخامس لدولة تركيا.

8- السلطان مسعود الأول 1116 – 1155

الحروب الصليبية الثانية 1147 – 1149

حكم السلطان مسعود مدة تسعة وثلاثين عاما قضاها بالكفاح من اجل تقوية بنية دولة تركيا حيث عمل على إخضاع الإمارات التركية للإدارة المركزية واستمرت في عهده مجابهة الأتراك للصليبيين والبيزنطيين.

وقد نصب السلطان مسعود في أعوامه الأخيرة ابنه الكبير قليج ارسلان البالغ من العمر أربعين عاما سلطانا فحال بذلك دون اقتتال الإخوة من بعده نظرا للظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة. وقد توفي السلطان مسعود عن سبعة وخمسين عاما في قونية بعد أن استتب الأمن والاستقرار في دولته.

الحروب الصليبية الثانية

سارت الحملة الصليبية الثانية بقيادة كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا. وقد وصل كونراد الثالث على راس خمسة وسبعين ألفا من الجنود إلى سهل قونيه فتصدى له السلطان مسعود الأول بقواته القليلة العدد واستطاع بفضل مهارته الحربية من إبادة الجيش الصليبي حيث فر الإمبراطور الألماني مع خمسة آلاف ممن نجوا من أيدي الأتراك ملتجئا إلى ازنيق.

وفي هذه الآونة وصل لويس السابع ملك فرنسا على راس مائة وخمسين ألف رجل إلى ازنيق حيث انضم إلى إمبراطور ألمانيا . فأدرك السلطان التركي خطورة مجابهة هذه القوات فاستدرجهم إلى جبال طوروس حيث انقض عليهم واضطر الصليبيون الذين منوا بخسائر فادحة إلى الالتجاء إلى انطالية.

المبحث الثاني

عصر الإمبراطورية الأولى في تركيا 1157 – 1243

1- السلطان قليج ارسلان الثاني 1155 – 1192

تعتبر الفترة الواقعة بين عامي 1157 – 1243 عصر الإمبراطورية الأولى في تركيا والتي سبقت الإمبراطورية العثمانية ويقع هذا العصر بين وفاة السلطان سنجر في 29 نيسان (ابريل) 1157 ووقوع كارثة كوسه داغ في تموز (يوليو) 1243 أي ما يقارب ستة وثمانين عاما. وتعتبر هذه المدة التي تقارب القرن دور العظمة لدولة تركيا إذ يعتبر حكام الأناضول السلاجقة في هذه الفترة سلاطين الدولة التركية الكبرى. فقد انتقل عرش الدولة التركية الكبرى بعد وفاة السلطان سنجر آخر أبناء السلطان ملكشاه إلى الغرب أي إلى حكام تركيا. وبالرغم من أن سلاجقة العراق ادعوا بانتقال العرش إليهم فان سلاجقة الأناضول كانوا أقوى واكبر شأنا من إخوتهم في العراق كما أن الخوارزمية سرعان ما حلوا محل سلاجقة العراق. ومن ناحية أخرى فقد فقدت تركيا أهميتها كأقوى دولة في العالم والتي توصلت إليها في عهد علاء الدين كيقباد بعد كارثة كوسه داغ ودخلت تركيا تدريجيا تحت النفوذ المغولي. ثم فقدت استقلالها وخضعت للالخانيين وتفرقت بعد ذلك إلى دويلات عديدة إلى أن توحدت مرة أخرى تحت ظل إمبراطورية ثانية وهي الإمبراطورية العثمانية.

وفاتحة هذا الدور القصير والبالغ في الأهمية يبدأ بالسلطان قليج ارسلان الثاني الذي أحبط آمال البيزنطيين في استعادة الأناضول بصورة نهائية وابعد خطر الصليبيين عن تركيا وربط الإمارات الصغرى بالإدارة المركزية فأسدى بذلك خدمات جلي لدولة تركيا التي بدأت ترفل بالنعيم بعد هذا التاريخ.

استقل السلطان قليج ارسلان الذي أرتقي العرش في عام 1155 خلفا لأبيه بعد وفاة الخاقان التركي الأكبر السلطان سنجر في عام 1157 بصورة تامة وأنتهي بذلك ارتباط الحكام الأتراك اسميا بالخاقان الأكبر. لم يخاف أحد السلطان سنجر بعد وفاته وتخلى السلاجقة عن آسيا الوسطى وتركستان وبقيت هناك ثلاث دول سلجوقية في تركيا وكرمان (جنوب شرق إيران) والمناطق المحصورة بين خليج البصرة وبحر الخزر. كما أسس قادة السلاجقة والذين يسمون بالاتابكية دولا صغيرة كانت في الغالب تتبع دولة تركيا أو سلاجقة العراق.

استولى السلطان قليج ارسلان في عام 1157 على عنتاب فضمن بذلك الحدود السورية. ثم توجه نحو البيزنطيين الذين كانوا مسيطرين على منطقة مرمره والسواحل الغربية للأناضول وسواحل البحر الأسود فدحر قوات الإمبراطور مانويل كومنينوس بالقرب من مدينة اسكي شهر.

وبعد هذا النصر فكر السلطان قليج ارسلان في عقد الصلح مع البيزنطيين ليستطيع التفرغ إلى تقوية أسس دولته وزار أستانبول ليطلع على خفايا السياسة البيزنطية حيث استقبل بحفاوة منقطعة النظير وقد أكرمه الإمبراطور البيزنطي ومن جملة ما يذكر إن الطعام كان يقدم إليه في القصر الذي حل فيه مرتين في اليوم في أواني ذهبية ولا تسترجع هذه الأواني طيلة الثلاثة اشهر التي قضاها في ضيافة الإمبراطور البيزنطي . وكان القصد من ذلك إظهار ثراء الإمبراطورية البيزنطية للسلطان التركي وإثنائه عن عزمه على محاربتها. ولم يؤد هذا الأمر إلى أكثر من هدنة وقتية بين القوتين المتخاصمتين تعين بعدها على الأتراك مجابهة آمال البيزنطيين ومطامعهم التوسعية في الأناضول.

تخلص السلطان قليج ارسلان في عام 1174 من منافس قوي بعد وفاة نور الدين محمود الزنكي الاتابكي حاكم سوريا والموصل التركي الكبير. وقد عمد السلطان اثر ذلك إلى إنهاء حكم أمارة دانشمند وربطها بالدولة التركية مباشرة في عام 1175 كخطوة أولى لتحقيق الوحدة التركية.

أبناء السلطان قليج ارسلان الثاني

توفي السلطان قليج ارسلان الثاني في شهر آب (أغسطس) من عام 1192 في الطريق الواقع بين مدينتي قونيه واقصراي عن سبعة وسبعين عاما وكان قد نصب أبناءه الأحد عشر على الولايات التركية قبل سبعة أعوام من وفاته، فولى ابنه الكبير قطب الدين ملكشاه على سيواس وركن الدين سليمان شاه على طوقاد ومحي الدين مسعود على انقره ونور الدين محمود سلطان شاه على قيصري ومغيث الدين طغرل شاه على البستان ومعز الدين قيصر شاه على ملاطيه وناصر الدين بركياروق شاه على نيكسار ونظام الدين ارغون شاه على اماسيه وسنجر شاه على اركلي وارسلان شاه على نيكده وابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو على اولوبورلى وما حواليها.

شخصية السلطان قليج ارسلان الثاني

يورد المؤرخ المشهور الراهب غريغور والمعاصر للسلطان قليج ارسلان الثاني في كتابه مقارنة بين الإمبراطور ما نويل كومنينوس أعظم أباطرة البيزنطيين والسلطان قليج ارسلان ويقرر تفوق السلطان التركي على الإمبراطور بقوله انه "اعقل من الإمبراطور وأكثر حيطة". ولا أدل على ذلك من قيادته للجيش شخصيا بعد تجاوزه للسبعين من عمره وقد ذكرت المصادر العربية المعاصرة عنه انه عظيم مهيب الجانب، عادل، له نظرة ثاقبة في الأمور السياسية. كما تذكر المصادر الأرمنية المعاصرة له عنه بأنه "حكيم عظيم لا يتخلى عن العدل أبدا".

كان السلطان قليج ارسلان قد تزود بثقافة عالية شأن آبائه منذ ولايته للعهد وكان متدينا صادقا بعيدا عن الرياء والتطرف يعامل رعاياه المسيحيين سواسية مع المسلمين. وان كانت المساواة الدينية طبيعة واعتيادية في يومنا هذا فقد كان هذا الآمر مقتصرا على الأتراك في القرون الوسطى. ويستدل على هذا الأمر من شهادة جميع المؤرخين المسيحيين المعاصرين للسلطان التركي الكبير. وإن كان الأتراك يشكلون أغلبية ضئيلة تجاه المسيحيين في الأناضول في ذلك الوقت أدركنا مدى ارتياح المسيحيين للحكم التركي بواقع أنهم لم يحاولوا إسناد الإمبراطورية البيزنطية ضد الأتراك. وقد اظهر السلطان التركي لباقة وأدبا حينما خاطب البطريرك السرياني في ملاطية بعد النصر الذي أحرزه في موقعة ميريوكافالون قائلا له بأنه إنما أحرز هذا النصر نتيجة لابتهالات البطريرك ودعواته المخلصة.

هاجر مئات الألوف من الأتراك في عهد السلطان قليج ارسلان الثاني من تركستان إلى الأناضول معززين نفوس الأتراك في هذه المنطقة. وإزاء تسامح السلطان الديني تجاه المسيحيين فانه لم ينس بان التعلق بأهداب العقيدة الإسلامية كان من ابرز عوامل استيطان الأتراك للأناضول واتخاذهم إياها وطنا. ويظهر السلطان قليج ارسلان الثاني في هذا العصر أيضا بميزة أخرى وهي توجيهه أهمية بالغة إلى شئون البناء والتعمير فقد بني في عهده المئات من الجوامع والمدارس والمنازل والأسواق.

والسلطان قليج ارسلان الثاني هو أول حكام تركيا الذين تقلدوا لقب السلطان المعظم والذي كان يطلق على الخاقان التركي الأكبر. وكان اسمه الكامل هو عز الدين أبو الفتح قليج ارسلان.

ترك قليج ارسلان دولة قوية زاهرة كالتي تركها سليمان شاه وقد ارتفعت تركيا في عهده إلى مصاف الإمبراطوريات حيث تمت الوحدة الداخلية واستقرت القومية التركية في أراضي الأناضول.

2- ميريوكافالون، أيلول (سبتمبر)1176

فكر الإمبراطور مانويل إزاء تفاقم الخطر التركي على إمبراطوريته في تجهيز حملة قومية على قوات قليج ارسلان الثاني ورفض عرض الصلح الذي تقدم به السلطان التركي. وقد أدرك القادة البيزنطيون استحالة القضاء على القوات التركية الخيالة واستحالة القضاء على المقاومة التركية حتى في حالة هزيمتهم في معركة واحدة. إلا أن الإمبراطور استمر في تنفيذ ما عزم عليه واستقدم ابعد الوحدات العسكرية للالتحاق بالجيش كما ضم جيشه الكثيرين من المجريين والإيطاليين والفرنسيين والعربيين وأتراك البجنك.
أرسل قليج ارسلان الثاني قواته القناصة لتخريب الأماكن المعمورة في طريق العدو وأحدث تخريبا في الطرق فأمر بالانقضاض على أكداس البيزنطيين.والتقى الجيشان الكبيران في شمال بحيرة اكريدير. وكان قوام الجيش التركي في هذه المعركة التي أنزلت أقصى ضربة للبيزنطيين بعد معركة ملازكيرت ستين ألفا. حوصر الجيش البيزنطي في وقت لا يتوقعه على سفوح الجبال في منطقة ميريوكافالون فأبيد عن بكرة أبيه من قبل الجيش التركي. ووافق السلطان على مرور الإمبراطور إلى أستانبول بحرية لقاء دفعه جزية كبيرة. واستولى الأتراك على حمولة خمسة آلاف عربة من الأسلحة والعتاد والأرزاق. كما غنمت مجوهرات الإمبراطور وحاشيته. واضطر الإمبراطور إلى دفع مائة ألف قطعة ذهبية ومائة ألف فضية وخيول مطهمة لاستعادة حريته والعودة إلى استانبول.

أهمية ميريوكافالون في التاريخ التركي

أثبتت موقعة ميريوكافالون التي أتت بعد مائه وخمسة أعوام بعد ملازكيرت للعالم اجمع كون الأناضول وطنا تركيا. وتداعت آمال البيزنطيين في استعادة أواسط الأناضول من يد الأتراك ونظموا سياستهم على أساس محاولة التشبث بالسواحل، وهكذا قطفت ثمار ما زرعه سليمان شاه وقليج ارسلان الأول ومسعود الأول بعد كفاح طويل ومرير.
ولما كانت الدولة البيزنطية أقوى الدول الأوروبية والمسيحية كما كان الإمبراطور مانويل كومنينوس من أعظم الأباطرة البيزنطيين فقد أعرب ملك إنجلترا وإمبراطور ألمانيا عن دهشتهم لنتيجة ميريوكافالون. وقد حمل رسل قليج ارسلان الثاني تفاصيل الموقعة إلى الحكام الأوربيين.
كما أمر الخليفة العباسي بإقامة الأفراح بهذه المناسبة وبتلاوة الدعاء للشهداء الأتراك الذين سقطوا صرعى في هذه المعركة. كما أرسل السلطان التركي رسلا إلى فردريك بارباروسا إمبراطور ألمانيا والى صلاح الدين الأيوبي مظهرا تفوقا رائعا بعد هذا النصر الكبير. وبذلك كانت الدولة التركية تخطو أول خطواتها في سبيل إحراز الأولوية على دول العالم.

3- الحملة الصليبية الثالثة 1189 – 1192

تعتبر الحملة الصليبية الثالثة اشهر الحروب الصليبية بالرغم من عدم توصلها إلى أهدافها بصورة تامة مثل الحملة الأولى والوحيدة في مثل هذه النتائج. ويعزى سبب شهرة هذه الحملة إلى قيادتها من قبل ابرز قادة أوربا وهم فردريك باربروسا إمبراطور ألمانيا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب اغوستا ملك فرنسا، وتصدى الحاكم المشهور صلاح الدين الأيوبي لهم.

هزم صلاح الدين الأيوبي الذي كان قد أنهى الحكم الفاطمي في مصر والذي استمر قرنين الصليبيين عام 1187 في حطين بالقرب من بحيرة طبرية في شمال فلسطين. وإزاء عجز الصليبيين عن الدفاع عن القدس دخلها صلاح الدين الأيوبي مفتتحا عهدا جديدا في التاريخ الإسلامي. وقد عزم الأوربيون على استعادة القدس التي ضحوا من اجلها بالملايين من أبنائهم بأي ثمن فنظمت الحملة الصليبية الثالثة وقام ابرز ملوك أوربا في ذلك العهد بتنظيم وقيادة تلك الحملة.

خرج فردريك باربروسا إمبراطور ألمانيا من بافاريا والتقى برسل الأتراك في ادرنه الذين أخطروه بعدم التعرض لأراضي الأناضول إلا أن الإمبراطور لم يعر لهم أذنا صاغية فسار بقواته التي يتراوح عددها بين مائتي ألف وستمائة ألف جندي وعبر مضيق جناق قلعه إلى الأراضي البيزنطية الساحلية. ولتجنب المرور في الأراضي التركية خوفا من ميريوكافالون ثانية انحدر نحو الجنوب توخيا لعدم الالتقاء بالقوات التركية وبعد مسيرة طويلة بدل وجهة سيره إلى الجنوب الشرقي فوطأ الأراضي التركية بالقرب من اولوبورلي. وإزاء ذلك نشبت الحرب بين تركيا وألمانيا.

عمد السلطان قليج ارسلان الثاني إدراكا منه لخطورة الوضع إلى حرب العصابات فانقض على الوحدات الألمانية أينما كانت وعلى أكداسها. وقد اثر ذلك على هذه القوات التي لم تستطيع قطع المسافة بين اولوبورلى واق شهر إلا في شهر كامل، كما أصيب أثناء ذلك دوق سواب بجروح بالغة وكان الإمبراطور الألماني يتمسك بعدم إعلانه الحرب على الأتراك ويزعم انه سيمر إلى فلسطين عن طريق سوريا عند مقابلته لسفراء الأتراك.

وعند اقتراب الصليبيين من قونيه تصدى الجيش التركي بقيادة ملكشاه الابن الأكبر للسلطان قليج ارسلان الثاني للصليبيين ثم انسحب إلى قونيه واحتمى سكان قونيه بقلعتها الشامخة عند دخول الصليبيين للمدينة كما كان قليج ارسلان فيها. ولم يرغب الإمبراطور الألماني إطالة بقائه في المدينة ومجابهة الأتراك فغادرها على عجل وترك الأراضي التركية في قارامان حيث كانت تبتدئ أراضي الدولة الأرمنية.

وقبل أن تصل القوات الصليبية إلى سواحل البحر المتوسط مات الإمبراطور بربروسا غرقا في النهر واستمر الجيش الصليبي في سيره إلى سيلفكه ثم سار بمحاذاة الساحل إلى سوريا متوجها إلى فلسطين.

خاتمة الحروب الصليبية

وصل ملكا إنكلترا وفرنسا بطريق البحر الأبيض المتوسط إلى فلسطين. ركب ريتشارد قلب الأسد وقواته البحر في مرسيليا وعبر مضيقي بونيفا شيو ومسينا إلى رودوس ثم قبرص حيث طرد حاكمها البيزنطي ونصب غوي من سلالة لوسيغنان الفرنسية ملكا عليها (كان ريتشارد ينتمي إلى اصل فرنسي). وكان غوي يعرف الكثير عن الأتراك فقد وقع أسيرا في يد صلاح الدين الأيوبي. وكانت زوجته آخر ملكات القدس.

خرج ريتشارد وفيليب اغوستا إلى البر في عكا، فاستوليا على هذه القلعة الهامة واشتبكا مع قوات صلاح الدين الأيوبي أملا في استرداد القدس والتحقت بهما القوات الألمانية القادمة من سوريا. أدرك اغوستا ومن ورائه قلب الأسد عبث محاولتهم نتيجة تجارب مريرة وقاسيه فرجعا إلى وطنهما وبقيت القدس بذلك إسلامية.

4- السلطان كيخسرو الأول والسلطان سليمان شاه الثاني1192– 1211

اعتلى السلطان غياث الدين كيخسرو الأول أصغر أبناء قليج ارسلان الثاني العرش بعد وفاة أبيه فحكم أربعة أعوام ثم خلفه شقيقه السلطان ركن الدين سليمان شاه الثاني فحكم ثمانية أعوام حتى مطلع عام 1204. وبعد ذلك اجلس ابنه السلطان عز الدين قليج ارسلان الثالث على العرش إلا انه قتل بعد عام من قبل عمه كيخسرو الذي اعتلى العرش ثانية فحكم ستة أعوام وشهرين إلى أن استشهد في حربه مع البيزنطيين في نيسان(ابريل) من عام 1211. وحكم بعد ذلك أبناءه كيكاوس وكيقباد الذي يعتبر حكمها ذروة عهد الإمبراطورية الأولى.

كان سليمان شاه الثاني قد ترك لأخيه دولة قوية واتبع سياسة حكيمة لربط ملوك الارتوق الحاكمين في جنوب شرق الأناضول والأيوبيين إلى قونيه، وقد استمر كيخسرو على نفس السياسة فاظهر هؤلاء الملوك ولاءهم لدولة تركيا. ونتيجة لولاء الارتوق في ماردين وخربوط والأيوبيين في سميساط وحلب أصبح شمال سوريا تحت نفوذ الدولة التركية وتولدت منافسة شديدة بين سلاطين السلاجقة والأيوبيين.

وإزاء طرد اللاتين للبيزنطيين من أستانبول في عام 1204 نتيجة حملة صليبية رابعة التجأت الإمبراطورية إلى أزنيق فأخذت تدير حوض مرمره ومنطقة ايجة وسواحل البحر الأبيض المتوسط منها إلا أن سواحل البحر الأسود خضعت لدولة بيزنطية أخرى فقد اتخذ الكومنينوسيون طرابزون مقرا فحكموا سواحل البحر الأسود منافسين أباطرة ازنيق.

وإزاء هذه التطورات استطاع الأتراك فتح بعض مناطق البحر الأسود، فقد فتح سليمان شاه الثاني صامسون التي سرعان ما استعيدت من قبل إمبراطورية طرابزون. فعمد الأتراك إلى انشاء ميناء صامسون الإسلامي بالقرب منها كخطوة أولى للانفتاح نحو البحر الأسود ونتيجة لضغط الأتراك ربطت صامسون الأصلية مصيرها بازنيق.

وقد هزم الكسيوس كومنينوس إمبراطور طرابزون المتحالف مع مملكة جورجيا من قبل كيخسرو فتحطمت مطامع البيزنطيين في إبعاد الأتراك عن سواحل البحر الأسود.

وبعد ذلك اشتد الضغط على سواحل البحر الأبيض فحاصر الأتراك ميناء انطالية إلا أن القوات البيزنطية الموجودة فيها تلقت العون من دولة قبرص اللاتينية التي كانت تخشى انفتاح الأتراك على البحر الأبيض. ولما اشتد الحصار سلم البيزنطيون المدينة إلى كيخسرو فدخلها في آذار (مارس) في عام 1207 وسكنها التجار الأتراك وعقدت معاهدة تجارية بين تركيا وجمهورية إيطاليا في البندقية كما بنى أسطول تركي على جناح السرعة.

وبعد ذلك هاجمت القوات التركية الدولة الأرمنية فدحرتها وأسرت ابن ملكها ليون الثاني وخضع الأرمن للنفوذ التركي. وللحيلولة دون تهديد تركيا من قبل السلطان الأيوبي عادل في مصر فقد سار كيخسرو إلى الجنوب الشرقي واظهر حكام حلب والموصل واربيل ولاءهم للدولة التركية وإمبراطورها.

وقد عمدت الإمبراطورية البيزنطية في ازنيق التي كانت تدفع الجزية إلى الإمبراطورية التركية بعد أن اشتد ساعدها إلى رفض دفع الضريبة وإتباع سياسة استرداد الأراضي، وفي هذه الأثناء التجأ الكسيوس الثالث إلى السلطان كيخسرو بعد انتزاع العرش منه من قبل صهره ثيودورس لاسكاريس. فأرسل السلطان إليه يخطره بلزوم إعادة العرش إلى صاحبه الشرعي وقد رفض طلبه بطبيعة الحال فسار السلطان بجيشه مصطحبا معه الكسيوس الثالث نحو وادي مندرس ودخل الأراضي البيزنطية. وإزاء ذلك جمع لاسكاريس قواته وتأهب لملاقاة السلطان التركي.

التقى الجيشان بالقرب من مدينة آلا شهر (اسمها القديم فيلادلفيا) فدحر الجيش البيزنطي من قبل الأتراك إلا أن السلطان التركي استشهد نتيجة طعنة تلقاها من أحد الجرحى البيزنطيين عند تفقده لساحة المعركة. ويجدر بالذكر إن السلطان مراد الثاني صرع بنفس الطريقة تماما عام 1389 بعد معركة قوصوه الأولى. إلا أن الخاتمة لم تكن مثل خاتمة قوصوة التي أبيد فيها جيش الأعداء برمته. فقد عاد لاسكاريس لدى سماعه بمصرع السلطان فجمع قواته المتبقية وهجم على الأتراك المنتعشين بفرحة النصر فأوقع بهم خسائر فادحة. واضطر الجيش التركي إلى الانسحاب إلى الأراضي التركية واسر الكسيوس الثالث مع القائد التركي الكبير سيف الدين آي – أبا.

5- السلطان عز الدين كيكاوس الأول 1210- 1219

اعتلى السلطان عز الدين كيكاوس العرش بعد استشهاد والده في نيسان (ابريل) من عام 1211 وبعد أن نازع شقيقه الملك كيقباد عليه وقد حكم تسعة أعوام وثمانية اشهر حتى شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام 1219.

استمر السلطان كيكاوس على سياسة والده ففتح مينائي اره كلى و اماصره وعدة مدن أخرى على ساحل البحر الأسود ثم انقض على مملكة الأرمن فاسر نبلاءها وغنم في تلك المعركة غنائم كثيرة. وقد أعلن ملك الأرمن في عام 1218 خضوعه لدولة تركيا فكانت هذه خطوه هامة في سبيل تحقيق وحدة الأناضول، كما تعهدت المملكة بدفع عشرين ألف دينار سنويا وأموال عينية وتجهيز خمسمائة فارس في أي وقت يطلبه السلطان للالتحاق بالجيش. وتبعت إمبراطورية طرابزون دولة تركيا في عهده أيضا كما عقد الصلح مع دولة ازنيق.

توفي السلطان كيكاوس في ويران شهر بالقرب من ملاطيه ودفن في دار الشفاء التي أنشأها في سيواس وليس في قونيه كسائر سلاطين السلاجقة بناء على وصيته.

فتح سينوب وإخضاع طرابزون

من أهم الفتوحات التي تمت في عهد السلطان كيكاوس فتح سينوب أهم موانئ البحر الأسود التجارية. وقد تم فتحها في 2 تشرين الثاني(نوفمبر) 1214 فأصبحت قاعدة للأسطول التركي في البحر الأسود . وكان لهذا الفتح أثره البالغ في بسط السيطرة التركية على البحر الأسود.

وقد وقع الإمبراطور الكسيوس أسيرا في يد الأتراك أبان فتح سينوب وأعلنت إمبراطورية طرابزون خضوعها لدولة تركيا وتعهدها بدفع عشرة آلاف دينار سنويا بالإضافة إلى خمسمائة فرس وألفي ثور وعشرة

آلاف رأس من الغنم وخمسين حملا من الأموال مع ربط الوحدات المسلحة بالجيش التركي بشرط أن لا تتجاوز الألف محارب. وقد سكن الآلاف من الأتراك مدينة سينوب فورا وسيطروا على تجارة البحر الأسود. كما ارتبطت مملكة حلب الأيوبية في أوائل عام 1216 بدولة تركيا بروابط أوثق وبشروط أكثر جدية.

شخصية السلطان كيكاوس

جعل السلطان كيكاوس من تركيا دولة قوية مقتدرة سائرا على خطى والده وقد اخضع إمبراطورية طرابزون للدولة التركية وأسس الأسطول التركي في البحر الأسود وترك لشقيقه دولة قوية وعظيمة. كما أسس هذا السلطان في عام 1217 في سيواس معهدا للطب ومستشفى ملحقا به. ولم يفعل شيئا ضد شقيقه كيقباد الذي نازعه على العرش بل نصب منه وليا للعهد لإدراكه قابلية الأخير السياسية والعسكرية الفذة. وكان هذا السلطان الكبير يلقب بالسلطان الغالب والسلطان القاهر.

6- السلطان الكبير علاء الدين كيقباد

1219 – 1237 سنواته الأولى

كان السلطان علاء الدين كيقباد في الثامنة والعشرين من عمره عند جلوسه على العرش وهو من أعظم حكام الإمبراطورية الأولى في تركيا. وقد حكم سبعة عشر عاما وخمسة اشهر من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام 1219 وحتى 30 أيار(مايو) 1237 وتوفي وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

كان المغول في أولى سنوات حكمه قد اسقطوا الدولة التركية الشرقية أي دولة الخوارزمية واقتربوا من الشرق الأدنى. وقد اهتم السلطان بهذا الأمر رغم بعد هذا الخطر عن دولته فعمر أسوار المدن والقلاع الكبيرة. فأرسل بناء على طلب الخليفة وحدة عسكرية كاملة من خمسة آلاف محارب إلى الموصل ثم التفت إلى العلائية درة البحر المتوسط.

حوصرت العلائية من قبل الأسطول التركي والجيش البري الذي كان يضم مائة منجنيق. وإزاء ذلك استسلمت القلعة وسميت بالعلائية تيمنا باسم السلطان (اسمها القديم كالونوروس) وتسمى حاليا (الانيا). وبذلك دخل خليج انطاليه في حدود النفوذ التركي. عمرت هذه المدينة بعد فتحها في كانون الثاني (يناير) من عام 1223 وقد اعتاد السلطان علاء الدين تمضية الشتاء في هذه المدينة بعدئذ.

حـــــــــرب القـــــــــرم

نتيجة خضوع منطقة البحر الأسود للنفوذ التركي جهزت حملة عسكرية بقيادة حسام الدين بك جوبان اوغلو أمير قسطموني على القرم. وغادر الأسطول التركي ميناء سينوب وخرجت القوات التركية إلى البر في القرم فدخلت أوكرانيا وسارت نحو الشمال فاظهر أتراك القبجاق وسادة الروس ولاءهم للسلطان التركي فأرسل موظفون وتجار أتراك إلى مدينة صوغداق. كما انشأ السلطان علاء الدين في هذه المدينة جامعا. وعاد الأسطول حاملا غنائم كثيرة وثمينة.

حـــــــــــرب كيلكيا

ارتبطت مملكة الأرمن بعد حرب كيليكا التي جرت في عام 1226 بالإمبراطورية التركية بروابط أوثق. فقد استولى ارتوكوش بك على انامور وسار بمحاذاة سواحل البحر الأبيض نحو كوكصو. كما دخل جاولى بك إلى أراضي المملكة الأرمنية من الشمال واستولى على المناطق الساحلية الممتدة حتى سيلفكه وكوكصو. وعين قمر الدين بك واليا عليها. وقد استولى الأتراك تباعا على المناطق الساحلية فدفعوا بالبيزنطيين إلى الغرب والأرمن إلى الشرق. وكان الأرمن قد تحالفوا مع اللاتينيين (أمارة إنطاكية) إلا أنهم غلبوا على أمرهم وطلبوا الصلح بعد أن شدد عليهم الخناق من ناحية معرش. وبموجب المعاهدة المعقودة ضوعفت الضرائب المفروضة عليهم وضربت النقود الأرمنية باسم السلطان التركي فأنشئ جامع كبير في سيس اكبر مدن الأرمن وتعهدت دولة كيلكيا بتجهيز ألف فارس وخمسمائة محارب عندما يشاء السلطان التركي.

التطـــورات في الشرق

تزوج السلطان علاء الدين بابنة السلطان الأيوبي عادل وأقيمت الأفراح بهذه المناسبة ودعي إليها الكثيرون من مصر وسوريا والعراق وتمت بذلك القرابة الصهرية بين السلاجقة والأيوبيين.
وفي هذه الفترة اخرج المنكوج من ارزنجان وشبين قره حصار فأرسل إليها ولاة من الإدارة المركزية وانقرض بذلك أبناء منكوج وعين ولي العهد الملك كيخسرو واليا على ارزنجان بأشراف الاتابك القائد ارتوكوش لصغر سن الأمير.

معركـــــــــة طرابزون

كانت المناطق التركية على سواحل البحر الأسود تنحصر بين أره كلي و اونيه وتصب فيها انهر فيليوس وقزل ارماق ويشيل ارماق في البحر. ولم يبق سوى صامسون المسيحية في يد المسيحيين مع إتباعها تركيا والى جانبها صامسون التركية وقد جهزت حملة عسكرية على طرابزون بعد حملة ارزنجان. وقد انسحب البيزنطيون إلى قلعة المدينة المحاصرة من قبل الجيش التركي بقيادة ارتوكوش بك. وكانت القلعة على وشك السقوط والجنود الأتراك يتسلقون أبراجها عندما هبت عاصفة هوجاء بقي الأمر بعدها دون نتيجة وبذلك تأخر فتح طرابزون قرنين ونصف قرن. وقد عد سكان طرابزون هذا الأمر معجزة سماوية فانشأوا كنيسة جديدة عرفانا بالجميل.
وكانت من نتائج هذه الحملة إن ارتبطت دولة طرابزون بشروط قاسية بدولة تركيا وتعهد الإمبراطور البيزنطي بتجهيز ألف محارب للالتحاق بالقوات التركية عندما يطلب منه السلطان ذلك كما تقرر مضاعفة الضريبة المدفوعة للأتراك.

مجابهة فرعي الدولة الكبرى

اشتدت الأزمة بعد حرب طرابزون في عام 1228 بقدوم الخاقان جلال الدين الخوارزمي الخاقان التركي الشرقي إلى حدود الأناضول بعد استيلاء المغول على تركستان وكانت مناطق شاسعة مثل إيران وقفقاسيا لا تزال تحت حكم الخوارزمية. كان علاء الدين كيقباد يؤيد سياسة اتحاد الإمبراطوريات الإسلامية الثلاث، تركيا والخوارزمية والأيوبيين ضد المغول. كما كتب جلال الدين الخوارزمي إلى علاء الدين كيقباد خاقان الأتراك الغربي بما يفيد وجوب اتحاد القوم التركي ، إلا أن نظرته السياسية كانت تعوق مثل هذا التحالف فقد دخل الأناضول واستولى على أخلاط المركز الثقافي الكبير ونهبها فأحدث هذا الأمر أثره السيء ، إلا أن السلطان علاء الدين إدراكا منه بخطورة المغول اخطر الخاقان الشرقي للمرة الأخيرة محذرا إياه وعرض تزويج ولي عهده الملك كيخسرو بابنة الخوارزمي لتحقيق التآلف بين القوتين التركيتين مبينا له إن دخوله تركيا سيسبب له المتاعب والكوارث.

ولكن الخوارزمي لم يأبه لهذا التحذير فسار السلطان علاء الدين بجيشه إلى شرق الأناضول والتقى جيشا تركيا وتركستان في 10 آب (أغسطس) 1230 بالقرب من ارزنجان في معركة دارت فيها الدوائر على الخاقان التركي الشرقي جلال الدين الخوارزمي وأدرك هذا صعوبة البقاء في أراضي تركيا فانسحب إلى أذربيجان.

السلطان علاء الدين في ارضروم

اسر السلطان علاء الدين بعد ذلك ابن عمه ملك ارضروم ركن الدين جهان شاه الذي تحالف مع الخوارزمي في تمرده ضد السلطان وعين واليا آخر على الولاية وبذلك انتهى فرع سلاجقة ارضروم، وهو الاسم الذي يطلقه بعض المؤرخون على حكم جهان شاه ووالده مغيث الدين طوغرول شاه.

أدرك جلال الدين الخوارزمي عدم تبصره فطلب العون من تركيا ومصر ومن الخليفة إلا أن فقدان الثقة به أدى إلى عدم تلبية هذا الطلب. ونتيجة لذلك دحر المغول الخوارزمي الأخير بسهولة واستولوا على إيران وتحقق اكبر مخاوف كيقباد فقد تجاور مع المغول.

اتبع علاء الدين كيقباد سياسة دبلوماسية مع المغول واخذ هؤلاء بنظر الاعتبار اندحار الخوارزمي الذي شغلهم طيلة سنوات عديدة بسهولة من قبل قوات تركيا بقيادة كيقباد ووفرة مصادر تركيا وثرائها فعمدوا إلى التعايش مع تركيا بسلام.

تركيا ومصـــــــــــــــــــر

اقلق ثراء تركيا وقوتها الفائقة الإمبراطورية الأيوبية في مصر وزاد من هذا القلق إتباع دولة حلب الأيوبية إلى قونية بدلا من القاهرة. ولذلك فقد سار الإمبراطور الأيوبي السلطان كامل في عام 1234 برفقة ستة عشر ملكا أيوبيا على رأس جيش جرار نحو طوروس وشرق الفرات يروم انتزاعها من أيدي الأتراك. إلا ن الخاقان التركي الذي تصدى للقوات الغازية بمائة ألف محارب دحر الأيوبيين وحلفاءهم. وبقيت مدينة أخلاط التي كان الأيوبيون يرنون إليها في ظل حكم تركيا كما وصلت القوات التركية إلى بحيرة وان.

وفاة السلطان علاء الدين وشخصيته

تأهب السلطان علاء الدين لفتح سوريا فجمع جيشه في قيصري وتوفي مسموما في وليمة أقامها في اليوم الثالث من عيد الفطر في سهل مشهد عن خمسة وأربعين عاما.
أتم السلطان علاء الدين توحيد تركيا وقد أطلق عليه الخليفة لقب السلطان الأعظم وكانت وفاته كارثة كبرى للدولة التركية إلا أن ذكراه بقيت خالدة خلود الدهر بين الأتراك لما كان يتحلى به من صفات قيادية رائعة أسدت للأتراك خدمات لا توصف.
وبعبارة موجزة نستطيع أن نقول أن تركيا توصلت في عهده إلى ما بلغته في عهد السلطان سليمان القانوني السلطان العثماني الكبير.

7- السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني 1237 – 1246

وكارثة كوسه داغ في تموز (يوليو) 1243

خلف السلطان الكبير علاء الدين كيقباد ابنه غياث الدين كيخسرو الثاني فأعقبت شخصية ضعيفة مهزوزة ذلك القائد العظيم. تقلد كيخسرو العرش وعمره لما يزل الثالثة عشر ونصف فحكم تسعة أعوام وتوفي عن اثنين وعشرين عاما ونيف.
ورث كيخسرو الثاني أعظم دولة في العالم فقد كانت إمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا وملوك الارتوق والأيوبيين يتبعون تركيا كما كانت جيران هذه الدولة يعترفون بتفوقها وعظمتها وكانت هذه الدولة تملك أقوى جيش وأسطول في العالم. إضافة إلى أن مملكة جورجيا والإمبراطورية البيزنطية في ازنيق كانت تعترف بنوع من السيادة لدولة تركيا عليها ولا تفكر باسترجاع أي جزء من أراضيها.
كانت ديار بكر تعود للأيوبيين وتتبع تركيا وانضمت مدينة اميد في أوائل عام 1241 إلى تركيا وأصبحت تحكم مباشرة من قونية وكان هذا الأمر ابرز عوامل التوفيق في عهد كيخسرو. ونتيجة لذلك تبعت المملكة الأيوبية في سوريا دولة تركيا وتليت الخطبة في دمشق باسم كيخسرو الثاني. وفي هذه الفترة بالذات ظهر للوجود تمرد البابائيين وأحدث ضعفا في بنية الدولة، مما كسرت شوكتها في مقاومة المغول المستقبلة.
كان المغول يتجنبون الاشتباك مع تركيا التي غلبت الخوارزمية والأيوبيين على أمرهم ولذلك فقد كان دخولهم إلى شرق الأناضول مشوبا بالحذر والحيطة إلا أن هزيمة كوسه داغ قوت من عزائمهم فعين بايجو نويان قائدا للجيش المغولي في إيران خلفا للقائد جورماكون نويان. وضم بايجو الجورجيين والأرمن في قفقاسيا إلى قواته وسار على رأس جيش مغولي- تركي كبير إلى أبواب الأناضول يتحين الفرص. وحانت الفرصة بتمرد البابائيين وصغر سن السلطان المتخاذل فحاول جس النبض عندما حاصر ارضروم في شتاء عام 1242 واستولى عليها، وإزاء ذلك سارعت سوريا أيضا إلى الانفصال عن تركيا.
دقت نواقيس الخطر وتوجه السلطان كيخسرو الثاني الذي كان يبلغ من العمر تسعة عشر عاما على راس ثمانين ألف محارب إلى سيواس.

كارثة كوسة داغ 3 تموز(يوليو) 1243

اقترب الجيشان من بعضهما في موقع كوسه داغ الذي يبعد ثمانين كيلو مترا إلى الشرق من سيواس. وقد اقترح القادة الأتراك لما يعرفونه عن شجاعة المغول ومعاقبة الجندي المغولي الذي يترك ساحة المعركة حيا بالموت الاستيلاء على مضائق الجبال وانتظار حركة المغول مثلما فعل قليج ارسلان الأول والثاني مرارا. إلا أن السلطان الشاب رفض هذه المقترحات بتحريض من بعض المرائين من رجال القصر فأمر بالهجوم. وما أن اندحرت طلائع القوات حتى ظن السلطان إن الجيش قد اندحر فترك المعسكر هاربا إلى قونيه عن طريق طوقاد. وإزاء هذا التصرف المحير من قبل السلطان ترك أعظم جيوش العالم أسلحته ومعداته متفرقا في كل صوب.

وعندما حل الصباح رأى المغول أمامهم خيام الأتراك التي تعد بالآلاف فتصوروا إن الأتراك قد انسحبوا إلى الجبال ينصبون كمينا إذ لم يكن العقل ليتصور أن يترك هذا الجيش الجرار ساحة المعركة للأعداء لمجرد اندحار طلائع قواته المستكشفة.

انتظر المغول أياما عديدة هجوم الأتراك في قلق متزايد ولما لم يجدوا شيئا دخلوا الخيام التركية فوجدوا الخزينة العسكرية والخيول والتجهيزات العسكرية وفهموا الوضع وقرروا أن الأتراك قد فروا نتيجة خوفهم أو لأي سبب آخر مجهول لديهم. وكان تفرق جيش الأتراك بآلافه الثمانين أمام أربعين ألفا من محاربي المغول وفتحهم الطريق أمام المغول بهذا الشكل العجيب حادثة تعتبر من كوارث التاريخ التركي وقد توالت النتائج فوقعت تركيا تدريجيا تحت السيطرة المغولية في حين إن إيقاف المغول على الأقل عند جبال طوروس كان من السهولة بمكان. وقد استولى المغول بعد ذلك على سيواس وقيصري وارزنجان فنهبوها على التوالي.

لم يذهب الوزير التركي مهذب الدين على إلى قونيه وظل في اماسيا فأنقذ دهاء هذا الوزير دولة تركيا ردحا من الزمن من كوارث أقسى. فقد فاوض بايجو نويان وابلغه بان الأتراك خسروا في كوسه داغ ثلاثة آلاف رجل فقط وان الجيش التركي الذي يقارب مائة ألف محارب لا يزال على أهبة الاستعداد بمهماته وأسلحته الكاملة واستحالة إتباع سكان تركيا لغير السلاجقة فأقنعه وأسبغ عليه الهدايا موهما إياه بان تقدمه سيسبب له الكوارث العصيبة.

لم تفقد تركيا شيئا من أراضيها بعد كوسه داغ فقد انسحب المغول ولكنهم كانوا سيرجعون مرة أخرى ولم تستغل الدولة البيزنطية هذه الكارثة بل قلقت على العكس من ذلك من تفاوض الأتراك مع حكومة أستانبول فعمدت إلى تجديد معاهدتها مع تركيا والمعقودة عام 1211.

توفي غياث الدين كيخسرو الثاني في عز شبابه صريع حيوان وحشي. واستمرت تركيا ترفل في حلة من الرفاه ثلاثا وثلاثين سنة أخرى. إلا أن دور السلاطين الكبار للسلاجقة كان قد انتهى واشتدت حدة الاضطرابات الداخلية وكان المغول في هذه الفترة قد فتحوا الشرق كله وكان الدور على تركيا. أما العمران والحياة التجارية والاقتصادية فقد استمرت على ازدهارها في حكم كيخسرو الثاني ومن أعقبه .

المبحث الثالث

الدول التركية في الأناضول

أولا – الدانشمنديون 1095 – 1175

استمر حكم مملكة الدانشمنديين ثمانين عاما تابعة لسلاجقة الأناضول وكانت تعتبر من أجزاء دولة تركيا. وكانت هذه المملكة تحكم في سيواس وطوقاد واماسيا. وكان سني توسعها ما بين 1127 – 1142 أي زهاء خمسة عشر عاما فحكمت مناطق انقره وجانقري وقسطموني وجوروم ويوزغاد. كما حكموا ملاطية مدة ثمانية وأربعين عاما و قيصري ما يقرب الستة والأربعين عاما. ارتبطت هذه المملكة في عهد قليج ارسلان الثاني بالعاصمة قونية مباشرة.

أما عاصمة المملكة فكانت نيكسار (1095-1127 = 32) وملاطية (1127 – 1135 = 8) وقيصري (1135 – 1142 = 7) وسيواس (1142 – 1171 = 32).

ومؤسس المملكة هو الأمير غازي دانشمند طايلى بك ويذكر اسمه في بعض المصادر على انه محمد أو احمد. ودانشمند هو من قادة الفتح التركي في الأناضول وتأسست مملكته في الأراضي التي فتحها ارتوق والذي اخرج من الأناضول لغضب سليمان شاه الكبير عليه. وسليمان شاه الكبير هو ابن أخت الغازي دانشمند. وقد خلف هذا في الحكم ابنه غازي بك بلقب الأمير ابتداء ثم تقلد لقب الملك. ثم انقسمت المملكة إلى فرعين حكم الملك محمد الابن الأكبر لغازي بك منطقة قيصري – سيواس، والملك عين الدولة الابن الأصغر له في منطقة ملاطية. وقد تزوج الأخير بابنة الملك طغرل ارسلان التي حكمت المملكة نيابة عن ابنها علاء الدين ذي القرنين ابتداء من عام 1152 ثم اعتلى أبناء علاء الدين الثلاثة تباعا العرش في ملاطية. وقد انتهى حكم هذا الفرع بسيطرة الدولة المركزية عليها.

أما في الفرع الأصلي فقد خلف الملك نظام الدين ياغي باصان أخاه الملك محمد وتصاهر مع السلطان مسعود الأول. وخلف هذا الملك شمس الدين إسماعيل فالملك عماد الدين ناصر الدين ذنون ابن الملك محمد.

ثانيا – أبناء صالتوق 1080 – 1201

استمر حكم مملكة أبناء صالتوق (الصالدوقيون) 121 عاما ما بين 1080 – 1201 تابعة لسلاجقة الأناضول. وكانت عاصمة المملكة مدينة ارضروم وتحكم مناطق ارضروم وقارص وجوروخ وكوموشخانه وريزه في أوسع أحوال حكمها إلا أن هذه الحدود تقلصت فيما بعد. ومؤسس المملكة هو أبو القاسم بك الذي كان بمعية سليمان شاه عند فتحه للأناضول ومن المعتقد إن والده كان يسمى بصالتوق بك. وقد خلف أبو القاسم بك في الحكم ابنه الملك علي فابنه الملك عز الدين صالتوق فابنه ناصر الدين محمد فابنه الملك شاه. وقد ارتبطت المملكة نهائيا بقونية في عام 1201.

ثالثا – أبناء منكوج 1071 – 1252

بدأت مملكة أبناء منكوج (المنكوجكيون) بالحكم منذ معركة ملازكيرت في عام 1071 ودامت 181 عاما لغاية عام 1252، وكانت بدورها تتبع الدولة المركزية لسلاجقة الأناضول. وتوثق هذا الارتباط في عهد قليج ارسلان الثاني . أما العاصمة فكانت في ارزنجان كما كانت تنقل أحيانا إلى كماخ. وقد حكمت هذه المملكة في أوسع أحوالها مناطق ارزنجان وكوموشخانه وكيره سون وديوريغي وتونجلي الشمالية ومؤسسها هو منكوجوك غازي من قادة سليمان شاه أثناء الفتح الكبير.

وقد خلفه في الحكم ابنه الملك إسحاق ثم انقسمت المملكة بعد وفاة الأخير إلى قسمين حكم الأول (ارزنجان – كماخ) الملك داود فابنه بهرام شاه فابنه داود الثاني. وقد حكم في هذا الفرع بهرام شاه لمدة ثلاثة وستين عاما واشتهر في حكمه بحيث أثنى عليه الشاعر المثنوي الفارسي تركي الأصل نظامي كنجوى.
وقد حكم ابنه سلجوق شاه في كماخ ومظفر الدين محمد في شبين قره حصار.
أما القسم الثاني (ديوريغي) فقد حكم فيه سليمان الأول الابن الآخر للملك إسحاق وتبعه شاهنشاه فابنه سليمان الثاني ثم ابنه احمد شاه وأخيرا ملك شاه ابن احمد شاه.

رابعا - ارتقيه حصن كيفا (السوكمنيون) 1098 – 1231

أسس الغازي ارتوق بك الذي اشترك مع سليمان شاه في فتح الأناضول ثم شكي أمره إلى السلطان ملكشاه فاخرج من الأناضول وأعطيت أراضيه إلى الغازي دانشمند. وقد أسس سلالة حكمت في الأناضول زهاء 309 عاما (1098 – 1407) واستمرت هذه السلالة على شكل فروع ثلاثة وهي حصن كيفا، وماردين، وخربوط.
ومؤسس فرع حصن كيفا هو سوكمان (سوكمن) فيسمى لذلك بهذا الاسم أما مؤسس فرع ماردين فهو شقيق سوكمن بك ايلغازى. أما فرع خربوط فقد تفرع من السوكمنيين.
وارتوق بك هو ابن اكسيك بك وينحدر من فرع قايى من الاوغوز الذين هم جدود العثمانيين. وقد ولي على القدس لمدة خمسة أعوام (1089 – 1091) بعد إخراجه من الأناضول ففتح عمان فألحقها بالدولة التركية الكبرى ثم انضم إلى منافس سليمان شاه طوتوش ابن ألب ارسلان وتسبب في وفاة فاتح الأناضول المفجعة. وهو من ابرز شخصيات تاريخ تركيا المتسمة بالدهاء والقابلية الفذة.
وقد تلقب حكام الارتوق بلقب الملك وقد تبعوا السلاجقة الكبار وأحيانا سلاجقة الأناضول (تركيا) ثم الأيوبيين (القاهرة) فتركيا (قونية) مرة أخرى وبعد ذلك المماليك في القاهرة فالالخانيين (مغول إيران) في 1260 ثم المماليك مرة أخرى، ثم التيموريين ثم دولة قره قويونلو (الخروف الأسود) ولم يحصلوا على استقلالهم التام في معظم سني حكمهم تقريبا. استولى ارتوق بك على آميد (ديار بكر) في عام 1183 واتخذها مركزا له ثم على سروج في عام 1094 وماردين في 1108 وحلب في 1117.
ومؤسس فرع حصن كيفا (حاليا ناحية حسن كيف التابعة لماردين) هو سوكمان أحد أبناء ارتوق بك الخمسة. وقد تأسس عام 1098 واستمر 133 عاما. وكان سوكمان قد ولي على القدس من قبل الخاقان التركي الكبير خلفا لأبيه ثم أسس أمارة حصن كيفا وقد أعقبه على التوالي ابناه إبراهيم وداود، ثم قره ارسلان ابن داود فابن هذا محمد بك فأبناه سوكمان الثاني ومحمود ثم مودود ابن محمود. ونقلت العاصمة في عام 1183 إلى آميد (ديار بكر حاليا) وقد قضي على هذا الفرع من قبل الأيوبيين في عام 1231.
ولارتوق بك من أحد أبنائه الآخرين حفيدان هما ياقوتي وعلى بك من قادة الأتراك المشهورين. ومن أبناء ارتوق الآخرين بدر الدولة عبد الجبار بك وابن الأخير هو بدر الدولة سليمان بك الذي أصبح أميرا على حلب (1121- 1123) والمتوفى عام 1124 وقد خلف هذا ابن عمه نور الدولة الغازي بلك بك.

وبلك بك من اشهر شخصيات تاريخ تركيا فقد ورث عن جده دهاءه العسكري وكان تابعا لطغرل ارسلان ابن قليج ارسلان الأول كما أصبح أميرا على حلب فحكم هناك تابعا للدولة التركية الكبرى حتى استشهاده. وقد لقب بالغازي بعد دحره وأسره لملك القدس بودوين الثاني في موقعه طوروش في 8 نيسان 1123.

خامسا – ارتقيه ماردين (الالغازيون) 1104 – 1407

مؤسس فرع ماردين الذي فتح من عام 1104 حتى عام 1407 أي عهد فتور الإمبراطورية العثمانية، هو ايلغازي بك أحد أبناء ارتوق بك. وكان مشرف الخاقان التركي الكبير على الخليفة العباسي في بغداد من عام 1101 إلى أن ولي على ماردين.

وقد خلف ايلغازي بك ابنه تيمور طاش . أما ابناه الآخران فقد ولي شمس الدولة سليمان بك على ماياڤاريكين ومحمود بك على آميد ردحا من الزمن. وأعقب تيمور طاش بك ابنه نجم الدين ألبي فابنه ايلغازى الثاني فأعقب هذا ابنه ياولاق ارسلان فابنه الآخر ارتوق ارسلان ثم حكم ابن الأخير غازي الأول فابنه فخر الدين قره ارسلان فأبناؤه داود الأول وغازي الثاني ثم ابنا الأخير على ألبي وصالح شمس الدين فابن الأخير احمد الأول فابنه صالح محمود ثم داود الثاني شقيق احمد الأول ثم ابناه مجد الدين عيسى واحمد الثاني.

سادسا – ارتقية خربوط 1185 – 1233

استمر هذا الفرع ثمانية وأربعين عاما (1185 – 1233) ومؤسسه هو أبو بكر الأول ابن فخر الدين قره ارسلان من السوكمنيين وشقيق نور الدين محمد. وقد أعقب مؤسس الفرع ابناه أبو بكر الثاني ونظام الدين إبراهيم . فابن أبو بكر الثاني عز الدين احمد وقد أنهي حكم الأخير من قبل السلطان علاء الدين كيقباد في عام 1233 حيث ارتبطت مقاطعته بالعاصمة قونية مباشرة.

سابعا – الأيوبيون في ميافاريكين 1200 – 1259

حكمت سلالتان من الأيوبيين في الأناضول . والسلالة الأولى هي هذه التي حكمت 59 عاما (1200 – 1259) وخضعت تارة للأيوبيين في مصر وأخرى لتركيا أو المغول أو المماليك.

وأول ملوك هذه السلالة هو نجم الدين أيوب شقيق صلاح الدين الأيوبي واحد أبناء السلطان الكبير عادل الأول العشرة. وقد أعقبه في الحكم شقيقه مظفر الدين موسى والذي حكم فيما بعد دمشق (1229– 1237) ثم بعلبك (1230 -1237) وكان إلى ما قبل عام 1210 واليا على اورفه وتوفى في 27 آب (أغسطس) 1237 عن ستة وخمسين عاما . وكان متزوجا بالأميرة الكرجيه تامتام خاتون. أما الملك الثالث فكان شقيقهما شهاب الدين غازي وقد خلفه ابنه ناصر الدين محمد. وقضى على هذه الأمارة من قبل المغول في عام 1259 .

ثامنا - الأيوبيون في حصن كيفا 1232 – 1524

وأول ملك أيوبي في حصن كيفا من السلالة الأيوبية الثانية التي حكمت في الأناضول هو نجم الدين أيوب ثالث أبناء سلطان مصر الأكبر كامل من أبناء عادل الأول. ولد في 26 كانون الثاني (يناير) 1207 وتوفي عام 1249 عن اثنين وأربعين عاما . وقد أصبح ملكا على حصن كيفا (1232 – 1237) وملكا على دمشق لأشهر معدودة في 1240 ثم ما بين 1245 – 1249 ثم تقلد عرش السلطنة الكبرى في القاهرة (1240 – 1249). وزوجته شجرة الدر التي نابت عن ابنها في الحكم عام 1250.
وقد خلف نجم الدين أيوب ابنه توران شاه والذي أنيب عنه نواب في الحكم لصغر سنه (1237 – 1250). ثم أصبح السلطان الأكبر في القاهرة وملك الشام خلفا لأبيه (1249 – 1250) إلى أن قتل. وقد تفرعت من هذه السلالة ملوك حصن كيفا فحكم على التوالي ابنه عبد ا فابن هذا أبو بكر الأول فابن الأخير محمد فابن هذا غازي فابناه أبو بكر الثاني وسليمان الأول فابن الأخير الأكبر احمد الأول فابن هذا خليل الأول فإبناه ناصر واحمد الثاني، فالملك خاف ابن الأمير محمد ابن احمد الأول فخليل الثاني شقيق احمد الأول فابنه سليمان الثاني فخليل الثاني مجددا ثم ابنه حسين فسليمان الثاني مرة أخرى. وقد تبع هذا الفرع تركيا ثم مصر (السلطنة الأيوبية) ثم المماليك ابتداء من 1250 ثم الالخانيين فالمماليك مرة أخرى ثم التيموريين ثم دولة قره قويونلو ثم آق قويونلو ثم الصفويين ثم الإمبراطورية العثمانية في عام 1515.
ولم ينه السلطان ياوز سليم والسلطان سليمان القانوني حكم هذه الأمارة الأيوبية الأخيرة إكراما لذكرى صلاح الدين الأيوبي وبعد وفاة حاكمها الأخير ارتبطت بتركيا مباشرة.

تاسعا – اتابكية بيتليس (الديلماجيون) 1084 – 1102

ومؤسس هذه الأمارة محمد بك ابن ديلماج من قادة الفتح التركي في الأناضول وقد دامت ثمانية ومائة عام وحكمت بيتليس وتبعت في اغلب الأحوال مملكة ديار بكر. وقد بسطت الأمارة سيطرتها في عام 1100 على سعرت وارزني.
وقد حكم بعد وفاة مؤسس الأمارة ابنه يل تكين فابنه توغان ارسلان فأبناؤه الثلاثة قورتي وياقوت ارسلان ودولت شاه وانتهى حكم الأمارة بعد وفاة ابن دولت شاه.

عاشرا – اتابكية أخلاط (أرمن شاه) 1100 – 1207

من الإمارات الصغيرة التابعة لسلاجقة الأناضول والسلاجقة الكبار أمارة أخلاط التي دامت سبعة ومائة عام ومؤسسها هو سوكمان الأول ابن قطب الدين إسماعيل التركي أحد القادة الأتراك بالتبني وقد أعقبه في الحكم ابناه إبراهيم شاه ايرمن واحمد شاه ايرمن ثم سوكمان الثاني ثم بك تيمور ايرمن شاه ثم آق سونغور ايرمن شاه ثم قوتلوغ ايرمن شاه ثم محمد ايرمن شاه ثم بالابان ايرمن شاه وألحقت الأمارة في عام 1207 بالأيوبيين. وتشبه هذه الأمارة حكم المماليك فقد حكمها قادة اتخذوا أبناءا معنويين من قبل الحكام من المماليك . ويطلق عليها الأيرمن شاه أو شاهات الأيرمن.

أحد عشر – اتابكيه ديار بكر (أبناء اينال) 1095 – 1183

ومؤسس الأمارة هو الأمير صدر بك والذي خلفه في الحكم شقيقه اينال بك فابنه إبراهيم بك ثم ايل آلدى بك فابنه محمود بك ودخلت الأمارة تحت النفوذ الأيوبي في عام 1183 ودامت ثمانية وثمانين عاما.

ثاني عشر – الصوتاي 1312 – 1350

من إمارات المغول التي حكمت ثمانية وثلاثين عاما واتخذت آميد مركزا لها. وقد بسطت سيطرتها عام 1343 على الموصل ومؤسسها هو صوتاي نويان والي الالخانيين على ديار بكر وابنه بارمتاى وابن الأخير إبراهيم شاه. وقد تبعت هذه الأمارة الالخانيين والجلائريين.

المبحث الرابع

تركيا تحت النفوذ المغولي

1- المغول وجنكيز خان

المغول هم أقرب الأقوام إلى الأتراك لاسيما من الناحية الثقافية. وقد وقفوا مع الأتراك في مواقف عديدة يذكرها التاريخ التركي وطالما تواصلوا إلى حكم الدولة التركية الكبرى. إلا أنهم بقوا في المرحلة الثانية لتخلفهم عن الأتراك من الناحية الحضارية ولقلة عددهم بالنسبة إلى عدد نفوس الأتراك. ولما كانت سلالة أبناء آسينا تركية فلم يملك المغول سلالة إمبراطورية. ولما اخرج الاوغوز والاويغور من مغولستان الحالية في أواسط القرن التاسع من قبل أتراك القرغيز إلى تركستان الشرقية تخلصوا من السيطرة التركية واندمجوا مع القرغيز الأقل منهم ثقافة. ثم انسحب القرغيز إلى الغرب فأصبح الأتراك في حالة أقلية تجاه القبائل المغولية المتركزة في مغولستان. وقد اندمج الأتراك والمغول واختلطوا ببعضهم حتى إن المؤرخين يحيرون في تحديد نسب تلك القبائل مغولية هي أم تركية في نفس المنطقة. إلا انه يجب أن لا يغرب عن البال أن الأتراك سكنوا وبرزوا في تركستان بعد القرن العاشر ولم تظهر بين الأتراك الساكنين في مغولستان حركة راميه إلى تأسيس دولة ما قط.

جنكيز خان ... هل هو تركي ؟

يدافع المؤرخ الشهير زكي وليدي طوغان بحرارة عن النظرية القائلة بان جنكيز خان هو من اصل تركي. وكان قد سبقه مؤرخون كثيرون في هذا المضمار ومنهم المؤرخ المشهور كلابروت. واستنادا إلى هذه النظرية فان جنكيز خان هو حفيد أحد خاقانات الكوك تورك الخامس والعشرين من سلالة آسينا التركية. وثبت فعلا انه مثل حكام الكوك تورك أشقر عسلي العينين . وينحدر جنكيز من الشاتو الذين حكموا في الصين ويعد هذا دليلا آخر على كون جنكيز تركيا، فقد اجمع المؤرخون إن الشاتو هم فرع من سلالة الكوك تورك. فإن شجرة السلالات التركية والمغولية متعصبة إلى حد كبير في هذا المجال ولا تدع احتمالا لرأي آخر. هذا ملخص لنظرية طوغان. إلا أن معرفة جنكيز للتركية مثل المغولية لا يستدل منه إطلاقا كونه تركيا فإن التركية لغة ثقافة كبيرة وأكثر القبائل المغولية تتكلم التركية فقد يكون جنكيز قد تعلم التركية شأن آبائه. ولما كان جنكيز يطمع إلى إقامة أمبراطورية كبرى فقد اعتبر نفسه حاكم الترك والمغول، ويقابل هذا إن خاقانات الأتراك كانوا يحكمون المغول أيضا. كما أغلبية الجيش المغولي كان من الأتراك.
نتيجة لكل ما تقدم نستطيع القول بان قبيلة قيات التي كان ينتسب إليها جنكيز قد تكون من اصل تركي إلا أنها تطبعت بطابع مغولي. وقد افترق القومان القريبان بعد إسلام الأتراك في القرن الثالث في القرن الثالث عشر فوطأ جنكيز الدول التركية فأقام إمبراطوريته على أنقاضها ولا يبدل من الوضع اندماج أحفاده مع الأتراك

السنوات الأولى من حياة جنكيز

التلفظ المغولي لاسم جنكيز هو جينكيز أو جينكيس. ولد عام 1167 في قصبة دولون بولداق على ساحل نهر اونون. ووالده يسوكاي بهادر. أما اسمه الحقيقي فهو تيموجين وتلقب باسم جنكيز بعد تنصيبه إمبراطورا.

كان والد تيموجين من سادة المغول وقد توفي في شبابه فبقي جنكيز وأشقاؤه تحت رعاية والدتهم المتصفة بالدراية والحكمة. وقد عاش أولى أعوامه في حالة مزرية من الفقر والحاجة حينما كانت الإقطاعيات مسيطرة في مغولستان على ارض غير خصبة . ولم يكن هناك من السيادة الدولية غير إمبراطورية كين في شمال الصين التي كانت تحاول بسط السيطرة إلى حد ما على هذه البقاع. وقد استفاد تيموجين من عراقة أصله ودهائه فجمع حوله بعض القبائل المغولية والتركية واخذ يهدد القبائل التي رفضت الانضمام إليه. ودحر جاموكا خان بعد إن توترت العلاقات بينهما كما هزم حليفه القديم ملك مغول الكرايت اونغ خان وابنه سنكون خان. وبذلك اعترف به خانا (ملكا) في عام 1203 من قبل جميع القبائل في مغولستان الشرقية. وفي عام 1206 دحر النايمان فأبعدهم إلى الجنوب فتمت له السيطرة على مغولستان الغربية وتقلد اسم جنكيز فأصبح إمبراطورا.

أسبغ جنكيز على دولته قواعد قانونية أضحت فيما بعد تعرف باسمه وشكل مجلسا استشاريا من القادة الكبار وسادة القبائل. ثم اخذ يرنو إلى إمبراطورية كين في الصين الشمالية التي كانت تحتفظ لنفسها بالسيادة عليهم. وكان قد شكل وحدات عسكرية تضم كل وحدة عشرة آلاف محارب دربوا تدريبا عاليا .

غزو الصين

حارب جنكيز في عام 1205 دولة التانغوت (هسيا) فغلبها على أمرها والحق بعد سنين هذه الدولة الكبيرة إلى إمبراطوريته. وبعد أن تم له ذلك سار في عام 1211 على إمبراطورية كين (شمال الصين) ولم يترك في مغولستان سوى ألفي محارب. واستولى على بكين عاصمة إمبراطورية كين بعد حروب طاحنة جرت في عام 1215 فذاع صيته واشتهر في كل حدب وصوب.

وعاد جنكيز بعد عام إلى وطنه مكللا بالغار وكان من نتيجة ذلك أن أصبح من المقدر على بقاع آسيا الوسطى أن تقع تحت سيادته وكان الاويغور قد أعلنوا ولاءهم له في عام 1209 وكذلك أتراك القارلوق في عام 1211 وبذلك انضمت مقاطعات جونغاريا ويدى صو إلى الإمبراطورية المترامية الأطراف.

جنكيز يسقط الدولة التركية الشرقية

دحر جوجي خان الابن الأكبر لجنكيز في عام 1216 المركيت واستولى على قرغيزستان وقازاخستان الشرقية الحالية. وبذلك أصبح إمبراطور نايمان التركي كوجلوك خان والخوارزمية أي الدولة التركية الشرقية في مواجهة جنكيز. وكان من المحتم على جنكيز أن يحارب الدولتين التركيتين من اجل سيادة قارة آسيا بقواته التي تضم الكثيرين من الأتراك الشامانيين الرحل. وقد أرسل جنكيز في عام 1218 إلى سمرقند رسالة يخاطب فيها محمد الخوارزمي بكلمة (ابني). وقد أثار هذا الأمر سخط الخاقان التركي الشرقي الذي كان يعتبر نفسه حاكم اكبر دولة في العالم. ولم يكن الخوارزمية يقبلون بمجرد مناقشة أمر سيطرة دولة أناس رحل على دولة متحضرة مستقرة في حين أن هذا الاعتقاد كان خاطئا من أساسه فالتاريخ يثبت أن الرحل كانوا هم دوما الذين انقضوا على الدول المتمدنة المستقرة ودحروها ثم تطبعوا بمدنيتها واصبحوا معرضين إلى موجة أخرى من الرحل.

وفي عام 1218 دحر جبه اكبر قادة جنكيز، كوجلوك خان وفتح إمبراطورية النايمان التركية وبعد ذلك سار جنكيز يصحبه أبناؤه الأربعة على راس جيش يضم مائتي ألف محارب نحو الخوارزمية في تركستان. وبالرغم من جلادة جلال الدين الخوارزمي فقد اندحر الخوارزميون أمام سيل المغول المتدفق واستولى جنكيز خان على تركستان برمتها وبضمنها سمرقند العاصمة ، بينما انسحب الخوارزمي إلى إيران. ونزل المغول تقتيلا في المدن التركية بينما أثار سقوط الدولة التركية الشرقية ذعرا في أرجاء العالم.

وفاة جنكيز خان وشخصيته

بعد أن عاد جنكيز إلى مغولستان تأهب لغزو الصين ثانية. إلا انه توفي في قانصو في شهر آب (أغسطس) من عام 1227 ودفن في مكان ما على جبال برهان – خلدون عند منابع نهري اونون وكرولين. واحتفظ بسرية المكان الذي دفن به حسب التقاليد التركية والمغولية القديمة ولازال مجهولا.
وجنكيز خان من الشخصيات التاريخية المحدودة فقد ترك إمبراطورية عظمى يحير لها العقل لا بالنسبة لذلك العصر الذي كانت المواصلات فيها شاقة عسيرة بل حتى بالنسبة ليومنا الحاضر. وقد توسعت هذه الإمبراطورية في القرن الثالث عشر بحيث أصبحت فيما بعد تطغي على معظم أرجاء العالم آنذاك.
خلف جنكيز أربعة أبناء فابنه الأكبر جوجى خان توفي قبل والده بسته اشهر وقد أسس أبناؤه وأحفاده في المناطق التي كانت من حصته دولة التون اوردى (الجيش الذهبي) أما ابنه الثاني فهو جغتاى خان وقد تأسست في أراضيه دولة الجغتاى. وابنه الثالث هو اوكتاى أما ابنه الأصغر فهو تولى خان. وقد خلف اوكتاى والده أما تولى خان فقد أسست سلالته دول الالخانيين في الشرق ويو – أن في الصين.
ومن ابرز معالم إمبراطورية المغول هو قوانين جنكيز التي نظمت استنادا إلى تقاليد الأتراك والمغول وهي من أهم العوامل في الانتصارات التي أحرزت فقد كانت تحوي قواعد أخلاقية شديدة ومتزمتة. أما تشكيلاته العسكرية فهي على بساطتها منظمة ومنسقة وكانت وحداته العسكرية خياله تنقسم إلى عشرات وخمسينات ومئات وألوف وعشرات الألوف. وكانت مدينة قارا قوروم عاصمة جنكيز وهي قريبة من اوتوكن العاصمة القديمة للدولة التركية الكبرى القديمة.

2- إمبراطورية المغول بعد جنكيز

أصبح اوقتاي الابن الثالث لجنكيز قاغانا اكبر بعد وفاة أبيه فحكم أربعة عشر عاما حتى عام 1241 فأعقبه بعد وفاته ابنه كيوك الذي حكم حتى عام 1251 عشرة أعوام. وبعد هذا اعتلى منكو ابن تولى الابن الرابع لجنكيز فحكم ثمانية أعوام حتى عام 1259 وخلفه شقيقه قوبيلاي خان الذي حكم خمسة و ثلاثين عاما ونقل العاصمة من قارا قوروم إلى بكين التي كانت تدعى خان بالق.
نازع قوبيلاى خان شقيقه الأصغر اريق بوغا وكايدو حفيد اوقتاي على العرش فهزمهما. وكان في هذه الفترة منكو تيمور على راس فرع التون اوردى وهولاكو شقيق قوبيلاى وابنه اباقا على راس فرع الالخانيين

ومبارك شاه على راس فرع جغتاى ويعترفون بسيادة قوبيلاى خان كقاغان اكبر. وبعبارة أخرى فقد كانت قارة آسيا تتبع كلها القصر الإمبراطوري في بكين.

ضم قوبيلاى إلى الإمبراطورية كلا من إمبراطورية سونغ في جنوب الصين ، والهند الصينية (بورما وسيام وانام وتونكين ولاوس وكمبوديا) ومالاى وسومطره وجاوا إلا أن غزوه لليابان لم يثمر عن نتيجة ما. وبسط سيطرته على آسيا برمتها باستثناء اليابان والهند وشرق أوربا وأوربا الوسطى حتى فينا ودول البلقان حتى تراقيا. وتعد هذه الإمبراطورية أوسع الدول إطلاقا إذ كانت تضم مساحات شاسعة تقع بين المحيط من جهة وألمانيا من جهة أخرى.

وكان قوبيلاى يشرف مباشرة على مساحة تقع بين سيبريا والمحيط البالغة حوالي 24 مليون كم مربع وعدد نفوسها 300 مليون نسمه. أما الإمبراطورية بكافة فروعها فكانت تتكون من 44 مليون كم مربع. ولما كانت مساحة الدنيا المأهولة آنذاك تقدر باثنين وستين مليون كم مربع فان هذه الإمبراطورية كانت تشكل ثلثي مساحة العالم آنذاك وتضم أكثر من ثلثي سكان العالم. فقد كان في عهد قوبيلاي عشرة ملايين نسمة في فرنسا ومليونان في إنجلترا. وقد وصف ماركو بولو قوبيلاي بأنه اكبر وأغنى حاكم في العالم منذ آدم. ولم يبالغ إطلاقا عندما اظهر إعجابه بالإمبراطورية التي قال عنها بأنها تبسط نفوذها على كوريا والهند الصينية والتبت ومغولستان واسيا الوسطى وإيران وروسيا والأناضول. أما إمبراطورية تركيا فكانت تتبع آنذاك ايلخان اباقا تابع قوبيلاي. ويظهر من هذا عظمة إمبراطورية المغول.

وبالرغم من كل ما تقدم فان إمبراطورية المغول لا تحتل في التاريخ المكانة التي احتلتها الإمبراطورية العثمانية التركية وإمبراطورتي روما وبريطانيا لأنها اندثرت بسرعة وانقسمت إلى أربع إمبراطوريات اكتسبت ثلاثة منها الطابع التركي إلا أنها لم ترق إلى مصاف الإمبراطوريات الثلاث المذكورة. إلا أن سلالة جنكيز هي من أعظم سلالات التاريخ ولا تزال مستمرة في سيرها، فالالخانيون وأباطرة التون اوردى والقرم وقازان واسترخان وقاسم وشيبان هم أحفاد جنكيز وسلالات كثيرة من الدول التركية تنتسب إلى جنكيز. واختلطت دماء سلالة جنكيز بكل سلالة تركية.

حكم أحفاد قوبيلاى في الصين ومغولستان إلى أن اخرجوا من الصين. وعندما اخرجوا من بكين حكموا في قارا قوروم في شمال شرق آسيا. إلا أن حكام الفروع عدلوا عن إتباع القاغان الكبير في بكين منذ وفاة قوبيلاى وعلى الأخص من أوائل القرن الرابع عشر. فقد اعتنق الالخانيون والجغتاى والتون اوردى الإسلام وتطبعوا بطابع تركي صميم. وبقيت شعبة قوبيلاي في الصين وحدها غير مسلمة وبعيدة عن الأتراك

شخصية قوبيلاي خان

تلقى قوبيلاي حفيد جنكيز تعليما عاليا فكان يتقن المغولية والصينية والتركية والتبتية. وكان يهوى الأدب والعلم والفنون الجميلة وكان متسامحا تجاه المسلمين والمسيحيين بالرغم من تأييده للبوذية إلى حد ما. فقد ارتقى بعض المسلمين في عهده مناصب حساسة مثل الولاية ورئاسة الوزراء. وجعل من قصر الإمبراطورية في بكين متفوقا على كل ما سواه من حيث الحاشية والثراء والغنى. وفتح مئات المدارس والطرق كما أسس شبكة للبريد واخرج للتداول نقودا ورقية.

3- الالخانيون 1256 – 1344

كان أباطرة أحد فروع إمبراطورية جنكيز الأربعة يسمون (ايلخان) وكان سلاطين الأناضول السلاجقة يتبعون الالخانيين حتى إن أو رخان غازي العثماني كان تابعا لهم.
وأول ايلخان هو هولاكو خان شقيق قوبيلاى قاغان أما الثاني فهو ابنه اباقا والثالث احمد تكودار شقيق اباقا والرابع ارغون ابن اباقا والخامس كيخاتو شقيق ارغون والسادس بايدو ابن توراغاي من أبناء هولاكو والسابع غازان محمود ابن ارغون والثامن شقيقه اولجايتو خدا بنده محمد والتاسع ابنه أبو سعيد بهادر والعاشر معز الدين أربا حفيد أريق بوغا منافس قوبيلاى ومن أشقائه والحادي عشر موسى ابن علي ابن بايدو والثاني عشر محمد ابن يول قوتلوغ بن تيمور بن انبار جى بن منكو تيمور من أبناء هولاكو والثالث عشر توغا تيمور من أحفاد جوجي قاسار شقيق هولاكو والرابع عشر جهان تيمور ابن الافرانغ بن كيخاتو والخامس عشر الإمبراطورة صاتى بك بنت اولجايتو والسادس عشر سليمان بن يوسف شاه بن سوكه ابن يشموت من أبناء هولاكو والسابع عشر انوشيروان.
وكان الايلخان الثالث احمد تكودار مسلما بينما عاد الخلافه إلى اعتناق الشامانيه حتى جلوس السابع غازان محمود الذي اسلم بصورة نهائية منهيا الشامانية ويعتبر هذا التاريخ (1295) بداية إسلام المغول وتطبعهم بالطابع التركي وقد انشأته ابنة قليج ارسلان الرابع وشقيقة كيخسرو والثالث خداوند سلجوق خاتون وعلمته مبادئ الاسلام.

كيان الإمبراطورية الالخانية

كانت الإمبراطورية الالخانية تحكم في أوسع أحوالها إيران وتركيا وإمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا وقفقاسيا وداغستان وأفغانستان وتركمنستان واوست يورد وخوارزم وبلوشستان والسند وباتونستان والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان. كما كان البيزنطيون يعترفون بتفوقهم.
إلا أن المناطق الأساسية لهم كانت إيران والعراق ولذلك يسمون بمغول إيران أيضا . وقد أخرجهم المماليك الأتراك من قاطع مصر – سورية من أراضيهم قبل اعتناق المغول للإسلام.
وقد بدأت الإمبراطورية بالانقراض بعد وفاة أبو سعيد بهادر في عام 1335 فلم يعترف بثمانية أعقبوه في ظرف ثمانية أعوام حتى عام 1344 كمتبوعين في تركيا، ففي عام 1335 انقسمت تركيا إلى إمارات عديدة وسقطت السلالة السلجوقية. ويقسم تاريخ الايلخانيين إلى فترتين تمتد الأولى من 1256 وحتى جلوس غازان ايلخان في عام 1295 أي لمدة تسعة وثلاثين عاما وتستمر الثانية مدة تسعة وثلاثين عاما آخر.
ويلعب هولاكو دورا هاما في التاريخ الإسلامي بإنهائه الخلافة العباسية في بغداد عام 1258 فقد بقى الخلفاء العباسيون بعد هذا التاريخ وحتى انتقال الخلافة إلى العثمانيين في عام 1516 تحت سيطرة المماليك الأتراك في القاهرة محرومين من السلطة الدنيوية. كما هدم هولاكو قلعة الاموت عاصمة دولة الاسماعيليين الباطنية.
وكانت اللغة الرسمية الوحيدة في دولتي جغتاى والتون أوردي في القرن الرابع عشر هي التركية في حين نافست الفارسية اللغة التركية لدى الايلخانيين فينما كانت التركية لغة الجيش والقصر استعملت الفارسية في المكاتبات الرسمية. ولاغرو فان الدول التركية في القرون الوسطى كانت تستعمل في مكاتباتها الرسمية الفارسية على الغالب والعربية في قسم منها. فقد استعمل الغزنويون والسلاجقة وسلاطين الأتراك في الهند

الفارسية، في حين أحيا العثمانيون تقاليد القاراخانيين في استعمال التركية وحدها في المعاملات الرسمية . و لا يدعو هذا الأمر للحيرة فقد كانت فرنسا والدول الأوربية الأخرى تستعمل اللاتينية في مكاتباتها الرسمية بدل لغاتها القومية حتى القرن السادس عش بل كان قسم منها يستعملها حتى بعد هذا التاريخ. أما لغة الدين والعلم إلى حد ما فكانت العربية. وقد اظهر العثمانيون مجهودا فائقا في حصر جميع المعاملات بالتركية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

أما النقود فكانت تطبع عليها عبارات تركية فلا اثر لأية عبارة مغولية في نقود الجغتاي مقابل عبارات قليلة من المغولية في نقود التون أوردي بينما أكثريتها الساحقة مكتوبة بالتركية ويرد في أكثرها عبارة (قوتلوغ بولسون) ويقابلها حاليا (قوطلو اولسون) وهي عبارة خاصة بالتهنئة.

وقد سبق التون أوردي ما سواها في اعتناق الإسلام ثم تبعها الايلخانيون ثم الجغتاى. فقد اعتنق بركه إمبراطور التون أوردي وابن جوجى خان الإسلام في أواسط القرن الثالث عشر إذ كان العنصر التركي يشكل الأغلبية الساحقة في هذه الإمبراطورية. وقد اعتنق بركه خان الإسلام على ما يعتقد في عام 1250 وكان قد اعتنقه في عام 1253 على وجه الثبوت، بينما لم تكن إمبراطورية الايلخانيين قد تأسست بعد في هذا التاريخ، ويظهر هذا الأمر لنا بعض نواحي تاريخ الشرق فقد تحالف أباطرة التون أوردي المسلمون مع المماليك الأتراك في سوريا ومصر ضد الايلخانيين. وقد كان للعامل الديني أثره في هذا التحالف إلى جانب العامل الاقتصادي المتولد من المنافسة المتحكمة بين التون أوردي والايلخانيين.

وقد أصبحت التركية لغة السلالات الثلاث الايلخانية والجغتاى والتون أوردي إطلاقا في الربع الأول من القرن الرابع عشر.

المغول والسلام العالمي

خطا المغول في أوائل القرن الرابع عشر وأواخر القرن الثالث عشر خطوات هامة في تحقيق السلام بين كافة الدول ودعوا إلى تحريم الحروب ودعوة الدولة التي تريد الحرب من قبل باقي الدول إلى السلام. وقد أرسلوا رسلا إلى البابا وفرنسا وإنجلترا يبينون لهم إن الإسلام قد استتب في آسيا ويدعونهم إلى الانخراط في هذه المعاهدة. وقد أجاب حكام أوربا بالدعاء والتمنيات الطيبة. وبذلك فقد أملي المغول بعد الرومان سلاما جديدا على دول العالم ومن الجدير بالذكر إن العثمانيين قد عمدوا إلى نفس الإجراء الذي اشتدت الدعوة إليه بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية على نطاق واسع.

وكانت نظرة المغول التاريخية عالمية . فقد اشرف الوزير والعالم المغولي رشيد الدين على سبيل المثال على لجنة الفت كتاب (جامع التواريخ) والذي يعد من اشهر المؤلفات التاريخية القديمة. وقد اشترك في هذه اللجنة مغولي واحد وصينيان وبوذي من كشمير وفرنسي واحد والكثيرون من الفرس والأتراك . ويقول المؤرخ الروسي الكبير بارتولد في معرض التعليق على هذا المؤلف ما يلي:

"يعتبر جامع التاريخ مثلا فريدا في الأدب العالمي الرامي إلى تقديم تاريخ الأمم على شكل معلومات ووثائق منسقة وجامعة. فقد جمعت المعلومات المتعلقة بجميع الأمم التي تعيش مابين المحيط الهادي والمحيط الأطلسي باشتراك ممثلين عن جميع هذه الأمم . وقد أسدى هذا المؤلف خدمات جلى للأفق التاريخي ووسعت من مداركه.

وقد قال عبد ا كاشاني زميل رشيد الدين في أبحاثه أن تاريخ العرب والفرس ما هو إلا نهران في بحر تاريخ العالم. في حين يذهب العلماء الأوربيون وحتى في يومنا هذا إلى اعتبار تاريخ العالم من اجتماع تاريخ الرومانيين والجرمان . وقد أدرج تاريخ كل أمة في تاريخ رشيد الدين حسب نظرتها الخاصة ولم يعدل أي شيء منها حتى وان كان مغايرا لأسس الإسلام أو المفهوم الأدبي لذلك العصر."

نبذة مختصرة من حضارة الايلخانيين

كان أحفاد جنكيز يعتبرون أنفسهم اعرق سلالة في العالم. فقد ضم الايلخان اباقا ابنة الإمبراطور البيزنطي ميكائيل باليولوغوس إلى جواري قصره ولم يعاملها كزوجاته التركيات والمغوليات. ولم تكن ابنة الإمبراطور اندرونيكوس الثاني الأميرة ماريا أكثر من جارية في قصر الايلخان اولجايتو ولم ترق إلى مصاف الزوجات أبدا. وقد اتبع إمبراطور التون أوردي اوزبك خان نفس الأمر مع الأميرة البيزنطية وعلاوة على ذلك فلم يسمح بإنجاب الأطفال من هذه الجواري واعتنى بنشأة الأطفال من الزوجات التركيات والمغوليات.

وكانت عاصمة الايلخانيين في أذربيجان الجنوبية دوما فقد أصبحت مدن تبريز ومراغة وسلطانية عواصم الإمبراطورية وازدهرت في تلك العصور فكان نفوس تبريز يربو على المليون نسمة مثلا في حين لم تكن في تركيا في ذلك الوقت أية مدينة تماثلها في هذا العدد. وقد كثرت في هذه المدن المعاهد العلمية والثقافية والفنية. واهتم الايلخانيون بالعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافية وعلم الفلك والرياضيات، وألف نصير الدين الطوسي مؤلفاته القيمة بفضل هولاكو.

وعندما انتقل حكم إيران من العرب إلى الأتراك ازدهر الشعر الفارسي فلم يقض الأتراك على الثقافة الفارسية وبسطوا حمايتهم عليها. وقد استمر المغول على نهج الخوارزمية في هذا المنوال فأسبغوا عنايتهم على الأدب الفارسي الذي ارتقى إلى ذروته في القرن الرابع عشر.

وازدهرت الشركات التجارية بفضل تعاون الأتراك والمغول وكان المغول قد تعلموا أسسها من ألا ويغور وتوسعت هذه الشركات بحيث أصبحت تطغي على التجارة العالمية بعد اشتراك الأتراك المسلمين والفرس والعرب فيها برساميلهم. وازدهرت التجارة إلى حد نشوب الحروب بسببها، ويذكر أن الحرب التي استعر أوارها بين هولاكو وبركه خان التون أوردي في عام 1263 كانت بسبب مصادرة هولاكو لأموال هذه الشركات في تبريز وقطعت العلاقات الاقتصادية بين الإمبراطوريتين لهذا السبب. وقد اعتنى باستتباب الأمن والاستقرار اللازم لأعمال هذه الشركات التجارية الكبرى ويصف الراهب السائح المعاصر بلانو كاربيني آسيا في القرن الثالث عشر بقوله:

" ليس في العالم قوم كالتتار في احترامه للآخرين(ويقصد الراهب بالتتار المغول والأتراك مجتمعين)، والتقيد بالأنظمة لدى التتار وإطاعة الكبار مثل يحتذى قد تشبهه طبقة رجال الدين لدينا ليس إلا. ويندر أن يحدث بينهم جدال في الكلام أما العراك والقتل فلا يوجد إطلاقا. لا تخشى اللصوص في هذه المنطقة ولا حاجة لان تقفل القصور والخزائن. فلو وجد أحد حيوانا سائبا ما احتفظ به لنفسه بل يذهب به إلى الشخص المختص ويسلمه إياه. وسيجده صاحبه هناك متى ما ذهب. ويعيش التتار كأفراد أسرة واحدة ويتقاسمون لقمة عيشهم حتى وان كانوا في عسر من أمرهم. لا يشتكون من أمر، يتحملون الجوع والبرد على ظهور خيولهم ولم يعرف الحسد طريقا إلى قلوبهم، ويندر أن يشكو أحدهم الآخر ونساؤهم مخلصات شريفات".

وان كانت هناك بعض المدن التي خربت من جراء استيلاء المغول مثل سمرقند فإن مدنا أخرى كثيرة أنشأت وتوسعت في هذا العهد. وقد بلغت واردات مدينة تبريز من الضرائب في عام 1340 (1.150.000) دينار . بينما كانت ميزانية فرنسا في عام 1311 لا تصل هذا الحد. وإذا عقدنا المقارنة بين المدن الأوربية فقد كان عدد نفوس لندن في عام 1377 يبلغ 37.000 نسمة ومدينة يورك ثاني مدن إنجلترا 11.000 نسمة وباريس اكبر مدن أوربا – عدا استانبول وغرناطة – في عام 1328 يبلغ 250.000 نسمة بينما كان عدد نفوس تبريز يربو على المليون نسمة كما كانت هناك مدن كثيرة في الصين في عهد قوبيلاى خان يسكنها أكثر من مليون نسمة مثل هانكجوف (1.600.000) أي ما يقارب نفوس إنجلترا.

وقد ترأس ثلاثة من أبناء جنكيز الأربعة ثلاث سلالات هامة بالإضافة إلى إمبراطورية يو – أن. وكان على رأس إمبراطورية الالخانيين ويو– أن هولاكو وقوبيلاي ابنا تولى خان ابن جنكيز الذي توفي في إحدى الحروب مع الخوارزمية. أما أحفاد اوكتاى الابن الثالث لجنكيز فقد نازعوا قوبيلاي إلا أنهم لم يملكوا إمبراطورية. وقد انخرط قسم كبير من شعب اوكتاي بين أبناء هولاكو في دولة الالخانيين بعد خذلانهم في نزاع الإمبراطورية.

4- إمبراطورية تركيا في ظل الايلخانيين 1243 – 1308

خلف السلطان عز الدين كيكاوس الثاني السلطان كيخسرو الثاني في حكمه فحكم أربعة عشر عاما حتى عام 1261 خلا عاما واحدا 1256 – 1257 حكم خلاله شقيقه السلطان قيلج ارسلان الرابع. وقد توفى كيكاوس عام 1278 عن أربعين عاما. وكان في الثامنة من عمره عندما اعتلى العرش وأصبحت عادة جلوس الأطفال على العرش عاملا أسهم في ضعف تركيا في مقاومتها للمغول.

وقد تبعت سلطنة تركيا أبان عهد كيكاوس الثاني القاغان الأكبر للمغول رسميا وقد اعتبر المغول شقيقى كيكاوس، قليج ارسلان الرابع وكيقباد الثاني حكاما مشتركين في الحكم رامين بذلك إلى أضعاف كيان الدولة وقد وفقوا في ذلك. فبالرغم من اعتراف الآخرين بأخيهما الأكبر سلطانا اكبر فانهما لم يتورعا عن تقلد لقب السلطان في حين لم يكن الأمراء السلاجقة حتى ذلك الوقت يلقبون بأكثر من لقب الملك.

عمل جلال الدين قاراطاي وزير ذلك العهد على منع اقتتال الإخوة والحد من مطالب المغول فقد كان مشتركا.يشكو من الضرائب والخراج والهدايا ويمتصون خيرات الأناضول. وقد دام حكم السلاطين الثلاثة المشترك خمسة أعوام 1249- 1254 وتليت الخطب وضربت السكة باسمهم مشتركا . إلا أن الحاكم الحقيقي كان كيكاوس الثاني وكانت جهود قاراطاي قد أنقذت تركيا من هاوية السقوط في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. إلا أن قدوم هولاكو إلى الشرق الأدنى مؤسسا الإمبراطورية الايلخانية ومستوليا على بغداد منهيا بذلك الخلافة العباسية التي دامت خمسة قرون كان مما أدهش العالم الإسلامي وأصبحت السيطرة على تركيا من إيران أسهل مما كان عليه قبلا .

وفي عام 1256 دحر المغول الجيش السلجوقي ودخلوا مدينة قونية فهدموا أبراج القلعة إلا أنهم لم يقتلوا ولم ينهبوا واستلم بايجو نويان خراجا هائلا واجلس السلطان قليج ارسلان على العرش ثم انسحب عائدا وبذلك انتهت مدة حكم كيكاوس الثاني فأصبح قليج ارسلان الرابع سلطانا لمدة عام واحد.

وفي هذه الفترة نزل كيكاوس الثاني ضيفا على الإمبراطورية البيزنطية في ازنيق واستلم منها جندا مقابل التخلي لها عن مدينة دينزلي والحق التركمان الموجودين في حدود البيزنطيين إلى جيشه وتوجه نحو قونيه فطرد أخاه واعتلى العرش ثانية ودام حكمه الثاني أربعة أعوام. أما قليج ارسلان الرابع فقد ذهب إلى سيواس فأعلن حكمه هناك وبأمر هولاكو حدد نهر قزل ايرماق حدودا فاصلة بين الشقيقين. ولكن كيكاوس الثاني كان يعتبر السلطان الأكبر وفي عام 1259 استدعى هولاكو الأخوين أوصاهما بعدم القتال.
ولما كان كيكاوس الثاني غير راغب في الخضوع للمغول إلى هذه الدرجة فقد كان يزمع طردهم من الأناضول إلا أن قوته المادية وشخصيته الضعيفة لم تكن تسمح بتحقيق هذا الهدف. فدحر من قبل المغول وهرب إلى انطاليه وترك العرش إلى أخيه قليج ارسلان الرابع في عام 1261 فأبحر إلى استانبول التي كانت قد استرجعت من قبل البيزنطيين. ولما كان الإمبراطور ميكائيل باليولوكوس يقصد قونيه في ظروفه الحرجة فقد استضاف السلطان التركي واحتفى به، إلا أن كيكاوس الثاني حاول قلب النظام في 1264 بغية الاستيلاء على العرش البيزنطي وأحبطت محاولة الانقلاب من قبل الإمبراطور الذي فرق مؤيديه ونفى السلطان مع عائلته وأصدقائه المقربين إلى قلعة في روميلي. وفي عام 1270 أنقذت قوات خاقان التون أوردي السلطان التركي من الأسر وعاملته معاملة حسنة نظرا للمنافسة القائمة بين التون أوردي والايلخانيين ومنحته إقطاعية في القرم وقد بقي فيها ثمانية أعوام حتى عام 1278 حيث توفي. وبعد وفاته عاد ابنه مسعود الثاني إلى تركيا واعتلى العرش آخر سلطان سلجوقي لدولة تركيا.

السلطان ركن الدين قليج ارسلان الرابع 1261 – 1266

حكم قليج ارسلان الرابع الدولة بالاشتراك مع شقيقيه كيكاوس الثاني وكيقباد الثاني مدة خمسة أعوام ثم نصب سلطانا اكبر من قبل بايجو نويان إلى أن طرد من قبل أخيه فحكم أربعة أعوام شرقي نهر قزل ايرماق وحكم مرتين حتى وفاته عام 1266 لمدة ستة أعوام. وقد حضر مجلس القاغان الأكبر لدى جلوسه العرش مدعوا فزار بذلك عاصمة المغول التي كانت تدير العالم.
ووزير قليج ارسلان الرابع هو معين الدين سليمان بروانه الذي كان يملي إرادته على السلطان وقد حدث إن استولت إمبراطورية طرابزون البيزنطية على سينوب فأرسل معين الدين سليمان ابنه الذي استرجعها إلا انه ظل مسيطرا عليها فتأسست بذلك أمارة أبناء بروانه. ولما اعترض السلطان على هذا الإجراء عمد الوزير إلى خنقه بشريط السهام (طبقا للتقاليد التركية التي تقدس دم السلالات الحاكمة ولا تسمح باهراقها) ولما كان ابنه كيخسرو الثالث صغيرا فقد أديرت الدولة من قبل بروانه وازداد النفوذ المغولي.

السلطان غياث الدين كيخسرو الثالث 1266 – 1281

كان كيخسرو الثالث في الثانية من عمره عندما توفى أبوه وبقى في الحكم خمسة عشر عاما وهو في التاسعة عشر من عمره وهو معاصر للسلطان ارطغرل غازي وفي أواخر سني حكمه أصبح عثمان غازي أمير مقاطعة خلفا لأبيه في عام 1281. وقد ازداد تدخل المغول في الشؤون الداخلية واعدم بروانه الذي استدعى سلطان المماليك بايبارس إلى تركيا لوضع حد لتحكم المغول. وانفرد كيخسرو الثالث بالحكم إلا أن المغول نصبوا من مسعود الثاني ابن كيكاوس الثاني سلطانا بأمر اباقا ابن هولاكو الايلخاني. وبعد أن اسلم احمد

ايلخان بعد وفاة اباقا اعترف بسلطنة مسعود الثاني واستدعى كيخسرو الثالث إلى تبريز عاصمة الايلخانيين فبقى فيها سنتين ثم عاد لاسترجاع عرشه في ارزنجان فقتل عام 1283 بأمر من الايلخان.

آخر سلاطين السلاجقة في الأناضول

السلطان غياث الدين مسعود الثاني والسلطان علاء الدين كيقباد الثالث

حكم السلطان غياث الدين مسعود الثاني مدة اثنين وعشرين عاما من 14 تموز(يوليو) 1281 – 1297 ثم من عام 1302 – 1308. وحكم السلطان علاء الدين كيقباد الثالث خمسة أعوام بين فترتي حكم الأول. وكيقباد الثالث هو حفيد كيخسرو الثاني.
أصبح مسعود الثاني ملكا على اولوبورلى في مطلع عام 1301. أما كيقباد الثالث فقد استقبل غازان ايلخان على الحدود السورية عند رجوعه بعد غزوته الثانية غير الموفقة على سوريا ضد المماليك فاستحق بذلك شكر الايلخان. ونتيجة لذلك صادق غازان ايلخان على سلطنة كيقباد الثالث على تركيا من انطاليه إلى ارضروم ومن سينوب إلى ديار بكر. فجاء كيقباد الثالث إلى خربوط واختار سيواس عاصمة له . وبعد مدة وفد إلى قونية إلا أن عمله هذا أثار سخط غازان ايلخان فاستدعاه إلى أصفهان وبعد اشهر من إقصائه عن العرش قتل بيد أحد أتباعه فارتقى عمه مسعود الثاني الذي كان في همدان عرش دولة تركيا ثانية واختار قيصري عاصمة له وبقي فيها ستة أعوام مرت دون حادثة تذكر.
توفي مسعود الثاني عام 1308 في قيصري وبذلك انتهى حكم السلالة السلجوقية التي حكمت الأناضول وبقى أخر أمير من أمراء دولة تركيا غازي جلبي في سينوب كأمير تابع للايلخانيين حتى عام 1355 ولم يجلس الايلخانيون لا غازي جلبي ولا غيره من السلاجقة على عرش تركيا.

5- سقوط السلالة السلجوقية 1308

توفي أخر حاكم سلجوقي في قصره بقيصري عام 1308 وبذلك أسدل الستار على فصل رائع من تاريخ تركيا حفل بالبطولات والانتصارات التي رافقت أعظم شخصيات التاريخ التركي مثل جاغرى بك وطغرل بك وألب ارسلان وملكشاه وسليمان شاه وقليج ارسلان الأول والثاني ومسعود الأول وكيقباد الكبير.

كانت الأناضول في عام 1308 بشرقها ووسطها تحت إدارة ولاة الايلخانيين كما كانت إمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا الأرمنية تتبع الايلخانيين. أما معرش وعنتاب وما حواليها فكانت تتبع المماليك في حين كانت السواحل الجنوبية والشرقية لمرمره في يد البيزنطيين. وكانت هناك إمارات تركمانية في غرب الأناضول وايجل وقسطموني.

أزمـــــة الحكـــــــــــــــــــــم

حدث أزمة حادة في الأناضول عام 1308 لبقاء العرش شاغرا ممن يشغله . وبالرغم من أن الايلخانيين ورثوا السلاجقة في الحكم إلا أن ولاتهم الذين كانوا يرسلونهم لا يفعلون أكثر من انتزاع أموال الشعب في الأناضول. ولم يكن الشعب في الأناضول لينسى مفاخر السلاجقة وتاريخهم الحافل.

وقد حاول القارامانيون كأقوى امارة تركمانية في الأناضول تسلم مقاليد الأمور في الأناضول وإخراج الايلخانيين منها وتوحيد الأناضول إلا أن فكرتهم هذه لم تتعد حدود الخيال، فلم يجسروا على تقلد لقب السلطان . وكان الأمر يستلزم امتلاك قوة سلالة فاتحة ويظهر هذا من عقد الأتراك الآمال الكبار على غازي جلبي آخر ولي للعهد في تركيا طوال سنين عديدة.

6- الايلخانيون يتقلدون تاج إمبراطورية تركيا 1308 – 1335

أصبح اولجايتو ايلخان وابنه ايلخان محمد خدا بندالأجنبي.الدولة التركية الكبرى خلفا للسلاجقة وبذلك انتهت صفة السيطرة على الإمبراطورية التركية والسيادة عليها وبدأ حكمهم كأباطرة مباشرين لتركيا. إلا أن وجودهم في أذربيجان كان يضفي عليهم صبغة الأجنبي . وفي فترة السبعة عشر عاما التي اعتلى فيها الايلخان الثانيوالهدايا.ة التركية الكبرى (1308 – 1335) ازدادت حركات التمرد من قبل الولاة العموميين والأمراء واشتد ساعد بعض الإمارات التركمانية فظهرت أمارة قارامان في الجنوب والعثمانيون في الشمال كقوة لا يستهان بها.

الايلخانيون والأناضول

كانت إمارات الأناضول تتبع الايلخانيين وتدفع لهم الضرائب والهدايا . وكانت أمارة قارامان على صلة بالمماليك وتتحين فرص الايقاع بالايلخانيين. وكان الشعب في أواسط الأناضول يأمل خيرا من هذا . كانت أواسط الأناضول تدار من قبل ولاة الايلخانيين . وقد رقي إلى هذا المركز منذ عام 1327 ارتنا بك إلا أن سلطته كانت لا تتعدى الولاية.

7- آخر آثار الحكم الايلخاني في الأناضول

انقرضت إمبراطورية الايلخانيين بعد وفاة محمد خدا بنده ايلخان عام 1335 الذي لم يخلف أطفالا. فقد اعتلى أكثر من ايلخان واحد العرش فحكموا مددا متفاوتة قصيرة واكتسب الولاة والإمارات التركمانية الاستقلال.

وبخلو عرش الدولة الكبرى ممن يشغلها طالب اورخان غازي العثماني به نظرا لجهاده المتواصل ضد الإمبراطورية البيزنطية ولم يكن ينافسه في هذا الادعاء غير أمير قارامان بينما لم تبلغ الإمارات الأخرى شأن العثمانيين في قوتهم العسكرية ودهائهم السياسي وشعبيتهم العارمة. وقد تلقب اورخان غازي بلقب السلطان واثبت ابنه مراد الأول كونه إمبراطورا بالفعل وليس بالقول فقط إلا أن اتحاد الأناضول تحت ظل العثمانيين لم يكن يخطر بالبال آنذاك.

وفي عام 1344 تخلصت الأناضول من كل تأثير أجنبي تقريبا فلم تكن سيطرة المماليك تتعدى جبال طوروس والفرات بينما كان الجلائريون في إيران والعراق يحكمون خلفا للايلخانيين ولا يستطيعون بسط سيطرتهم إلا على شرق الأناضول. أما إمبراطورية طرابزون فقد تقلص وجودها واقتصرت على السواحل الشرقية للبحر الأسود بينما كانت الإمبراطورية البيزنطية تتمسك بصعوبة بسواحل مرمره. ويسيطر اللاتينيون على بعض الموانيء فقط. وفي مثل هذه الظروف اشتد ساعد العثمانيين وتهيأوا لبدء دورهم التاريخي الكبير مؤسسين اكبر إمبراطورية في العالم.

المبحث الخامـــــس
إمارات الأناضول

1- الوضع السياسي في الأناضول في عام 1308

كانت الأناضول مقسمه إلى عدة أقسام عند سقوط دولة السلاجقة وتتحكم في مصيرها الإمارات التركمانية وإمبراطورية طرابزون ومملكة كيلكيا الأرمنية اللتين كانتا تحت حماية الايلخانيين، وأراضي الإمبراطورية البيزنطية ومقاطعات اللاتينيين كما كان الكثير من المقاطعات تحكم بإشراف الولاة الايلخانيين.
كما كان هنالك قسم من المناطق التي لم تكن لها أية علاقة بالايلخانيين مثل معرش وعنتاب وهاتاي وأدى يمان التي كانت تحت نفوذ المماليك الأتراك في مصر وسوريا أما اركلي على ساحل البحر الأسود واماسرا وقلعة ازمير وبيغا وصامسون المسيحية التي كانت تتبع الرومانيين ومانيسا والا شهر وقوجا ألي ومنطقة صقارية عدا كيفه واينه كول وكلاس وبورسه عدا يني شهر وقضاء لابسكي في جناق قلعه وباندرما في باليكسر واردك ومانياس وصوصورلق وكونن فيها والقسم الآسيوي من أستانبول أي يلوا وشيله وقارتال واسكدار وقاضى كوي وبيقوز واقضية الجزر فكانت تتبع الإمبراطورية البيزنطية، بالإضافة إلى بوزجا ادا في آسيا وامروز في القسم الأوربي أي جزر مضيق جناق قلعة وجزر ليمين وسمنديرك أما جزر ميديللي وصاقز وسيسام ونيكا ريا فكانت تحت السيطرة الرومانية ورودوس والجزر الأثنتا عشرة تحت سيادة الأوربيين. وكانت هناك مملكة مستقلة في قبرص. أما تراقيا الشرقية والغربية فكانت للبيزنطيين.

2- الوضع السياسي في الأناضول في عام 1335

بدأت أوصال إمبراطورية الايلخانيين بالتفكك بعد وفاة محمد خدا بنده ايلخان في عام 1335 فاستقلت الإمارات التركمانية وكان اشهرها أمارة العثمانيين لما لها من جهاد طويل. أما القسم الأكبر من الأراضي التي كانت تحت حكم الايلخانيين المباشر فقد انتقل إلى ارتنا بك الذي استقل في هذه الآونه. وارتنا من أتراك الاويغوز استقل مابين 1335– 1338 وتبع المماليك في عام 1338 ثم استرجع استقلاله في عام 1343 وحكم ارضروم وارزنجان وطوقاد واماسيا وصامسون وانقره ونكيده وقيصري وسيواس وبايبورد وشبين قره حصار ونيكسار ومرزيفون واقسراى ودارنده ودوه لى قره حصار وما إليها.
وفيما خلا المناطق السابقة فقد بقى شرق وجنوب شرق الأناضول تحت حكم الايلخانيين حتى عام 1336 ثم انتقل إلى الجلائريين وكان في أميد (ديار بكر) الاق قويون التابعون لهم .
وحصلت إمبراطورية طرابزون المتكونة من طرابزون وريزه على استقلالها بينها خضعت كيلكيا للمماليك. وقد ترك الايلخانيون اغلب مناطق الشرق الأدنى للمماليك.

الإمـــــــــــارات

توسعت أمارة قارامان وحكمت قونيه وقير شهر ونوشهر وايجل وشرق انطالية الحالية أما آق شهر فكانت تحت سيطرة الحميديين. بينما كانت جمهورية اخي في أنقرة تحت نفوذ القارامانيين وبدا العثمانيون بتوسيع نطاقهم فحكموا بورسه واسكي شهر وبيله جك وبولو وصقارية الحالية. وسيطروا على يالاوا وقره مرسل وكولجك.

أما الجرميان فقد فقدوا قسما من أراضيهم بينما استولى ذوو ايدين على أراض جديدة. وقد امتلكت إمارات منتشه وايدين وصاروخان وقاراسى على أساطيل كبيرة فآخذت تتحكم في بحر ايجه. وقد انتزعت أمارة قاراسى منطقة مرمره الجنوبية من البيزنطيين فتقلص بذاك الوجود البيزنطي في جنوب مرمره وانحصر في شبه جزيرة قوجا ألي.

3- الوضع السياسي في الأناضول في عام 1344

اكتسبت الإمارات التركمانية في الأناضول استقلالها التام بعد سقوط الإمبراطورية الايلخانية وبدأت بتوسيع رقعة أراضيها. فعمد العثمانيون إلى الاستيلاء على ازميت ودحروا البيزنطيين في معركة مالتبه واخضعوا أمارة قاراسى واخذوا يهددون جمهورية اخي في انقره وامتدا إلى مناطق نفوذ القارامانيين.

أما القارامانيون فقد فتحوا قسما من أراضي الإمارات المجاورة مثل ارتنا إلا أنهم لم يرتقوا الى مصاف العثمانيين في القوة والمنعة. وقد انقطعت علاقة البيزنطيين بالأناضول بعد استيلاء العثمانيين على شبه جزيرة قوجا ألي .

منطقة نفوذ المماليك

توسعت رقعة الأراضي الخاضعة للمماليك أو الواقعة تحت حكمهم المباشر في حين كان الجلائريون يحكمون جنوب شرق الأناضول وقارص وآرتوين. وكانت مملكة كيلكيا الأرمنية خاضعة للمماليك وقد تقلصت بحيث بقى نفوذها في منطقة جقور اوا فقط بعد ضربات المماليك المتوالية.

قوة إمارات الأناضول

يفيد المؤرخ العربي الشهير ابن فضل ا العمري في معرض حديثه عن أحوال عام 1332 بان الأمراء الأتراك كانوا يستندون إلى عنصر محارب قوي وقلاع صامدة وجبال شاهقة وهم أقوياء بأسلحتهم وعددهم وتتلى الخطب لديهم وتضرب السكة باسم الايلخان الذي هو من أحفاد هولاكو ويغدقون على نواب الايلخان في الأناضول الهدايا ويحرصون على أن تكون رسائل هؤلاء النواب للايلخان لصالحهم.

ويستنتج المؤرخ نفوس الإمارات التركمانية في عام 1332 كما يلي :

العثمانيون 1.030.000 ، قاراسى 250.000 (مجموعها 1.280.000) القارامانيون 750.000 الجرميان 800.000 ، أبناء آيدن 700.000 ، الجانداريون 420.000 ، الحميديون 380.000 (فرع اسبارطه 300.000 وفرع انطاليه (تكه) 80.000)، الصاروخان 280.000 ، المنتشه 170.000 ، الاينانج (أمارة دينزلي) 100.000 ، الاشرفيون (أمارة بكشهر) 70.000 ، السلاجقة (أمارة غازي جلبي في سينوب) 70.000 والمجموع = 5.020.000.

ويقدر عدد نفوس المناطق التي لم تكن تحت حكم الإمارات ما بين ستة وسبعة ملايين نسمة باستثناء أستانبول وتراقيا وبذلك فنستطيع القول بان نفوس تركيا في الربع الثاني من القرن الرابع عشر قد بلغ حوالي 13 مليونا على وجه التقريب. وتظهر الوقائع التاريخية هذا الأمر فقد كان عدد نفوس إنجلترا في نفس الفترة حوالي 2.5 مليون وفرنسا 12.5 مليون نسمة وبذلك يكون عدد نفوس تركيا مساويا لنفوس فرنسا اكبر الدول الأوربية وأولها من حيث النفوس. ونضيف هنا أن نفوس تركيا في أواسط القرن الثالث عشر كان أكثر بكثير من هذا إذ يجب أن يكون قد بلغ خمسة عشر أو ستة عشر مليونا وتناقص هذا العدد بفعل حكم المغول لتركيا فيما بعد.

4- الإمارات الأولى التابعة للسلاجقة في الأناضول

أمارة بروانه:-

دامت هذه ثلاثة وعشرين عاما (1277 – 1300) وكانت تتبع دولة تركيا بقيادة السلاجقة. وكان مركزها سينوب وتحكم ما حواليها. وكان تأسيسها بعد استرجاعها من إمبراطورية طرابزون الرومانية من قبل الوزير السلجوقي المستبد معين الدين سليمان بروانه وكانت كلمة بروانه تعني وزير القصر. وأرغم السلطان السلجوقي على تمليكه إياها. وقد عين معين الدين ابنه محمد بك نائبا عنه وواليا عليها. وقد خلف هذا ابنه مسعود. وفي عام 1300 أصبح ولي عهد الإمبراطورية التركية الأخير غازي جلبي حاكما على سينوب وبذلك انتهت أماره بروانه.

غازي جلبى 1300 – 1355 :-

حكم غازي جلبي ابن السلطان مسعود الثاني سينوب وخلفه بعده ابنه إبراهيم بك وبعد ذلك ضم الجانداريون سينوب إليهم. وكان غازي جابي خاضعا لسلاجقة تركيا حتى عام 1308 ثم تبع الايلخانيين حتى عام 1335 وبعد ذلك استقل في حكمه مدة عشرين عاما إلا أن نفوذ الجانداريين كان عظيما. وقد أصبح ابنه الملك قليج ارسلان في عام 1380 ملكا في أمارة ارتنا.

أبناء صاحب اتا 1265 – 1333:-

كان مؤسس هذه الأمارة صاحب اتا فخر الدين على ابن حسين بن أبي بكر وزير تركيا، وبقى في هذا المركز تسعة عشر عاما (1266 – 1285) وقد استولى على افيون.

وحكم صاحب اتا المنطقة من افيون العاصمة بواسطة نوابه الذين كانوا من أبنائه. وتوفي عام 1285 في اقسراي. وقد خلفه حفيده شمس الدين احمد بك ابن حسن بك وبعد مقتل هذا أعقبه ابناه نصرة الدين احمد

ومظفر الدين دولت. وكانت الأمارة التي انفرد مظفر الدين بحكمها فيما بعد تتبع الايلخانيين . وقد تقلص نفوذ هذه الأمارة تدريجيا إلى أن انضمت إلى أمارة الجرميان.

أبناء جوبان 1204 – 1320:-

فتح حسام الدين جوبان بك من اوغوز قبيلة القايي مدينة قسطموني في عام 1204 وأصبح قائد الحامية التركية هناك في مواجهة البيزنطيين. وقد توالى أربعة من أحفاده كولاة للسلاجقة حتى عام 1308 وأمراء تابعين للايلخانيين حتى عام 1320 وقد التحقت الأمارة بعد هذا التاريخ بأمارة الجانداريين.

5- أمارة أبناء أرتنا والقاضي برهان الدين

أبناء أرتنا 1327 – 1380 :-

ورثت مملكة ارتنا معظم أراضي الايلخانيين في الأناضول وقد دامت ثلاثة وخمسين عاما(1327- 1380) منها ثمانية أعوام قضاها ارتنا بك واليا عاما للايلخانيين في الأناضول واستقل في 1335. وتبع المماليك مدة خمسة أعوام ثم استقل ثانية وكانت العاصمة سيواس ثم نقلت إلى قيصري.

وقد حكم في هذه المملكة على التوالي أربعة من نسل ارتنا وتقلدوا لقب السلطان وهم أرتنا ومحمد وعلي ومحمد الثاني. وكان ارتنا بك من أتراك الاويغور وبذلك دخل معه إلى الأناضول كثير من أتراك هذا الفرع.

وكانت أمارة أرتنا في أول عهدها واسعة ثم تقلصت نسبيا إلا أنها كانت تحوي في كل حال أوسع مناطق الأناضول ولكن شعبيتها لم تكن متناسبة مع كبرها. وكانت في أوسع أحوالها تضم انقره وقير شهر ونو شهر ويوزغاد وطوقاد وجوروم واماسيا ونيكده وقيصري وسيواس وارزنجان وارضروم وتونج إلى وصامسون وكوموشخانه وكيره سون الجنوبية وملاطية الشمالية وتقدر مساحة هذه الأراضي بـ 214.000 كم مربع.

وكانت في عام 1360 تشتمل على 142.000 كم مربع فقط فقد اقتطعت بعض الإمارات قسما من أراضيها.

القاضي برهان الدين 1380 – 1398:-

أطاح القاضي برهان الدين احمد وزير أبناء أرتنا بالسلطان فأعلن نفسه سلطانا على الأمارة. واحمد العالم والشاعر ورجل الدولة هو ابن شمس الدين محمد قاضي قيصري. وله دواوين شعرية ومؤلفات علمية. وقد انتقلت دولته بعد مقتله إلى يلدرم بايزيد العثماني.

6- القارامانيون 1250 – 1487

تعد الأمارة القارامانية أقوى الإمارات التركمانية وأكبرها بعد العثمانيين. وقد اعتبرت مملكة وليست إمارة. وكانت قونية عاصمة الدولة التركية السابقة في يدهم وقد أرادوا احتلال الدور الذي شغر بانتهاء حكم السلاجقة إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك لعدم ارتقائهم إلى مصاف العثمانيين في شعبيتهم وسطوتهم. وقد وقف هؤلاء ضد العثمانيين في محاولاتهم الرامية إلى توحيد الأناضول ثانية وذهبوا حتى إلى التحالف مع مسيحي أوربا ضد العثمانيين.

ودامت مملكة قارامان التركمانية سبعة وثلاثين ومائتي عام (1250 – 1487) إلا أن أعوامهم الأخيرة انقضت تحت نفوذ العثمانيين وانزوى القارامانيون في بقعة صغيرة من الأرض بالقرب من إيجل.
وكان القارامانيون يشكلون جزءا من الدولة التركية السلجوقية حتى عام 1308. وعمدوا إلى ثورات داخلية لإنقاذ الحكم السلجوقي من السيطرة الايلخانية وكسبوا في ذلك تأييد المماليك الأتراك. وبقي القارامانيون فيما بعد يتبعون الايلخانيين كلما اضطرتهم الظروف إلى ذلك حتى عام 1335 واستقلوا بعد هذا التاريخ إلا أن المماليك اخذوا يتنفذون في المملكة. وحدث أكثر من تصادم بينهم نتيجة محاولة القارامانيين الرامية إلى الامتداد إلى مناطق نفوذ المماليك.
وقد ألحقت الأمارة القارامانية بالإمبراطورية العثمانية لمدة ثلاثة اعوام (1399 – 1402) وأحيت بعد كارثة انقره من قبل تيمور بمساحات أوسع من ذي قبل. وفي عام 1417 خضعوا للعثمانيين ثانية إلا أنهم لم يتوانوا عن التمرد عليهم كلما سنحت لهم الفرصة. وكانت عاصمتهم في بادئ الأمر مدينة أره كلي ثم نقلت إلى ارمناك واستقرت بعد ذلك في مدينة قارامان التي كانت تسمى لاندرة.
وكانت الأمارة واسعة جدا ثم اقتطع العثمانيون جزءا كبيرا من أراضيها . ومن مآثر القارامانيين أن محمد بك الأول أصدر في 13 أيار(مايو) 1277 في مدينة قونية باسم السلالة السلجوقية المرسوم القاضي بمنع استعمال أية لغة غير التركية في الديوان والمجالس والدوائر، وبذلك أعلنت التركية لغة رسمية وحلت محل العربية والفارسية التي كانت تستعمل في المكاتبات الرسمية.

ابرز شخصيات القارامانيين :-
مؤسس الدولة التي حكمت أره كلي هو نورا صوفي بك وقد خلفه في الحكم ابنه كريم الدين قارامان بك الذي اتخذت السلالة اسمه. وقد نقل العاصمة إلى ارمناك. وكان قد تزوج بابنة السلطان قليج ارسلان الثالث. وقد خلف قارامان بك ثمانية أبناء هم:

1	شمس الدين محمد	5	زكريا
2	كون اري	6	طانو
3	بدر الدين (مجد الدين) محمود	7	خليل
4	قاسم	8	علي

وقد خلفه ابنه الأول ثم كون ارى ومحمود ثم ياخشي خان بك ابن محمد بك. وقد حكم الأخير أربعة أعوام في قونية فأعقبه أبناء عمه محمود بك ، بدر الدين إبراهيم الأول ، علاء الدين خليل ميرزا.
وبعد وفاة الأخير استلم إبراهيم الأول مقاليد الأمور ثانية ثم أعقبه ابناه فخر الدين واحمد ثم شمس الدين ثم الحاج صوفي برهان الدين موسى من أبناء محمود بك . وقد نقل موسى العاصمة إلى مدينة موت ثم أعقبه سيف الدين سليمان بك الابن الأصغر لإبراهيم بك. وبعد أن قتل بعد أسره من قبل أبناء ارتنا خلفه علاء الدين علي الأول ابن خليل مرزا المعاصر للغازي اورخان ومراد الأول ويلدرم بايزيد وقد حكم واحدا وأربعين عاما. وكان قد تزوج بابنه مراد الأول وشقيقة يلدرم السلطانة نفيسة. وفي عام 1398 اسر من قبل بايزيد فاعدم.
وبعد موت هذا اعتلى ابنه ناصر الدين (غياث الدين) محمد الثاني العرش وكان قد أمضى ثلاثة أعوام في كنف خاله بايزيد في بورسه عندما ألغي العثمانيون الأمارة. وقد اعتلى العرش ثانية في عام 1402. وفي عام

1418 ترك العرش لشقيقه علاء الدين علي الثاني إلا انه عاد فاسترجعه في العام التالي وبعد أربعة أعوام قتل في معركة له مع العثمانيين، فخلفه ثانية شقيقه علاء الدين علي الثاني.
وبعد هذا الأمير اعتلى العرش إبراهيم الثاني ابن محمد الثاني الذي حكم أربعين عاما وقد وقعت الأمارة في أعوامه الأخيرة تحت النفوذ العثماني تماما. وقد اعتاد العثمانيون توليه الأمراء وأولياء العهد على عرش قارامان في قونية وبذلك اندمجت هذه الأمارة كليا في الإمبراطورية العثمانية.

7- الجرميان 1260 – 1429

كانت أمارة الجرميان عند بدء نشوئها في القرن الثالث عشر من أقوى الإمارات بعد القارامانيين وقد دامت مائة وثلاثين عاما من عام 1260 إلى عام 1390 ثم عادت إلى الحياة في عام 1402 بعد معركة أنقرة فاستمرت ستة وعشرين عاما ونصف العام حتى عام ،1429 وقد ألحقت في عهد يلدرم بايزيد بالإمبراطورية العثمانية لمدة أثنى عشر عاما. وقد استقل الجرميان في عام 1335 بعد أن كانوا تحت نفوذ الايلخانيين إلى أن تبعوا العثمانيين في عام ،1414 وقد تبعهم أبناء ايدين حتى عام 1325 وهم من فرع الاوشار من قبائل الاوغوز وقد قل شأنهم بعد أن برز العثمانيون على مسرح السياسة في الأناضول فتقلص نفوذهم.
وكانت عاصمة الدولة في كوتاهية وبعد أن استولى العثمانيون على كوتاهية وسيماو وطاوشانلى نقلوا العاصمة إلى قولا. والجرميان من ابرز سادة التركمان الذين فتحوا الكثير من الأراضي البيزنطية وسعوا إلى تتريكها.
ومؤسس الأمارة هو كريم الدين علي شير بك ويعتبر ابنه يعقوب بك الأول من قادة الفتح التركي المشهورين. وقد خلف هذا ابنه محمد بك ثم ابنه سليمان شاه بك فأعقب هذا ابنه يعقوب الثاني نصير العثمانيين والذي أوصى قبيل وفاته بالأمارة للعثمانيين وبذلك انضمت هذه الأمارة للإمبراطورية العثمانية.

8- أبناء قاراسى 1303 – 1345

وهذه الأمارة هي أولى الإمارات التركمانية التي ألحقت بالدولة العثمانية وهم من سلالة دانشمند. وقد دامت هذه الأمارة اثنين وأربعين عاما وقد عملوا على السيطرة على السواحل الجنوبية من بحر مرمرة. وقد خلف قاراسى بك في الحكم حفيده دميرخان وقد انضمت الأمارة في عهده إلى الإمبراطورية العثمانية ووفد هو إلى بورسه حيث توفى.

9- أبناء آيدين 1300 – 1425

وأبناء أيدين هم من الأمراء التركمان الذين فتحوا غرب الأناضول وسواحل ايجه. وقد دامت إماراتهم مائة وستة عشر عاما من 1300 وحتى عام 1390 ثم من 28 تموز 1402 وحتى عام 1425. وانضمت في الفترة الواقعة بين هذين التاريخيين إلى الإمبراطورية العثمانية. وكان أبناء أيدين قد تبعوا السلاجقة حتى عام 1308 ثم الايلخانيين حتى عام 1335 حيث استقلوا وتبعوا الجرميان التابعين للايلخانيين من عام 1308 حتى عام 1312 وفي عام 1403 وعادوا فتبعوا العثمانيين.

وكانت العاصمة مدينة أيدين (1300 – 1307) ثم برغي (1307 – 1348) ثم آيا ساوغ (1348– 1390) ثم ازمير (1402– 1425). وكانت الأمارة تحكم في أوسع حدودها مسحة تقدر بحوالي 20.000 كم مربع وتضم أيدين وازمير والا شهر وصالحلي وديكيلى وكمال باشا من مانيسا وبولدان من دنيزلي.
وآيدين بك هو ابن محمد بك وقد خلفه ابنه مبارز الدين غازي محمد بك الذي خلفه أبناؤه الثلاثة الغازي بهاء الدين الأول أومور بك (باشا) وخضر بك وعيسى بك. وأومور بك من اشهر شخصيات تاريخ تركيا فأكبرهم فقد فتح ازمير ثانية بعد أن كان البيزنطيون قد استرجعوها وأسس أسطولا قويا هاجم به السواحل الأوربية واستولى على كومولجية والجزر الآسيوية واليونان وتوالت غزواته على المناطق الأوربية وعلى بلغاريا ودول البلقان واليونان وقبرص وكريت وموروا. وقد استشهد في عام 1348 في معركة جرت لاسترجاع القسم المسيحي من ازمير. وقد أتم ما بدأه سلاطين العثمانيين فيما بعد.

10- أبناء صاروخان 1300 – 1410

حكم أبناء صاروخان ثمانية وتسعين عاما من 1300 وحتى 1390 ومن 28 تموز(يوليو) 1402 وحتى 1410 وكانت عاصمتهم مدينة مانيسا. وقد كانوا ولاة السلاجقة حتى عام 1308 ثم تبعوا الايلخانيين حتى عام 1335 واستقلوا بعد هذا التاريخ. وقد حكموا ثمانية أعوام أخرى بعد معركة أنقرة تابعين للعثمانيين. ثم أرسل العثمانيين أمراءهم إلى عرش صاروخان وكانت الأمارة تحوي ولاية مانيسا الحالية باستثناء بكاك وصوما والا شهر ومنمن وكمال باشا وفوجا. وأمراء صاروخان هم في الأصل قادة الجرميان الذين فتحوا سواحل ايجه وأسسوا إمارتهم فيها.
وصاروخان بك الذي فتح مدينة مانيسا عام 1313 هو ابن آلباغي بك الذي فر من بلاد الخوارزمية اثر استيلاء المغول. وقد التحقت الأمارة في عام 1410 بالإمبراطورية العثمانية نهائيا.
ومن ابرز شخصياتهم الغازي سليمان بك ابن صاروخان بك وولي عهده لمدة تسعة وعشرين عاما. وقد اشترك هذا في الأساطيل الحربية التي اشتركت فيها الإمارات التركمانية قاطبة وقادها أومور بك مهاجما اليونان وموروا وقد اشترك في معركة مقدونيا واستشهد فيها. وقد خاف صاروخان بك الذي توفي حزنا بعد سماعه بنبأ مصرع ابنه إلياس بك ابنه الآخر فأعقب هذا ابنه إسحاق جلبي فابنه خضر شاه بك.

11- أبناء منتشه 1300 – 1426

وأبناء منتشه من الأمراء الذين لعبوا دورا هاما بأسطولهم الضخم في بحر ايجه وقد دامت الأمارة مائة وأربعة وثلاثين عاما من 1280 – 1391 ومن 28 تموز(يوليو) 1402 وحتى عام 1425. وكانوا ولاة السلاجقة حتى عام 1308 وتبعوا الايلخانيين بعد ذلك وحتى عام 1335 حيث استقلوا بأمرهم. وقد الحق يلدرم بايزيد الأمارة إلى الإمبراطورية العثمانية إلا أنهم استقلوا ثانية بعد معركة أنقرة. وكانت الأمارة تحوي مغله وقاش وفنيقه وبوز دوغان وجينه وطاواس وجام ألي واجى باياسى وجنوب ايدين ودنيزلي.
وقد أعقب منتشه بك في حكمه ابنه مسعود بك فابنه شجاع الدين اورخان بك ثم ابنه إبراهيم بك الذي زوج ابنته بأمير أيدين سليمان شاه بك. وقد خلفه ابنه الأكبر محمد بك الذي نقل العاصمة من بجين إلى بالات وقد أطاح يلدرم بايزيد بحكمه.

وبعد معركة أنقرة اعتلى محمد بك العرش ثانية ثم أعقبه ابنه الياس بك الذي زوج ابنته بأمير ايدين اومور بك الثاني. وقد توفي بعد أن أعلن خضوعه للسلطان محمد جلبي فخلفه ابنه ليث بك. وبانتهاء حكم الأخير انضمت الأمارة نهائيا إلى الإمبراطورية العثمانية.

12- أبناء اشرف 1280 – 1326

استمرت هذه الأمارة حوالي ستة وأربعين عاما 1280(- 1326) وكانت عاصمتها مدينة بكشهر. وقد تبعت هذه الأمارة كغيرها السلاجقة ثم الايلخانيين وكانت تضم بكشهر وسيد شهر والغين وآق شهر وبولوادين. وقد استولى القارامانيون والحميديون على قسم كبير من أراضيها بعد انقراض الأمارة. ثم ضم العثمانيون هذه المناطق إلى إمبراطوريتهم في عام 1391.

وكان اشرف بك من اكبر ولاة السلاجقة وكان قد تحالف مع القارامانيين وقد خلفه ابنه محمد بك الذي خلفه عمه سليمان شاه بك. إلا أن الأخير قتل من قبل تيمور طاش والى الايلخانيين العام على الأناضول.

13- الحميديون وأمارة تـــــــــكه

الحميديون 1280 – 1391:

كانت للحميديين أمارتان الأولى في إسبارطة والثانية في تكه (انطاليه) وقد استمرت الأولى ثمانية ومائة عام من 1280 - 1324 ومن 1327 – 1391، أما الثانية فقد استمرت ثلاثة وعشرين ومائة عام حتى 1423. وقد كانت الأمارة تابعة للسلاجقة حتى عام 1308 ثم وقعت تحت النفوذ الايلخاني حتى عام 1324 وألحقت لمدة ثلاث سنوات 1324(– 1327) فخضعت للايلخانيين حتى عام 1335 حيث استقلت. واضطر حسين بك في عام 1374 إلى التخلي عن آق شهر ويالواج وبكشهر وقره اغاج وسيدي شهر لصالح العثمانيين مقابل ثمانين ألف قطعة ذهبية إزاء إلحاح السلطان مراد الأول فتقلصت بذلك الأمارة وانسحبت إلى غرب بحيرة بكشهر. وفي عام 1391 الحق السلطان يلدرم بايزيد الأمارة بالإمبراطورية العثمانية. إلا أن تيمورلنك أحيى فرع الحميديين هذه بعد معركة انقرة لمناوئتهم العثمانيين والقارامانيين.

كانت عاصمة الأمارة في اولوبورلي حتى عام 1310 ونقلت بعد ذلك إلى اكريدير التي سميت باسم فلك آباد. وقد عرفت إسبارطة في العهد العثماني باسم (حميد ايلي).

وبعد وفاة إلياس بك بن حميد بك أسس ابنه يونس بك فرع انطالية (تكه) بينما خلفه ابنه الآخر دندار بك. وبعد مقتل الأخير انقرضت الدولة مدة ثلاثة أعوام ثم تسلم خضر بك وإسحاق بك ابنا دندار بك مقاليد الأمور وأعقبهما في الحكم مصطفى بك بن أخيهما محمد بك الذي كان واليا في كول حصار وبعد هذا اعتلى العرش الياس بك فأبنه حسين بك. وبعد عام 1374 خضعت الأمارة للعثمانيين. وقد اشترك ابنه مصطفى بك في معركة قوصوه الأولى وانضم إلى خدمة العثمانيين.

تكه 1300 – 1423:

خلف يونس بك ابناه محمود بك وخضر بك ثم ابن الأخير سنان الدين فابنه دادى بك ثم ابن محمود بك فابنه عثمان بك. وقد أنهى السلطان يلدرم بايزيد حكم عثمان بك وانضمت بذلك أمارة تكه إلى الإمبراطورية العثمانية. وبعد معركة أنقرة بقيت انطالية تحت الحكم العثماني وحكم عثمان بك في قورقوت ألي إلى أن قتل عام 1423 وانضمت هذه المناطق إلى العثمانيين وبذلك دامت أمارة تكه ثلاثة عشر ومائة عام .

14- أبناء اينانج 1276 – 1368

أبناء اينانج هم من سلالة الجرميان. وان لم يعرف بالضبط أي أمير جرمياني ينتسب إليه اينانج بك. وقد حكم هؤلاء في دنيزلي الحالية والتي كانت تسمى آنذاك لاديك ولم تتجاوز مساحة الأراضي التي حكموها 8000 كم مربع وقد استمرت الأمارة اثنين وتسعين عاما بين 1276 – 1368. وكان أمراؤها ولاة السلاجقة أول الأمر ثم تبعوا الجرميان التابعين للايلخانيين ومن المحتمل أن يكونوا قد تبعوا الجرميان إلى النهاية . وأول أمرائهم على بك وابناه اينانج بك وطوغان باشا وقد حكم بعد الآخير ابنه ارسلان بك فابنه إسحاق بك وفي عام 1368 انضمت الأمارة إلى الجرميان.

15- الجانداريون 1291 – 1461

سمي الجانداريون فيما بعد بأبناء اسفنديار نسبة إلى أميرهم الثامن وعرفوا بهذا الاسم دوما في التاريخ العثماني كما سموا في أعوامهم الأخيرة بأبناء قزل احمد.

استمرت الأمارة سبعين ومائة عام (1291 – 1461) وهي مع أمارة أبناء (ذو القادر) أطول الإمارات التركمانية عمرا بعد أمارة القارامانيين . وقد تبعت السلاجقة حتى عام 1308 ثم الايلخانيين حتى عام 1335 واستقلت زهاء تسعه وأربعين عاما حتى خضوعها للعثمانيين في عام 1383 في عهد مراد الأول. وبعد عشرة أعوام نشبت معركة أنقرة فاستقلت الأمارة ثانية. إلا أنها عادت فتبعت العثمانيين في عام 1413 واستمر أمراؤها يحكمون كولاة عثمانيين حتى عام 1461 حيث انضمت الأمارة رسميا إلى الإمبراطورية العثمانية.

والجانداريون كالعثمانيين من اوغوز قبيلة القايي وقد ارتبطوا بسبب ذلك بالعثمانيين بروابط عائلية وصهرية متينة. وكان مركز الأمارة في قصبة افلاني ثم نقل إلى قسطموني.

الجانداريون قبل اسفنديار بك:

شمس الدين دمير يامان جاندار بك هو ابن الأب (الملك) ارسلان يامان جاندار محمد بك (كلمة جاندار كانت تعني موظفا عاما في عهد السلاجقة) كما يفيد ابن اليازجي في السلجوقنامة. وقد خلف جاندار بك ابنه الأكبر شجاع الدين (بدر الدين) غازي سليمان باشا الأول. وقد زار ابن بطوطة هذا الحاكم في قسطموني عام 1333. وقد خلف هذا ابنه تاج الدين (غياث الدين) إبراهيم باشا الأول الذي كان واليا على سينوب حتى عام 1322.

أما الحاكم الرابع فهو يعقوب بك شقيق سليمان باشا (فلقب باشا في هذه الأمارة كانت تطلق على الأخ الأكبر وليست رتبة عسكرية شأنها في الحكم العثماني) وقد أعقب هذا ابنه عادل بك وتشعبت السلالة من هذا الأمير.
وعندما أنهى السلطان يلدرم بايزيد حكم هذه الأمارة نصب اسفنديار بك شقيق حاكمها سليمان بك واليا على قسطموني نظرا للقرابة التي كانت تربطه بهم.

أبناء اسفنديار

ينتسب افتخار الدين مبارز الدين اسفنديار بك سلطان زاده إلى العثمانيين من جهة والدته وكان واليا عثمانيا مدة عشرة أعوام وتبع تيمورلنك فالعثمانيين التابعين لتيمورلنك في عام 1413 فحكم بذلك مدة ثمانية وأربعين ولذلك سميت الأمارة فيما بعد باسمه.
استقبل اسفنديار بك تيمور في ارزنجان واشترك معه في معركة أنقرة ضد السلطان يلدرم بايزيد وقد اجتمع بالأمير سليمان العثماني في دور فتور العثمانيين وتمرد ضدهم عام 1423 إلا انه هزم من قبل السلطان مراد الثاني في معركة بولو إلا أن السلطان أبقاه على عرش آبائه.
وقد خلف اسفنديار بك في حكمه ابنه الأكبر تاج الدين إبراهيم بك الثاني الذي تصاهر مع العثمانيين بزواجه من ابنة السلطان محمد جلبي وقد تشعبت سلالة أبناء اسفنديار من هذا الأمير.

قزل احمد باشا

والحاكم الأخير لإمارة أبناء اسفنديار هو جمال الدين قزل احمد باشا والي السلطان الفاتح على قسطموني مدة عامين. وقد اشترك مع السلطان الفاتح في حرب طرابزون ومنح رتبة الباشا. وفي عام 1461 رفض تولية السلطان له على مورا فالتجأ إلى القارامانيين في قونية ثم إلى الآق قويون في تبريز وفي عام 1481 عاد إلى أستا نبول بعد وفاة الفاتح وجلوس السلطان بايزيد الثاني على العرش وصفحه عنه.
وابنا قزل احمد هم ميرزا محمد وموسى اللذان تقلدا مناصب رفيعة في الإدارة العثمانية. كما استمر أبناؤه وأحفاده في خدمة الإمبراطورية العثمانية ووصلوا إلى أعلى المراكز وارفع المناصب.

16- أبناء تاج الدين 1308 – 1425

استمرت هذه الأمارة مائة وسبعة عشر عاما وتبعت الايلخانيين أول الأمر ثم أبناء آرتنا وبعد عام 1380 سيطر عليها القاضي برهان الدين حتى عام 1392 ثم حكمها العثمانيون حتى عام 1415. وكانت عاصمتها نيكسر وكانت تضم من ولاية طوقاد الحالية المناطق المحصورة بين يشيل ارماق وكلكيت.
ومؤسس الأمارة هو دوغان شاه بك الذي خلفه ابنه تاج الدين بك والذي سميت الأمارة باسمه. وبعد مقتل تاج الدين أعقبه ابنه محمود جلبي ثم حسن بك بن ألب ارسلان بك ابن تاج الدين. وبانتهاء حكم هذا الأمير انضمت الأمارة إلى الإمبراطورية العثمانية.

17- أبناء قوطلو شاه 1340 – 1393

وهم ولاة اماسيا أو أقطاعيوها . وقد حكموا ثلاثة وخمسين عاما خضعوا فيها لأبناء آرتنا والقاضي برهان الدين ثم العثمانيين. وقوطلو شاه هو مملوك تاج الدين التون باش بك آخر ولي عهد السلاجقة تركيا وابنه بالتبني. وقد حكم بعده ابنه شاد كلدي بك فابنه احمد بك. وفي عام 1393 انضمت الأمارة إلى الإمبراطورية العثمانية.

18- أبناء راحت بك (القرنين الثالث عشر والرابع عشر)

أبناء راحت أسرة بسطت سيطرتها على سيواس وحكمت المدينة باسم السلاجقة فالايلخانيين ثم باسم أبناء آرتنا ووالد راحت بك هو خطاب بك وابنه كمال الدين احمد بك.

19- جمهورية أخي في أنقرة 1290 – 1354

تأسست في أنقرة وما حواليها جمهورية أخي الصوفية والتي تشبه إلى حد ما جمهوريات الإقطاعيين الايطالية في القرون الوسطى وقد استمرت هذه الجمهورية أربعة وستين عاما وتبعت بادئ ذي بدء السلاجقة ثم الايلخانيين ثم أبناء آرتنا وأخيرا القارامانيين. وفي عام 1354 فتح الغاري سليمان باشا العثماني (ولي العهد وفاتح روم ايلى) أنقرة فألحقها بالعثمانيين.

ومن الصدف الغريبة أن تتأسس في أنقرة هذه الجمهورية لتكون هذه المدينة بعد خمسمائة وسبعين عاما مركزا لجمهورية تركية ثانية وهي الجمهورية التركية الحالية. ونظرا لكون النظام الجمهوري قبل اتاتورك غريبا على الأتراك فان جمهورية اخي تستحق العناية. وبالرغم من النظام الجمهوري السائد فيها فقد توالى على حكم أنقرة حكام ينتسبون إلى نفس العائلة. ولابد أن عائلة أخي شمس الدين يوسف افندي قد تنفذت في المدينة. ومن المعتقد أن ابنه حسين أفندي ثم ابنه محمد أفندي فابنه حسين الثاني قد ترأسوا الجمهورية.

20- أبناء ذو القادر 1337 – 1522

من السلالات الهامة التي لعبت دورا هاما في تاريخ الأناضول في أواخر القرون الوسطى هي سلالة أبناء ذو القادر. وقد استمرت تحكم مائة وخمسة وثمانين عاما (1337 – 1522) وكانت لها مع العثمانيين صلات وروابط متينة شأن الاسفندياريين والقارامانيين.

وبالنظر لوضعها الجغرافي فقد تنازعت الأمارة عوامل الخضوع للعثمانيين تارة وللمماليك تارة أخرى. فقد تبعت المماليك اثنين وستين عاما حتى 1399 ثم سيطر عليها العثمانيون مدة تناهز مائة وستة عشر عاما حتى عام 1515. أما السنوات السبع الأخيرة فقد مرت وأمراء ذو القادر يتولون الولاية عن العثمانيين في تلك المنطقة.

وكانت عاصمة الأمارة ألبستان وبعد تدمير المدينة من قبل الإمبراطور التركي الإيراني الشاه إسماعيل الصفوي في عام 1507 نقلت العاصمة إلى مدينة معرش. وقد تعاظم أمر هذه الأمارة في فترات من الزمن

فقد استولت على قيصري في عام 1419 وعلى ديار بكر حتى أنهم استرجعوا عنتاب في عام 1515 من المماليك. كما دخلت خربوط (العزيز الحالية) تحت نفوذها ثلاثة وتسعين عاما (1362– 1455). وكانت الأمارة في أوسع أحوالها تضم معرش وقيصري والعزيز وعنتاب وملاطية وادي يمان الحالية إلا أن مناطق نفوذهم الدائمة كانت تكمن في المناطق المجاورة لولاية معرش. وقد كانت مساحة الأراضي التي تحكمها في أوسع أحوالها تبلغ حوالي 70.000 كم مربع.

أهم شخصيات الأمارة

مؤسس الأمارة هو زين الدين قاراجه احمد بك وهو ابن حسن ذو القادر بك وحفيد خليل بك التركماني. وقد قتل عن ثلاثة وثمانين عاما في 11 كانون الأول(ديسمبر) 1353 في القاهرة. وهو معاصر للغازي أورخان العثماني. وقد خلفه ابناه غرث الدين خليل وشابان سولي بك. وقتل خليل بك وهو في السادسة والتسعين من عمره. أما سولي بك فقد تزوج بابنة القاضي برهان الدين وبعد وفاة سولي بك حكم الأمارة نصر الدين محمد بك ابن خليل بك مدة خمسة وأربعين عاما وخاف هذا ابنه سليمان بك الذي قتل عام 1454 وأعقبه أربعة من أبنائه هم الملك ارسلان والشاه بوداق وشهسوار وعلاء الدولة بوزقورت بك. وبعد وفاة الأخير حكم علي بك ابن شهسوار بك. وقد أطلق عليه لقب الباشا من قبل العثمانيين وكان قائد الحامية العثمانية في معرش وقد قتل في عام 1522 مع أبنائه الثلاثة. وبموته انتهى حكم أبناء ذو القادر .

21- الرمضانية 1358 – 1608

الرمضانية أمارة تأسست في أواخر عهد نشوء الإمارات على أنقاض مملكة كيلكيا الأرمنية، وقد تأسست الأمارة بفعل رمضان بك من سادة قبيلة يوره كير من الاوغوز الأتراك وقد حكمت حتى عام 1383 في ألبستان ثم تخلت عنها لصالح أبناء ذو القادر فاتخذت من أدنه مركزا لها . وبالرغم من أنها استمرت مائتين وستة وخمسين عاما (1352 – 1608) فإن الاثنين والتسعين عاما الأخيرة مرت وحكام هذه الأمارة في موقع الولاية للعثمانيين.

خضعت سيس واياس وطرسوس إلى الرمضانية في عام 1415 إلا أن القارامانيين استعادوا طرسوس في عام 1417 واسترجعها الرمضانية ثانية في عام 1457. وكانت الأمارة في أوسع أحوالها تحوي ولاية أدنه الحالية وشرق ولاية مرسين وشمال معرش.

وقد أعقب رمضان بك في حكم الأمارة ابناه صارم الدين إبراهيم الأول وشهاب الدين احمد. وقد استولى الاخير على أدنه واتخذها مركزا للأمارة . وقد أعقب هذا على التوالي أبناؤه صارم الدين إبراهيم الثاني وعز الدين حمزة ومحمد الأول.

وقد أعقبه ايلوك بك الذي يعتقد بأنه ابن محمد الأول ثم دوندار بك الذي يحتمل أن يكون ابن الأخير. وقد خاف هذا عمر بك ابن إبراهيم بك . وقد اسر هذا من قبل العثمانيين في عام 1485 وتوفي في أستانبول فخلفه ابنا أخيه غرث الدين خليل ومحمود ابنا داود بك. وبعد حكم سليم بك ابن عمر بك الذي خاف هذا أرسل إلى أدنه واليا عثمانيا واستمرت السلالة من أبناء شقيقه خليل بك.

خلف محمود بك ابنا شقيقه خليل، قباد، وبيري محمد، أما أبناء محمود، داود وقورقوت ومحمود بك فقد التحقوا بخدمة العثمانيين. وقد ترك قباد باشا منصبه لأخيه بيري محمد بينما تقلد هو مناصب عثمانية في البصرة وحلب ووان. وقد خلف بيري محمد باشا ابنه الأصغر درويش بك فأعقب هذا بعد ستة اشهر ابنه الأكبر إبراهيم الثالث. وقد خلف هذا ابنه محمد الثاني فابنه بير منصور وبعد وفاة هذا عدل العثمانيون عن تعيين الولاة على أدنه من سلالة الرمضانية.

22- الإقطاعيون الأكراد

حكام الجزيرة 1200 – 1596:

من اشهر إقطاعيين الأكراد في الأناضول حكام جزيرة ابن عمر وحكام حكارى وعلى الأخص أبناء شرف خان. ولم يكن هؤلاء مثل الإمارات التركمانية في الأناضول ليرقوا إلى مصاف الملوك والدول بل حكموا على شكل إقطاعيات متواضعة دامت قرونا عديدة وحكموا العشائر الكردية . وبالنظر لوعورة المناطق التي يحكمون فيها فقد اكتفت الدول التي تحكم هذه المناطق بجباية الضرائب وتجنيد أبنائها فلم تتدخل في شؤونها الداخلية.

ومعلوماتنا حول الأكراد قليلة وهي تستند على الأكثر على الشرفنامة. وقد حكم رؤساء العشائر الكردية في جزيرة ابن عمر في جبل جودي (2089 م) وفينيك وحكموا من قبل اتابكية الموصل والايلخانيين والجلائريين والتيموريين والقاره قويون والاق قويون والصفويين وابتداء من عام 1515 من قبل العثمانيين، وكانت هذه المنطقة تضم الجزيرة الحالية وشرناق واروخ (وهي أقضية تابعة لولايتي ماردين وسعرد حاليا).

ومؤسس الأمارة هو سليمان وأبناؤه الحاج بدر وعبد العزيز وعبدول. وقد ترأس الحاج بدر عشائر جودي (الجزيرة) بينما ترأس عبد العزيز عشائر فينيك. وقد خلف الحاج بدر حفيده محمد الأول ثم ابنه شمس الدين الأول فأبناؤه بدر ومحمد الثاني واحمد الأول وأبناء بدر الثاني شمس الدين الثاني وإبراهيم واحمد الثاني ابن إبراهيم فابنه محمد الثالث فابنه احمد الثالث .

أما عبد العزيز فقد خلفه أبناؤه سيف الدين ومجد الدين فابن هذا عيسى فابنه بدر الدين فابنه عبدول الأول فابنه عز الدين الأول الذي أعلن خضوعه لتيمور عام 1394 فابنه عبدول الثاني فابنه عز الدين الثاني الذي انقاد إلى أوزون حسن (حسن الطويل)، فأبناؤه شرف الأول وبدر الأول وكلك محمد فابن الأخير شرف الثاني وعلي وبدر الثاني ابن علي ثم عزيز بن محمد ثم محمد الثالث ابن عبدول وشرف الثالث. وأبناء عبدول ناصر وسيف الدين وعلي وعزالدين وعبدول.

أبناء شرف خان 1220 – 1670 :

من اشهر سادة الأكراد أبناء شرف خان الذين حكموا خمسمائة وخمسين عاما. وقد تبعت هذه العائلة الايلخانيين والجلائريين والتيموريين والقارة قويون والاق قويون والصفويين ثم العثمانيين بعد عام 1514 واتخذت بيتليس مركزا لها فحكمت حواليها والتجأت إلى الجبال بعد إخراجها منها.
ومن ساداتهم ضياء الدين وعز الدين إضافة الى ملك اشرف وشقيقه مجد الدين وهما ابنا ضياء الدين. وقد خلف مجد الدين عز الدين ابن ملك اشرف ثم أخوه غير الشقيق مير أبو بكر ، والأمير شيخ شرف والمير ضياء الدين. والحاج شرف الثاني الذي أعلن خضوعه لتيمورلنك في عام 1394 والأمير شمس الدين ولي والأمير شرف الثالث والأمير شمس الدين الثاني وإبراهيم الأول والحاج محمد وإبراهيم الثاني.
ومن ساداتهم شرف خان الخامس مؤلف الشرفنامة وهو ابن شمس الدين الثالث. وقد خلف هذا شمس الدين الرابع فابنه عبدال خان.

أمراء حكارى 1450 – 1600:

استمر إقطاعيو حكارى مائة وخمسين عاما تحت إدارة الاق قويون فالصفويين فالعثمانيين. وقد اتخذوا وان و وسطان مركزا وتمركزوا أخيرا في جولة مرك. وفي أعوامهم الأخيرة انسحبوا من منطقة وان نهائيا إلى حكاري وكانوا في أوسع أحوالهم يحكمون مساحة تكاد تبلغ 30.000 كم مربع ثم تقلص نفوذهم بحيث أصبحوا يحكمون مجرد ثمانية آلاف كم مربع.
وأول هؤلاء الإقطاعيين هو أسد الدين كلاني ابن عماد الدين وقد هاجر في عام 1467 إلى القاهرة فخلفه ابنه عز الدين شير فابنه زاهد بك فابناه ملك وسيد محمد. وقد جعل يعقوب ابن سيد محمد من وسطان مركزا . وخلف هذا زينل ابن ملك ثم زكريا الذي حكم في جوله مرك وأشقاؤه هم بهاء الدين وبايندر وبايزيد وبوداق ورستم.

المبحث السادس

دول السلاجقة والاتابكية

1- سلاجقة العراق 1117 – 1194

تأسست سلطنة سلاجقة العراق في 18 نيسان(ابريل) 1118 اثر وفاة السلطان محمد طابار. وانقرضت في 25 آذار(مارس) 1194 فتكون بذلك قد استمرت ستة وسبعين عاما. وقد تعاقب على حكمها في هذه المدة تسعة سلاطين أولهم السلطان محمود الابن الأكبر للسلطان محمد طابار ثم ابنه الأكبر السلطان داود ثم شقيق السلطان محمود السلطان طغرل الأول ثم شقيقه السلطان مسعود ثم شقيق السلطان داود السلطان ملكشاه ثم شقيقه السلطان محمد ثم السلطان سليمان شاه من أبناء السلطان طابار ثم السلطان ارسلان شاه ابن طغرل الأول وأخيرا السلطان طغرل الثاني ابن ارسلان شاه.
وقد تبع سلاجقة العراق السلطان سنجر حتى عام 1157 واستقلوا بعد وفاته وحاولوا الحلول محل السلاجقة الكبار. إلا أنهم لم يستطيعوا المحافظة على مقاطعاتهم ووقع السلاطين الأواخر تحت نفوذ آل ايل دنيز الاتابكية. وقد حل الخوارزمية محل سلاجقة العراق وآل ايل دنيز. وكان مركزهم همدان.

2- سلاجقة سوريا 1094 – 1117

استمرت سلطنة سلاجقة سوريا ستة وثلاثين عاما (1078 – 1114) وتأسست من قبل السلطان طوتوش ابن السلطان ألب ارسلان وشقيق السلطان ملكشاه. وقد حكم من بعده ابناه السلطان رضوان والسلطان دوقاق ثم السلطان ألب ارسلان ابن السلطان رضوان. وكانت عاصمتهم مدينة دمشق. وقد حكم هؤلاء سوريا وفلسطين والأردن ولبنان تابعين للسلاجقة الكبار. وقد حل محلهم آل بوري من اتابكية السلاجقة.

3- <u>سلاجقة كرمان 1041 – 1187</u>

استمرت هذه السلطنة ستة وأربعين ومائة عاما وتعاقب على حكمها اثنا عشر سلطانا وكانت عاصمتهم كرمان وقد حكموا جنوب إيران. وأنهى حكمهم من قبل الاوغوز الذين حاربوا السلطان سنجر وتوافدوا على إيران. وقد تبعت السلطنة السلاجقة الكبار أول الأمر ثم سلاجقة العراق فالخوارزمية. ومؤسسها قره ارسلان كاورت الأخ الأكبر للسلطان ألب ارسلان والذي طالب بالعرش بعد وفاة ألب ارسلان إلا انه هزم وقتل فخلفه أبناؤه السلطان كرمان شاه والسلطان سلطان شاه والسلطان توران شاه فابن الأخير السلطان إيران شاه ثم السلطان ارسلان شاه الأول ابن السلطان كرمان شاه فابنه السلطان ملكشاه فابنه السلطان طغرل شاه فأبناؤه السلطان بهرام شاه والسلطان ارسلان شاه الثاني والسلطان توران شاه الثاني ثم السلطان محمد شاه ابن السلطان بهرام شاه.

4- الاتابكيـــــــــــة

اتابكية أذربيجان(آل ايل دنيز) (1149 – 1225)

حكم اتابكية سلاجقة العراق آل ايل دنيز تسعة وسبعين عاما من 1149 وحتى عام 1225، وقد تبعوا سلاجقة العراق حتى عام 1187 ثم الخوارزمية. وأول اتابكية أذربيجان الذين حكموا ققفاسيا الجنوبية وداغستان وغرب إيران هو شمس الدين ايل دنيز. وقد خلفه ابنه محمد بهلواني جهان وقزل ارسلان عثمان ثم نصرت الدين أبو بكر ومظفر الدين اوزبك ابنا محمد. وقد قضى الخوارزمية على آل ايل دنيز .

اتابكية الموصل: الزنكيون 1127 – 1233 وسلالة لولو 1233 =- 1262

فرع الموصل:

الاتابك لقب كان يطلق على معلمي أمراء السلاجقة العسكريين. فقد كان الأمراء السلجوقيون يرسلون عند بلوغهم للعمر الذي يبدأون فيه بالدرس والتحصيل إلى الولايات البعيدة كملوك عليها يصطحبهم اتابك يدير شؤون الولاية فعليا ويدرب الأمير على شؤون الإدارة والحكم. وكان الاتابك يبقى بمعية الأمير بعد أن يكبر بمثابة أب ثان يشرف على أموره. وكان منصب الاتابك يتوارث أحيانا أبا عن جد. وقد أسس الكثيرون من الاتابكية إمارات خاصة في المناطق التي حكموا فيها. وعماد الدين الزنكي وابنه نور الدين الزنكي اشتهرا بالدهاء السياسي والعسكري وبمجابهتهما للصليبيين وتنشئتهما لشخصية إسلامية كبيرة مثل صلاح الدين الأيوبي. ويطلق على الزنكيين اسم اتابكية الموصل لاتخاذهم مدينة الموصل مركزا لهم. وقد استمرت هذه الأمارة من عام 1127 حتى عام 1233 وبعد عام 1233 حكمت سلالة لولو التي رعاها الزنكيون وحتى عام 1262. وبذلك استمرت اتابكية الموصل مائة وخمسه وثلاثين عاما تابعة للسلاجقة الكبار أول الأمر ثم سلاجقة العراق اسميا فالخوارزمية واستقلت في هذه الفترة من الناحية الفعلية. ثم خضعت للأيوبيين ثم المماليك وفي عام 1146 تفرع عنها فرع حلب.

وعماد الدين الزنكي هو ابن قسم الدولة اق سونغور بك ابن آلتورغان بك من سادة قبيلة ألاوشار من أتراك الاوغوز. وقد خلف عماد الدين اتابكية في الموصل ابناه سيف الدين غازي الأول وقطب الدين مودود. أما ابنه نورالدين فقد انشأ فرع حلب. وتوالى على الحكم في الموصل ابنا مودود غازي الثاني ومسعود الأول ثم ارسلان شاه ابن الأخير فابنه مسعود الثاني فابناه ارسلان شاه الثاني وناصر الدين محمود. وسيطر وزير آخر الاتابكيه بدر الدين لؤلؤ على الحكم وخلفه أبناؤه ركن الدين إسماعيل ومجاهد إسحاق ومظفر علي. وبعد ذلك قضى الايلخانيون على اتابكية الموصل.

فرع حلب 1146 – 1183:

ومؤسس هذا الفرع الذي استمر سبعه وثلاثين عاما هو نور الدين محمود الزنكي ابن عماد الدين وهو من اشهر شخصيات القرون الوسطى والتاريخين التركي والإسلامي. وقد أدى دورا هاما في محاربة الصليبيين ورعا صلاح الدين الأيوبي فأرسله إلى الموصل للقضاء على الخلافة الفاطمية. وقد أعقبه بعد وفاته ابنه إسماعيل ثم ابن أخيه عماد الدين وفي عام 1183 قضى الأيوبيون على اتابكية حلب.

فرع سنجار 1170 – 1220:

بعد أن فقد عماد الدين الزنكي ابن قطب الدين مودود مدينة حلب انسحب إلى مقره القديم في سنجار وأسس أمارة هناك. وقد خلفه ابنه محمد فابناه عماد الدين وجلال الدين محمود. وقد استمرت هذه الأمارة نصف قرن.

فرع جزيرة ابن عمر 1170 – 1227:

أسس هذه الأمارة سنجر شاه ابن غازي الثاني. وقد دامت سبعة وخمسين عاما وقضي عليها من قبل الأيوبيين. وقد خاف مؤسسها ابناه محمود ومودود.

اتابكية الشام – آل بوري 1109 – 1154:

حكم آل بوري ثلاثة وأربعين عاما في بلاد الشام بعد حكم سلاجقة سوريا. وقد أنهي حكمهم من قبل الزنكيين. ومؤسس السلالة توغ تيكين الذي كان اتابك سلاجقة سوريا، وقد خلفه ابنه بوري وكان واليا على بعلبك وقتل من قبل الاسماعيليين فأعقبه ابنه محمد ثم ابنه اباق وفي عام 1154 استولى الزنكيون على دمشق فانسحب اباق إلى حمص ثم إلى بالس.

اتابكية اربيل – يل بك تكين 1144 – 1233:

ومن الإمارات التركية اتابكية اربيل التي حكمت الموصل واربيل وشهرزور وحكارى وحران وسنجار وتكريت أي في المناطق المحصورة بين شمال العراق وجنوب شرق الأناضول. وقد قضى عليها من قبل العباسيين وكانت عاصمتهم أول الأمر في حران من مدن الأناضول ثم نقلت إلى اربيل. وأول اتابك هو علي كوجوك ابن بك تكين من قادة السلاجقة ثم خلفه ابناه الذي حكم ثانيهما خمسة وستين عاما.

اتابكية فارس: السالغور 1147 – 1287:

حكم اتابكية فارس في مقاطعة فارس الإيرانية بمركزها شيراز مائة وأربعين عاما وتبعت هذه الأمارة السلاجقة الكبار وسلاجقة العراق والخوارزمية والمغول والايلخانيين ثم قضى عليها الايلخانيون بصورة نهائية. وقد امتد نفوذ اتابكية فارس أحيانا إلى البحرين والقطيف وأول اتابك منهم هو سونغور من قبيلة سالور من أتراك الاوغوز. وقد أعقبه في حكم الأمارة شقيقه زنكي فابنه تكله ثم طغرل ابن سونغور ثم سعد الأول ابن زنكى فابنه أبو بكر فابنه سعد الثاني فابنه محمد فابن سالغور شاه محمد شاه وشقيقه سلجوق شاه وأخيرا آبيش خاتون ابنة سعد الثاني.

قارا خطاي كرمان: آل قوتلوغ خان 1222 – 1303:

وهي أمارة مغولية اندمجت في العنصر التركي وحكمت واحدا وثمانين عاما تابعة للخوارزمية ثم المغول ثم الايلخانيين. وكانت عاصمتها في كرمان وتحكم ما حواليها. وقد قضى عليها من قبل المظفريين. ومؤسس الأمارة هو باراق حاجب وهو أمير مغولي قدم إلى كرمان بعد سقوط إمبراطورية القاراخطاي بفعل الخوارزمية. وقد خلفه ابنه ركن الدين ثم ابن شقيقه تنكو بك، محمد ثم زوجة الأخير قوتلوغ خاتون فأبناؤها سيورغاتمش وصفوة الدين خاتون ثم محمود شاه ابن شقيقها السلطان حجاج، ثم شاه جهان.

آل شيروان شاه 1155 – 1551:

تأسست على أنقاض الدولة السلجوقية إمارات ودويلات تركية وإيرانية كثيرة لا تأثير لها على التاريخ التركي العام ونكتفي منها بذكر آل شيروان شاه الذين حكموا ثلاثمائة وستة وثمانين عاما (1155– 1551) باستثناء عشرة أعوام وقعوا فيها تحت الاحتلال الصفوي. وآل شيروان شاه سلالة فارسية اندمجت في العنصر التركي وكانت عاصمتها شاماخ أول الأمر ثم نقلت إلى دربند وقد تبعت هذه السلالة في سني حكمها سلاجقة العراق وآل ايل دنيز والخوارزمية والمغول والايلخانيين والجلائريين والتيموريين والقارة قويون والاق قويون والصفويين والعثمانيين، وكان حكمها في أذربيجان الشمالية وأرمينيا وداغستان واران وشيروان.

وأول حاكم منهم ينتمي إلى عائلة عربية تابعة للعباسيين قضى عليها بعد ثمانية وتسعين ومائتي عام من قبل الكرجيين وظهرت العائلة الثانية بعد ثمانية وخمسين عاما من هذا التاريخ. وأول شيروان شاه هو مينو جيهر ابن كسرى وتعاقب على الحكم ثمانية متوارثين الحكم أبا عن جد ، وفي عام 1382 سيطرت عائلة دربندية من هذه السلالة على الحكم وحاكمها الأول هو الشيخ إبراهيم الأول.

المبحث السابع

الدولة التركية الكبرى في الشرق (تركستان)

1- السلطان ملكشاه(1072 – 1092)

كنا قد توقفنا عن البحث عن الدولة التركية الكبرى (السلاجقة الكبار) بعد تحدثنا عن السلطان ألب ارسلان الذي توفي في عام 1072. ويعتبر عهد ملكشاه ابن السلطان ألب ارسلان الذي دام عشرين عاما من أهم أدوار السلاجقة .

ولد السلطان ملكشاه في 6 آب(أغسطس) 1055 وتوفي في 20 تشرين الثاني(نوفمبر) 1092 عن سبعة وثلاثين عاما. وكان قد أمضى شبابه مع الجيش التركي بالقرب من قارص. وبعد أن زار السلطان ألب ارسلان مثوى جده سلجوق بك في جند وعاد إلى خرا سان أعلن في تموز(يوليو) 1066 ولاية عهد ملكشاه رسميا. وقد اعتلى ملكشاه العرش بعد وفاة أبيه وهو في السابعة عشر من عمره. وقد رافقه في سني حكمه وزير أبيه نظام الملك. وقد عمل هذا الوزير على تنظيم الدولة على أروع ما يكون وكتب بالفارسية مؤلفه الخالد "سياستنامة".

وقد أحبط ملكشاه محاولات عمه كاورت ملك كرمان الرامية إلى الاستيلاء على العرش فغلب هذا على أمره وقتل وارتبطت سلطنة سلاجقة كرمان بذلك بأصفهان عاصمة ملكشاه. وقد انتهز الغزنويون هذه الفرصة فدحروا في كانون الأول (ديسمبر) 1073 في معركة جيغيل كنت الملك عثمان عم ملكشاه وأسروه.

وناهض القاراخانيون أيضا السلاجقة إلا أنهم اضطروا إلى الطاعة بعد أن تقدم السلاجقة إلى ما وراء النهر واقتربوا من سمرقند. فأبقى ملكشاه عرش القاراخانيين الغربيين في سمرقند وانضمت هذه المملكة إلى الدولة التركية الكبرى. وإزاء ذلك ومنعا لنشوب حرب ثانية فقد أرسل الغزنويون الملك عثمان إلى ملكشاه بصحبة سفراء وهدايا كثيرة فقبل ملكشاه الذي كان يتحين الفرص لفتح الأناضول بالصلح وتصاهرت السلالتان التركيتان الكبيرتان. وبعد ذلك دعم ملكشاه محاولات سليمان شاه لفتح الأناضول وساعده ماديا وبشريا بإرسال الألوف من مهاجري الاوغوز إلى الأناضول.

وانتزع الملك آتسز من سادة قبيلة يوا الاوغوزية في عهد ملكشاه سواحل البحر الأبيض الشرقية من الفاطميين. واستسلمت مدينة دمشق بعد الحصار السلجوقي الثالث في 10 حزيران(يونيو) 1076 وتليت خطبة الجمعة باسم الخليفة العباسي والخاقان التركي بدلا من الخليفة الفاطمي. وقد انتزعت سورية وفلسطين والحجاز واليمن أيضا من أيدي الفاطميين إلا أن حملة مصر بقيادة آتسز أخفقت. وبعد هذا منح ملكشاه سوريا إلى أخيه الملك طوتوش الذي نازع بتحريض من ارتوق بك الفاتح سليمان شاه الذي أراد ضم حلب بعد إنطاكية إلى دولة تركيا مما أدى إلى دحر سليمان شاه وانتحاره. وقد أرسل ملكشاه إلى طوتوش يؤنبه ويبدى أسفه لموت سليمان شاه المبكر.

وفي عام 1086 قدم السلطان ملكشاه إلى حلب للاهتمام شخصيا بأمور الشرق الأدنى. وشكر ا على إتمامه نعمته بإكمال الفتوحات الكبرى إلى هذه المساحات الشاسعة عندما رأى البحر الأبيض في منطقة السويدية. وفي 13 آذار(مارس) 1087 دخل بغداد للمرة الأولى، وزوج ابنته بالخليفة المقتدى . وكان قد زار بغداد

ثانية في عام 1091 فأمر بفتح مصر إلا أن وفاته أدى إلى تأجيل الأمر الذي تحقق من قبل صلاح الدين الأيوبي.

وفد السلطان في عام 1076 إلى قفقاسيا وعاد إليها في عام 1078 وضم غرب بحر الخزر حتى جبال القفقاس إلى الدولة التركية الكبرى. وزار ملك جورجيا (كوتايس) جورجي أصفهان راجيا وملتمسا لعدم إلغاء مملكته فأعلن خضوعه وولاءه. وقد نصب السلطان ابن عمه الملك إسماعيل ملكا على مقاطعات القفقاس.

وبعد ذلك عاد السلطان إلى الشرق، إلى آسيا الوسطى وتركستان. واستولى على بخاري وسمرقند واسر احمد خان خاقان القاراخانيين الغربي. إلا انه عفا عنه وأرسله ثانية إلى دياره. وبعد ذلك سار السلطان على الفرع الشرقي للقاراخانيين في كشغر ولما دخل اوزكنت أسرع هارون بوغرا خان(قاغان الشرق) إلى إعلان ولائه للخاقان التركي الأكبر فعدل السلطان عن سيره إلى كشغر ودخلت الدولة القاراخانية في الاتحاد التركي الكبير.

وبعد ذلك تم ربط شبه الجزيرة العربية بالدولة فقدم الجيش التركي بقيادة تورشك وجوبوق ويارن قوش إلى الحجاز ودخل مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم سار إلى اليمن في عام 1092 وربط العسير واليمن وعدن وحضرموت بالإمبراطورية التركية. وكانت عمان ونجد قد فتحت من قبل وبذلك انضمت شبه الجزيرة العربية بكاملها إلى الإمبراطورية التركية. توفى السلطان ملكشاه بعد ستة وثلاثين يوما من مقتل وزيره نظام الملك وهو في شرخ شبابه في بغداد ونقل جثمانه إلى أصفهان حيث دفن.

كان ملكشاه الحاكم الأعظم الذي وحد العالم الإسلامي تحت الادارة التركية وقد لقب بالسلطان الأعظم إذ كان يتبعه أباطرة يلقبون بالسلطان أو القاغان مثل سليمان شاه الكبير وحكام القاراخانيين. كما كان يلقب بأبي الفتح نظرا لفتوحاته الهامة والمتواصلة . وأطلق عليه أيضا لقب السلطان العادل لإدارته إمبراطوريته الواسعة بروح سمحاء مشبعة بالعدل والنظام.

مجد الدولة التركية الكبرى في عهد السلطان ملكشاه يبلغ قمته

بلغت الدولة التركية في عهد السلطان ملكشاه شأوا لم تبلغه ثانية إلا في القرن السادس عشر في عهد السلاطين العثمانيين الكبار. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار خضوع الغزنويين والغوريين في عهد السلطان سنجر للدولة الكبرى فان الدولة التركية الكبرى في عهد السلاجقة كانت تضم المقاطعات التالية:

إيران ، أفغانستان ، شمال الهند حتى نهر ناربار (باستثناء البنغال)، تركستان الشرقية والغربية ، جنوب القفقاس ، داغستان ، الأناضول ، العراق ، سوريا ، فلسطين ، لبنان ، شبه الجزيرة العربية ، جزر الأناضول الغربية .

ومساحة هذه الأراضي تقرب من 15 مليون كم مربع. وكانت الدولة التركية الكبرى محاطة من جوانبها بالبحر الأسود وبحر ايجه ومرمره والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي. كما كانت بحيرات قزوين وارال وبلقاش مياها داخلية. وتنحصر هذه المساحات بين خطي عرض 55 درجة و20 درجة وخطي طول 95 درجة و25 درجة فهي تقع بين الصين والبلقان وبين القفقاس وبحر عمان.

تحققت أمال الدولة التركية الكبرى التي عاشت بين جوانح الأتراك طيلة ألف من السنين ووصل الأتراك إلى المياه المفتوحة. وقد أبدى السلطان ملكشاه عناية فائقة تليق بالأباطرة العالميين برجال العلم والأدب من كل قوم. فأمر بوضع (التقويم الجلالي) الذي كان يحتوي على إصلاحات هامة. ونشأ في عهده أهم شخصيات

الأدب والتاريخ والتصوف والفلسفة والعلوم الإسلامية مثل عمر الخيام والكثيري والجويني والغزالي والمعزي واللامعي والأنصاري والبيهقي ومحمود الكشغري والجرجاني.

منح السلطان ملكشاه علاوات لأفراد الجيش التركي لدى جلوسه على العرش. وقد قدرت هذه العلاوة سنويا بسبعمائة ألف دينار ذهبي. كما وهب مبالغ طائلة بمناسبة تتويجه وقد وصل السلطان العظيم الذي حمد ا عند رؤيته البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأسود وبلل سيفه ثلاث مرات في مياهها وعندما عاد لزيارة قبر أبيه السلطان ألب ارسلان في مرو وضع السيف على القبر وقال: أبشرك يا أبتي فقد حكم ابنك حتى نهاية العالم.

وخصص مبلغ ثلاثمائة ألف دينار ذهبي من ميزانية الدولة لمساعدة الفقراء ورجال العلم والفن. وقد اعترض وزير حربيته قوملو تاج الملك يوما على هذا التخصيص وقال للسلطان إن هذا المبلغ يتيح فيما لو أضيف إلى ميزانية الجيش فتح أسوار البيزنطيين فرد عليه السلطان قائلا: إن حماية الفقراء والعلماء هي بنفس أهمية فتح هذه الأسوار.

ويماثل السلطان ملكشاه في مجده وعظمته علاء الدين كيقباد في إمبراطورية تركيا الأولى والسلطان سليمان القانوني في الإمبراطورية الثانية فقد كان عهده عهد رخاء وسعادة للأتراك.

ويتحدث عنه المؤرخون المسيحيون المعاصرون بإسهاب فيقول ماثيوس الاورفه لي: كان السلطان ملكشاه متسامحا إزاء رعاياه المسيحيين ورؤوفا بهم فنال رضا الإله وكانت أرمينيا في عهده ترفل بالاستقرار والنعيم.

كما يقول صامويل آنيلي: ارسخ ملكشاه أسس الاستقرار والسلام في أرجاء إمبراطوريته لم يؤذ أحدا. وكان أصيلا في عظمته وأطواره وعقائده. كما كان محبوبا من قبل شعبه وكان من المقدر أن تخضع أوربا للأتراك.

وكانت ميزانية الدولة التركية السنوية في عهد ملكشاه تقدر بحوالي 430 مليون دينار ذهبي باستثناء الغنائم. كما كان الجيش التركي يضم مليون محارب باشتراك قوات الدول التابعة.

وأسست بإشراف الوزير السلجوقي نظام الملك الجامعات العلمية المسماة بالمدارس النظامية باسم الوزير السلجوقي في بغداد وأصفهان والبصرة ونيسابور وهرات ومرو وبلخ وامول والموصل، وقد أحدثت هذه المدارس ثورة في النظم التعليمية في العالم الإسلامي بما كانت تضمه من مكتبات وغرف المسافرين واو قافها الغنية وحتى بمستشفياتها الخاصة في قسم منها.

كما كانت مبالغ طائلة تصرف من اجل الأعمار. فقد صرف من اجل تعمير جامع حلب الكبير 1500 دينار ذهبي يوميا وبالإضافة إلى كون التعليم العالي مجانيا فقد كان طلاب العلم يتقاضون مخصصات للطعام والسكن. وقد انفق على المدرسة النظامية في بغداد ستمائة ألف دينار. وألحقت بها أوقاف غنية من مزارع وقرى وحمامات ومنازل تبلغ قيمتها مئات الألوف من الدنانير . وعين لإدارة أو قافها أبو سعد الصوفي ولإدارة مكتبتها الشيخ أبو زكريا خطيب التبريزى. وكانت ميزانية نظامية بغداد السنوية 15.000 دينار، كما كان خريجوها يرتقون إلى اكبر المراكز الإدارية والعلمية وارفعها. وقد أدار المدرسة النظامية في بغداد التي كانت تعتبر اكبر جامعة عالمية لمدة أحد عشر عاما (1072 –1083) العالم الكبير جمال الدين أبو إسحاق الشيرازي الذي أم الخليفة شخصيا صلاة جنازته في 6 تشرين الثاني(نوفمبر) 1083. كما كان يدير نظامية نيسابور التي كانت اكبر الجامعات بعد نظامية بغداد المتصوف الكبير أمام الحرمين أبو المعالي الجو يني

والذي كان يدرس أربعمائة طالب وقد توفي هذا العالم الكبير في 20 آب (أغسطس) 1085 ومن تلاميذه العالم المتبحر في الكلام (الفلسفة الإسلامية) الغزالي والذي درس في نظامية بغداد.

2- السلطنة السلجوقية في عهد أبناء ملكشاه (1092 – 1157)

السلطان بركياروق 1093 – 1104

بعد وفاة السلطان جلال الدولة ملكشاه جلس على العرش ابنه الصغير السلطان محمود الذي كان يبلغ الخامسة من العمر إلا أن السلطان ركن الدين بركياروق سرعان ما أطاح به واعتلى العرش. وبركياروق هو الابن الأكبر للسلطان ملكشاه ولما كان ولد في عام 1081 فيكون في الحادية عشر ونصف من عمره لدى جلوسه على العرش. وقد دام حكمه أثني عشر عاما وكانت وفاته وهو في الثالثة والعشرين من العمر.
وقد اشتهر بركياروق بقابليته التي تفتحت مبكرا وقد زار بغداد لفترة من الزمن. وقد تخلص من أحد منافسيه عندما توفي السلطان محمود نتيجة إصابته بالجدري إلا أن أخاه السلطان محمد طابار و طوتوش ابن عمه السلطان ألب ارسلان كانا من منافسيه الأقوياء. وقد حاول طوتوش السيطرة على العرش فقدم إلى ري (طهران حاليا) إلا أن المعركة التي جرت في 26 شباط (فبراير) 1095 انتهت بهزيمته ووفاته. وأعقب هذا تمرد شقيق طوتوش الملك ارسلان ارغون الذي قتل عام 1096 والملك محمد الذي غاب هو الآخر على أمره.
وبذلك تخلص بركياروق من جميع منافسيه ماعدا شقيقه الملك محمد طابار. وقد عين بركياروق شقيقه الأصغر الملك سنجر ملكا على خرا سان (بمركزها مرو) اكبر مقاطعات الإمبراطورية إلا انه لم يستطع أن يفرقه عن طابار. وقد عين طابار واليا على اران والملك مودود على أذربيجان. كما منح أبني طوتوش مقاطعة سوريا . وأرسل قليج ارسلان الأول إلى تركيا والملك توارن شاه إلى كرمان. إلا أن طابار لم يعدل عن مطالبته بعرش الدولة الكبرى حتى انه غاب السلطان بركياروق في عام 1100 واجبره على الانسحاب إلى خرا سان. ولكن السلطان عاد فسار في عام 1101 وغلب الملك طابار في المعركة التي جرت بالقرب من همدان فحكم الدولة بعد ذلك دون منافس أو رقيب.
وبعد وفاة بركياروق خلفه ابنه السلطان ملكشاه الثاني الذي لم يمكث على العرش أكثر من عام واحد. إذ أبعده عمه محمد طابار بسهولة واعتلى العرش حاكما سابعا للدولة التركية الكبرى.

السلطان محمد طابار 1105 – 1118

ما أن سمع محمد طابار بوفاة أخيه المبكر وجلوس ملكشاه الثاني الذي كان يبلغ الثامنة من العمر على العرش حتى غادر كنجه ووصل العاصمة حيث اعتلى العرش ومن أعماله انه حارب الصليبيين وعمل على تقوية الإدارة المركزية وترسيخ أسس الدولة.
وبعد وفاة السلطان طابار المبكر اعتلى العرش شقيقه السلطان سنجر وتقلد لقب "السلطان الأعظم معز الدين سنجر" الذي نقل العاصمة إلى مدينة مرو وحكم الدولة التركية الكبرى مدة أربعين عاما منها. وقد حكم سنجر في 18 نيسان(ابريل) 1118 وحتى 29 نيسان(ابريل) 1157 وتوفي عن ثلاثة وسبعين عاما وبوفاته انقرض

السلاجقة الكبار وحل محلهم السلطان قليج ارسلان الثاني إمبراطور تركيا وسلاجقة العراق الذين بدأوا من أبناء سنجر بالحكم.

السلطان سنجر 1118 – 1157

خضع الغزنويون والغوريون للدولة التركية الكبرى تماما في عهد السلطان سنجر. واتسعت رقعة الدولة التركية الكبرى حتى أواسط الهند . وانشغل السلطان سنجر بأمور الأفغان وأقصى الشرق والهند وأسيا الوسطى وكانت هذه السياسة مخالفة لسياسة السلاجقة الكبار الأولى التي كانت تعتمد على الاتجاه نحو البحار. في حين ترك السلطان سنجر إدارة هذه الأقاليم إلى الملوك والاتابكية من السلاجقة واهتم شخصيا بإدارة دولته الشرقية من مرو التي كانت تقع في مفرق طرق الشرق. وبالرغم من أن شخصية السلطان سنجر المتميزة لم تدع مجالا لأحد لمجرد التفكير في التمرد عليه إلا إن سياسة السلطان في أعوامه الأخيرة واجهت بعض المشاكل فقد وقف القره خطاي حجر عثرة في طريق السلطان سنجر في تقدمه نحو الصين. كما عمل الاوغوز على إنهاء نفوذ السلاجقة الكبار .

القره خطاي 1124 – 1211

بعد سقوط حكم سلالة لياو في الصين أسس فرع من هذه السلالة إمبراطورية القره خطاي في الشرق والتي دامت سبعة وثمانين عاما بإدارة سلالة مغولية واقعة تحت تأثير صيني.
وكانت عاصمة الدولة هي مدينة بالاساغون التركية الشهيرة والواقعة غرب بحيرة ايصيق. وقد أخضعت إمارات الاويغور إلى حكمها وتقدمت قواتها نحو الشرق فاضطرت القاراخانيين إلى الاعتراف لها بالسيادة. كما انتزعت بقاع القاراخانيين الشرقيين في كشغر من السلاجقة وأخضعتها لها. ثم سار القره خطاي على القاراخانيين الغربيين في سمرقند وبعد أن غاب هذا تدخل متبوعهم السلطان سنجر إلا انه هزم في معركة قطوان التي جرت في 9 أيلول(سبتمبر) 1141 وخسر سنجر بذلك أراضيه في تركستان الشرقية والغربية. ونتيجة ذلك خضعت ما وراء النهر وخوارزم إلى القره خطاي وكان ملوك القره خطاى يسمون (كور خان) وقد حكمت امرأتان من ضمن الأباطرة الخمسة الذين اعتلوا عرش الدولة وقد انقسمت الإمبراطورية بعد سقوطها بين دولة النايمان والخوارزمية. وتقلد حاكم النايمان الأخير كوجلك خان لقب كورخان واعتنق البوذية تحت تأثير زوجته بعد أن كان مسيحيا.

النايمان 1211 – 1218

حكم كوجلك خان سبعة أعوام كإمبراطور إلى أن قتل في عام 1218 من قبل قوات جنكيز خان. وكانت عاصمته كشغر وكان قد استولى على تركستان الشرقية وشرق ما وراء النهر وهو مسيحي نسطوري اعتنق بعد ذلك البوذية. ويرى زكي وليدي طوغان أن حكام النايمان هم من سلالة الكوك تورك. وقد اخضع جنكيز خان النايمان والحق دولتهم بإمبراطوريته.

3- الدولة التركية الشرقية: الخوارزمية والجغتائيون

الخوارزمية 1157 – 1231

تنازع الخوارزمية وسلاجقة العراق من أبناء طابار (أبناء أخ سنجر) بعد وفاة السلطان سنجر في عام 1157 على حكم الدولة الكبرى. وقد ظهرت في الأعوام الأخيرة بوادر تفكك الدولة السلجوقية الكبرى بعد توافد مئات الألوف من الاوغوز المسلمين من منطقة اوست يورد إلى خراسان ومعاملة السلطان سنجر لهذه القبائل الرحل بشيء من الجفاء. وقد انزل هؤلاء الاوغوز الضربة الثانية بالسلاجقة بعد القره خطاي. حتى أن السلطان سنجر الذي هزم أمام قوات الاوغوز عاش في حالة تشبه الأسر بين أيديهم. وإن اظهر هؤلاء احتراما فائقا له باعتباره خاقان الأتراك فإنهم حاولوا إدارة الدولة بعقلية القبائل الرحل، تلك العقلية التي كان السلاجقة قد نبذوها من زمن بعيد وتوصلوا إلى شأو بعيد في الحضارة والإدارة الدولية بسبب ذلك. وقد أطلق الاوغوز سراح السلطان سنجر بعد فترة إلا أن السلطان لم يعمر بعد ذلك طويلا.

وبعد وفاة السلطان سنجر حاول سلاجقة العراق أن يحلوا محل السلطان الكبير إذ أن الخوارزمية كانوا تحت تأثير القره خطاي. وفي عام 1167 أعلن الخوارزميون عدم ارتباطهم بسلاجقة العراق بصراحة. وبعد انسحاب سلاجقة العراق في 25 أذار(مارس) 1194 من مسرح التاريخ نهائيا فقد انتقل عرش الدولة التركية الشرقية إلى الخوارزمية. وبعد ذلك قام هؤلاء بفتوحاتهم وقد قضوا في عام 1211 على إمبراطورية القره خطاى وعادت بذلك ما وراء النهر بعد ستين عاما من حكم القره خطاى إلى الحكم الإسلامي.

كان حكام خوارزم في جنوب بحيرة ارال يسمون خرزم شاه. ومؤسس سلالة الخوارزمية الأخيرة هو آنوش تيكين غرجالي من فرع البغديل من الاغوز وقد عين واليا على خوارزم من قبل السلطان ملكشاه، وبعد وفاته في عام 1097 عين السلطان بركياروق ابنه قطب الدنيا والدين أبو الفتح محمد واليا على خوارزم وهو أول من تلقب بخرزم شاه. وقد أدار هذا المنطقة مدة واحد وثلاثين عاما (1097 – 1128). وبعد وفاته خلفه ابنه بهاء الدين أبو المظفر غازي علاء الدين آتسز. وحكم مدة ثمانية وعشرين عاما حتى وفاته في 30 تموز(يوليو) 1156 ثم خلفه ابنه تاج الدنيا والدين أبو الفتح ايل ارسلان كخرزم شاه ثالث. واستقل في حكمه بعد وفاة السلطان سنجر . ووفد من خرا سان إلى نيسابور في عام 1167 وتقلد لقب الملك وبعد حكم دام أكثر من خمسة عشر عاما توفي في كرغانج في عام 1172 وبعد وفاته خلفه ابنه أبو المظفر محمد علاء الدين تكش الذي كان قبل اعتلائه العرش واليا على جند مدة ستة عشر عاما وبعد 28 عاما من الحكم توفي في 4 تموز(يوليو) 1200.

وقد أعقب هذا بعد وفاته ابنه السلطان قطب الدين ألب اولوغ محمد خرزم شاه الذي تلقب بلقب علاء الدين. وحكم هذا عشرين عاما حتى عام 1220 إلا انه لم يكن فاتحا وداهية مثل أبيه فعجز عن مقاومة قوات جنكيز وتوفي في جزيرة مهجورة.

وقد خلف محمد خرزم شاه ابنه جلال الدين خرزم شاه الذي كان ذا مقدرة عسكرية فذة إلا انه لم يكن قادرا على تفهم الشئون السياسية فبالرغم من صموده أمام المغول لفترة من الزمن فقد اضطر إلى التخلي عن ارض آبائه وأجداده للمغول وبدأ بالحكم في إيران والقفقاس. وتمادى إلى حد التعرض لخاقان تركيا الكبير علاء الدين فدحر وقتل. وكان جلال الدين قد حكم أحد عشر عاما (1220 – 1231) وكان قبل ذلك واليا على

غزنه (أفغانستان) وبذلك يكون الخوارزمية قد حكموا مدة أربعة وثلاثين ومائة عام كانوا خاضعين فيها حتى عام 1157 إلى السلاجقة وانسحبوا من تركستان إلى إيران في الأعوام الأحد عشر الأخيرة. وكانت العاصمة أول الأمر مدينة كورغانج في خوارزم ونقلت من 1212 وحتى 1220 إلى سمرقند. وقد قام الخوارزميون بفتوحات كبيرة وأسسوا إمبراطورية كبيرة وقد قام السلطان علاء الدين تكش بفتوحات كبرى. وسيطروا على خراسان نسبيا في عام 1167 ثم على بخاري في عام 1182 وعلى كرجان ومازندران في عام 1183 وعلى خراسان كليا في عام 1187 وعلى ري في عام 1192 وكرمان في 1195 وهرات في 1204 وبلح وجزجان وتوهارستان وسيستان وسيجستان في 1204 وبسطوا الحماية على غور في نفس العام. كما استولوا على عمان (حماية) في 1211 وفرغانة في 1212 و شاس واوزكنت في نفس العام وقزوين وأذربيجان واران واستاهر وفارس (على شكل حماية) في 1212 وبلوشستان ومكران في 1211 وطبرستان في 1210 وما وراء النهر في تشرين الأول(اكتوبر) من عام 1210. وقد قضوا على القاراخانيين في عام 1212 وفي أوج عظمة الإمبراطورية حدث الغزو المغولي فقضى على هذه الإمبراطورية الكبيرة.

فتح المغول في عام 1220 مقاطعات الخوارزميين الأصلية فقد وقعت جند، وزاوه وحبوشان وآمول في أيديهم ثم أعقبتها سمرقند وبخاري. وبعد ذلك دخل المغول إيران فاستولوا على سمنان وري وهمدان واردبيل وبالرغم من أن جلال الدين الخوارزمي اخرج المغول من إيران فان هذا كان مجرد تأجيل لتأسس حكم الايلخانيين.

وبسقوط تركستان تحت حكم المغول أصبح جغتاي خان الابن الثاني لجنكيز خان خاقان الأتراك الشرقي خلفا للخوارزمية.

الجغتائيون 1231 – 1370 ـ 1227 – 1870

اعتلى جغتاي خان عرش الدولة التركية الشرقية بعد وفاة جلال الدين الخوارزمي في عام 1231. وكانت تركستان الشرقية والغربية وما وراء النهر من حصة جغتاي بعد وفاة جنكيز خان. وكانت المالق ثم كشغر عاصمة الجغتائيين. وقد انتهى حكمهم في عام 1370 بعد ترأس تيمور للأتراك الشرقيين . إلا أن شعب جغتاي استمر في تركستان الشرقية وكشغر حتى عام 1870. وان كان الحكم الصيني في عام 1759 قد شكل ضربة قاصمة لشعب جغتاي إلا أن تركستان الشرقية حاولت التخلص من الحكم الصيني، وقد وفق في ذلك مرات عديدة حتى يومنا هذا . وبذلك استمر حكم شعب جغتاي مدة ثلاثة وأربعين وستمائة عام حتى 1870. وقد اندمج الجغتائيون تماما بالأتراك ولكن إعلان الإسلام دينا رسميا لهم تأخر حتى عام 1326 أي أنهم اسلموا بعد الايلخانيين ودولة التون اوردو بمدة غير قليلة.

توفي جغتاي الابن الثاني لجنكيز بعد حكم دام خمسه عشر عاما. وكانت زوجته سيونج تركن مسلمة وهي ابنة أبي الفوارس قوتلوغ سلطان براق حاجب خان مؤسس دولة قره خطاي كرمان والمتوفى عام 1235.

وأبناء جغتاي هم موتوكن وسربان وبتا الذين قتلوا في عام 1221 أثناء حرب جرت مع الخوارزمية ويسو منكو الذي حكم أربعة أعوام (1247 – 1251). وقد حكم نيكباى ابن سربان عاما وآلغو ابن بتا خمسة أعوام. واستمرت السلالة بأولاد موتوكن إذ أن قرة هولاكو هو أحد أبناء موتوكن الثلاثة. وقد حكم قره هولاكو خمسة أعوام (1242 – 1247) وحكم عاما آخر في 1251 كما حكم ابنه مبارك شاه الذي اسلم مدة ستة اشهر ولم تستمر السلالة من قره هولاكو بل من باراق ابن ييسون توقا وكودامي ابن بورى. وقد حكم

باراق خان حوالي خمسة أعوام كما حكم ابنه دوه أربعة وعشرين عاما. وحكم توكا تيمور وتاليكو ابنا كودامي بضعة أعوام ثم اعتلى العرش أورك تيمور ابن توكا تيمور ثم ابنه ياسادور خان ثم ابناه خليل خان وقازان خان.

إلا أن السلالة الجغتائية الأصلية استمرت من دوه خان فقد حكم ستة من أبنائه وهم كونجوق وكبك واسن بوغا وايلجى كداي وعلاء الدين طرما شيرين، وقد اسلم الأخير واستولى على غزنه وتوسع في فتوحاته في الهند وبعد قتله خلفه ابنه سنجر ثم جنكشي خان ابن كبك خان.

وقد أنهى تيمور حكم الجغتائيين ونصب سيورغاتمش خان ثم السلطان محمود خان على عرش جغتاي. ولم يكن هذان من شعب جغتاي بل من نسل اوقتاى الابن الثالث لجنكيز. وقد حارب محمود مع تيمور جنبا إلى جنب في معركة أنقرة .

ملحق ابرز الشخصيات التركية التاريخية حتى نهاية القرن الثالث عشر

ندرج في هذا الملحق ابرز الشخصيات التركية التاريخية حتى نهاية القرن الثالث عشر وقد تم اختيارهم من ضمن آلاف الشخصيات التركية لتميزهم بدهاء فائق واستبعد من لم يضف شيئا جوهريا على التاريخ التركي كما أن اختيارهم تم بعد إمعان وتمحيص توخيا لاختيار من وصل الذروة فقط.

ومن هذه الشخصيات من اثر بشكل فعال على تاريخ العالم ومنهم من أسدى للأمة التركية خدمات جلى لن تنسى.

القرن الثالث قبل الميلاد :

تيومان	وفاته 209	أول خاقان تركي كبير وأول من حاول توحيد الأتراك في الوطن الأم.

القرن الثاني قبل الميلاد :

مته	وفاته 174	ابن تيومان الذي جعل من الأتراك قوما مسيطرين على قارة آسيا وقد خلد باسم أوغوزخان
كون يابكو	وفاته 161	ابن مته ووريثه في العرش. خاقان كبير

القرن الأول قبل الميلاد :

جيجي يابكو	وفاته 36	من أكبر حكام الهون
هوهانية يابكو	وفاته 31	شقيق جيجي وآخر حكام الهون الكبار

القرن الرابع للميلاد:

نظرا لقلة المصادر حول القرون الثلاثة الأولى للميلاد فمن المتعذر تثبيت أهم الشخصيات التركية من الدرجة الأولى لهذه الفترة . ولذلك نتخطى هذه القرون إلى القرن الرابع الميلادي .

ليو- تسونغ يابكو	وفاته 318	خاقان الأتراك من سلالة التابغاج. خاقان كبير
بالامير	وفاته 400	المؤسس العظيم لدولة هون الفولجا – ادخل الأتراك إلى أوربا

القرن الخامس للميلاد :

طولون قاغان	410	الخاقان التركي الكبير من سلالة الأوار
أتيلا	53	خاقان هون أوربا- من أشهر الشخصيات العالمية العسكرية
جولوق قاغان	464	الخاقان التركي الكبير من سلالة الأوار

القرن السادس للميلاد :

أونابوى قاغان	521	الخاقان التركللميلاد:من سلالة الأوار
بومين قاغان	553	الخاقان التركي الكبير مؤسس سلالة الكوك تورك
باغان قاغان	572	أبن بومين قاغان – الخاقان والقائد الكبير
إيسته مي قاغان	576	شقيق بومين قاغان – الفاتح والإداري التركي الكبير
بايان قاغان	602	الخاقان التركي الكبير لأوار أوربا

القرن السابع للميلاد :

تونغ يابكو قاغان (630) : من سلالة الكوك
تورك. الخاقان الذي فتح ايران.

كورشاد	639	من أمراء الكوك تورك – قائد الثورة البطولية في التاريخ التركي
كوبرات خان	642	أول حاكم للأتراك البلغار- ويروى أنه أبن حفيد أتيلا
إيلتريش قوتلوغ قاغان	693	الخاقان التركي الكبير الذي أفتتح الدورة الثانية لسلالة الكوك تورك وأعاد للأتراك شوكتهم وقوتهم
أسباروخ خان	701	أبن كوبرات خان ، الخان التركي الكبير للأتراك البلغار

القرن الثامن للميلاد :

قاباغان قاغان	665- 716	شقيق إيلتريش قوتلوغ قاغان ومن أعظم حكام سلالة الكوك تورك
كول تيكين	684- 731	ابن إيلتريش والقائد العام للقوات التركية الغازية في عهده
بيلكه تونيوكوك	648- 734	الوزير التركي الكبير للكوك تورك – خلد في كتابات أورخون
بيلكه قاغان	683- 734	ابن إيلتريش والخاقان التركي الكبير الذي اكتسب الأتراك في عهده مجدا وفخرا وخلد في كتابات أورخون بينما خلد نصب آخر حياة أخيه كول تيكين الذي كان يصغره بعام واحد
يولغ تيكين	688- 735	ابن قاباغان قاغان وابن عم بيلكه قاغان وكول تيكين وهو مؤلف كتابات أورخون التي تعتبر من أهم آثار الأدب التركي حتى يومنا الحاضر
قورومش خان	756	من كبار حكام أتراك البلغار في الدانوب
باينجور قاغان	759	الخاقان التركي الكبير من سلالة دوقوز أوغوز – أون أويغور
بوكو قاغان	780	خاقان تركي كبللميلاد: السلالة

القرن التاسع للميلاد :

قوروم خان	814	من كبار حكام بلغار الدانوب
أومورتاغ خان	831	من كبار حكام بلغار الدانوب وابن قوروم خان
بوغوريس خان	907	من كبار حكام بلغار الدانوب. اندمج البلغار بعد حكمه في العنصر السلافي وهو ابن حفيد أومورتاغ خان

القرن العاشر للميلاد:

صاتوق بوغرا خان	955	الخاقان التركي الكبير من القاراخانيين – أعلن الإسلام دينا رسميا للدولة التركية الكبرى ويعد هذا العمل واحدا من أهم أربعة حوادث في التاريخ التركي والحوادث الثلاثة الأخرى هي بترتيب أهميتها : فتح أستا نبول في 1453 – معركة ملازكيرت في 1071 – معركة دانداناكان في 1040

القرن الحادي عشر للميلاد:

السلطان محمود الغزنوي	970-1030	السلطان الذي أسس الحكم التركي الإسلامي في الهند والذي أستمر حتى القرن التاسع عشر
جاغري بك	990-1060	القائد والفاتح السلجوقي الكبير وهو الأخ الأكبر لطغرل بك قاد مع أخيه معركة داندناكان وأنتصر فيها
السلطان طغرك بك	995-1063	أول خاقان تركي كبير من السلاجقة وأشتهر بفتوحاته ودهائه الإداري وكان حاميا للخلافة العباسية
السلطان ألب ارسلان	1029-1072	ابن جاغري بك وابن أخ طغرل بك وهو الفاتح والقائد المشهور وقد غير مجرى التاريخ بانتصاره في معركة مالازكيرت وفتح أبواب الأناضول حتى بحري إيجه ومرمره أمام الأتراك
محمود الكشغري	1080	من أمراء الإمبراطورية التركية من سلالة القاراخانيين. مؤلف ديوان لغات الترك الذي يعد أهم المؤلفات التركية الأدبية بعد كتابات أورخون
يوسف خاص حاجب	1015-1085	وزير من وزراء القاراخانيين ومؤلف قوتادغو بيليك أي علم السعادة وهو من أشهر المؤلفات الأدبية التركية
السلطان الغازي سليمان شاه قوتالمش الأول	1045-1086	فاتح الأناضول ومؤسس دولة تركيا وأول شخصية كبيرة في تاريخ تركيا – من شخصيات السلاجقة البارزين
أفشين بك	1086	القائد التركي الذي مهد لفتح الأناضول بغزواته الموفقة
أرتوق بك	1091	مؤسس سلالة أبناء أرتوق والقائد الكبير الذي أشترك في الحملة لفتح الأناضول وفتح وادي كلكيت وعمان
السلطان ملكشاه	1055-1092	وريث السلطان ألب ارسلان في العرش وأبنه . اكتسبت الدولة التركية في عهده صفة الإمبراطورية . دعم فتح الأناضول ووقع مرسوم تأسيس دولة تركيا

آتسز بك	1094	فاتح سورية وفلسطين . تقلد لقب الملك . قاد الجيوش ضد الفاطميين
دانشمند غازي	1104	من القادة الأتراك في فتح الأناضول ومؤسس سلالة دانشمند
السلطان قليج ارسلان الأول	1073-1107	ابن السلطان سليمان شاه الأول وحاكم تركيا . دافع ببسالة عن تركيا في الحروب الصليبية الأولى

القرن الثاني عشر للميلاد:

بلك بك	1124	قائد من بني أرتوق . حارب الصليبيين وأستشهد
عماد الدين زنكي	1084-1149	مؤسس أتابكية الزنكيين . حارب الصليبيين وأنتصر في حروب عديدة
السلطان مسعود الأول	1098-1155	حاكم تركيا الكبير وابن السلطان قليج ارسلان الأول . دافع عن تركيا في الحملة الصليبية الثانية
السلطان سنجر	1084-1157	آخر ملوك الأتراك الكبار من السلاجقة . سيطر على دولتي الغزنويين والغوريين
أحمد اليسوي	1166	من المتصوفين والشعراء الأتراك في تركستان، ومؤسس المذهب اليسوي
نور الدين الزنكي	1118-1174	ابن عماد الدين الزنكي ووريثه. الأتابك التركي صهر السلطان مسعود الأول. حارب ضد الصليبيين . رعى صلاح الدين الأيوبي وأهتم بنشأته ثم أرسله إلى مصر
السلطان قليج ارسلان الثاني	1115-1192	ابن السلطان مسعود الأول ووريثه الخاقان التركي الكبير . أهتم بتقوية أسس إمبراطورية تركيا وحطم آمال البيزنطيين في استعادة الأناضول في معركة ميريوكافالون
علاء الدين تكش الخوارزمي	1200	الفاتح الكبير وخاقان الدولة التركية الشرقية (تركستان) من الخوارزمية
معز الدين محمد	1206	سلطان الهند من الغوريين . استولى على ميراث الغزنويين في الهند وتركه إلى آي بك من المماليك

القرن الثالث عشر للميلاد:

السلطان آي بك	1200	مؤسس إمبراطورية المماليك التركية في الهند
جلال الدين الخوارزمي	1231	دافع عن العالم الإسلامي ضد المغول . آخر حكام الخوارزمية الشرقيين
السلطان أيل طوتمش	1236	من سلاطين مماليك الهند . صهر السلطان ألب بك
السلطان علاء الدين كيقباد	1192-1273	الخاقان التركي الكبير ومن أعظم حكام سلاجقة تركيا . بلغت تركيا في عهده الرخاء والنعيم الذي لم تبلغه بعد ذلك إلا في عهد السلطان سليمان القانوني

السلطان أي بك	1257	مؤسس إمبراطورية المماليك التركية في سورية ومصر . أطاح بالأيوبيين وحكم في مصر
السلطان قوتوز	1260	القائد الكبير وأعظم حكام المماليك في مصر بعد بيبرس . أنتصر في معركة عين جالوت وأوقف المغول في أبواب مصر
بركه خان	1209 - 1266	أول من أسلم من بني جنكيز . الخاقان الكبير لدولة التون أوردي وهو حفيد جنكيز خان وشقيق باتوخان
مولانا جلال الدين الرومي	1207 - 1273	من أكبر شعراء العالم والمتصوفين . مؤسس طريقة المولوية التي تعد من أهم الطرائق التركية . له تأثير هام على الثقافة التركية . من أهم رجال الفكر في التاريخ
السلطان بيبرس	1223 - 1277	القائد والحاكم الكبير لمماليك مصر. قضي على الصليبيين في الشرق الأدنى وجابه المغول كحاكم دولة إسلامية
محمد بك الأول القارامانى	1283	أعلن اللغة التركية لغة رسمية . حاول إنقاذ تركيا من الأيلخانيين وقتل في سبيل ذاك
السلطان بالابان	1207 - 1286	من أكبر حكام مماليك الهند
السلطان كالاون	1209	من أكبر حكام مماليك مصر ومؤسس أهم سلالة من المماليك
يونس أمره	1240 - 1320	ممثل الأدب الشعبي التركي وشاعر متصوف

تحدثنا في هذا الملحق عن سبع وستين شخصية كبيرة منها إحدى وثلاثون شخصية عاشت في دور ما قبل الإسلام حتى أواخر القرن التاسع، وست وثلاثون عاشت في الدور التركي الإسلامي الذي بدا من القرن العاشر، وثلاث وعشرون من هذه الشخصيات رجال اثروا على مجرى تاريخ العالم.

وقد اكتفينا بذكر هؤلاء وحتى نهاية القرن الثالث عشر في حين يظهر في القرن الرابع عشر شخصيات كبرى ولاسيما في التاريخ العثماني ثم يعقبهم في القرون الأخيرة شخصيات تركية هم من العظمة والقوة بمكان.

الفهرس